

RRSHC

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

Revue de recherche en sciences humaines et cognitives

مجلة علمية دولية محكمة تصدر بشكل شهري



المجلد 1 - العدد 1 - السنة الأولى - أبريل 2024
جميع حقوق النشر محفوظة للناشر للمجلة

رقم الهاتف

+212 614-024544

البريد الإلكتروني

contact@crshc.com

رقم الصحافة

07/2024

الترقيم الدولي

3009-5581

الإيداع القانوني

2024PE0032

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

الإيداع القانوني: 2024PE0032

الترقيم الدولي: 3009-5581

رقم الصحافة: 07/2024

رقم الواتساب: +212 6 14 02 45 44

البريد الإلكتروني: rrs hc@gmail.com

العنوان الإلكتروني: www.crs hc.com

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر وللمجلة
المغرب © 2024

مواقع التواصل الاجتماعي للمجلة



Tiktok



Youtube



Facebook

المدير المسؤول:

محمد بوغوتة

رئيس التحرير:

جمال الدين السراج

مدير التحرير:

سعيد الاشعري

أعضاء هيئة التحرير:

فريد أمعششو

محمد البوزيكي

عبد الله بوغوتة

وسام شهير

هشام كزوط

سعيد أريديف

د. جمال الدين السراج

رئيس التحرير

أستاذ التواصل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المملكة المغربية



”مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية هي منبر أكاديمي يهتم بنشر الأبحاث والدراسات في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم المعرفية. تهدف هذه المجلة إلى تعزيز فهمنا للعقل البشري، والثقافات المختلفة، وتأثير العوامل الاجتماعية والنفسية على سلوك الإنسان وتفكيره. تتضمن مجالات الدراسة في المجلة مجموعة واسعة من التخصصات مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم اللغة، والفلسفة، والأدب، وعلوم الإعلام والتواصل، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، والتاريخ، وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية والمعرفية. تعتبر هذه المجلة مصدراً هاماً للباحثين والأكاديميين لنشر أبحاثهم ومشاركة أفكارهم مع المجتمع الأكاديمي العالمي.“

ضوابط النشر في المجلة

- يشترط في البحث ألا يكون منشوراً من قبل، وأن يتسم بالراهنية والعمق، وأن تتميز مراجعته الأساسية بالجدة والتنوع؛
- تُقبل البحوث باللغات الآتية: اللغة العربية - الأمازيغية - الفرنسية - الإنجليزية - الإسبانية؛
- يجب أن يتراوح عدد كلمات البحث ما بين 4000 و6000 كلمة. وعلى كل كاتب أن يُرفق دراسته، أو مقالته، بملخصين، الأول بلغة المقالة، والثاني باللغة الإنجليزية في حدود 200 كلمة لكل ملخص؛ مع نبذة من سيرته العلمية وصورة شخصية؛
- ترسل البحوث باللغة العربية ببرنامج (Word)، خط (Sakkal Majalla)، حجم 16 في المتن و12 في الهامش و1.5 في interligne؛ وباللغة الفرنسية أو الإنجليزية بخط (Calibri Light)، حجم 12 في المتن و10 في الهامش؛
- يلزم احترام الضوابط العلمية والأخلاقيّة في كل ما يتعلق بالتوثيق والتهميش، وإثبات الإحالات متسلسلةً أسفل كل صفحة دون استرسال؛
- تخضع البحوث والدراسات على محكّمين من ذوي الخبرة وحسب تخصص المقال؛
- تقبل البحوث الفردية وكذا الجماعية في حدود شخصين؛
- تتولى اللجنة العلمية إبلاغ الكاتب بتسلم مادته حال ورودها، ثم إبلاغه لاحقاً بقرار الهيئة العلمية حول مدى صلاحية مادته للنشر، سواءً كانت مقبولة للنشر كما هو، أو تحتاج إلى تعديلات أو تحسينات قبل النشر، أو رفضها في حال كانت غير مناسبة لمعايير المجلة.

لا تعبر الآراء الواردة في المجلة إلا عن آراء أصحابها،

وبالتالي تبقى مسؤولية الكاتب قائمة متى خالفت القوانين الجاري به العمل.

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر وللمجلة

العنوان : مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

موقع المجلة : www.crshc.com

عنوان المراسلة : contact@crshc.com

الهاتف/الواتساب : +212 614-024544

الإخراج الفني : محمد بوغوتة

الإيداع القانوني : 2024PE0032

الترقيم الدولي : 3009-5581

رقم الصحافة : 07/2024

المطبعة : مكتبة قرطبة، وجدة، المغرب

حقوق الطبع : محفوظة للناشر وللمجلة © 2024

الهيئة الاستشارية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

- | | |
|---|---|
| د. عبد الله بوغوتة
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب | د. فريد أمعضشو
مركز تكوين مفتشي التعليم
المغرب |
| د. رفيق أوباشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة
الشرق، المغرب | د. سعيد أريديف
المدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب |

الهيئة العلمية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

- | | |
|---|--|
| د. محمد دلال
جامعة محمد الأول، المغرب | د. فريد لمريني
جامعة محمد الأول، المغرب |
| د. حسن احساين
جامعة محمد الأول، المغرب | د. يحيى عمارة
جامعة محمد الأول، المغرب |
| د. الطيب بركان
جامعة محمد الأول، المغرب | د. فؤاد أزروال
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب |
| د. عائشة عبد الواحد
جامعة محمد الأول، المغرب | د. وسام شهير
جامعة محمد الأول، المغرب |
| د. أحمد أوجاك
جامعة محمد الأول، المغرب | د. خليل عبد الجليل
جامعة محمد الأول، المغرب |
| د. أسماء هلال
جامعة محمد الأول، المغرب | د. بثينة حساني
جامعة محمد الأول، المغرب |
| د. يوسف ماحي
جامعة محمد الأول، المغرب | د. كمال بورمضان
جامعة محمد الأول، المغرب |

الهيئة العلمية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. طارق حمدنا الله

(خبير لدى المجلس الأعلى للبيئة والترقية
الحضرية والريفية، السودان)

د. سلام جبار منشد حسين الاعاجيبي

(جامعة المتني، العراق)

د. عائشة محمد عثمان مصطفى

(جامعة الإمام المهدي، السودان)

د. صباح علي السليمان

(جامعة بغداد، العراق)

د. مروان السكران

(أكاديمية بيت اللسانيات الدولية، تركيا)

د. محمود قدوم

(جامعة بارتن، تركيا)

د. عبد المجيد بوفرعة

(الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين

لجهة الشرق، المغرب)

د. نجيب علالي

(المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

لجهة الشرق، المغرب)

د. محمد حمداوي

(الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين

لجهة الشرق، المغرب)

د. بلال داوود

(المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب)

د. حاتم فهد هنو ذياب الطائي

(جامعة الموصل، العراق)

د. سماح محمد محمد حيدة

(جامعة باشن الأمريكية، مصر)

د. هناء فاضل سلمان

(الجامعة المستنصرية، العراق)

د. الصادق علي وداعة عثمان

(جامعة سنار، السودان)

د. عزيز صالح علي الدعيس

(جامعة صنعاء، اليمن)

د. محمد بودشيش

(الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين

لجهة الشرق، المغرب)

د. عبد الصمد مجوتي

(الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة

طنجة تطوان الحسيمة، المغرب)

د. منير كلخة

(الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين

لجهة الشرق، المغرب)

د. عبد العزيز الصادقي

(الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين

لجهة الشرق، المغرب)

محتويات العدد

4	محتويات العدد
6	افتتاحية العدد
	معالم أساسية في طريق البحث في الثقافة الشعبية
7	د. عبد الله بوغوتة - ذة. ابتسام عباسي
	آليات وقواعد نقل المصطلح اللساني
24	د. جميلة عباوي - د. عبد الإلاه داني
	تقنيات التعليم الرقمي ودورها في تدويل مؤسسات التعليم العالي، الجامعة المغربية نموذجاً
57	د. الطيب بركان
	العنصرة بمنطقة الريف: مقارنة تأصيلية
72	د. عبد الصمد مجوتي
	ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية
90	د. سعيد أريديف - فتيحة سحيبي
	الوظائف التنفيذية: من التعريف إلى إعادة التأهيل
118	إبراهيم نظير - د. عبد اللطيف الفرحي
	الأخبار الزائفة (The Fake News) في وسائل التواصل الاجتماعي: تأصيل في المفهوم وبحث في الدوافع والأسباب
145	د. عبد العزيز الصادقي - د. سعيد الأشعري
	التوافق البياني في التفسير القرآني - آيات العربية عند بعض المفسرين أنموذجاً-
169	د. يوسف العلمي
	مقاصد العقيدة في الفكر الكلامي عند الإمام الماوردي (ت450هـ وأثرها في بناء الإنسان والعمران (قسم النبوات أنموذجاً)
186	خالد أزاز

حكمة التوفير في المطبخ التقليدي الوجدي

- 213 د. كمال بورمضان
بيداغوجيا الإنصاف
- 230 د. رفيق أوباشير - د. عبد الكريم بومعزة
صورة المرأة في التاريخ السياسي الإسلامي: (سلطانات منسيات) لفاطمة المريني
- 242 د. محمد حمداوي
المرأة و"إبليس" في مجتمع البيضان بالجنوب المغربي
- 269 د. شرقاوي حم
فرص تدريس التاريخ في التعليم الثانوي بالمغرب عبر الألعاب الإلكترونية: نموذج لعبة Assassin's Creed
- 289 مراد الزكراوي
تحولات قيم الثقافة الشعبية بين المحلية والعالمية
- 306 د. عبد المجيد بوفرعة - يوسف شمالال
المؤهلات السياحية والإيواء السياحي بمدينة فاس
- 328 محمد الكريبي - محمد شعبان
فن الصناعة المعجمية الأمازيغية من الورقي إلى المحوسب
- 351 د. أمهاوي نور الدين
تدوين الحكاية الشعبية الأمازيغية في الريف؛ إحياء للحكاية أم تحنيط للنص؟
- 377 عبد الواحد حنو - د. عبد الهادي أمحرف
جهود الزّجاجي النحوية من خلال كتابه "علل الإيضاح" - دراسة وصفية تطبيقية
- 400 د. الصادق علي وداعة

افتتاحية العدد

"مع حلول فجر هذا العصر المعرفي الذي يتميز بتفاعلٍ متسارعٍ بين العلوم الإنسانية والمعرفية، يسرُّني أن أرحب بكم في العدد الأول من مجلتنا الجديدة. تمثل هذه المجلة منبراً متنوعاً وشاملاً للبحوث والدراسات التي تستكشف مختلف جوانب العلوم الإنسانية والمعرفية، وتسعى إلى تعزيز الفهم والتفاعل بين العلماء والباحثين في هذه الميادين المتنوعة.

يتضمن هذا العدد مجموعة من المقالات المميزة التي تتناول مواضيع تتراوح بين الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، واللغويات، والدراسات الثقافية، وغيرها. وقد شارك في إعداد هذه المقالات باحثون وأكاديميون متميزون من مختلف الجامعات، مما يمنح هذا العدد تنوعاً جغرافياً وثقافياً يعزز التفاعل العلمي.

إن هدفنا من إطلاق هذه المجلة هو تعزيز الحوار العلمي وتبادل المعرفة بين الباحثين والمهتمين في مجالات العلوم الإنسانية والمعرفية، وتشجيع الابتكار والتفكير النقدي. نأمل أن تسهم المقالات المنشورة في هذا العدد في إثراء المناقشات العلمية وتفتح آفاقاً جديدة للبحث والتطوير في مجالاتنا المشتركة.

أخيراً، أود أن أعبر عن شكري العميق لجميع الباحثين الذين ساهموا في إعداد هذا العدد الأول، ولفريق التحرير الذي عمل بجدية لتحقيق هذا الإنجاز، كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأعضاء لجنة القراءة والتحكيم على جهوداتهم الجبارة في تحكيم المقالات مما يضمن شرعية علمية على هذه المجلة الواعدة. نتطلع إلى استمرار تعاوننا ونجاحاتنا المستقبلية في بناء مجتمع علمي قوي ومتربط. شكراً لثقتكم ودعمكم المستمر".

حرر بوجودة، في: 30 أبريل 2024

رئيس التحرير

الدكتور جمال الدين السراج

معالم أساسية

في طريق البحث في الثقافة الشعبية

ابتسام عباسي

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه
مختبر الأدب العام والمقارن: الخيال والنصوص والثقافات
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة
المغرب.



د. عبد الله بوغوتة

أستاذ باحث في التاريخ والتربية والتكوين
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بجهة الشرق
المغرب
ORCID ID : 0009-0002-1586-2343

ملخص:

تنقل الثقافة الشعبية عبر الأجيال بواسطة الذاكرة والرواية الشفوية، وهي تتجلى في وسائل تقليدية مثل النقش والزخرفة والحرف والكتابة والموسيقى، مشكلةً بذلك نغماً من الحياة وظاهراً من الرموز وأشكال التفاعل. ويهدف هذا المقال إلى توضيح المعالم الرئيسية للبحث في مجال الثقافة الشعبية، خاصة للطلبة الباحثين، مؤكداً على أهمية توافر الحد الأدنى من المعارف العلمية والمنهجية اللازمة لإنجاز بحوث نظرية وميدانية تتوافق مع المعايير العلمية والمنهجية المعتمدة. كما يقدم توجيهات إرشادية محددة لتعزيز التفاعل الإيجابي مع المحيط وتعميق الفهم لمتنظرات الظواهر الثقافية الشعبية. وتجدر الإشارة إلى أن الثقافة الشعبية تعتبر تعبيراً سوسولوجياً عن الاتصال البشري؛ حيث تتفاعل وتتصارع مع العناصر الثقافية الأخرى ضمن الثقافة الواحدة، ما يوضح الحاجة إلى استعمال الأدوات البحثية الملائمة وتمتلك منهجية علمية صارمة لتحقيق الشروط العلمية والموضوعية في البحث.

كلمات مفتاحية: الثقافة الشعبية - البحث الميداني - المعالجة الإحصائية - المنهج العلمي - المعرفة العلمية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بوغوتة، عبد الله، عباسي، ابتسام. (2024، أبريل). معالم أساسية في طريق البحث في الثقافة الشعبية. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 7-23.

Abstract:

Popular culture is transmitted across generations through memory and oral narration and is manifested in traditional means such as decoration, crafts, writing and music. Thus, forming a way of life and a system of symbols and forms of interaction. This article aims to clarify the main features of research in the field of popular culture, especially for student researchers, emphasizing the importance of having the minimum scientific and methodological knowledge necessary to complete theoretical and field research that is consistent with approved scientific and methodological standards. It also provides specific guidance to enhance positive interaction with the surroundings and deepen understanding of various popular cultural phenomena. It should be noted that popular culture is a sociological expression of human communication, as it interacts and struggles with other cultural elements within a single culture. This demonstrates the need to use appropriate research tools and possess a rigorous scientific methodology to achieve scientific and objective conditions in research.

Keywords: Folk culture, Field research, Statistical analysis, Scientific method, Scientific knowledge.

مقدمة

الثقافة الشعبية هي مجموع الأنشطة والممارسات والأفكار التي ينتجها المجتمع لتلبية حاجاته المادية والنفسية بشكل مستقل عن السلطة والنخب العاملة. تنقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل عبر الذاكرة والرواية الشفوية... لحين ظهور وسائل الإعلام التي أصبحت تقوم بهذا الدور.

تعبّر الثقافة الشعبية عن نفسها بوسائل تقليدية مثل النقش والزخرفة والحرف والكتابة والموسيقى والزي والحركة... وتشكل نمط حياة ونظام، من الرموز وأشكال التفاعل، يشارك فيها الشعب/الجمهور كعنصر أساسي.

وتهدف هذه المساهمة توضيح بعض المعالم الرئيسية للباحثين في مجال الثقافة الشعبية، خاصة الطلبة الباحثين منهم، تبياناً للقصد والمطلوب، وتوضيحاً للصورة بشكل أفضل، حتى يتمكنوا من إنجاز بحوث علمية تحترم الضوابط العلمية، وتحقق الأهداف المرجوة، في تناغم تام بين الاعتزاز بالذات الثقافية والانفتاح على مختلف المكتسبات الثقافية الإنسانية، وهذا لا يتأتى إلا بتوافر حد أدنى من الرصيد المعرفي الضروري، وكذا تملك المنهج العلمي المعتمد، واستعمال الأدوات البحثية الملائمة، حتى تتحقق الشروط العلمية والموضوعية والموثوقية في هذه البحوث.

ولتحقيق المبتغى ركزنا على مجموعة من المعالم الإرشادية، باعتبار أن المقبل على الاشتغال في هذا المجال يتوفر على الحد الأدنى من المعارف العلمية والمنهجية القمينة بإنجاز بحوث نظرية وميدانية تتعلق أساساً بالثقافة الشعبية وفق المعايير العلمية والمنهجية المعتمدة.

المَعْلَمُ الأول: مصطلحات ومفاهيم

1.1- الثقافة:

جاء عند ابن منظور في لسان العرب: «ثقف: ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفًا وَثَقْفًا وَثُقُوفَةً: حَدَقَهُ. وَرَجُلٌ ثَقْفٌ، وَثَقِفٌ، وَثَقْفٌ: حَادِقٌ فِيهِمْ، وَأَتْبَعُوهُ فَقَالُوا ثَقِفْ لَقْفٌ. وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ رَامٍ رَاوٍ. اللَّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ وَثَقِفٌ لَقْفٌ وَثَقِيفٌ لَقِيفٌ بَيْنَ الثَّقَافَةِ وَاللِّقَافَةِ. ابْنُ السِّكِّيتِ: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ إِذَا كَانَ ضَابِطًا لِمَا يَحْوِيهِ قَائِمًا بِهِ. وَيُقَالُ: ثَقِفَ الشيءَ وَهُوَ سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ. ابْنُ دُرَيْدٍ: ثَقِفْتُ الشيءَ حَدَقْتُهُ، وَثَقِفْتُهُ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَإِنَّمَا تَثَقَّفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ. وَثَقِفَ الرَّجُلُ ثَقَافَةً أَيْ صَارَ حَادِقًا خَفِيفًا مِثْلَ ضَخْمٍ، فَهُوَ ضَخْمٌ، وَمِنْهُ الْمُثَاقِفَةُ. وَثَقِفَ أَيْضًا ثَقْفًا مِثْلَ تَعَبٍ تَعَبًا أَيْ صَارَ حَادِقًا فِطْنًا، فَهُوَ ثَقِفٌ وَثَقْفٌ... وَهُوَ غَلَامٌ لَقِنٌ ثَقِفٌ، أَيْ ذُو فِطْنَةٍ وَذَكَاءٍ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ ثَابِتُ الْمَعْرِفَةِ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ...»¹

والثقافة "نظام يتكوّن من مجموعة من المعتقدات، والإجراءات، والمعارف، والسلوكيات التي يتمّ تكوينها ومشاركتها ضمن فئة معينة. والثقافة التي يكونها أيّ شخص يكون لها تأثير قوي ومهم على سلوكه²، وتدلّ الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز أيّ مجتمع عن غيره، منها: الفنون، والموسيقى التي تشتهر بها، والدين، والأعراف، والعادات والتقاليد السائدة، والقيم، وغيرها"³.

ويرى مالك بن نبي أن «الثقافة فلسفة وقيم خلقية فردية واجتماعية تؤثر في تكوين وتنشئة الفرد منذ الطفولة؛ بحيث تصبح نمطاً لصيقاً بحياته، ووشماً مميزاً

¹ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعي الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ/1975م، ج9 ص19.

² - Grandon Gill (2013), "Culture, Complexity, and Informing: How Shared Beliefs Can Enhance Our Search for Fitness", the International Journal of an Emerging Transdiscipline, Folder, Page 71. Edited (<http://www.inform.nu/Articles/Vol16/ISjv16p071-098GillIFT87.pdf>)

³ - Gabriel Idang, AFRICAN CULTURE AND VALUES, Page 97, 98. Edited (<http://www.scielo.org.za/pdf/phronimon/v16n2/06.pdf>)

لسلوكه، يصنع بها كل دقائق حياته، وفق النمط الذي تشكل فيه. وبذلك فهي: «... المحيط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياتنا.. وهي تتمثل بوظيفة الدم في جسم الإنسان، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد هو - البلازما- ليغذي الجسد، والثقافة في ذلك الدم، الذي في جسم المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكار الصفاة، كما يحمل أفكار العامة والخاصة. وكل هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة...»¹.

فالثقافة إذن هي: المحيط الفكري والنفسي، والاجتماعي، والأخلاقي، والروحي... الذي يحتضن الوجود الإنساني في المجتمع، ويدعمه بالخبرة المعرفية، والسلوكية، والأخلاقية، والجمالية... وفي هذا المحيط تتشكل طباع، وشخصية، وذوق الفرد الثقافي، محكومة بالسنن النفسية والأفاقية.

فالثقافة إذن: نظرية في المعرفة، ومنهج في السلوك وطريقة في العمل والبناء.

1.2- الثقافة الشعبية:

الثقافة الشعبية (وتسمى أيضا الثقافة الجماهيرية وثقافة البوب أي الشعب) هي تلك الثقافة المعترف بها عموما من قبل أفراد من المجتمع كمجموعة من الممارسات، والمعتقدات، والأشياء المهيمنة والسائدة في المجتمع عند نقطة معينة من الزمن. وتشمل الثقافة الشعبية أيضًا الأنشطة والمشاعر الناتجة عن التفاعل مع هذه الأشياء المهيمنة. هذه المجموعة من الأفكار تتخلل حياة كل يوم من الناس في مجتمع معين. لذلك، للثقافة الشعبية طريقة للتأثير على مواقف الفرد تجاه مواضيع معينة².

¹ - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط4، 2000، ص 78.

² - ماكجها، جولي. "الثقافة الشعبية والعولمة". التعليم متعدد الثقافات 23.1 (2015): 32-37. SocINDEX بالكامل. الويب. 5 غشت 2016؛

هناك طرق مختلفة لتعريف الثقافة الشعبية¹؛ بحيث إنها شيء يمكن تعريفها بعدة طرق متضاربة من قبل أشخاص مختلفين عبر سياقات مختلفة². وتعتبر عموماً، وعلى النقيض من أشكال أخرى من الثقافة مثل الطقوس الشعبية، ثقافة الطبقة العاملة، أو ثقافة عالية، وأيضاً من خلال مختلف وجهات النظر مثل التحليل النفسي، والبنوية، وما بعد الحداثة...

ومن جهة أخرى، فإن الثقافة الشعبية تخرق المجتمع عمودياً أيضاً، وتطال مجموعات من كل الفئات، وليس الفئة الشعبية وحدها، باعتبارها إنتاج جماعة بشرية تشترك في نظام من الرموز والقيم يميزها عن غيرها من الجماعات³. وهي بهذا جزء من الثقافة العامة، التي يقول عنها إدوارد سعيد: "جميع الثقافات متداخلة في بعضها البعض، لا ثقافة فريدة ونقية، الكل هجين متعاير الخواص، متباين على نحو استثنائي، ولا يمثل بنية متجانسة أحادية التكوين"⁴.

ويؤكد خليل أحمد خليل على أهمية دراسة الثقافة الشعبية باعتبارها «مجموعة من الظواهر المتصلة والمتداخلة والمتفاعلة والمتصارعة مع العناصر الثقافية الأخرى ضمن الثقافة الواحدة على تنوعها. وهي بهذا المعنى تعبير سوسيولوجي عن الاتصال البشري وتداخل القوى الاجتماعية تفاعلاً وتصارعاً، ثباتاً وتغيراً»⁵.

المَعْلَم الثاني: موضوعات الثقافة الشعبية

باعتبار أن الثقافة الشعبية هي مجموعة من المعتقدات، والمبادئ، والممارسات، والتقاليد التي تُمثل بعض المعاني التي يشترك فيها الشعب الواحد على

¹ - ستريناتي، د. مقدمة لنظريات الثقافة الشعبية. روتليدج. 2004.

² - ستوري، ج. النظرية الثقافية والثقافة الشعبية: مقدمة. روتليدج. 2018.

³ - محمد غاليم، حماية التنوع الإحيائي في مجال الثقافة، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 22، صيف 2013.

⁴ - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة، كمال أبو ديب، دار الآداب، 1997، ص 308.

⁵ - أرمان ما تار، التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، 2008، ص 195.

نطاق واسع في المجتمعات، فإنها تتضمن كل الموضوعات ذات العلاقة التي يمكن أن نجدها في:

- ميدان الأدب الشفاهي (الأدب الشعبي)؛
- الحياة الشعبية والثقافة المادية (الحرف والصنائع وأنماط الحياة وطقوسها)؛
- العادات الاجتماعية الشعبية (ضمنها المعتقدات والمعارف الشعبية)؛
- فنون الأداء الشعبي (الموسيقى الشعبية، الرقص، الدراما).

المُعَلِّم الثالث: الثقافة الشعبية الشفوية

هي كل الأشكال التعبيرية المنطوقة، التي تخزنها الذاكرة الشعبية. وتشمل هذه الثقافة الشعبية: الموروث السردى (الحكايات، والخرافات...)، والحكم والأمثال الشعبية وغيرها من فنون التعبير الأخرى¹. وهي مجموع العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي بلد أو منطقة جغرافية محدودة، غالبا باستخدام طرق إعلام شعبية.

تنتج هذه الثقافة من التفاعلات اليومية بين عناصر المجتمع إضافة لحاجاته ورغباته التي تشكل الحياة اليومية للقطاع الغالب من المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الثقافة تتضمن أي من الممارسات وعادات الطبخ والمأكولات والثياب والإعلام ونواحي التسلية المستخدمة. إضافة للرياضة والأدب.

وغالبا ما يستخدم مصطلح ثقافة شعبية كمصطلح مضاد ومخالف للثقافة العليا أو النخبوية.

¹ - فوزي بوخريص، صورة المرأة في الأمثال الشعبية: المرأة في مؤسسة الزواج كنموذج

([http://www.aljabriabed.net/n63_05bukgris.\(2\).htm](http://www.aljabriabed.net/n63_05bukgris.(2).htm))

المَعْلَم الرابع: لماذا البحث في الثقافة الشعبية؟

إن الثقافة الشعبية باعتبارها تراثا ثقافيا لا ماديا أمانة مجتمعية، على المجتمع بكل أطرافه المحافظة عليه بعد جمعه وتصنيفه، ليبقى ذخيرة حية للأجيال القادمة. وهذا الاهتمام، وهذه الرعاية لا يأتيان دون الوعي بأهمية التراث لا مادياً كان أو مادياً. فالتراث دليل على الهوية، والهوية هي التي تحفظ لنا مكاناً في هذا العالم، وهي التي تقدم بالصوت والصورة والكلمة ثقافتنا إلى هذا العالم.

ولعل من الدوافع الموضوعية التي ينبغي أن تحفز الطلبة الباحثين للاشتغال في مجال الثقافة الشعبية، نذكر منها على سبيل المثال¹:

- تعميق المعارف في التخصصات ذات العلاقة بالثقافة الشعبية، كاللغة والتاريخ والسوسولوجيا والتنمية المحلية...

- التمكين من اكتشاف الدلالات التراثية في سياقاتها المختلفة التاريخية، والفكرية، والاجتماعية، والإنسانية، والسياسية، والوقوف على مدى استجابتها للمغزى المعاصر في أي مجال من المجالات المعرفية قصد التفاعل الإيجابي مع المحيط.

- بلورة تصور مشترك ومحدد للثقافة الشعبية يخرجها من الطابع الفولكلوري الاختزالي.

- تعميق المعارف في مناهج وأصول وأدوات البحث في مجال الثقافة الشعبية من خلال روافدها ومكوناتها، وأنساقها الثقافية، والتاريخية، والنصية.

- تملك رؤية تركيبية لإدراك العلاقات المرجعية والدلالية، والبنى التركيبية لكل مظهر من مظاهر الثقافة الشعبية.

¹ - جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دفتر الضوابط البيداغوجية لماجستير دراسات في الثقافة الشعبية المغربية، (بتصرف).

- إثراء الخزانة المغربية بوضع أطاليس ومعاجم ووثائق ودراسات وأبحاث ومخطوطات خاصة بالثقافة الشعبية.
- تملك منهجية لتحليل النصوص الشفوية بما تحفل به من ظواهر وقضايا دينية، وتاريخية، وفكرية، واجتماعية، واقتصادية، وأدبية، ودينية.
- تعزيز الانتماء للذات الثقافية المغربية، والانفتاح على المكتسبات الثقافية الإنسانية الإيجابية.

المعلم الخامس: كيف نبحت في الثقافة الشعبية؟

لوحظ في العقود الأخيرة ازدياد الاهتمام بالبحث في الثقافة الشعبية وخاصة المغربية من قبل الباحثين، وباعتبار هذا المجال مفتوحا للدراسة والتقصي والبحث بما توفره من مادة أولية تصبح أرضية للبحث الأكاديمي الجاد الذي يعيد الاعتبار للذاكرة الشعبية باعتبارها من أهم مصادر الهوية الجامعة، فإننا نخاف أن يصبح البحث في الثقافة الشعبية اليوم مهنة من لا مهنة له، مما أنتج بحوثا ومقالات في الجرائد والمجلات وعلى صفحات الأنترنت... هذه الأبحاث غير المتخصصة، والتي لا مرجعية علمية لها كونت إرثا مكتوبا أقل ما يوصف به هو كونه استمرارا في مسلسل احتقار هذه الثقافة والتنقيص من كل الإنتاجات الشعبية، ووصف عامة الشعب مؤلف هذه الثقافة بالجهل والتخلف في نتائج واستنتاجات هذه البحوث غير العلمية.

وهو الأمر الذي يوجب على الباحثين، النظر في هذه الإنتاجات وتدقيقها وإبراز ما جاء فيها من صواب، مع ضرورة الوقوف على نتائجها غير العلمية، وخاصة تلك التي تنحى منحى التبخيس والتنقيص والتدنيس. ومن جهة أخرى، وجب على الطلبة الباحثين بمختلف مستوياتهم، ولوج ميدان الثقافة الشعبية بعدة الباحث الأكاديمي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، والتسلح بأحدث المناهج العلمية التي وفرت آليات

وتقنيات البحث والتحليل والتأويل في دراسة الظواهر الثقافية والإنتاجات المعرفية التي أنتجها الشعب. ومن أجل تحقيق ذلك، نقترح الخطوات الآتية:

1- القراءة والبحث: ضرورة الرجوع إلى الكتب والمقالات والدراسات الأكاديمية التي تتناول الثقافة الشعبية. كما يمكن أيضاً قراءة أو الاستماع إلى القصص والشعر والأغاني والأساطير التي تمثل جزءاً من الثقافة الشعبية.

2- الحضور إلى الأماكن الشعبية: كزيارة الأماكن الشعبية مثل الأسواق والأحياء الشعبية والمهرجانات والمعارض والمتاحف المتخصصة في الثقافة الشعبية. ويمكن مقابلة الناس في هذه الأماكن والتحدث معهم عن ثقافتهم وتجاربهم الشخصية.

3- استخدام الإنتاج الإعلامي: وذلك بالاطلاع على الأفلام والمسلسلات والبرامج التلفزيونية والإذاعية ومواقع الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي التي تتناول الثقافة الشعبية، وتعكسها بطريقة أو بأخرى.

4- الانضمام إلى المجتمعات الشعبية: يمكن الانضمام إلى المجتمعات الشعبية مثل الجمعيات والأندية الرياضية، أو الفنية، أو الثقافية، أو الدينية، والمشاركة في الأنشطة والفعاليات ومقابلة الأشخاص الذين يتشاركون نفس الاهتمامات، ويمكن استثمار مواقع التواصل الاجتماعي.

5- استشارة المتخصصين: يمكن استشارة الخبراء والمتخصصين في الثقافة الشعبية مثل الأكاديميين والأثريين والمتحفيين والأدباء والشعراء والفنانين، والتحدث معهم حول أبحاثهم ومعرفتهم بالثقافة الشعبية.

المَعْلَمُ السادس: ضوابط ومحددات

لإنجاح عملية البحث في الثقافة الشعبية، وخاصة الشق الميداني، لا بد من مراعاة مجموعة من الضوابط والمحددات، أهمها:

- يعتبر العمل الميداني العمود الفقري للبحث في الثقافة الشعبية؛
- ينبغي عدم الفصل بين الثقافة المادية واللامادية، لأن الفصل فيه ازدواجية زائفة، بمعنى أننا لا يمكننا اعتبار الثقافة المادية كمادة منفصلة عن الثقافة اللامادية؛
- ضرورة ربط النشاط المادي واللامادي بالإنسان ببيئته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في سياق تراكمها التاريخي (مثلا طقس الزواج وتوثيق الأدوات المادية والزينة والعطور والمعتقدات والممارسات والعادات المتصلة بهذا الطقس...)
- يتعين على الباحث في مجال الثقافة الشعبية الاستعانة بالباحثين الذين سبقوه في العمل الميداني في المناطق قيد البحث وخاصة المؤرخين المحليين وجامعي الثقافة الشعبية؛
- يمكن للإنسان أن ينتج أنماطا ثقافية مرتبطة بالزمان والمكان في الظروف البيئية المتشابهة؛
- تعتبر الجوانب النظرية التاريخية والجغرافية واللغوية والاجتماعية أساس الدراسات في مجال الثقافة المادية.

المَعْلَم السابع: مصادر الثقافة الشعبية

- بما أن الثقافة الشعبية أو الموروث الثقافي شكل من الأشكال التعبيرية المنطوقة، التي تخزنها الذاكرة الشعبية الجمعية، وهي جزء من الثقافة الإنسانية ككل، يتم حفظها بشكل شعوري أو غير شعوري لتتجسد في كل من المعتقدات والعادات والممارسات الحياتية اليومية، وتشمل الموروث السردى (الحكايات، والخرافات...)، والحكم والأمثال الشعبية وغيرها من فنون التعبير الأخرى. يمكن الحصول عليها من عدة مصادر وبطرق مختلفة أهمها:

- الجمع الميداني المباشر؛
- كتابات ومؤلفات المؤرخين؛
- مؤلفات الرحالة من داخل المجتمع المراد دراسته؛
- كتابات ومؤلفات الرحالة والإخباريين الأجانب؛
- المصادر التراثية غير المباشرة، ككتب التاريخ والتراجم والنوازل والأدب...؛
- الدراسات الحديثة والمعاصرة، وخاصة الأكاديمية.

المعلم الثامن: مراحل أساسية للبحث في الثقافة الشعبية

يعد العمل الميداني المرحلة الأساس التي يركز عليه البحث في الثقافة الشعبية، ودراسة مكوناتها وأجناسها وأنواعها الأدبية والثقافية، وتصنيف عناصرها، وتحليل مضامينها، لاسيما الموضوعات المتصلة بالعناصر التي لاتزال حية وفعالة في المعيش الاجتماعي والثقافي، بدءاً من رصد الظاهرة، ثم طرح المفاهيم النظرية الأساسية وإشكالاتها، مروراً بتأصيل الموضوع، فمناقشة الفرضيات والطروحات، وكيفية إحداث تغييرات جوهرية، والانفتاح على آفاق جديدة لتطوير العمل الميداني، ومن أجل بلورة تصور منهجي سليم، لا بد من الإشارة والتذكير بأهم المراحل، ومنها:

1. مرحلة الإعداد

- تحديد موضوع البحث في مجال جغرافي معروف بالقدر الكافي لدى الباحث؛
- تحديد زمن إجراء العمل الميداني مع ضرورة التمييز بين زمن الباحث وزمن موضوع البحث؛ لأن زمن الحرفيين والصناع ليس كزمن الطقوس والعادات؛ بحيث، مثلاً زمن الحرفيين المرتبطين بمجال الفلاحة ليس كزمن الصناع المرتبطين بحاجات الناس من أثاث ولباس وغير ذلك، وزمن هؤلاء ليس كزمن المرتبطين بالمناسبات الدينية والاجتماعية...

- اختيار المنطقة/مجال البحث لجمع البيانات والمعطيات التي ترتبط بمشكلة البحث، فمثلاً إذا أردت معرفة كيفية تأثير التحديث على الصناعات والحرف اليدوية الموروثة يجب اختيار المدن والحواضر دون البوادي، وإن كان في أيامنا هذه قد تداخلت وتشابهت مع انتشار ما يسمى بالعمولة وتقارب الزمن الحضاري بفعل التحول الرقمي.

- قبل الجمع الميداني يتعين على الباحث، ما أمكنه ذلك، قراءة كل ما كتب في الموضوع قيد البحث، سواء تعلق الأمر بمجال البحث أو موضوعه؛

2. مرحلة الجمع والتوثيق الميداني المباشر:

- قبل تفصيل أدوات البحث والتوثيق الميداني لا بد من:

* تحديد مشكلة البحث، وهي التي على أساسها يجمع الباحث مادته سعياً وراء حلها،

* تحليل المشكلة، وهي تحديد المناهج المناسبة للحصول على ما يعينه على الجمع والتوثيق،

* جمع وتوثيق المادة ميدانياً عن طريق الجمع والتوثيق المباشر من المنطقة قيد البحث.

- أما تحليل مشكلة البحث الميداني، فنعني بذلك صياغة الأسئلة الفرعية، واقتراح الفرضيات المناسبة لها، ثم تحديد المناهج المناسبة للحصول على ما تنشده من مادة وتحديد المكان والزمن؛

- أما فيما يخص المدة الزمنية التي يحتاجها الباحث لإنجاز مهمته، فلا بد من التذكير بأن المادة في الحقل غير محدودة، ولكن على الباحث أن يقرر زمن جمع مادته على أساس صلتها بمشكلة بحثه.

- مناهج ووسائل التوثيق، وهي مناهج ووسائل يمتلك الباحث بعضها وبعضها يحتاج لمختص لمعاونته - مناهج الملاحظة والمشاركة وتسجيل المقابلات المباشرة

لابد أن تتوفر لدى الباحث لكن التصوير ورسم الخرائط والأشكال، إن كان لا يجيدها فعليه الاستعانة بمن يتقنها.

- أثناء يوم العمل على الباحث أن يكتفي بالتصوير أو التسجيل، وتدوين الملاحظات، ورسم الاسكتشات. هذا بعد توطيد علاقة الثقة بينه وبين أفراد عينة البحث. وهنا يحتاج الباحث لصفة الذكاء الاجتماعي بالحضور المؤثر في الآخر، وقدرته في التعبير عن نفسه، وتوضيح مهمته، دونما استعلاء وإنما في تواضع وأدب جم.

ومما ينبغي أن نلفت النظر إليه، هو أن هناك بعض الطقوس أو الحرف تقام أو تمارس في مواسم محددة من السنة فعلى الباحث معرفة الجدول الزمني لكل طقس أو حرفة يريد دراستها.

المعلم التاسع: مهمة الجامع والباحث في مجال الثقافة الشعبية

المهمة الأولى: توثيق وتسجيل المادة الخاصة بالطقوس، أو العادات، أو الأدوات، أو المصنوعات...

المهمة الثانية: تتبع خطوات العمليات والمحطات والمراحل تسجيلاً وتوثيقاً وتوصيفاً بالصوت والصورة والرسومات التوضيحية وتسجيل الملاحظات ...

وفيما يتعلق بجمع المادة الشفهية، نشير إلى أنه إذا ما توفر عدة رواة في المنطقة الواحدة، فإن في هذه الحالة تجرى مقابلات معهم جميعاً ثم تقارن إفاداتهم للخروج بالمعلومة الموثوق بها، وأيضاً يتبع ذلك مقارنتها مع ما دون سابقا في كل مرة سواء كان من راوٍ واحد أو عدة رواة نجد معلومة جديدة مؤكدة أو مخالفة.

ويعتبر مؤشر الانتهاء من العمل الميداني، هو عندما تبدأ المعلومات الواردة في التكرار. عندها يكون العمل الميداني قد انتهى لتبدأ مرحلة التصنيف والتحليل والمقارنة واختبار الأسئلة على ضوء ما حصلت عليه من معلومات. وهذه في باب

مناهج البحث العلمي أدخل ولها قواعدها وموجهاتها المنفصلة تماماً عن مرحلة العمل الميداني، وليس هذا مقام التفصيل فيها. ونكون بهذا قد أنهينا العمل الميداني.

المُعَلِّم العاشر: التصنيف والتحليل والمقارنة واختبار الأسئلة واستخلاص النتائج

بعد قيام الباحث بجمع البيانات والمعطيات باعتماد أداة البحث، تأتي مرحلة التصنيف والتبويب حسب محاور أداة البحث التي تكون مطابقة لأسئلة البحث وفرضياته، تأتي مرحلة المعالجة الإحصائية لهذه المعطيات، أو تحليل مضمون الوثائق المكتوبة أو الشفهية باعتماد شبكة تحليل المضمون يتم تحكيما سلفا وهو الأمر نفسه لجميع أدوات البحث.

وعند عرض كل جزء من أجزاء الدراسة وجب التعليق عليها بشكل يناسب أهمية وكثافة المعلومات حتى تظهر البصمة الشخصية والإضافة النوعية للباحث، ولإضفاء مزيد من الموضوعية على استخلاص النتائج يحبذ إدراج ما جاء في دراسات أخرى مماثلة، وإبداء الرأي سواء بالموافقة والتزكية أم بالنقد والنقض إذا استلزم الأمر بالدليل العلمي المتوصل إليه.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المعلم، هو ضرورة الاطلاع على دراسات سابقة محكمة إضافة إلى ضرورة العمل على التمكن من منهجية استخدام أدوات ووسائل التصنيف والتحليل وكذا استخلاص النتائج من خلال الاستفادة من دورات تكوينية وحضور محاضرات وندوات وأيام دراسية في الموضوع، أو زيارة أهل الاختصاص لاستشارتهم والاستفادة من خبرتهم وتجربتهم وعدم الاكتفاء بالاطلاع على ما كتب هنا وهناك، لأن هذا العمل حرفة وصنعة ولا يتأتى تعلمها وإتقانها إلا بمجالسة أهل السبق من ذوي الاختصاص.

خاتمة

من خلال ما سبق، يمكننا القول إن البحث في الثقافة الشعبية هو وسيلة للحفاظ عليها وضمان استمرارها عبر الأجيال. ومن أجل تحقيق ذلك، يجب على الباحث التسلح بالمعرفة العلمية الضرورية، ومستلزمات البحث العلمي وخاصة الميداني، وكذلك تتبع مجموعة من الخطوات التي تضمن له الاشتغال بكل علمية وموثوقية ومصداقية.

كما أنه لإنجاح العملية البحثية في هذا المجال، من الضروري احترام مجموعة من الضوابط والمحددات مع وجوب الأخذ بعين الاعتبار المصادر والمراجع التي ينبغي أن يعتمد عليها الباحث في الحصول على كل ما له علاقة بالثقافة الشعبية أو الموروث الثقافي.

وفي الأخير فإن عملية البحث في مجال الثقافة الشعبية تتطلب جهداً مستمراً ومنهجية دقيقة. ذلك أن الباحث مطالب أن يكون على أتم الاستعداد لمختلف التحديات التي قد تواجهه خلال عمله البحثي، بدءاً من رصد الظاهرة، وتحديد موضوع البحث وانتقاء المنهج الصحيح وصولاً إلى جمع، وتصنيف وتحليل المعلومات والمعطيات بدقة، واستنتاج أهم النتائج التي تشكل لبنة أساسية في الربط بين الدراسات السابقة وتلك اللاحقة لاستكمال الصورة بكل موضوعية دون تقديس ولا تبخيس.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: مصادر ومراجع باللغة العربية

- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة، كمال أبو ديب، دار الآداب، 1997؛
- أرمان ما تيار، التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، 2008؛
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ/1975م،
- ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، مكتبة لبنان، 1990؛
- جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997؛
- جيامبيرو جوبو، إجراءات البحث الإثنوغرافي، ترجمة محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، 2006؛
- روبرت إيمرسون وآخرون، البحث الميداني الإثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010؛
- ستريباتي، د. مقدمة لنظريات الثقافة الشعبية. روتليدج. 2004؛
- ستوري، ج. النظرية الثقافية والثقافة الشعبية: مقدمة. روتليدج. 2018؛
- سوتيريوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017؛
- فوزي بوخريص، صورة المرأة في الأمثال الشعبية: المرأة في مؤسسة الزواج كنموذج
:([http://www.aljabriabed.net/n63_05bukgris.\(2\).htm](http://www.aljabriabed.net/n63_05bukgris.(2).htm))؛
- ماكهاها، جولي. "الثقافة الشعبية والعولمة". التعليم متعدد الثقافات 23.1 (2015): 32-37.
SocINDEX بالنص الكامل. الويب. 5 غشت 2016؛

- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط4، 2000؛
- مجلة الثقافة الشعبية، مجلة فصلية محكمة، تصدر في البحرين (الأعداد 1-65)؛
- محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزء الأول من دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي دار الثقافة، القاهرة، 1983؛
- محمد غاليم، حماية التنوع الإحيائي في مجال الثقافة، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 22، صيف 2013؛
- محمود مفلح البكر، البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، دمشق، 2009؛
- نيفين ومحمد خليل وآخرون، بحوث ودراسات في الثقافة الشعبية، 2016.

ثانياً: مصادر ومراجع باللغة الأجنبية

- (<http://www.inform.nu/Articles/Vol16/ISJv16p071-098GillFT87.pdf>)
- Gabriel Idang, AFRICAN CULTURE AND VALUES, Page 97, 98. Edited (<http://www.scielo.org.za/pdf/phronimon/v16n2/06.pdf>)
 - Grandon Gill (2013), "Culture, Complexity, and Informing: How Shared Beliefs Can Enhance Our Search for Fitness ", the International Journal of an Emerging Transdiscipline, Folder, Page 71. Edited

آليات وقواعد نقل المصطلح اللساني

عبد الإله داني

طالب باحث بسلك الدكتوراه

مختبر التراث الثقافي والتنمية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المغرب.



د. جميلة عباوي

أستاذة التعليم العالي

كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية

بوجدة - المغرب

ملخص:

تعتبر مشكلة نقل المصطلح العلمي وخاصة اللساني مشكلة عويصة، لا بد من أن تتضافر كل الجهود للتغلب عليها؛ لأن تثبيت المصطلح اللساني وضبط مفهومه والتدقيق في معانيته حاجة ملحة حتى يكون مصطلحا لسانيا موحدًا يقوم بوظيفته ودوره على أكمل وجه، وذلك مما يحقق التواصل بين أهل هذا العلم ودفع عجلة البحث اللساني العربي من أجل اللحاق بركب المنجزات اللسانية الحديثة. وقد جاء هذا المقال ليكشف اللثام عن مثل هذه الإشكالات ويبيّن حقيقة نقل المصطلحات اللسانية، ومحاولة الإجابة عن الإشكاليات التالية: ما واقع نقل المصطلح اللساني؟ وما المشاكل التي يعاني منها المصطلح العلمي العربي وخاصة اللساني؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليات ارتأينا إلى تقسيم هذا المقال إلى ثلاثة محاور، المحور الأول خصصناه للحديث عن آليات وضع المصطلح اللساني، والمحور الثاني تطرقنا فيه إلى آليات نقل المصطلح اللساني، وخصصنا المحور الثالث لدراسة بعض المصطلحات اللسانية.

كلمات مفتاحية: المصطلح اللساني؛ آليات؛ النقل؛ الاشتقاق؛ النحت؛ الترجمة.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عباوي، جميلة. داني، عبد الإله. (2024، أبريل). آليات وقواعد نقل المصطلح اللساني. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 24-56.

Abstract:

The problem of transferring scientific terminology, especially linguistic terminology, is considered a difficult problem, and all efforts must be combined to overcome it. Because fixing the linguistic term, controlling its concept, and carefully examining it is an urgent need so that it becomes a unified linguistic term that performs its function and role to the fullest extent, and that is what achieves communication between the people of this science and pushes the wheel of Arabic linguistic research in order to catch up with modern linguistic achievements. This article came to uncover such problems and show the reality of the transfer of linguistic terms, trying to answer the following problems: What is the reality of the transfer of linguistic terms? What problems does Arabic scientific terminology, especially linguistic terminology, suffer from? In order to answer these problems, we decided to divide this article into three axes. The first axis we devoted to talking about the mechanisms of establishing the linguistic term, the second axis in which we touched on the mechanisms of transferring the linguistic term, and we devoted the third axis to studying some linguistic terms.

Keywords: linguistic term; mechanisms; Transport; derivation; sculpture; Translation.

مقدمة

لقد استطاعت اللسانيات أن تُحدث تغييرات جذرية وجوهرية على التاريخ اللغوي القديم، بعدما أخرجته من مجاله الضيق إلى مجال أوسع، ويعود الفضل في ذلك إلى جهود نخبة من الدارسين، يأتي في مقدمتهم "دو سوسير" صاحب كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، والذي ترجم عدة ترجمات إلى اللغة العربية، وقد أدرك اللسانيون العرب المحدثون الأهمية البالغة التي يكتسبها هذا العلم، وضرورة الإمام بأسبابه إماما واسعا، ومعرفة نتائجه معرفة شاملة، ولهذا لم يتوانوا في نقله والتعريف به، مما ولد انفجارا آخر في المصطلح اللساني الذي استطاع أن يقلب موازين العديد من المفاهيم والأفكار السائدة والمنتشرة؛ فنتج عن ذلك فوضى وتباين مصطلحي، أمام ذلك الكم الهائل من المصطلحات الوافدة إلينا عن طريق عملية النقل التي مورست من طرف الأفراد والمؤسسات والهيئات من دون إتباع منهجية موحدة ومحددة، تلك الفوضى جعلت المصطلح اللساني يتعدد من بلد إلى آخر، ومن باحث لآخر؛ مما جعل الفائدة العلمية المرجوة منه غائبة، وهذا ما أوقع الباحث والقارئ على حد سواء في حيرة من أمره أيّ المصطلحات يتبع ويستعمل.

تعتبر مشكلة نقل المصطلح العلمي وخاصة اللساني مشكلة عويصة، لا بد من أن تنضاف كل الجهود للتغلب عليها؛ لأن تثبيت المصطلح اللساني وضبط مفهومه والتدقيق في معانيته لحاجة ملحة حتى يكون مصطلحا لسانيا موحدا يقوم بوظيفته ودوره على أكمل وجه، وذلك مما يحقق التواصل بين أهل هذا العلم ودفع عجلة البحث اللساني العربي من أجل اللحاق بركب المنجزات اللسانية الحديثة. وقد جاء هذا المقال ليكشف اللثام عن مثل هذه الإشكالات ويبين حقيقة نقل المصطلحات اللسانية، محاولا الإجابة عن الإشكاليات التالية: ما واقع نقل المصطلح اللساني؟ وما المشاكل التي يعاني منها المصطلح العلمي العربي وخاصة اللساني؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليات ارتأينا إلى تقسيم هذا المقال إلى ثلاثة محاور، المحور الأول خصصناه

للحديث عن آليات وضع المصطلح اللساني، والمحور الثاني تطرقنا فيه إلى آليات نقل المصطلح اللساني، وخصصنا المحور الثالث لدراسة بعض المصطلحات اللسانية.

1. آليات وضع المصطلح اللساني:

إن اللغة العربية لغة معمرة جذورها موعلة في التاريخ، وهذا راجع إلى الاعتناء بها باعتبارها لغة القرآن الكريم وذلك طيلة القرون الماضية، هذا الاعتناء زاد في الآونة الأخيرة خاصة والعالم يشهد تطوراً تكنولوجياً وتقدماً علمياً، ولا بد من أن يواكب العرب هذا التقدم وذلك لن يتم إلا بجعل اللغة العربية تنمو وتتقدم من خلال إيجاد مصطلح عربي فعال وموحد، مقابل المصطلح الأجنبي الوافد إليها. ومن أجل ذلك لجأوا المتخصصين إلى وسائل وآليات لوضع المصطلحات تمثلت في الاشتقاق والنحت، والمجاز والتركيب، وأخرى لنقلها تمثلت في الترجمة والاقتراض والتعريب.

1.1. الاشتقاق

يعرف الاشتقاق لغة بأنه "الأخذ بالكلام، وفي الخصومة يمينا وشمالا، مع ترك القصد واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه"¹. وفي الاصطلاح يعرف بأنه "أخذ كلمة من كلمة فأكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى، وهذا المفهوم يعني وجود أصل يشتق منه وفرع مشتق، وقد حصر الصرفيون المشتقات في سبعة أنواع وهي: اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة"².

انطلاقاً مما سبق؛ يمكن القول إن الاشتقاق هو القيام بصياغة الكلمة الجديدة من كلمة كانت موجودة من قبل، وذلك وفق منهجية محددة.

1- الجوهري، معجم الصحاح، ص1504.

2- فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، ص36.

1.1.1. شروط الاشتقاق وأهميته

للاشتقاق شروط لا يقوم إلا بها؛ نذكر منها:

- أن يكون بين الكلمة والكلمة المشتقة منها اشتراك في عدد من الحروف؛
 - أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في بنية الكلمات المشتقة؛
 - أن يكون بين هذه الكلمات قدر مشترك بين الدلالة.
- إن الاشتقاق من أهم آليات وضع المصطلح، وهو موجود في اللغة العربية بكثير، لذا يقال عنها أنها لغة اشتقاقية، فهو يساهم في نمو اللغة العربية وإثرائها بمفردات جديدة؛ وهذا ما يجعلها متميزة بالمرونة والحيوية والجددة.

2.1.1. أنواع الاشتقاق

يأتي الاشتقاق على ثلاثة أنواع وهي:

الاشتقاق الصغير: "وهو أن تنتزع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية وترتيبها"¹. كما في المثال (1):

(1) حرث - يحرث - حارث - محروث - محراث.
 ↓ ↓ ↓ ↓ ↓
 فعل - يفعل - فاعل - مفعول - مفعال.

الاشتقاق الأكبر: "هو أن يأخذ أصل من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه"². وقد أعطى ابن جني أمثلة عنه منها "كلم" وتتمثل تقاليبه الستة في (ك.ل.م-ك.م.ل-ل.ك.م-م.ل.ك-ل.ك.م-ل.م.ك). وأشار إلى أن جميع هذه التقاليب المذكورة تعود إلى معنى القوة والشدة.

1- نادية رمضان النجار، طرق توليد الثروة اللفظية، ص37.

2- ابن جني، الخصائص، ص37.

الاشتقاق الكبير: ونعني به "انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة وفي مخارج الأحرف الصغيرة أو في صفاتها أو فيها معاً"¹.

2.1. النحت

يعرف "مصطفى الشهابي" النحت لغة بقوله بأنه "هو النشر والبري، يقال نحت الخشب والحجارة إذا براها"². واصطلاحاً يعني "انتزاع كلمة أو كلمتين أو أكثر على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه"³.

1.2.1. أنواع النحت

النحت الفعلي: "وفيه ينحت من الجملة فعلاً يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها"⁴، كما في المثال (2) و(3):

(2) حوقل ← لا حول ولا قوة إلا بالله.

(3) حمدل ← الحمد لله.

النحت الوصفي: "وهو أن يلجأ الواضع إلى نحت كلمة واحدة من كلمتين تدل على صفة بمعناها أو أشد منها"⁵. كما في المثال (4):

(4) الصلد، الصدم ← الصلدم.

النحت النسبي: وفيه يقوم الواضع بنحت كلمة واحدة من كلمتين للدلالة على نسبه.

1- فوزي عيسى ورائيا عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، ص 39.

2- الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ص 17.

3- المرجع نفسه، ص 17.

4- نادية رمضان النجار، طرق توليد الثروة اللفظية، ص 55.

5- المرجع نفسه، ص 56.

2. آليات نقل المصطلح اللساني

1.2. الترجمة Traduction

بزغت عند الغرب كباقي الشعوب نتيجة للأنشطة الإنسانية التي تتضمن أنشطة دينية وعسكرية واقتصادية، فاستطاعوا بذلك الخروج من حدودهم الجغرافية للتفاعل مع جيرانهم، فكانت أول صور الترجمة عندهم هي الترجمة الشفوية، نظرا لغياب الكتابة، فعمل بالترجمة في المعاهدات والاتفاقيات في وقت الحرب، كما استعملت في نشر التعاليم الدينية، والنتاج الفني والأدبي، وأكبر حركة للترجمة كانت في عصر "الإسكندر الأكبر" التي عملت على نقل الحضارة اليونانية والخروج بها خارج الحدود ليتم حينها النقل من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية واللاتينية ولغات أخرى. "ومن أبرز المترجمين الغربيين في العصور القديمة والحديثة الخطيب الروماني "شيشرون" والذي تنتسب إليه أقدم مدرسة من مدارس الترجمة التي تقوم على حرية النقل مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير، وكذلك الراهب "جيروم" الذي ترجم الإنجيل من الإغريقية إلى اللاتينية، بالإضافة إلى الإيطالي "ليوناردو أرتينو" الذي ركز على ضرورة نقل خصائص النص الأصلي نقلا تاما والتلازم بين اللفظ والمضمون، وبعدها جاء "إيتين دوليير" بمنهجه الذي عرف بالمنهج التصحيحي في الترجمة، مناديا بضرورة أن يفهم المترجم محتوى النص الأصلي وأن يدرك قصد وهدف المؤلف من النص"¹.

أما عند العرب فأقدم النماذج الترجمة أتت من الشرق القديم والتي تركها السومريون "في الألف الرابعة قبل الميلاد وهي تشبه المعاجم عبارة عن كلمات كتبت باللغة الأكادية، وفي بلاد آشور تتمثل فيما نشره "سرجيون الأكادي" حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، من نقوش مزخرفة بلغات عديدة وفي بابل وبالضبط في عهد "حمورابي"، فقد كان أهلها يتكلمون لغات عدة، ومن مصر الفرعونية نجد بعض

1- حسام الدين مصطفى، تاريخ الترجمة العربية، الموقع الإلكتروني: www.hosameldin.org.

النماذج الخاصة بالمعاهدات بين المصريين والحبشيين المدونة بلغتين وترجع إلى ثلاثة آلاف عام، أما في منطقة فارس فنجد نقش "بهسون" والمُدُون بثلاث لغات هي الفارسية والأشورية والبابلية، وفي القرون الوسطى كان مركز الترجمة في بغداد حيث تم نقل الروائع الإغريقية إلى اللغة العربية على يد الترجمة السريانية¹. بالتزامن مع الدولة العباسية آنذاك حيث كان العرب في أوج ازدهارهم وتطورهم، وذلك بإرسال بعثات علمية إلى القسطنطينية وغيرها من بلاد الروم لتعلم اليونانية، ونقل ما ألف بها من كتب هامة فكان لهم دور فعال في نشاط الحركة الفكرية، حيث نقلت بفضلهم علوم وآداب ومعارف وحضارات مختلفة يونانية وهندية وفارسية، وقد كان "أبو جعفر المنصور" أول خليفة اعتنى بهذا الشأن ثم بعده "هارون الرشيد" ثم ابنه "المأمون"، ثم انتقل هذا المركز إلى طَلَيْطَلَة الأندلسية وفيها ترجم اللاتينيون عن الإغريق، أما خلال القرنين السابع والثامن عشر فقد عرفا بعصر الخيانة الكبرى للترجمة بسبب أن مترجمي هذا العصر لم يهتموا بالمعنى الدقيق للنص الأصلي. أما في القرن التاسع عشر فقد تم وضع الأحكام والقواعد التي يسير وفقها المترجم، وفي القرن العشرين شهدت الترجمة ازدهارا لم تشهد من قبل نظرا للتطور الحاصل في شتى العلوم وتوسع العلاقات الرسمية والتجارية والثقافية بين الشعوب.

1.1.2. تعريف الترجمة

جاء في المعجم الوسيط: "ترجم الكلام، بينه ووضحه، وترجم كلام غيره، وعنه نقله من لغة إلى أخرى، الترجمة: ترجمة فلان، سيرته وحياته"². يفهم من هذا التعريف ثلاثة معان: المعنى الأول: الإيضاح والتفسير، المعنى الثاني: النقل من لسان إلى آخر، المعنى الثالث: ذكر سيرة شخص ما، نسبه وأخلاقه. وفي تعريف آخر، "تفيد الترجمة معنى التفسير وإن كانت في الأصل تحيل إلى معنى الرمي بالحجارة والمسابة

1- عامر الزناتي الجابري، مقدمة في علم الترجمة، الموقع الإلكتروني:

<http://faculty.ksu.edu.sa/amer/alzanaty>

2- المعجم الوسيط، ص 83.

والمقادفة، والتَّرجمان والتُّرجمان المفسر وقد ترجمه عنه ويقال قد ترجم كلامه إذا فسر بلسان آخر"¹.

"ويعنى بها كذلك نقل معاني الكلمات أو العبارات، والنصوص الأجنبية والتعبير عنها بكلمات وعبارات مقابلة لها في اللغة العربية، وقد استخدم مصطلح التعريب للدلالة على ترجمة عند بعض الباحثين، وكثيرا ما تكون ترجمة لمعاني الألفاظ والمصطلحات الأجنبية وقد تكون للنصوص والتعبيرات أيضا، وهذا ما عُرف بالترجمة الثقافية، حيث ترمي إلى نقل المعارف والآداب والعلوم المختلفة من اللغات الأجنبية إلى العربية، وذلك عندما تكون جماعة بحاجة إلى اقتباس المعارف والعلوم من جماعة أخرى"².

إذن فالترجمة لها علاقة وطيدة بثقافة المجتمع، فهي الوسيلة الأنجع لفك رموز النص في اللغة الأصل وتوضيحها في اللغة الهدف. والمتمعن جيدا في الترجمة يلاحظ أنها ليست فنا أو عملية نقل من لغة إلى أخرى، إنما هي ممارسة لغوية تتخللها مجموعة من العقبات، فتكون في منتهى الصعوبة كما لها تقنيات خاصة بها من شأنها أن تنقل معنى النص بقدر كبير من الصدق والأمانة، لهذا فإن المترجم يحمل على عاتقه حملا ثقيلا فينبغي عليه أن يكون بيانه في نفس الترجمة وفي وزن عمله في نفس المعرفة، وينبغي عليه أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة إليها حتى تكون فيه الغاية من الترجمة، وما يتوجب على المترجم إلا أن يكون موسوعيا وعلى دراية واسعة بقواعد اللغة وخاصة خلفياتها الثقافية، فالترجمة علم قائم بحد ذاته.

1- محمد أمهاوش، قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، ص188.

- الترجمة هي نقل النص من لغة إلى أخرى، نقل أقوال شخص لآخر، لا يعرف لغة القائل وذلك باللغة التي يعرفها، وهي بيان لغة بلغة أخرى. (ينظر قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، ص188).

2- نادية رمضان النجار، طرق توليد الثروة اللفظية، ص111.

2.1.2. أساليب وتقنيات الترجمة

قامت الدراسات النظرية المعاصرة بتقسيم أساليب الترجمة إلى قسمين: أساليب تدخل ضمن الترجمة المباشرة أو الحرفية، وأخرى تندرج ضمن الترجمة غير المباشرة أو الحرة.

1.2.1.2. الأساليب المباشرة

الاقتراض *l'emprunt*: يعتبر من أبسط أساليب الترجمة، وهو النقل الحرفي للكلمة من لغة المصدر إلى لغة الهدف، فهو يعكس نوعاً من الافتقار في اللغة المستهدفة ويلجأ إليه المترجم في غياب أو تعذر وجود مقابل أو بديل في اللغة المترجم إليها. وقد علق "يوسف وغليسي" في هذا الشأن بقوله: "حيث تتبادل اللغات الأخذ العطاء ويستعير بعضها من بعض كلمات جاهزة تؤدي مفهوماً معيناً في لغاتها الأصلية، يصعب أداؤه بغير أصوات تلك الكلمات، وإذا حاولت لغة ما أن تنقل ذلك المفهوم الوافد بمعجمها المحلي، ربما أضاعت جانباً معتبراً من المعنى، وكان لزاماً عليها أن تحافظ على المعنى باقتراض الحروف الأجنبية المعبر عن ذلك المفهوم مع شيء من التحوير الصوتي الذي تقتضيه اللغة المنقول إليها"¹. ويكون الاقتراض إما معجمياً أو نحوياً أو دلالياً.

الاقتراض المعجمي *L'emprunt lexical*: ويعني استخدام المفردة الأجنبية كما في النص المترجم كما في: تكنولوجيا = Technologie.

الاقتراض التركيبي *L'emprunt syntaxique*: هو اقتراض صيغة نحوية من لغة أجنبية ومثال من الإنجليزية إلى الفرنسية:

To be on the plane = être sur l'avion.

1- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، ص 87.

الاقتراض المعنوي L'emprunt sémantique: هو إعطاء معنى جديد لكلمة

موجودة من قبل في إحدى اللغات كما في:

Armoire = خزانة

Armoire électrique = دولاب الكهرباء

لقد أصبح أسلوب الاقتراض في اللغة العربية أمراً لا مفر منه، حيث باتت التطورات التي تعرفها كل المجالات المعرفية تفرضه على المترجمين، والمعروف أن اللغة العربية عرفت ظاهرة الاقتراض منذ القدم "وقد انشغل بها فقهاء العربية القدامى وأفاضوا في بحثها تحت عنوان (المعرب والدخيل)"¹.

النسخ Calque: هو نقل تركيب العبارة في اللغة الأصلية وترجمة مفرداتها ترجمة حرفية، يعتبر بأنه نوع من الاستعارة الخاصة ذلك بأن نأخذ العبارة من اللغة المترجم عنها لترجم وترجمة مباشرة تستوجب إدخال استعمال جديد. كما في المثال: نهاية الأسبوع = wek end.

الترجمة الحرفية: هي نقل كل مفردة مقابلة لها مباشرة دون أي تغيير في التركيب أو في طريقة التعبير عن المعنى كأن نقول: أكلت تفاحة = eat an apple.

في حالة تعذر استعمال تقنيات الترجمة المباشرة وذلك لأن الناتج إما أن يعطي معنى آخر أو ليس له معنى وذات أساليب ركيكة أو تتنافى مع الأجواء اللسانية للغة المستهدفة، في هذه الحالة نلجأ إلى طرق أخرى تدرج تحت ما يسمى بالترجمة غير المباشرة.

1- يوسف وغليسي، مرجع سابق، ص 87.

2.2.1.2. الأساليب غير المباشرة

الإبدال La Transposition: يعرفه "جون بول فيناي" و"جون دار بلنيه": "يتم استبدال جزء من الكلام بأخر دون تغيير المعنى"¹، وما يقصد بهذا التعريف هو أن يتم تغيير في أحد أجزاء الخطاب "الكلام" بجزء آخر دون أن يغير ذلك من معنى الرسالة، وهذا التغيير يكون بإبدال الصورة الصرفية للكلمة كترجمة الفعل بالاسم أو الاسم بالحامل ومثال ذلك: فور استيقاظها = as son as shegot up، والملاحظ هنا هو التحول الذي طرأ على الفعل "got up" حيث تحول إلى حال في اللغة العربية.

التعديل Modulation: هو تغيير في شكل المراسلة من خلال تغيير وجهة النظر أو التركيبة المستخدمة في النص الأصلي والهدف من ذلك هو توضيح الفكرة. ويعرفه "فيناي ودار بلنيه" بقولهما: "التعديل: يؤدي إلى التباين في الرسالة التي تم الحصول عليها إلى تغيير وجهة نظر الإضاءة"²، يفهم من هذا التعريف التحول الذي يطرأ على الدلالة أو على وجهة النظر القائمة في النص الأصلي وذلك بقصد إيضاحها، والمثال التالي يوضح ذلك: "في الوقت الذي / The time when".

الملاحظ في هذا المثال تحول الظرف when في اللغة العربية إلى اسم موصول "الذي" لأنه لا يمكن القول "في الوقت عندما". ويلجأ المترجم إلى هاته الوسيلة لأن في استطاعتها أن تعطي نصاً سليماً من حيث قواعد اللغة المترجم إليها.

التكافؤ Equivalence: هو أن يتفق تصان في تصوير وضعية تعبر عن واقع واحد، وذلك باستعمال وسائل أسلوبية وتراكيبية مختلفة تمام الاختلاف، ويعرفه "فيناي ودار بلنيه" بأنه: الوسائل الأسلوبية والهيكلية المختلفة³، والمقصود بذلك أن هذا المصطلح يطلق على الحالات التي تصف فيها اللغات المختلفة حالة معينة

1- venay jean- paoul jean darbelnet , stylistique comparée de l'anglais et du français,p46-55

2- المرجع نفسه، ص 40.

3-venay jean- paoul jean darbelnet , stylistique comparée de l'anglais et du français , p40.

وبوسائل أسلوبية أو بنائية مختلفة. وغالبا ما تستعمل هذه التقنية في ترجمة التعابير الاصطلاحية والأمثال، وحيث يكون الموقف نفسه تواجهه اللغتان ولكن باستخدام أساليب مختلفة. كقولنا:

وافق شن طبقة/ Birds of feather Block to gether.

التكيف والأقلمة Adaptation: ويعنيان التصرف في الترجمة واستبدال الواقع الاجتماعي في النص الأصلي بما يقابله في ثقافة اللغة المترجم إليها أي أن الوضعية المشار إليها في الرسالة غير موجودة في اللغة المستهدفة، وينبغي إحداثها انطلاقا من وضعية أخرى تعتبر مكافئة لها، ومثال ذلك " Sa compassion mé réchauffe le cœur ". إذا ترجمت هذه العبارة ترجمة حرفية إلى اللغة العربية، يتم المحافظة على تركيبها ومفهومها الأصلي فإنها تعني "تعاطفه يدفئ قلبي"، ولكن إذا تم تكيف هذه الترجمة والثقافة العربية فيمكن القول "يثلج القلب أو الصدر.

من خلال هذه التقنيات يمكن أن نستنتج أن عملية الترجمة تُخضع النص لتحويلات وتغيرات وذلك بهدف إيصال المعنى الأصلي مع مراعاة لمقتضيات اللغة المنقول إليها وثقافتها.

3.2.1.2. عدة المترجم

إن علم الترجمة يتخلله نظام دقيق يحتاج ممن يخوض فيه أن يتسلح بما يلي:

- أن يُعدَّ إعدادا فنيا يناسب المادة التي تولى ترجمتها ولا يكفي للمترجم الذي يمارسها أن يكون ملما جيدا باللغة المنقول عنها والمنقول إليها؛

- على المترجم أن يكون له الصلاحية التامة من الناحية اللغوية والفنية، ولكل فن نظام خاص في الترجمة؛

- على المترجم أن تكون ثقافته واسعة في اللغتين المنقول منها والمنقول إليها؛

- أن يفرق بين الدلالات الموجودة في القاموس والدلالات الشائعة في المجتمع؛

- لكل علم جهازه الخاص به من حيث الأسلوب والمصطلحات وطريقة الأداء، وهذه الأشياء لا بد للمترجم أن يكون ملما بها ومتمرسا عليها قبل أن يعالج ترجمة أي أثر من الآثار؛

- دراية المترجم بموضوع الترجمة ومعرفة بالعالم واستخدامه للمنطق السليم وقدرته على الفهم.

كثيرا ما تعمل الترجمة على ثراء اللغة المنقول إليها، وهذا ما يلاحظ حين يتم نقل ثقافة وحضارة الأمم المتحضرة إلى لغة ما، فينتج ما يعرف بالثقافة وتبادل الثقافات والمعرفة، ويتم التقريب بين هذه اللغات والرقع الجغرافية، والدليل على ذلك ما فعله اليونانيون حيث أرسلوا الطلاب والدارسين إلى مصر القديمة للتعلم ونقل معرفة الحساب والفلك والزراعة إلى اللغة الإغريقية، في حين يأتي الرومان وينقلون اللغة وآدابها وفلسفتها ليعاود العرب النقل عن اليونانيين واللاتينيين والغرض من الترجمة هو إعادة الإنتاج الفكري في لغة جديدة، كما تسعى الترجمة إلى "توفير معجمات حديثة تجمع الألفاظ الحضارية الفصحى المقابلة للألفاظ الأعجمية مثل معجم ألفاظ الحضارية"¹.

أما أهميتها البالغة والملحة فتكمن في التعامل مع المصطلح بوصفه المرآة التي تعكس فهم المصطلح في لغته الأم ثم تنقله إلى المتلقي في اللغة الهدف، ليظل هذا المصطلح مدخرا بمجموعة من المفاهيم والمضامين التي وضع في أصله من أجلها، كما أنها من أهم الطرق في نمو اللغة العربية وثرائها لأنها على كشف غوامض المصطلحات وذلك بإيجاد ألفاظ من جذور عربية تعبر عما يستحدث من أفكار ومخترعات وألفاظ. وفي غالب الأحيان يلجأ المترجم أو المصطلحي إلى ما يعرف بالاقتراس إذا عجز عن العثور في المعاجم وأمّهات الكتب على كلمة مقابلة للمصطلح الأجنبي.

1- نادية رمضان النجار، طريق توليد الثروة اللفظية، ص122.

4.2.1.2. الاقتراض

جاء في معجم الوسيط: "اقترض من فلان، أخذ منه القرض، واقترض عرضه اغتابه"¹، فهو ظاهرة من الظواهر اللغوية تنتج عن تلاقي وتلاقح الثقافات واحتكاك الحضارات، هذه الظاهرة تفرض بين الشعوب المختلفة ألسنتهم في عملية التوصل واللغة العربية من اللغات التي احتضنت هاته الظاهرة والقرآن الكريم خير دليل على ذلك. وأصبح الاقتراض يستخدم بشكل مفرط في الآونة الأخيرة، وهذا الأخير أصبح يمثل خطرا على الذخيرة اللغوية العربية بعد تهاطل المفردات الدخيلة على اللغة العربية، ويقصد بالاقتراض الاستعارة المستديمة، بحيث تدخل هذه المفردة النظام اللغوي، وتمثل مكانة معينة وتستخدم بشكل عادي ومنتظم للتعبير عن معنى معين، وأحيانا يستخدم الاقتراض لمرة واحدة بشكل عفوي ثم يرجع إلى استخدام الكلمة العربية، هذا النوع لا يستعمل كثيرا ولا يشكل أي خطر على الذخيرة اللغوية العربية، وفي بعض الأحيان تمر المفردة المقترضة ببعض التعديلات الصوتية والصرفية، حتى تتناسب والنظام الصوتي أو الصرفي للغة التي اقتترضتها، وهذا ما يلاحظ في جميع اللغات كثيرا ما يكون التعديل في بعض الأصوات التي لا يوجد لها مقابل في اللغة المقترضة، ومثال على ذلك حرف "v" والذي يستخدم حرف "ف" في العربية للتعبير عنه كما في كلمة "Vidéo" وهنا نصطدم بمشكلتين واحدة صوتية وأخرى صرفية.

المشكلة الصوتية: وهي التعبير عن صوتين مختلفين بصوت واحد في اللغة المقترضة وهذا يعطي لبسا في المعنى كما في اقتراض كلمة "fan" و "van" إلى العربية، فإنه يعبر عنها بكلمة واحدة وهي "فان" فالإضافة إلى الأصوات الأخرى يصعب إيجاد الصوت المقابل لها في العربية مثل "P"، إلا أن هناك كلمات لا يحدث فيها أي تغير، وذلك لتمثيل أصواتها مع العربية مثل كلمة: فاكس / fax.

1- المعجم الوسيط، ص 727.

- الاقتراض هو أخذ الكلمة كما هي في اللغة الأصلية مع بعض التعديل في الأصوات.

المشكلة الصرفية: تكمن في عدم الخضوع بعض الكلمات المقترضة لعوامل الصرف والاشتقاق في اللغة العربية فتبقى على حالها صيغا جامدة، غير خاضعة للإعراب وغير منتجة للصيغ الأخرى أي لا يمكن أن تشتق منها كلمات أخرى مثل كلمة "ميكرو سكوب"، حيث يجد فيها الباحث والمتحدث العربية صعوبة في اشتقاق صيغ التثنية والجمع والتذكير والتأنيث منها، بينما لا يجد الصعوبة نفسها في المقابل العربي مثل كلمة "مجهر".

إن ما يمكن قوله عن الاقتراض أنه اعتمد منذ القديم، وهو أن يأخذ المصطلح كما هو في اللغة الأصلية وهذه الطريقة هي الطريقة المعروفة والمستخدمة في اللغة منذ القديم، إلا أن التغيير الذي حدث هو الاعتماد على الاقتراض المباشر في العقود الأخيرة أكثر من أي وقت مضى في تاريخ العربية.

5.2.1.2. التعريب

يعتبر التعريب ظاهرة لغوية ظهرت منذ القديم وقد جاءت كنتيجة للتبادل الثقافي واللغوي الحاصل بين الشعوب، وقبل التحدث عن هذه الظاهرة لا بد من تعريف هذه الظاهرة.

يعرف التعريب بأنه "مصدر الفعل عرب، وعرب منطقته خالصه من اللحن، عرب عن صاحبه تكلم عنه. واحتج له، وأعرب الأعجمي وتعرب إذا فهم كلامه بالعربية والإعراب هو البيان والإفصاح"¹. والتعريب عند أهل العربية "لفظ وضعه غير العرب بمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع"²، فهو إذا صبغ الكلمة

1- محي الدين صابر، التعريب والمصطلح، مجلة اللسان العربي، العدد 28، ص9-10.

- التعريب أن تعرب الدابة فتكوى على أشعراها في مواضع ثم يبرغ بيمزغ ليشد أشعره، والعرابة والتعريب والإعراب من قولك أعربي وما قبج من الكلام، وكره الإعراب للمحرم، وعربت عن فلان أي تكلمت عنه بحجة. (ينظر معجم العين ص124).

2- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 152.

بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية، ويعني أيضا "صوغ الكلمة الأجنبية بصبغة عربية عند نقلها إلى اللغة العربية"¹.

مهما تعددت تعريفات التعريب إلا أنها تتفق في المعنى من حيث أنه صوغ اللفظ الأجنبي إلى اللغة وذلك بإخضاعه إلى قواعدها مع خلائه من الحروف التي لا وجود لها في اللغة العربية الأصلية، أي إبدال تلك الحروف بحروف عربية، وجعل وزنه من أوزانها، "لكن عند تتبع جهود الأفراد والمجامع في عملية التعريب يلحظ عدم العمل بهذين الشرطين معا وخاصة شرط الإنزال على أوزان كلام العرب، وأول من قال بجواز التعريب على غير أوزان العرب هو إمام النحاة سيبويه"². والتعريب ظاهرة لغوية قديمة عرفها القدامى واستعملوا منها ألفاظ كثيرة في مؤلفاتهم وكتهم وأقوالهم، والمعروف عن اللغة العربية أنها لغة العرب ولغة القرآن، فهي بذلك خالية من أي شوائب وعيوب، وهي لغة باقية صامدة في وجه محاولات طمس هويتها من طرف الاستعمار، الذي ساهم في دخول الألفاظ الأجنبية والأعجمية إلى اللغة العربية.

في العصر الحديث أثار التعريب ضجة واسعة بين اللغويين الذين اختلفوا حول أهميته في وضع المصطلحات ونقلها، فهناك من يرفضه، حيث "نبه بعضهم إلى مخاطر التعريب ودعوا إلى الاشتقاق والتوسع في المجاز، رغم أنه لم ينكروا وقوع التعريب في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إلا أنهم أنكروا حق المولدين والمحدثين في التعريب لأنهم يرون أن الذين لهم الحق في التعريب هم أصحاب عصر الاحتجاج"³، كما أن أصحاب هذا الرأي يرون أن استعمال التعريب بكثرة يفقد اللغة العربية كل مميزاتها مما يحد من نموها، فالتعريب يجعلها تتطور بالتحول إلى لغة أخرى، فالدخيل ظاهرة طبيعية لكن التوليد بوسائل الاشتقاق هو أيضا ظاهرة

1- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (ع ر ب)، ص 1476.

2- حامد صادق قنبي، مباحث في علم الدلالة والمصطلح، ص 297.

3- المرجع السابق، ص 296.

طبيعية فلا ينبغي أن يطغى الأول على الثاني وإلا تحولت اللغة إلى لغة أخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك من دعا إلى العمل بالتعريب ومن بينهم "الشهابي" حين قال: "لا ضير في التعريب كلما مست الحاجة إليه أو تعذر إيجاد كلمة عربية تفيد معناها بوسائل الاشتقاق المعروفة وجميع اللغات تقتبس من بعضها البعض"¹.

بقي الأمر على حاله إلى أن فصل مجمع القاهرة في هذه الظاهرة اللغوية (أي التعريب)، وحكم عليها بالجواز حين أصدر قراراً "يجيز فيه أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم"²، وصحيح أن مجمع القاهرة أجاز التعريب ولكن هذا لا يغني التماذي في استعماله فلا بد من منهجية تتبع عند العمل به "لأن المنهجية لا تكون من فراغ، فالمنهجية تفترض أولاً وقبل كل شيء المعرفة، معرفة اللغة التي ينقل إليها"³. إذا لابد على اللغوي أن يكون متقناً للغة العربية وعلى اطلاع واسع ومعرفة كبيرة باللغات الأجنبية، حتى لا يكون هناك نوع من الفوضى في عملية التعريب، الذي قد يطرأ عنه مشاكل عويصة تضر اللغة العربية، ومن بين الأمور التي يجب أن يراعى لها في عملية التعريب، نجد:

- "المصطلح الواحد للمفهوم الواحد والمفهوم الواحد بالمصطلح واحد.
- ملاحظة الصلة بين المعنى الأصلي وما يراد الاصطلاح عليه"⁴.
- "في وضع المصطلح لابد من التمييز بين التعريب والترجمة.
- علاقة علم المصطلح أساساً هي مع التعريب وليس الترجمة.

1- الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ص20.

- يرى الشهابي أن التعريب طريقة من طرق اغناء اللغة العربية وأن ذلك لا يمثل بحال من الأحوال خطراً بالنسبة إلى نقاوة اللغة العربية (ينظر مصطفى طاهر الحبادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي ص108).

2- الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ص20.

3- إدريس بن الحسن العلمي، في التعريب، ص41.

- إن التعريب يقتضي المعرفة العلمية وإتقان العربية ثم التعمق في اللغة الأجنبية.

4- مهدي صالح الشمري، في المصطلح ولغة العلوم، ص136-137.

- التعريب يخص المفردة والترجمة تخص التركيب.

- التعريب خاص بلغة واحدة، والترجمة محور عام في كل اللغات¹.

إن التعريب ظاهرة ضرورية لملاحقة الركب الحضاري ولسد الفراغ الموجود بيننا وبين الآخرين "ومن المفيد أن نجعل منه وسيلة موقوتة لاستقبال المصطلحات العلمية الوافدة من الخارج لكن من الخطأ أن يجري مع مرور الزمن ترسيم هذه الوسيلة الموقوتة مقابلاً للمفهوم المعرفي المراد احتضانه"².

إن ترجمة المصطلحات العلمية والتقنية تخضع لمجموعة من الشروط، وإدراكها هو الطريق المؤدي للترجمة الصحيحة، ويبقى المصطلحي مخيراً بين آليات النقل والوضع الخاص بالمصطلح، ورغم هذه الحرية لا بد من المصطلحي أن يجد منهجية مضبوطة تحدد كيفية ترجمة المصطلحات الأجنبية بصورة دقيقة مراعيًا جميع الجوانب الأساسية للمصطلح ومن بين هذه الجوانب نجد مايلي:

- صياغة مصطلحات عربية وفق قواعد هذه اللغة وخصائصها الصرفية في بناء الكلمة.

- الكفاءة اللغوية والعلمية والخبرة المصطلحية.

ومن جهة أخرى تظل اللغة العربية، اللغة الأثرى بالوسائل التي تلي حاجات المتكلمين ومستجدات العصور، وهذه الوسائل هي: الاشتقاق والمجاز والنحت، وهي الآليات الأفضل لصياغة التسميات المناسبة للمفاهيم العلمية الجديدة والتي من خلالها يمكن تخطي مجموعة من المشاكل التي تحيط بالعمل المصطلحي، وأما التعدي إلى استعمال آليات أخرى فلا يكون إلا للضرورة.

1- عمر ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آليات الفهم إلى أداة الصناعة، ص 97.

2- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، مرجع سابق، ص 90.

3. دراسة لبعض المصطلحات اللسانية

إن المصطلح اللساني عانى من تباين وتعدد أثناء نقله، والسبب في ذلك اختلاف المنهجية التي اعتمد عليها الناقلون والمترجمون أثناء عملية النقل، فهناك من فضل ترجمة المصطلح، وهناك من فضل تعريبه، وهناك من اعتمد على الترجمة والتعريب معاً، أي أنه وضع للمصطلح الأجنبي مقابلين كما سيأتي معنا في الجدول اللاحق، حيث تم أخذ عينة من المصطلحات اللسانية باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ورصد مقابلاتها باللغة العربية، وذلك من خلال بعض المعاجم نذكر منها: "معجم المصطلحات اللسانية" و "معجم مصطلحات علم اللغة الحديث"، بالإضافة إلى مشروع المصطلحات الخاصة بالمنظمة العربية للترجمة، والذي هو عبارة عن مجموعة من المعاجم للمصطلحات التي ترجمتها المنظمة في ميادين مختلفة. وقد تم تبين التضارب الاصطلاحي العربي الذي وقعت فيه مجموعة من المصطلحات الواردة، حيث تبين أن للمفهوم الواحد عدة تسميات.

المقابل العربي	المصطلح اللساني الأجنبي	
	المصطلح الإنجليزي	المصطلح الفرنسي
ألوفون، متحول صوتي، صوتم، بديل صوتي، اللوين الصوتي، المتغير الصوتي، بديل صوتي، بدصوتي، متغير لفظي.	Allophone	Allophone
اعتباطية، اعتباطي، تحكمي، اعتباطي كفي، بناء مرتجل، عشوائية.	Arbitrary	Arbitraire
النظام الرمزي، سنن، شفرة، شيفرة، قانون، مواضعة، نظام ترميزي، راموز، نظام.	Code	Code
كفاية، قدرة، كفاءة، ملكة، مقدرة لغوية، الكفاءة اللغوية، القدرة والتمكن اللغوي، القدرة اللغوية، الكفاية اللغوية.	Competence	Compétence

تعاقب، تعاقبية، تزمي، دياكروني، تطوري، زماني، تعاقبي، حركي، متحرك، التطورية، الزمانية، التاريخية، التاريخي.	Diachronic	Diachronique
لسان، لغة، النظام اللغوي، اللسان.	Langue	Langue
اللغة، كلام، خطاب، لسان، ملكة لسانية، ملكة اللغة.	Language	Langage
علم اللغة، ألسنية، علم اللسانيات، علوم اللسان، علوم الألسن، لساني، لغوي، لسانيات،	Linguistics	Linguistique
لكسيم، مفردة، معجمية، عجم، لفظة، وحدة معجمية، وحدة معجمية صغرى، مفردة مجردة، الوحدة المعجمية.	Lexeme	Lexème
الوحدة الصرفية، المورفيم ¹ ، صرفة، صيغم، وحدة صرفية مجردة، صرفية.	Morpheme	Morphème
فونيم ² ، وحدة صوتية، صوتيم، صوتية، صوتم، صوت، حرف، صوتية فونيم.	Phoneme	Phonème
كلام، حديث.	Parole	Parole
استبدالي، أمثولي، تعاقبي، جدولي، جريدي، أنموذجي، أمثولي، التصريفية، الاستبدالية، المحور الاستبدالي.	Paradigmatic	Paradigmatique
الأداء، إنجاز، إيقاع، إنجاز لغوي، الأداء اللغوي، الأداء الكلامي،	Performance	Performance
الرمز اللغوي، رمز، علامة، سمة، دليل، إشارة لغوية، إشارة.	Sign	Signe

1- المورفيم أصغر جزء من الكلمة له معنى.

2- الفونيم هو الوحدة الصوتية الصغرى المميزة.

تزامن، تزامنية، سنكروني، أي، تزامني، تعاصري، التزامنية، الوصفية، التوافقية، التعاصرية، الأنية، الوصفي.	Synchrone	Synchronique
النظمي، مركبية، مركبي، تركيب، متابعي، تراكبي، المحور التركيبي، التنظيمية.	Syntagmatic	Syntagmatique

ألوفون Allophone: "هو المتحولات الصوتية والمتغيرات التي تحدث لفونيم معين وتنتج عن ارتباط الفونيم بسياقه الخاص"¹. ومن خلال الجدول نجد أن مصطلح Allophone قد تمت ترجمته ونحته وتعريبه، فكانت المصطلحات المنقولة هي: (ألوفون، متحول صوتي، صوتم، بديل صوتي، اللوين الصوتي، المتغير الصوتي، متغير لفظي، بديل صوتي، بدصوتي، متغير لفظي). والملاحظ أنه تم الخلط بين ترجمة الألوفون مع ترجمة فونيم حيث تمت ترجمتهما بنفس المصطلح "صوتم" في حين كان مصطلح "متحول صوتي" يعد ترجمة تفسيرية لمصطلح "ألوفون" كذلك يوجد تقارب في المعنى بين "متحول صوتي، وبديل صوتي، ومتغير صوتي".

Arbitraire: كان ميلاد هذا المصطلح في اللغة الفرنسية سنة 1937، مشتق من Arbitrarius التي استعملت للدلالة على كل ما هو مرتبط بقرار القاضي، مصطلح Arbitraire يدل على أن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول اعتباطي. والملاحظ من خلال الجدول أن مصطلح Arbitraire قد تمت ترجمته ب (اعتباطية، اعتباطي، تحكمي، كيفي، بناء مرتجل، عشوائية)، ويمكن القول إنه يوجد إجماع على ترجمته، رغم وجود بعض الاختلاف في المصطلحات الواردة، وقد استعملت تقنية المجاز في وضع هذا المصطلح، لأن العلاقة بين الدال والمدلول غير معللة والمقابل الأنسب له في الدراسات اللغوية هو "الاعتباطية" وهو مصطلح نحوي استعمل فيما كان لغير علة.

1- ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص22.

الشفرة/Code: وهو الشفرة أو السنن كما عرف في مختلف المعاجم، ومن خلال الجدول السالف الذكر، يلاحظ اختلاف في ترجمة هذا المصطلح من مؤلف إلى آخر وهي (النظام الرمزي، سنن، شفرة، شيفرة، مواضعة، نظام ترميزي، قانون، نظام، راموز).

الكفاءة/Compétence: يعتبر "تشومسكي" أول من وضع هذا المصطلح في اللسانيات التوليدية التحويلية ظهر سنة 1468 مشتق من اللفظة اللاتينية *Cometentia* بمعنى "النسبة" والمفهوم الأساسي لهذا المصطلح هو المعرفة الضمنية التي يكونها الفاعل المتكلم عن لغته. ويسمى "تشومسكي" القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة بـ "الكفاية اللغوية"، و"يشير مصطلح الكفاية اللغوية إلى قدرة المتكلم- المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغتنا"¹.

من خلال الجدول نجد عدة ترجمات لهذا المصطلح (قدرة، كفاءة، ملكة، مقدرة لغوية، الكفاءة اللغوية، التمكن اللغوي، القدرة اللغوية)، فالملاحظ أنه عموماً تم إجماع على ترجمة مصطلح *Compétenc* بمصطلح القدرة، وتكرر مصطلح القدرة والكفاية والكفاءة أكثر من المصطلحات الأخرى، تمت ترجمة المصطلح ولم يعرب، ووضع مصطلح الكفاءة والكفاية بمعنى واحد رغم أن الكفاية مشتقة "من كفي تعني: إذا قام بالأمر، أما الكفاءة مشتقة من كفاً وتعني: التماثل والتشابة"².

Synchronique /Diachronique: جاء مصطلح *Diachronique* في القرن العشرين ويدل على تتبع وقائع اللغة في تعاقبها وتغيرها من مرحلة إلى أخرى ضمن مسارها التاريخي الممتد، ويتكون هذا المصطلح من *Dia* الدالة على ما يمكن أن يعني التقسيم، والمرور عبر... و *Chronie* المشتقة من اللفظة اللاتينية *khronos* وتعني

1- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص32.

2- نفسه، ص123-124.

الزمن. أما مصطلح Synchronique فقد ظهر في اللغة الفرنسية سنة 1752 ويعني "مواجهة دراسية للغة معينة في زمن معين بوصفها نظاما ساكنا، ويتكون من Sun بمعنى مع أو الدالة على المعية متبوعة باللاحقة Chrono، الدالة على الزمن"¹. والملاحظ في الجدول أن المصطلح Diachronique قد تعددت مقابلاته هي "تعاقب، تعاقبية، تزمي، دياكروني، تطوري، تعاقبي، زمني، حركي، متحرك، التعاقبي، التطورية، الزمانية، التاريخية، التاريخي". في حين أن مصطلح Synchronique قد نقل بمصطلحات مختلفة وهي "تزامن، تزامنية، سنكروني، أي، تعاصري، الوصفية، التوافقية، التعاصرية، الآنية، التزامني، الوصفي، تزامني".

إن هذين المصطلحين يمكن جمعهما على شكل ثنائيات يمكن أن تكون (آنية/ زمانية)، (الوصفية/ التطورية)، فأهميتها الاصطلاحية تكون أقل أهمية من الثنائية الأولى لأنها ليست ترجمة لمصطلحي "Diachronique /Synchronique" على التوالي وإنما صدى لما وصف به "دو سو سير" اللسانيات السنكرونية بأنها سكونية وصفية، وأن الدياكرونية تطورية، واللافت للانتباه في الجدول اللجوء إلى التعريب حيث عرب مصطلح Diachronique بدياكروني، و Synchronique بسانكروني.

اللسان/ Langue: ظهر هذا المصطلح في اللغة الفرنسية في القرن 16 وهو مشتق من اللفظة اللاتينية Linga بمعنى اللسان، ويعرفه محمد أحمد قدور "بأنه جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع وهو اجتماعي وعرفي ومكتسب، ويشكل نظاما متعارفا عليه داخل جماعة إنسانية محددة"². ومن خلال الجدول نجد أن المصطلح Langue تم نقله بهذه المقابلات (لسان، لسان لغة، لغة لسان، اللغة، اللسان)، تعددت هذه المقابلات بتعدد واضعها واتفق هذا المصطلح مع مصطلح "Langage" بترجمته بـ "لغة ولسان"، تم نقله بألية الترجمة ولم يخضع للآليات الأخرى. ويفضل استعمال مصطلح "لسان" لأن كلمة "لغة" لم تكن تستخدم

1- يوسف وغيلسي، إشكالية ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي، ص139.

2- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص23.

في الاستعمال القديم بمعناها المعروف الآن إنما تستخدم بمعنى "اللهجة" ولم ترد كلمة "لغة" في القرآن الكريم وإنما وردت كلمة "لسان" جمعنا ألسنة للدلالة على معان منها¹:

- آلة الكلام: ﴿المر نبعل له عيينين. ولساننا وشفقتين﴾².
- اللغة رصد الكلمات والقواعد التي تتكلمها الجماعات اللغوية، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾³.
- الاستعمال الفردي للغة، قال تعالى: ﴿لعن الكافرين كفروا من بني إسرائيل على لسان حموولم وعيسوا ابن مريم﴾⁴.
- كلمة لسان تعد أكثر شمولية واستيعابا من كلمة لغة.
- كلمة لسان تعد من المعجم الأساسي المشترك في اللغات السامية وقد تردت في فهرست "ابن النديم" بمعنى لغة في قوله اللسان العربي، اللسان السرياني.

اللغة/ Langage: ظهر هذا المصطلح في اللغة الفرنسية في القرن العاشر، وهو مشتق من كلمة Langue التي تحيل على اللسان، ويعرفها أحمد محمد قدور "بأنها ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج عن الملكة اللغوية"⁵. لم تستقر ترجمة هذا المصطلح في اللغة العربية على مصطلح واحد وإنما تعددت مقابلاتها "اللغة، لغة، كلام، خطاب، لسان، ملكة لسانية، ملكة اللغة". يوجد اختلاف في ترجمة هذا المصطلح⁶ من شخص إلى آخر. أما الآلية المستخدمة في النقل فهي الترجمة،

1- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، ص9.

2- سورة البلد، الآية 9.

3- سورة إبراهيم، الآية 4.

4- سورة المائدة، الآية 78.

5- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص23.

6- Langage عبارة عن مصطلح بسيط قوبل في اللغة العربية بمصطلح مركب "ملكة لسانية" و"ملكة اللغة".

والمصطلحات المترجمة أكثر استعمالاً هي اللغة واللسان وهي نفسها المصطلحات المقابلة لمصطلح Langue.

اللسانيات /Linguistique: يعود تاريخ ظهور هذا المصطلح إلى سنة 1826، واستعمل في الدراسات اللسانية، اشتق من كلمة Langue بمعنى اللسان، ثم أضيفت إليها لاحقة Ique الدالة على العلم أساساً وعلى الصفة أحياناً. وتعرف "بأنها العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية"¹. ومن خلال الجدول يلاحظ تعدد في المقابلات العربية لهذا المصطلح وهي "علم اللغة، ألسنية، علم اللسانيات، علوم اللسان، علوم الألسن، علم اللغة العام"، قوبل مصطلح Linguistique بمصطلحين في اللغة العربية "علم اللغة، علم اللسانيات"، ورغم عدم ظهور هذا المصطلح "علم اللغة العام" في الجدول إلا هناك من قابله بمصطلحات السالفة الذكر. لقد شاع مصطلح "علم اللغة" أكثر من مصطلح "الألسنية" وذلك من خلال مايلي²:

- أن مصطلح علم اللغة قد مر بمراحل كثيرة، وتقلبت عليه مناهج متعددة وقديمة وحديثة، فصار بحاجة إلى وصف توضيحي لتحديد مجاله أو منهجه كأن يقال علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، واختلاطه بشكل كبير في المجال الاصطلاحي بمصطلح آخر هو فقه اللغة مع الفارق الموجود بينهما.

- إذا كان مصطلح علم اللغة منتشراً في معظم بلدان المشرق العربي، فإن مصطلح "الألسنية" قد شاع في لبنان بالذات، ومصطلح "اللسانيات" هو الشائع الآن في بلدان المغرب العربي، وهذا حين اتخذت ندوة "اللسانيات واللغة العربية" الملتقى الثالث لللسانيات تونس 1978 توصية باستخدام مصطلح "اللسانيات" والتزام به اللغويون التونسيون والمغاربة والجزائريون. في حين هناك من يفضل

1- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص23.

2- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، ص8-9.

استخدام مصطلح "ألسنية" وحجتهم أن علم اللغة الحديث لا يختص بلغة معينة إنما يدرس أي لغة ويحلل أي مستوى داخل اللغة الواحدة، فمعنى الجمعية ملحوظ في وظيفة هذا العلم ولهذا يناسبه لفظ الجمع "ألسن" لا المفرد "لسان"، إن التصرف في لفظ ألسنية أسهل من التصرف في لفظ لسانيات فتقول دراسات ألسنية وألسني، أما مصطلح اللسانيات لا يمكن القول دراسات لسانياتية ولا لسانياتي.

وحدة معجمية /Lexème: هو عبارة عن مفردة معجمية أو وحدة معجمية، كما وردت في مختلف المعاجم واختلفت ترجماته من معجم إلى آخر ومن كتاب إلى آخر فكانت مقابلاته هي "مفردة معجمية، عجم، لفظة مفردة، وحدة معجمية، وحدة معجمية صغرى، مفردة مجردة، المفردة"، وهنا استعملت آلية الترجمة والتعريب في مصطلح "لكسيم".

مورفيم / Morphème: استعمل هذا المصطلح في اللغة الفرنسية سنة 1923، "جاء هذا المصطلح معرفا ضمن إطار النظريات البنيوية إذ يشير إلى تلك الوحدات الدنيا في اللسان"¹، تم نقل هذا المصطلح إلى عدة مقابلات عربية وهي "الوحدة الصرفية، المورفيم، صرفة، مورفيم، صيغم، وحدة صرفية مجردة، صرفية". تراوحت هذه المصطلحات بين المترجم والمغرب والمنحوت، ترجمته تعددت واختلفت من باحث إلى آخر فترجم تارة بـ "الوحدة الصرفية" وتارة أخرى بـ "الوحدة الصرفية المجرد"، في حين قام بتعريبه البعض إما مباشرة بنفس الصيغة الأجنبية وهي مورفيم أو بإضافة "أل" التعريف العربية محاولا استعماله كمصطلح عربي يخضع لقواعد اللغة العربية من تعريف وتذكير "المورفيم" أو جمع "مورفيمات"، وهناك من قام بالنحت فحصل على مصطلح "صيغم".

1- ماري نوال غاري بربور، معجم المصطلحات المفتاحية في اللسانيات، ص72.

الفونيم / Phonème: وضع هذا المصطلح في اللغة الفرنسية سنة 1876 وهو مشتق من اللفظة اللاتينية Phonema التي تحيل على نغمة الصوت، وهو أدنى عنصر غير قابل للتقطيع، وكذلك يمثل الفونيم "ذلك الصوت الذي يؤدي داخل اللسان، دوره تميز وحدتين مفردتين بمعنيين مختلفين فهو معروف إذا بوظيفة التمييزية"¹. ومن خلال الجدول نلاحظ تعدد في المصطلحات المنقولة إلى اللغة العربية وهي "فونيم، وحدة صوتية، صوتيم، صوتية، صوتم، صوت، حرف الفونيم"، والمتمعن في هذه المصطلحات يلاحظ أن هناك من وضع مصطلحا مترجما، وكذلك من استعمل الترجمة التفسيرية في الوحدة الصوتية، وهناك من قام بالتعريب "فونيم"، وهناك من استعمل مصطلح "صوتم" ويعد الأفضل لأنه غير مركب ويساعد على الاشتقاق والنسبة والإضافة ولتثنية والجمع.

الكلام / Parole: ظهر هذا المصطلح في اللغة الفرنسية سنة 1080، وهو مشتق من اللفظة اللاتينية "Parobola" بمعنى المقارنة، وهو مقابل للمصطلح اللغة Langue في ثنائية "دو سو سير"²، والكلام هو "الدال على الأفعال التي تسمح للأفراد في خضمتها باستعمال اللسان لقول شيء معين"³. وفي الدراسات اللسانية يعتبر الفعل الملموس والشخصي لاستعمال النظامين اللغوي والصوتي في حالات معينة. والملاحظ من الجدول أنه يوجد إجماع على ترجمة مصطلح "Parole" بـ "كلام"، وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليما"⁴.

التعاقبية / Paradigmatique: استعمل هذا المصطلح في اللغة الفرنسية في مجال اللسانيات في القرن العشرين ومشتق من Paradigme بمعنى أظهر وهو يحيل على أحد نوعي العلاقات التي تقيمها الوحدات اللسانية فيما بينها. والظاهر من خلال

1- المرجع السابق، ص 77.

2- نفسه، ص 137.

3- المرجع السابق، ص 65.

4- سورة النساء، الآية 164.

الجدول أن هذا المصطلح ترجم إلى مقابلات متعددة بالعربية وهي "استبدالي، أمثولي، تعاقبي، جدولي، جريدي، التصريفية، الاستبدالية، المحور الاستبدالي"، وكما هو ظاهر لا يظهر إجماع على ترجمة المصطلح، فهي تختلف من معجم إلى آخر من المؤلف المغربي إلى المشرقي، فـ "عبد القادر الفاسي الفهري" يترجمها بـ "أمثولي، أنموذجي"، أما "إبراهيم خليل" فيترجمها "استبدالي، التصريفية" على التوالي.

الكفاءة/Performance: ظهر هذا المصطلح في اللغة العربية سنة 1839، وهو مستوحى من المفردة الفرنسية القديمة Performance بمعنى أنجز. ويعرفه ميشال زكريا بـ "الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين وفيه يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكاملة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف التكلم وبالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي"¹. وقوبلت في اللغة العربية بالمقابلات التالية: "كفاية، قدرة، كفاءة، ملكة، الكفاءة، الكفاية، الكفاءة اللغوية، القدرة، التمكن اللغوي، الملكة، القدرة اللغوية، الكفاية اللغوية"، ومصطلحا Performance/Compétence، مستوحيان من ثنائية "دو سو سير" المتمثلة في "اللغة والكلام"، حيث شكلتا ثنائية أساسية عند "تشومسكي".

من خلال الجدول نجد أن المصطلح تم نقله إلى العربية بـ "أداء، إنجاز، إيقاع، إنجاز لغوي، أداء لغوي، أداء كلامي". ونجد أن غالبية اللغويين يستعملون مصطلح الأداء في حين نجد مقابلا آخر منافسا لهذا المصطلح والذي ساهم في إثراء اللغة العربية، والأداء هو المرحلة الأساسية لإنجاز مشروع معين وهي عبارة عن نشاط إنساني، في حين أن "تشومسكي" تعامل مع الأداء والإنجاز أنهما نشاط إنساني.

دليل /Signe: هذا المصطلح ظهر في اللغة العربية في القرن العاشر وهو مشتق من اللفظة اللاتينية Signum، ويعرف بأنه في المعنى العام، موضوعا كان أو

1- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص39.

شكلا أو ظاهرة يمثل شيئا آخر غير نفسه"¹. وجاء في معجم "ماري نوال غاري بريور" تعد العلامة عنصرا من عناصر نسق اللسان وهي تأتي معرفة عبر علاقتها بعلامات أخرى"². ومن خلال قراءة الجدول السابق نجد ترجمات مختلفة لمصطلح *Signe* وهي "الرمز اللغوي، رمز، علامة، سمة، دليل، إشارة لغوية". وترجمته لم تستقر على مقابل عربي واحد، والأفضل استعمال مصطلح دليل كمقابل لمصطلح *Signe* في الدراسات اللسانية، وذلك لاستعمال المادة المعجمية نفسها التي اشتق منها الدال *Signifiant* والمدلول *Signifie*.

Syntagmatique: هذا المصطلح تم استعماله في اللغة الفرنسية في مجال اللسانيات في القرن العشرين وهو مشتق من اللفظة *Syntagma* بمعنى التنظيم والترتيب. ويطلق مصطلح *Syntagme* ضمن مجال التركيبات على مجموع الوحدات المعرفة بينها الداخلية وعلاقتها بالمجموعات التي ترتبط معها داخل الجملة. ومن خلال الجدول تتعدد الترجمات واختلافها من مرجع إلى آخر وهي "النظمي، مركبية، مركبي، تركيب، تتابعي، تراكبي، المحور التركيبي، النظامية".

هذه الكثرة والتعدد والاختلاف في الترجمات يشكل اضطرابا حقيقيا في المقابلات العربية؛ لهذا فالمصطلحات الواردة في الجدول ما هي إلا عينة صغيرة من المصطلحات اللسانية التي تعاني الفوضى والاضطراب، وهذا الأخير غزا الدرس اللساني الحديث خصوصا المصطلحات على اختلافها في شتى المجالات عموما. كما أن الاضطراب الذي مازال مستمرا على الرغم من الجهود المبذولة للحد منه، مما زاد من تعصب بعض الأفراد في وضعهم ونقلهم للمصطلح، وعدم اتباع آلية موحدة في ذلك فالمصطلح الواحد قد يتم وضعه إما عن طريق آليات الوضع أو عن طريق آليات النقل.

1- المرجع نفسه، ص 143.

2- ماري نوال غاري بريور، معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 96.

خلاصة

إن موضوع المصطلحات العلمية عامة واللسانية خاصة، يكتسي أهمية بالغة؛ نظرا لكون المصطلحات مفاتيح العلوم، والطريق المؤدي إلى فهم وإدراك وتحكم جيد في كل العلوم، وبين أهل اللغات خاصة التي تسعى إلى وجود وإثبات قيام علم من العلوم، وحصاد البحث والتجريب. ومن بين النتائج التي تم التوصل إليها ما يلي:

- المصطلح لفظ أو عبارة أو رمز متفق عليه بين أهل العلم، وذلك للدلالة على مفهوم معين مجرد أو محسوس داخل مجال من مجالات المعرفة المختلفة، شريطة أن تكون هناك مناسبة مشتركة بين دلالاته الاصطلاحية واللغوية.

- تبنت المؤسسات والهيئات العربية والغربية العمل المصطلحي، وذلك من أجل النهوض بهذا العلم والقضاء على الفوضى والاضطراب الذي يعيشه.

- إن المصطلح العلمي العربي، وخاصة اللساني يعاني من عدة مشاكل جعلت وضعه متأزما منها: التعدد في المفردات وواضعي المصطلح، الازدواجية اللغوية التي عانت منها اللغة العربية "اللغة الهدف" واللغة الأجنبية "اللغة المصدر"، وإغفال المصطلحات التراثية.

- عدم اعتماد منهجية موحدة في وضع ونقل المصطلحات، يتبعها هذه الأخيرة في جميع البلدان العربية.

- تعدد المصطلحات اللسانية المنقولة في أغلب الأحيان بتعدد المعاجم والمؤلفات التي يعنى أصحابها بدراسة اللسانيات بسبب ذاتية بعض الناقلين، واختلاف المجال العلمي الذي ينتمون إليه.

إن البحث في المصطلح اللساني مجاله واسع يتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا، ومهما بدل اللغويون العرب من جهود حثيثة للحد من الفوضى التي يعاني منها المصطلح اللساني، والمشكلة التي تبقى قائمة هي التبعية التي يعاني بها العرب.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- باللغة العربية
- ابن جني، الخصائص، ترجمة محمد علي النجار، ج2، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، دط، دت.
- أحمد عمر مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط2008.
- أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا، ط3.
- إدريس بن الحسن العلمي، في التعريب، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1.
- الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط3، 1995.
- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ترجمة دحرجن، ج2، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996.
- الجوهري، معجم الصحاح، ترجمة أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت لبنان، ط4، 1990.
- حامد صادق قني، مباحث في علم الدلالة والمصطلح، دار ابن الجوزي، عمان الأردن، ط1، 2005.
- عمار سامي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.
- الفراهيدي، معجم العين، ترجمة عبد الحميد هندراوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003.
- فوزي عيسى ورائيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية،

- الإسكندرية مصر، د ط.
- ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني، الجزائر، ط1، 2007.
- محمد أمهاوش، قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.
- مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ج1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2003.
- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2014.
- مهدي صالح الشمري، في المصطلح ولغة العلوم، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2012، د ط.
- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1986.
- نادية رمضان النجار، طرق توليد الثروة اللفظية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2009.
- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، الدار البيضاء للعلوم ناشرون، ط1، 2008.

المجلات

- أحمد عمر المختار، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر، العدد 3، وزارة الإعلام، الكويت، 1989.
- عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 9، 2005.
- محي الدين صابر، التعريب والمصطلح، مجلة اللسان العربي، العدد 28، مكتب تنسيق التعريب، الرباط المغرب، 1987.

المراجع الأجنبية

- venay jean- paoul jean darbelnet, stylistique comparée de l'anglais et du français, didier, 1972.

المواقع الإلكترونية

- www.hosameldin.org
- [http://faculty.ksu.edu.sa/amer alzanaty](http://faculty.ksu.edu.sa/amer_alzanaty)

تقنيات التعليم الرقمي ودورها في تدويل مؤسسات التعليم العالي، الجامعة المغربية نموذجا

د. الطيب بركان

أستاذ محاضر مؤهل

كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بوجدة،
جامعة محمد الأول - المغرب.



ملخص:

تشهد التطورات السريعة في مجال التكنولوجيا وتكنولوجيا المعلومات تأثيرًا كبيرًا على العالم، حيث أصبح من السهل الوصول إلى المعلومات والتفاعل عبر الإنترنت. ينعكس هذا التطور على مجالات متعددة من الحياة، بما في ذلك التعليم والتربية، حيث تم دمج التكنولوجيا في البيئة التعليمية لإنشاء أنماط جديدة من التعلم مثل التعليم الإلكتروني والتعلم عن بُعد. هذا التحول تم تبنيه من قبل العديد من مؤسسات التعليم العالي في المغرب، بما في ذلك الجامعات، من خلال توظيف التكنولوجيا لتحسين العملية التعليمية، مما يسمح بتفاعل أكبر بين الطلاب والمحاضرين، وتوفير المرونة والفورية، وزيادة السعة والسرعة، وتحقيق التمرکز حول الطالب. هذه التحولات تهدف إلى تحويل بيئة الصف التقليدية إلى بيئة مفتوحة تسهل التفاعل وتعزز تجربة التعلم بوسائل متعددة مثل الصوت والصورة.

كلمات مفتاحية: التعليم الرقمي - تدويل - الجامعة المغربية - التعليم الجامعي - العولمة.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بركان، الطيب. (2024، أبريل). تقنيات التعليم الرقمي ودورها في تدويل مؤسسات التعليم العالي، الجامعة المغربية نموذجا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 57-71.

Abstract:

Rapid developments in the field of technology and information technology are having a major impact on the world, making it easier to access information and interact online. This development is reflected in various aspects of life, including education and upbringing, as technology has been integrated into the educational environment to create new patterns of education such as e-learning and distance education. This shift has been adopted by many higher education institutions in Morocco, including universities, by employing technology to improve the educational process, allowing for greater interaction between students and lecturers, providing flexibility and immediacy, increasing capacity and speed, and achieving student-centeredness. These transformations aim to transform the traditional classroom environment into an open environment that facilitates interaction and enhances the learning experience through multimedia such as sound and image.

Keywords : Digital education - Internationalization - Moroccan university - Higher education - Globalization.

مقدمة

يعرف العالم تطورات سريعة على المستويين التقني والتكنولوجي بالأخص في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ما أدى إلى سهولة تدفق المعلومات والانفتاح على الفضاء العالمي، ومست بوادر هذا التطور مختلف مجالات الحياة، منها التربية والتعليم من خلال دمج التكنولوجيا التعليمية في الفضاء البيداغوجي، مما نتج عنه العديد من أنماط التعليم والتعلم منها التعليم الإلكتروني، والتعليم الافتراضي، والتعليم عن بعد، إذ شرعت العديد من مؤسسات التربية من بينها مؤسسات التعليم العالي ومن بينها الجامعات المغربية، في تطبيق مثل هذه الأنماط على مستوى هذه المؤسسات تقنية التعليم طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الإنترنت سواء كان عن بعد أو في الفصل الدراسي ما جعل النمط يعتبر بيت التي ينادي بها جميع المتدخلين في الشأن البيداغوجي بمؤسسات التعليم العالي ببلادنا لتمتعه بخصائص ومزايا عدة أهمها التفاعلية بين الطلبة والأستاذ المرنة والفورية الحد السعة الكبيرة وسرعة التوفير التمرکز حول المتعلم وبإمكانه إن يغطي عدداً كبيراً من المستخدمين في وقت واحد مما سيغير بيئة الصف التقليدية من بيئة محدودة المصادر إلى بيئة مفتوحة تساعد الطالب على التفاعل مع الدرس الإلكتروني بالصوت والصورة.

لقد أصبحت تطبيقات التعليم الرقمي واقعا، وأضحت الحاجة إليه ملحة، خاصة في الآونة الأخيرة، وما شهده العالم من أوضاع صحية خطيرة (انتشار فيروس كورونا)، فكانت تكنولوجيا التعليم بديلا ناجعا في الحالات الطارئة بعد فرض غلق المؤسسات التعليمية وإلغاء الحضور الإلزامي المباشر وتوقف الأمر على رفع المحاضرات بمختلف الصيغ المكتوبة أو المسموعة أو البصرية وتخصيص عدد كبير

من منصات التدريس الرقمي. مثل: **Google classrooms - Moodle**

ولكي ينجح مشروع تنزيل التعليم الرقمي ببلادنا باعتبارها جسرا نحو تدويل الجامعة المغربية، تجاوز عدة تحديات في الوسط البيداغوجي بهذه المدارس، كتوفير البنى التحتية المناسبة لمثل هذا النوع من التدريس. وتزويدها بوسائل الاتصال السريعة من أنترنت وحواسيب وبرمجيات... إضافة إلى وجود صناعة معلوماتية، تسهم في تطوير البرمجيات. وكل ما تحتاجه تقنيات في مجال هذا المجال وخاصة ما بعد انتشار تقنيات الذكاء الاصطناعي، كالتكوين، والتدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس، وكذا الطلبة على هذا النوع من التدريس.

● إشكالية الدراسة

نتيجة للتطور الذي شهده العالم في السنوات الأخيرة في حقل التربية والتعليم في كافة المستويات ومن بينها مستوى التعليم العالي، لذلك أصبح تجديد الأساليب النمطية والطرائق التقليدية التي لم تعد تسهم بفعالية كبيرة تنجح في تحقيق فعالية وجودة مؤسسات التعليم العالي، هذا الوضع يدفعنا، كفاعلين في حقل التربية والتكوين إلى التفكير في إيجاد وسائل وأساليب جديدة، ومنها توظيف تقنيات التعليم الرقمي في تطوير الممارسة التربوية واعتماد حكمة ناجعة لربح رهان جودة التعليم العالي و تدويل الجامعة المغربية والهدف تحقيق التنمية المستدامة، ومن هذا المنطلق يمكن صياغة الإشكالية المركزية في السؤال التالي:

- إلى أي حد يمكن، يساهم إدماج تقنيات التعليم الرقمي في تدويل مؤسسات التعليم العالي وتحقيق الارتقاء البيداغوجي كما ونوعا؟

● صياغة فرضية الدراسة

للفرضية دور مهم في ترشيد البحوث العلمية، لأنها تضع البحث في إطار محدد، يستطيع من خلاله الباحث التقيد بخطوات أساسية للوصول إلى نتائج علمية صحيحة لذلك سنحاول في هذه البحث التحقق من الفرضية التالية:

- يساهم إدماج تقنيات التعليم الرقمي في تدويل مؤسسات التعليم العالي وتحقيق الارتقاء البيداغوجي كما ونوعا وخاصة الجامعة المغربية؟

• أهداف الدراسة

نهدف من وراء هذه الورقة العلمية المتمحورة حول مساهمة تقنيات التعليم الرقمي في تدويل مؤسسات التعليم العالي وتحقيق الارتقاء البيداغوجي كما ونوعا، ولذلك تسعى هذه الورقة العلمية إلى:

- التحسيس بأهمية استثمار تقنيات التعليم الرقمي في تدويل مؤسسات التعليم العالي؛

- تقديم مقترحات وأفكار عملية لتجاوز المشاكل المرتبطة بتحقيق التحول الرقمي بالجامعة المغربية.

• المنهج المعتمد في الدراسة

بناء على الأهداف المحددة آنفا، اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في التأطير النظري للإشكالية المطروحة، مع الانفتاح على مقترحات وأفكار عملية من أجل المساعدة في تنزيل أهداف الدراسة على أرض الواقع، ومن هذا المنطلق، فقد صمّمت محاور الورقة العلمية وعناصرها الجزئية بصورة تؤطر الموضوع وتلّم بأهم جوانبه؛ وتجيب عن إشكاليته وفق الآتي:

المحور الأول: مصطلحات الدراسة: التعليم الرقمي، الجامعة المغربية

شكل تحديد المفاهيم من المشكلات الأساسية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وخاصة التربوية منها؛ حيث تتعدد وتتداخل تعريفات المفهوم الواحد حسب الانتماءات الخاصة بكل باحث ومفكر، هذا وتعد المفاهيم هي القوالب التي يستعين بها الباحث لأجل تخطيط صورة منظمة لكافة المعارف والحقائق التي تحيط

به، وفي سياق هذه الورقة البحثية، سأحاول الوقوف على أهم المفاهيم المؤثرة نظرياً للإشكالية المطروحة، من بينها ما يلي:

التعليم: يستخدم للدلالة على العمليات التي يقوم بها المدرس لنقل المعلومات للطلاب¹.

التعليم الرقمي: يقصد به الاستفادة من المخترعات والصناعات الحديثة في مجال التعليم².

الجامعة: إن مصطلح جامعة university مأخوذ من كلمة universitas التي تعني الاتحاد الذي يضم ويجمع أقوى الأسر نفوذاً في مجال السياسة في المدينة من أجل السلطة³. واستخدمت كلمة جامعة لتدل على التجمع للأساتذة والطلاب من مختلف البلدان والشعوب، وقد عرفها قاموس أكسفورد بأنها مؤسسة تربوية توفر التعليم وتسيير البحث في العديد من فروع المعرفة المختلفة وتمنح الدرجات العلمية⁴. وحسب القانون 500.01، فهي عبارة عن مؤسسات عمومية تتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلالية الإدارية والمالية، تقوم عادة بتقديم التعليم والتكوينات الأساسية وتمنح الشهادات المتعلقة بها. كما تنظم تكوينات مستمرة لفائدة الأشخاص المنخرطين أو غير المنخرطين في الحياة العملية، من أجل

1 - محمد فرحات قضاة، أساسيات علم النفس، النظرية والتطبيق، دار الحامد، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006، ص: 218.

2 - مصطفى السايح، المنهج التكنولوجي وتكنولوجيا التعليم والمعلومات في التربية الرياضية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 2004، ص: 49.

3 - رشدي أحمد طعيمة، محمد بن سلمان البندري، التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤى التطوير، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004، ص: 83.

4 - محمود عباس عابدين، قضايا تخطيط التعليم واقتصادياته بين العالمية والمحلية، القاهرة دار للبنانية المصرية، 2003، ص: 271.

5 - ظهير شريف رقم 1.00.199 صادر في 15 من صفر 1421 (19 ماي 2000) بتنفيذ القانون رقم 01.00 المتعلق بتنظيم التعليم العالي.

الاستجابة لحاجيات فردية وأخرى جماعية، مع التمتع بالاستقلالية البيداغوجية والعلمية والثقافية. وهي إما متخصصة أو متعددة التخصصات.

وبناء على هذه التعريفات نستنتج، أن الجامعة عبارة عن تنظيم اجتماعي رسمي يتم داخلها تفاعل اجتماعي بين عناصرها المختلفة من علاقات وقيم سائدة بين أطراف العملية التعليمية داخل الفضاء الجامعي.

المحور الثاني: شروط ومتطلبات دمج تقنيات التعليم الرقمي في مؤسسات التعليم العالي

أصبحت تقنيات التعلم الرقمي اليوم مطلباً أساسياً من مطالب الحياة وفي كافة القطاعات، من بينها قطاع التعليم في جميع مراحل ومستوياته، ومن بينها التعليم العالي الجامعي، لذلك أصبحت اليوم أحد العناصر المهمة في العملية التعليمية - العملية التي لا يمكن الاستغناء عنها أو فصلها عنها بدءاً بالتخطيط مروراً بالتدبير ووصولاً للتقويم والدعم، كما لم يعد في وسع أي نظام جامعي في الوقت الراهن أن يتجاهلها في أي مرحلة من مراحلها.

1- المهارات الأساسية المرتبطة باستخدام تقنيات التعليم الرقمي في التعليم الجامعي.

ونظراً للدور الذي تلعبه في تطوير العملية التعليمية- التعلمية بالجامعة المغربية، فإن توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم يتطلب من أطراف العملية التعليمية - التعلمية (مدرس، طلاب، إدارة...) امتلاك مهارات أساسية للاستفادة من فعاليتها التربوية، ومنها مايلي على سبيل المثال لا الحصر:

- مهارات التعامل مع نظام التشغيل Microsoft Windows؛
- استخدام البريد الإلكتروني E mail وإرسال واستقبال الرسائل؛
- مهارة التعامل مع الشبكة الويب العالمية World Wide Web؛
- معرفة خدمات المحادثة عبر الإنترنت Chat ؛

- تعرف بعض لغات الحاسوب؛
 - استخدام جهاز الماسح الضوئي؛
 - تنزيل البرامج من الشبكة العنكبوتية؛
 - النسخ على الأقراص مثل: الأقراص المدمجة، CD، أقراص الفيديو DVD؛
 - إعداد دروس بالفيديو كمواد تعليمية داخل قاعة التدريس؛
 - التمكن من مهارات استخدام أدوات التعلم عن بعد التي كانت بديلا حقيقيا في التعليم الجامعي خلال الجائحة، ومن هذه تطبيقات نذكر مايلي :
 - تطبيق Zoom Cloud Meeting : يعمل بث المحاضرات مباشرة LIVE؛ حيث يمكن للمدرس التواصل مع الطلاب بالصوت والصورة، بالإضافة إلى إمكانية مشاركة الشاشة معهم لتقديم العروض التقديمية، ويمكن تحميل التطبيق من خلال الموقع الرسمي ؛
 - تطبيقات و برامج النشر ومشاركة الدروس تساعد المعلمين والمدرسين على تقديم الدروس والمواد التعليمية للطلاب، فهي لا تتطلب خبرة كبيرة في إدارة التعلم الإلكتروني؛ حيث تقتصر على مجرد نشر المحتوى، كما أنها تمكن الطلاب من مشاركته فيما بينهم؛
 - مايكروسوفت تيمز Microsoft Teams، وهو أيضا، من التطبيقات التابعة لشركة مايكروسوفت، ويوفر إنشاء فصول دراسية، والتواصل مع الطلاب والزلاء، وهو ضمن مجموعة OFFICE Education.
- 2- متطلبات دمج تقنيات التعليم الرقمي في الفضاء البيداغوجي الجامعي.

يتطلب استخدام تقنيات التعليم الرقمي، عدة شروط وأدوات من بينها، ما

يلي:

- **المكونات المادية:** وتشمل الحاسوب والأجهزة الملحقة به، وهي المعدات المستخدمة في المستخدمة في إدخال البيانات كلوحة المفاتيح ولأقراص الصوت والماسح الضوئي، فضلا عن وحدة المعالجة المركزية التي تعالج البيانات وتتحكم في عمل الحاسوب.

- **المكونات البرمجية:** وهي المكونات غير الملموسة بالحاسوب والتي تتولى مهمة تشغيله، مثل معالجة البيانات وتحويلها إلى معلومات، وتشمل البرامج التطبيقية، أنظمة التشغيل

- **شبكات الاتصال:** المقصود بالوسائل الفنية التي تستخدم لنقل البيانات من حاسوب إلى آخر.

المحور الثالث: تأثير التعليم الرقمي في تدويل مؤسسات التعليم العالي بالمغرب (الجامعة المغربية، نموذجا)

أصبحت تكنولوجيا التعليم اليوم مطلباً أساسياً من مطالب الحياة وفي كافة القطاعات، من بينها قطاع التعليم في جميع مراحل ومستوياته، ومن بينها مؤسسات التربية والتعليم كالمدراس العليا التي أحدثت مؤخرًا، لذلك أصبحت اليوم أحد العناصر المهمة في العملية التعليمية- التعلمية التي لا يمكن الاستغناء عنها أو فصلها عنها بدءًا بالتخطيط مرورًا بالتدبير ووصولًا للتقويم والدعم، كما لم يعد في وسع أي نظام تربوي في الوقت الراهن أن يتجاهلها في أي مرحلة من مراحلها.

لتكنولوجيا المعلومات العديد من الخصائص التي تساهم في تطوير الممارسة التدريسية والمهنية بالمدارس العليا للتربية والتكوين، والتي تعود بالنفع على جودة التكوين والبحث العلمي بها وتحقيق تدويل المؤسسات التعليمية العالي ببلادنا، ونذكر

من هذه الخصائص، التي ستساهم، من دون شك، في تحقيق هذا التدويل وفق ما يلي¹:

أ. الفعالية

أضحى المدرس باستخدامه لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مستقبلاً ومرسلاً في الوقت ذاته، كما تساعد جميع مكونات العملية التعليمية أن يتبادلوا الأدوار فيما بينهم، من خلال الفعالية التي تقع بين الأفراد والجماعات والمؤسسات، كما أن المدرس الجامعي أصبح غير مقيد بالوقت، حيث يمكنه استقبال الرسائل الخاصة بطلبته في أي وقت، كحالة البريد الإلكتروني، إضافة إلى ذلك لم يعد مع هذه التكنولوجيا مصدراً رئيساً للمعرفة ومالكها الوحيد، بل أصبح الطالب بفضل شبكة الإنترنت يتقاسم المعارف والمعلومات مع أستاذه، هذا الأخير الذي بإمكانه استثمار فعالية تكنولوجيا التعليم في تقديم دروسه النظرية والعملية لطلابه الذين بمقدراتهم التواصل والتفاعل معه في أي مكان (التعليم عن بعد).

ب. الحركية

تمكن الطالب الذي يستخدم تكنولوجيا المعلومات والتواصل أن يستفيد من الدروس أثناء تنقلاته، شرط توفره على جهاز الحاسوب المحمول أو الهاتف النقال، كما يمكن تبادل وتحويل المعلومات بين أطراف العملية التعليمية - التعليمية، مثلاً عن طريق إرسال الرسائل سواء كانت مصورة أو مسموعة، ويمكن لهذه الحركية بواسطة شبكة الإنترنت أن تتسع لأكثر عدد من الأشخاص.

ج. العولمة

بفضل العولمة خلقت تكنولوجيا المعلومات والتواصل بيئة تعليمية عالمية؛ بحيث أصبح بإمكان أطراف العملية التعليمية - التعليمية، أن يتواصلوا ويتفاعلوا مع

1 - محمد العنوز، أهمية توظيف تكنولوجيا المعلومات في تجويد الدرس الأدبي بالجامعات، مسالك التربية والتكوين، المجلد 1، العدد 1، سنة 2018، ص: 138.

نظرائهم في مختلف بقاع العالم ويتبادلون المعلومات والتجارب والخبرات، وبالتالي الممارسة في تجويد الممارسة البيداغوجية بمختلف الجامعات المغربية.

3- أثر التعليم الرقمي على أطراف العملية التعليمية بالجامعة المغربية

للتعليم الرقمي في مؤسسات التعليم العالي بالمغرب تأثيرات إيجابية، التي تنسجم مع الأهداف الاستراتيجية التي وضعت من أجلها، والمتمثلة بتحقيق جودة العملية التعليمية - التعلمية، بحيث يخلق نوعا من التفاعل الإيجابي بين كافة أطرافها (المدرس الجامعي، الطالب...)، وفي هذا الإطار نقدم مجموعة من الآثار الإيجابية لها، وهي كالتالي:

- التفاعل المستمر بين كل من المدرس والطلبة؛
- الانتقال من النموذج التقليدي في التعليم إلى النموذج التفاعلي النشط يعمل على تشكيل عقل الفرد حيث يعطي من خلال تنمية أسلوب التفكير الناقد والإبداعي الذي يكون العقلية المستنيرة ذو البصيرة الناقدة؛
- التركيز على المهارات العليا التي تتعلق بالتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم؛
- يتيح التعليم الرقمي بهذه المدارس للطلاب التقويم الذاتي في المهارات الأساسية، والتي تعتبر بمثابة التغذية الراجعة بالنسبة له.

المحور الرابع: بعض المشاكل والتحديات التي تواجه مؤسسات التعليم العالي في خلق بيئة رقمية تربوية ناجعة وسبل تجاوزها.

رغم المجهودات التي بذلها المغرب، من أجل كسب رهان جودة التعليم العالي، عبر إدماج تكنولوجيا المعلومات والتواصل فيه، إلا أنه لازال يعاني من مجموعة من

المشاكل والصعوبات التي تعيق توظيف هذه التكنولوجيا في التدريس الجامعي، والتي يمكن إجمالها، فيما يلي :

- ضعف أو غياب الأمن المعلوماتي، وهو أحد أهم المعوقات التي تعيق إدماج البعد الرقمي في العملية التعليمية خوفا من اختراق المنظومة المعلوماتية وفقدان الخصوصية؛

- تمسك مجموعة من أساتذة التعليم العالي بالطرق التقليدية في الممارسة التدريسية؛ حيث يكون الأستاذ هو مصدر المعرفة ومالكها الوحيد، وعليه، يرفض الانفتاح على تقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستثمارها في عملية التدريس بالجامعة المغربية،

- ارتفاع كلفة التعليم الرقمي وبرمجيات وتقنيات البيئات الذكية، مما يؤدي حتما لارتفاع نسبة الانقطاع عن متابعة التعلم والتكوين بهذا النمط؛

- غياب التكوين لدى بعض الأساتذة، الذين يعانون من ضعف في مجال برامج استخدام الحاسوب وبرامج العرض والإنترنت، مما يجعلهم غير قادرين على استخدامها وتوظيفها في تجويد دروسهم ومحاضراتهم الجامعية

- الارتفاع المتزايد في أعداد الطلبة، خاصة في المسالك الأساسية بمؤسسات التعليم العالي

- ارتفاع نسبة التآطير لدى هيئة التدريس، مما يؤثر على جودة العملية التعليمية؛

- ضعف الإمكانيات المادية في بعض مؤسسات التعليم العالي؛ إذ تعاني معظمها من ضعف البنيات التحتية، أي البنية التحتية التكنولوجية وما تتطلبه من معدات وأجهزة.

المحور الخامس: صعوبات تحقيق التحول الرقمي بمؤسسات التعليم العالي وسبل تجاوزها

1. صعوبات التحول الرقمي بالمدارس العليا للتربية والتعليم بالمغرب.

رغم المجهودات التي بذلها المغرب، من أجل كسب رهان جودة التعليم العالي، عبر إدماج تكنولوجيا المعلومات والتواصل فيه، إلا أنه لا زال يعاني من مجموعة من المشاكل والصعوبات التي تعيق توظيف هذه التكنولوجيا في التدريس الجامعي، والتي يمكن إجمالها، فيما يلي :

- ضعف أو غياب الأمن المعلوماتي، وهو أحد أهم المعوقات التي تعيق إدماج البعد الرقمي في العملية التعليمية خوفا من اختراق المنظومة المعلوماتية وفقدان الخصوصية؛

- تمسك مجموعة من أساتذة التعليم العالي بالطرق التقليدية في الممارسة التدريسية؛ حيث يكون الأستاذ هو مصدر المعرفة ومالكها الوحيد، وعليه، يرفض الانفتاح على تقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستثمارها في عملية التدريس بالجامعة المغربية،

- ارتفاع كلفة التعليم الرقمي وبرمجيات وتقنيات البيئات الذكية، مما يؤدي حتما لارتفاع نسبة الانقطاع عن متابعة التعلم والتكوين بهذا النمط؛

- غياب التكوين لدى بعض الأساتذة، الذين يعانون من ضعف في مجال برامج استخدام الحاسوب وبرامج العرض والإنترنت، مما يجعلهم غير قادرين على استخدامها وتوظيفها في تجويد دروسهم ومحاضراتهم الجامعية

- الارتفاع المتزايد في أعداد الطلبة، خاصة في المسالك الأساسية بالمدارس العليا للتربية والتكوين

- ارتفاع نسبة التأطير لدى هيئة التدريس، مما يؤثر على جودة العملية التعليمية؛

- ضعف الإمكانيات المادية في بعض المدارس العليا للتربية والتكوين؛ إذ تعاني معظمها من ضعف البنيات التحتية، أي البنية التحتية التكنولوجية وما تتطلبه من معدات وأجهزة.

2. مقترحات عملية لتجاوز صعوبات إدماج تكنولوجيا المعلومات

والاتصالات بمؤسسات التعليم العالي

هناك العديد المقترحات العملية التي يمكن أن تساهم في حل مشاكل وصعوبات إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية بالجامعات المغربية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- العمل على ضخ دماء جديدة في هيئة التدريس الجامعي بهذه المدارس، وذلك عن طريق إدماج أساتذة جدد، لديهم وعي بأهمية توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ولديهم أيضا، القدرة على استخدامها وتطويعها بما يساهم في تحديث طرق ووسائل التدريس وجعلها أكثر فاعلية؛

- وضع برامج إجبارية للتكوين المستمر لفائدة هيئة التدريس بمؤسسات التعليم العالي، وربط الترقى المهني بهذه الاستفادة من هذا النوع من التكوينات؛
- برمجة ميزانية خاصة من أجل تجهيز مؤسسات التعليم العالي بمختلف تقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصال؛

- توسيع نطاق التعليم عن بعد وجعله أساسيا في بعض المسالك الجامعية بمؤسسات التعليم العالي؛

- جعل مجزوءة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إجبارية بمؤسسات التعليم العالي، بدءا من السنة الأولى للطلبة والطالبات وحتى تخرجهم؛

• جعل كفاية الرقمية والتكنولوجية كفاية أساسية على الطالب اكتسابها في مسارها بمؤسسات التعليم العالي، ومعيارا أساسيا للتصديق على مكتسبات الطالب(ة) والإشهاد عليها.

خاتمة

أثبت وباء كورونا (كوفيد 19) الذي شهدته بلادنا شأنها في ذلك شأن دول العالم أن الاعتماد على التعليم التقليدي لا يستجيب لظروف البيئة الالكترونية التي فرضت نفسها بقوة في مثل حدث من حجم جائحة كورونا في مختلف القطاعات، وعلى مختلف الأصعدة، والذي كشف الواقع المزري الذي تعاني منه مختلف القطاعات لافتقادها لاستراتيجيات حديثة ومستقبلية سواء من أجل مجابهة، مثل هكذا ظروف أو من أجل تحقيق التنمية وعلى وجه الخصوص على مستوى قطاع التعليم الحالي والبحث العلمي، باعتباره أساس التنمية ونجاح الأداء الاقتصادي والاجتماعي في الدولة المرهون بجودة ونوعية الخدمة التعليمية المقدمة للأفراد والجماعات.

بات اليوم من الضروري استبدال الطرق التقليدية في التعليم بمؤسسات التعليم العالي، بأخرى أكثر تطورا وذلك من خلال وضع استراتيجية لإعادة البنية التحتية، وخاصة في ظل وبروز ما أصبح يعرف بالجامعة الافتراضية، كنمط تعليمي منافس يقوم على توظيف الوسائل التقنية المتطورة لنمو التعلم عن بعد وتطور تكنولوجيا الاتصال، شبكات الكمبيوتر والانترنت. ولأن أي نظام تعليمي ناجح يعتمد أساسا على تحقيق التوعية وهذا ما تعتمده الجامعات الافتراضية بمؤسسات التعليم العالي عالميا باعتبارها نمط جديد فارض لنفسه بقوة في عالم يعيش مرحلة الهيمنة الرقمية في كافة المجالات وعلى مختلف الصعد.

لائحة المصادر والمراجع

- رشدي أحمد طعيمة، محمد بن سلمان البندري، التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤى التطوير، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004.
- ظهير شريف رقم 1.00.199 صادر في 15 من صفر 1421 (19 ماي 2000) بتنفيذ القانون رقم 01.00 المتعلق بتنظيم التعليم العالي.
- محمد العنوز، أهمية توظيف تكنولوجيا المعلومات في تجويد الدرس الأدبي بالجامعات، مسالك التربية والتكوين، المجلد 1، العدد 1، سنة 2018.
- محمد فرحات قضاة، أساسيات علم النفس، النظرية والتطبيق، دار الحامد، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006.
- محمود عباس عابدين، قضايا تخطيط التعليم واقتصادياته بين العالمية والمحلية، القاهرة دار للبنانية المصرية، 2003.
- مصطفى السايح، المنهج التكنولوجي وتكنولوجيا التعليم والمعلومات في التربية الرياضية، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 2004.

العنصرة بمنطقة الريف:

مقاربة تأصيلية

د. عبد الصمد مجوقي

باحث في الدراسات الثقافية
الأكاديمية الجبوية للتربية والتكوين لجهة طنجة تطوان
الحسيمة - المغرب.



ملخص:

هذه الدراسة هي محاولة تأصيلية لاحتفال كوني هو العنصرة، هذا الاحتفال الذي لا يُعرف أصله بالتدقيق ولا سبب الاحتفال به، فهو احتفال فلاحي قديم ومتجذر بشمال إفريقيا وغيرها من مناطق العالم. لقد حاولنا الانطلاق من مجموعة من الفرضيات ترتبط بالاحتفال، بدءا من أصل التسمية، فأصل الاحتفال وسبب اتخاذه عيدا. ثم الكشف عن طقوس الاحتفال به ببلدان المغرب ورصد تقاليدها، لنختم في الأخير بأشكال الاحتفال بهذا اليوم بمنطقة الريف بالمغرب بين الماضي والحاضر، محاولين الكشف عن العادات والطقوس التي تشترك بها هذه المنطقة مع المناطق الأخرى، وكذا العادات التي تفردها عن غيرها. ولن يتأتى ذلك إلا في إطار منهجي، يتكئ على الخصوص على المنهج الأنثروبولوجي والمنهج التاريخي اللذين بإمكانهما إسعافنا على تقديم إجابات عن هذه الفرضيات.

كلمات مفتاحية: العنصرة-الاحتفال-عيد فلاحي-الانقلاب الصيفي-الريف المغربي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

مجوقي، عبد الصمد. (2024، أبريل). العنصرة بمنطقة الريف: مقاربة تأصيلية. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 72-89.

Abstract:

This study embarks on a journey to uncover the origins and diverse traditions associated with Pentecost, a widely celebrated holiday with an enigmatic history and purpose. Deeply rooted in ancient agricultural practices, Pentecost has been observed across North Africa and other regions of the world. This study aims to unravel the mysteries surrounding this celebration by exploring a range of hypotheses, including the etymology of its name, the origins of the observance, and the reasons for its designation as a holiday. It then delves into the unique rituals and traditions associated with Pentecost in North African countries, culminating in a comparative analysis of past and present celebrations in rural Morocco. Through this examination, we uncover shared customs and practices across regions, as well as distinctive traditions that set Morocco apart. This exploration is guided by a methodological framework that draws heavily on anthropological and historical methodologies, providing a comprehensive understanding of the multifaceted dimensions of Pentecost.

Keywords: Pentecost, Celebration, Agricultural Festival, Summer Solstice, Moroccan Rif.

1. التسمية

تتعدد أسماء العنصرة، وتختلف المناسبات التي يخلدها الاحتفال بهذا اليوم، والذي يتم بطقوس تكاد تكون كونية (universal)، ترتبط بالتصورات العريقة للإنسان بشأن سير الأشياء الطبيعية¹، وبالنسبة للمغاربة فهو عيد فلاحي عريق وهيج، يوافق الانقلاب الصيفي². بل إنه العيد الأكثر بهجة خلال السنة، وطقوسه هي الطقوس الأكثر انتشارا ببلدان المغرب عامتها³.

أما أصل التسمية فهو أمر مختلف بشأنه، بحيث يرى إدمون دوتي أن الاشتقاق اللغوي لكلمة «عنصرة» مجهول، أو على الأقل لا تقدم تلك الاشتقاقات التي نعزوها إليها أية تفسيرات للطقس. ومهما يكن التفسير الذي يقدم لهذا العيد، فهذا الأخير يبقى سابق عليه، على اعتبار أن الاحتفال بالعنصرة قديم جدا⁴؛ وآخر يرى أن «العنصرة» كلمة عبرانية، وتعني في العهد القديم «محفل» أو اجتماع الشعب للاحتفال بالأعياد الدينية، وأنها كانت تعني في عهد النبي يوسف «عيد الخمسين» (la pentecôte)، وحمل هذا المصطلح الدلالة نفسه في التلمود. كما أن الصغية العربية «العنصرة» احتفظت كذلك بالمعنى ذاته لدى الأقباط، أي عيد الخمسين أو عيد الحصاد، لكن دلالتها الأصلية الأولى أضحت تحيل على معان عدة وأعياد أخرى، ففي الأندلس كانت تطلق على عيد القديس يحيى/يوحنا المعمدان (Saint Jean) الذي احتفل به المغاربة (الموريسكيون)، كما احتفل به المسيحيون⁵.

¹ Edmond Douité, Magie et religion dans l'Afrique du nord, édition et typographie Adolphe Jourdan, Alger, Algérie, 1909, pp. 566.

² Voir : - Joly (a), un calendrier agricole marocain, arch. Marocaines, vol.3, 1905, p.301.

- Charles Tissot, exploration scientifique de la Tunisie : Géographiques comparée de la province romaine d'Afrique, t.1, ministère de l'instruction publique, imprimerie nationale, paris, France, 1884, p.315.

⁴ Lévi-Provençal (E), pratique agricoles et fêtes saisonnières des tribus Djabalah de la vallée moyenne de l'Ouargla, Arch. Berb, vol.3, fasc.1, 1918., p.85.

⁴ انظر:

- Edmond Douité, Magie et religion dans l'Afrique du nord, op.cit, p. 565-566.

⁵ Dozy (R), Supplément aux dictionnaires arabes, Tome. 2, éd.2, paris, 1927, p.181.

وعلى خلاف دوتي، ذهب الكثيرون إلى أن اللفظة عبرانية، وأن عيد العنصرة يطلق عليه بالعبرية عشرتنا¹ أو عصرتنا، وهو مشتق من الاجتماع والاحتشاد²، أو «حاج شبعوت». ومدة هذا العيد يومان: السادس والسابع من شهر سيفان [آخر مايو وأول يونيو]، وهو بهذا عيد الحصاد الذي كان الفلاحون اليهود يأخذون فيه أولى ثمار الحصاد إلى الهيكل³.

والعنصرة هو العيد الخامس من الأعياد التي يزعم اليهود أن التوراة نطقت بها، ويسمى عيد الأسابيع أو عيد الخطاب. وهو حج من حجوجهم الثلاثة: الأسابيع والفطير والمظال (المظلة)⁴. وقد وردت العيد لدى اليهود بأسماء عدة، منها: عيد البواكير أو يوم الباكورة⁵، وعيد الأسابيع⁶، وعيد أو يوم الخمسين⁷، وعيد الحصاد⁸، وعيد الموقف، وهو حج الأسابيع، وهي «الأسابيع التي فرضت على بني إسرائيل فيما الفرائض. ويقال لهذا العيد في زمننا العنصرة وعيد الخطاب»⁹.

والعنصرة هو الاسم العامي للمهرجان بالأندلس، وهو العيد الموسمي الثاني عندهم بعد النيروز¹⁰، وكان يوما مشهورا بهذه البلاد وموسما للنصارى¹¹، ما دفع

¹ القلقشندي. صبح الأعشى، ج.2، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1913، ص.427.

² البيروني، أبو الريحان محمد ابن أحمد. القانون المسعودي، ج.1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط.1، حيدر آباد الدكن، الهند، 1954، ص.204.

³ غازي كامل السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط.1، دار الجليل، عمان، 1994، ص.19.

⁴ القلقشندي، صبح الأعشى، ج.2، م.س، ص.427.

⁵ العهد القديم، سفر العدد، الأصحاح 28.

⁶ العهد القديم سفر اللاويين، الأصحاح 23.

⁷ العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الإصحاح 2.

⁸ العهد القديم، سفر الخروج، الأصحاح 23.

⁹ تقي الدين المقرئ، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرئية)، ج.2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص.474.

¹⁰ أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، أمثال العوام، تحقيق محمد بنشريفية، ق، 1، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، 1975، ص.240.

¹¹ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج.7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1978، ص.227.

البعض إلى اعتبارها عيداً من أصل نصراني يدوم ثلاثة أيام¹، وأنها لا ترتبط لدى المغاربة بأي ذكرى دينية، بحيث لا ترتبط لا بالمؤسسة الدينية الإسلامية، ولا بالأصل العربي، إنما تسربت إليهما من النصارى والمهود، وهي تشبه احتفالات القديس يوحنا، لكن الراجح أنها تتفرع من عيد الخمسين العبري. ومع ذلك تحتفل بها الأسر المغربية².

أما معنى كلمة «العنصرة» في اللغة العربية فلا يخرج معناها عن العيد أو المناسبة التي تحيل عليها، وقد نقل دوشيني جواب أحد المغاربة عن معناها قائلاً: أن لفظة العنصرة تعني -بإيجاز- في اللغة العربية الحواري (compagnon) أو الحامي (défenseur)، وقد بدا وكأنه يعني القديس يوحنا المبشر وحواري عيسى³، لكننا لا نجد ما يؤكد هذا في قواميس اللغة العربية، ولا لدى الناس في بلدان المغرب، وإن كانوا يوظفون اللفظة نفسها مع اختلافات طفيفة على مستوى النطق. ففي الجزائر يوظف أهل وهران صيغة «العَنْصَرَة»، بينما أمازيغ بني سنوس ينطقونها «عَنْصَرَة»، في حين تنطق «عَنْصَلَة» في مناطق قسطنطينية⁴. أما في تونس فتنتطق «العَنْصَرَة»⁵. كما أن أهل تلمسان ونواحيها اشتقوا منها فعل (عَنْصَرَ) للدلالة على فعل التبخير (fumigations)⁶. والجدير بالذكر في هذا السياق أن النار التي توقد في هذا اليوم

¹ Lévi-Provençal (E), pratique agricoles et fêtes saisonnières des tribus Djabalal de la vallée moyenne de Ouargla, op. cit, p.103.

² Eugene Aubin, le Maroc d'aujourd'hui, librairie Armand colin, Paris, France,1904, p.440.

³ Louis de Chenier, Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'empire de Maroc, t.3, Paris, France, 1787, pp.224-225.

⁵ William Marçais, Textes arabes de Tanger, t.4, imprimerie national, Paris, France, 1911, p.392.

⁵ محجوب السميراني، الأعياد الشعبية التونسية، م.س، ص.61.

⁶ Destaing, Edmond, Fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni Snous (La "Ans'ara"), Revue africaine, N° 263, 1906, p.364.

تسمى «العنصرة»، ولذا نجد في أمثال أهل الأندلس «الكبش المصوف ما تكفز العنصرة»¹.

2. أصل الاحتفال بالعنصرة.

يصعب تأصيل الاحتفال بالعنصرة، وذلك نظرا لتعدد المناسبات والوقائع التي تحيل عليها، وتلك التي توافقت في هذا اليوم، سواء لدى اليهود أو النصراني أو الفرس، فهو يحيل على احتفالات يهودية، وأخرى نصرانية، وثالثة فارسية، وقد يكون من التقاليد القديمة في شمال إفريقيا، ومن المواسم الوثنية الأصل، والتي كانت تقام -على الأرجح- على شرف إله البحر «نيبتون» (NEPTUNE)². ومن المعلوم أن سكان شمال إفريقيا عبدوا هذا الإله في العهد الروماني، ليس في المناطق الساحلية فحسب، حيث كان إله البحر، بل وفي المناطق الداخلية كذلك، لاسيما حيث توجد المنايع، إذ يعدونه سيديا لها. وتجدر الإشارة إلى أن عبادة نبتون باعتبارها إله للمنايع لم تكن معروفة في الأقاليم اللاتينية الأخرى بالغرب³.

إن هذه المناسبة ترتبط بأحداث جلييلة من قبيل ميلاد النبي يحيى بن زكرياء (عليهما السلام)؛ وحبس الله تعالى الشمس عن يوشع بن نون (عليه السلام)، حين بعثه موسى (عليه السلام) إلى أريحا لقتال الجبابرة، فقتلهم وبقيت منهم بقية، فخشى أن يحول الليل بينه وبينهم، فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى

¹ أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، أمثال العوام، تحقيق محمد بنشريف، ق، 1، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، 1975، ج. 2، المثل رقم 373، ص. 85.

ومعنى المثل «الكبش ذو الصوف الكثيف لا يقفز نار العنصرة»

² مصطفى غطيس، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، ضمن «المغرب والأندلس: دراسات وترجمات»، منشورات كلية الآداب، جامعة عبد الملك السعدي، مطبعة الخليج العربي، ط. 1، تطوان، المغرب، 2010، ص. 19.

³ Gsell (s), histoire ancienne de l'Afrique du nord: les Royaumes indigènes, Vie matérielle, intellectuelle et morale, t.6, librairie hachette, paris, France, 1927, p.153.

يفرغ، فحبسها بدعائه¹؛ وهو أيضا اليوم الذي خاطب فيه الله بني إسرائيل من طور سيناء²، فيحتفل به اليهود باعتباره عيد تذكاري لنزول الشريعة³؛ وهو اليوم نفسه المقدر لنزول التوراة⁴. لذلك يسميه اليهود حج الأسابيع، أي الأسابيع التي فرضت على بني إسرائيل فيها الفرائض⁵، لأن من عيد "الفصح" إليه سبعة سوابيع بالنص والقياس؛ كما يسمونه عيد الحصاد وفيه إتمام حصاد الشعير؛ وعيد الباكورة بمعنى بكورة حصاد الحنطة، ويكون صوم الباكورة ثاني هذا العيد، ويسمونه أيضا عيد الخمسين لأنه يأتي بعد عيد الفطير بخمسين يوما، ففي هذا اليوم أنزلت الآيات العشر⁶، أو الوصايا العشر المنسوبة إلى النبي موسى⁷، وهو عندهم «عيد زواج الله بالشعب، ولذلك فهم يزينون المعابد بالزهور والنباتات، ويقيمون حفل زفاف للتوراة تماما كأنها عروس»⁸. واليهود يحتفلون بهذا اليوم في اليوم السادس من شهر سيون⁹،

¹ أنظر:

- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج.7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1978، ص.227-228.

- أبي الحسن عريب بن سعيد، التقويم في قرطبة، نشر رينهارت دوزي، ص.65.

- أبو عبد الله محمد اللخمي، السبتي (أبو القاسم العزفي)، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، مخطوط، نسخة اسطنبول، ص.3. (المخطوط غير مرقم، وقد وضعت له أرقاما على الصفحات بدءا من الصفحة الأولى).

أمدني بالمخطوط مشكورا الباحث الدكتور يونس بقيان.

² القلقشندي، صبح الأعشى، ج.2، م.س، ص.427.

³ لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ص.533.

⁴ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة ليبزيك، 1878، ص.333.

⁵ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج.2، م.س، ص.474.

⁶ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، كتاب القانون المسعودي، ج.1، م.س، ص.204.

⁷ قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص.62.

⁸ غازي كامل السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط.1، دار الجليل، عمان، 1994، ص.19.

⁹ البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، م.س، ص.333.

أو سيوان¹. لكن المقريري ذكر أن العيد يكون في السادس من شهر آيار من الشهر اليهودية².

أما لدى النصارى فتمثل العنصرة عيد تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ، ويقع بعد عيد الفصح بخمسين يوماً، ولهذا يسمى بعيد الخمسين، ويسمى أيضاً بـ«البنديكستي» باليونانية، ومعناه الخمسون³. وهو لدى النصارى اليوم الذي كلم فيه الروح القدس الناس أجمعين بصوت كأنه هبوب ريح عاصفة، وظهرت لهم منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وشرعوا يتكلمون بألسنة لغات أخرى مثلما أعطاهم الروح أن ينطقوا⁴.

وذكر المقريري العيد ضمن أعياد القبط النصارى بديار مصر باسم «عيد الخميس»، وهو العنصرة، ويعملونه بعد خمسين يوماً من يوم القيام، وزعموا أن بعد عشرة أيام من الصعود، وخمسين يوماً من قيامة المسيح، اجتمع التلاميذ في عليّة صهيون، فتجلى لهم روح القدس في شبه ألسنة من نار، فامتلاؤا من روح القدس، وتكلموا بجميع الألسن، وظهرت على أيديهم آيات كثيرة، فعاداهم اليهود، فحبسوهم فنجاهم الله منهم، وخرجوا من السجن فساروا في الأرض متفرقين يدعون الناس إلى دين المسيح⁵.

¹ فاطمة بوعامة، اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين 9-15هـ/13-15م)، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص.145.

² المقريري، الخطط المقريرية، م.س، ص.474.

³ بطرس البستاني، محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، مطابع تيبو-برس، بيروت، لبنان، 1987، ص.637.

⁴ العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الأصحاح الثاني.

⁵ المقريري، الخطط المقريرية، ج.1، م.س، ص.265.

فالعنصرة إذن، تمثل لدى النصارى عيد حلول الروح القدس على تلاميذ يسوع المسيح، الذي رفع إلى السماء، لذلك يأتي العيد بعد خميس الصعود بعشرة أيام، ففي هذا اليوم تحققت وعود يسوع المسيح وتنبؤات العهد القديم¹.

أما أهل الأندلس فقد كانوا يحتفلون بالمهرجان المسمى عندهم بالعنصرة في الرابع والعشرين من شهر يونيو الشمسي من الشهر الرومي²، على خلاف المشاركة الذين يحتفلون بالمهرجان في شهر شنتبر³، وهو في الأصل «اسم عيد عند الفرس ابتداء موسم الخريف، يقع في شهر مهر، وهو الشهر السابع عندهم، وهي مكونة من كلمة مهر بمعنى محبة وجان أي روح، والمعنى محبة الروح أو الاحتفال»⁴.

أما في البلدان المغاربية، فإنهم يحتفلون بالعنصرة أو عيد الفلاحين يوم 24 يونيو من السنة الفلاحية حسب التقويم اليوليوسي، الموافق ل 6 أو 7 يوليو من التقويم الغريغوري⁵، إذ تعتبر العنصرة لديهم من ضمن الأعياد الشمسية الفلاحية التي لا تعتمد التقويم القمري الإسلامي، إنما التقويم اليوليوسي، فسكان شمال إفريقيا ظلوا أوفياء للتقويم الشمسي، كما حافظوا على أسماء الشهور بالرومانية أو

¹ نشرة حبذا التعرف على الديانة المسيحية: أسئلة المسلمين للمسيحيين، ترجمة حسيب شحادة، منشورات الكنيسة الإنجيلية-اللوثرية، رقم 45، هلنسي، فنلندا، 2016، ص.37.

² أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب، مج.3، تحقيق إحسان عباس، دار، صادر، بيروت، لبنان، 1968، ص.128.

³ محمد بن عبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج.1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996، ص.350.

⁴ أبو نصر الفتح بن خاقان الإشبيلي، مطعم الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، نشر مؤسسة الرسالة، ط.1، بيروت، لبنان، 1983، ص.214. (الهامش رقم4)

⁵ انظر: - محجوب السمراني الأعياد الشعبية التونسية: أوسو..النيروز..عاشوراء...، ط.1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2018، ص.61.

- Edmond Doutté, magie et religion dans L'Afrique du nord, op.cit, p.565.

- Lévi-Provençal, pratique agricole et fêtes saisonnières, op.cit, p.85.

- Destaing Edmond, L'Ennayer chez les Beni Snous, Revue africaine, vol.49, n.256, société historiques algérienne, Alger, 1905, p.362.

اللاتينية¹. وفي السياق نفسه نذكر أن القنصل الفرنسي لويس دوشني عاين احتفالات العنصرة بمدينة سلا يوم 5 يوليوز، وسجل بأنها احتفالات شبيهة بتلك التي تدعى عندهم بالقديس يوحنا/يحيى²، التي ما تزال قائمة بإسبانيا إلى اليوم³.

والجدير بالذكر أن المغاربة كانوا يحتفلون بمناسبة فلاحية يتم خلالها جمع الإنتاج الزراعي من حبوب وثمار، ويستغلون المناسبة لخلق البهجة ولأكل بواكير إنتاج⁴، ربما دون أن يعووا بأنهم يحيون مناسبة كونية يحتفل بها اليهود والنصارى والفرس.

3. عادات الاحتفال بالعنصرة.

يصنف إدموند دوتي العنصرة ضمن طقوس النار المنتشرة ببلدان المغرب⁵، في حين يسميها عباس الجراري عيد الماء⁶، ومرد ذلك إلى أن أغلب طقوس «العنصرة» تتمحور حول عنصر النار والماء، ليس في شمال إفريقيا فحسب، بل في مناطق مختلفة من العالم؛ ففي «بفاريبا» (Bavière) و«ساكس» (saxe) و«بوهيميا» (bohème) يقوم الناس بإغراق مجسم شخص مصنوع من القش ومغطى بالأغصان أو الزهور، أو يقطعون رأسه أو يظهرونه ميتا بشكل من الأشكال في عيد العنصرة⁷. ومن العادات الماثورة أيضا بالأندلس في يوم العنصرة، الألعاب المرتبطة بالماء، كلعب

¹ أنظر:

- Lévi-Provençal, pratique agricole et fêtes saisonnières, op.cit, p.85.

- Edmond douuté, Marrakech, P.372.

2 Louis de Chenier, recherches historiques sur les maures et histoire de l'empire de Maroc, t.3, Paris, France, 1787, p.225

³ صلاح جرار، زمان الوصل: دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.1، بيروت، لبنان، 2004، ص.90.

⁴ عباس الجراري، الحضور الديني في العادات والتقاليد المغربية، ضمن كتاب جماعي "العادات والتقاليد في المجتمع المغربي"، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ص.48.

5 Edmond Douuté, Magie et religion dans l'Afrique du nord, op.cit, p.565

⁶ عباس الجراري، الحضور الديني في العادات والتقاليد المغربية، م.س، ص.48.

7 Edmond Douuté, Magie et religion dans l'Afrique du nord, op.cit, p.512

الأسطول الذي وصفته الكثير من أشعارهم¹. إلا أن العنصرة اشتهرت عندهم بشعلة النار التي كانوا يقيمونها ويقفزون فوقها²، كما كان اليهود يعظمون هذا اليوم ويأكلون فيه القطائف³.

كان أهل البادية بالمغرب يقضون يوم العنصرة في الحقول والبساتين المحيطة ببلداتهم، وكانوا يعمدون إلى ذبح ثور أو ثورين محاكاة لموت الأرض، ليوزعوهما على الأسر في البلدة، كل منها تأخذ حصتها⁴. ويشارك أهل البلدة جميعهم في هذا الطقس المسمي «الوزيعة»، وجميعهم يتوصل بحظه من لحم الذبيحة التي يُقِيمُ ثمنها حسب الأعراف المعمول بها⁵.

وكانت الأسر المغربية تعلن عن هذه المناسبة من خلال أشكال الرش المختلفة، والتي يكون مسموحا بها من الفجر حتى منتصف اليوم. وهو أمر لم يكن مقتصرًا على العامة فحسب، بل يطال حتى النخبة وأصحاب السلطة فحاكم فاس «البالي» نفسه لم يكن يفوت الفرصة للترول رفقة موظفيه إلى الشوارع بعد أن يكونوا قد أخذوا حمامهم السنوي. وكان الأطفال يحصلون بهذه المناسبة على مخقنات حديدية بيضاء لرش الماء على المارة الغافلين⁶. وقد عاين جورج سالمون أطفالا في مدينة الرباط يقتنون هذه المحقنات/المضخات الصغيرة المصنوعة من القصدير من سمكزية يهود ليرشوا بها أزقة المدينة والنافورات بالماء، كما كان يرش بعضهم بعضا⁷. والنساء بدورهن تشاركن الأطفال عملية رش الناس في الأزقة أو من فوق سطوح المنازل، وكان

¹ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط.1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، 1939، ص.128.

² الزجالي، أمثال العوام بالأندلس، ق.1، م.س، ص.240.

³ القلقشندي، صبح الأعشى، ج.2، م.س، ص.427.

4 Lévi – Provençal , pratique agricole et fêtes saisonnières, op.cit, p.104.

⁶ عبد الواحد الهيشو، تاريخ أنجرة المغربية وملحمة العنصرة، ط.1، منشورات سليكي أخوين، طنجة، المغرب، 2019، صص.79-80.

6 Eugène Aubin, le Maroc d'aujourd'hui, op.cit, p.440.

7 Salamon Geoges, Notes sur salé, Arch. Mar, vol.3, 1905, p.323.

الجميع يتقبل ذلك؛ بل إن الرش لم يسلم منه حتى الباشا نفسه، والموظفون السامون للمخرن¹. ولم يكن المغاربة يكتفون في هذا اليوم بالحرص على الاغتسال أو تبادل الرش فيما بينهم فحسب، وإنما كانوا يحرصون على تعويم بهائمهم، إذ كان من طقوس الاحتفال لدى أهل تطوان «الإنزال الذي أُلّف أبناء المنطقة القيام به نحو الشاطئ أو مجرى واد مرتيل لممارسة طقوس تتمثل في ضرورة العوم وغسل بعض الأطراف وتعويم البهائم»².

وقد سجل مؤرخ برتغالي من القرن السابع عشر أن أكثر من عشرة آلاف أسرة أمازيغية تقطن قبيلة «بني حسن» (benihassan) بالقرب من مدينة تطوان، كانوا يحتفلون بيوم القديس يوحنا المعمدان [العنصرة] بالرقص والطرب الذي تشارك فيه النساء والرجال في الأزقة، وأعداد كثيرة منهم تحرص على النزول إلى البحر³، كما سجل مارسي أنه إلى عهد قريب كان أهل «راس بدوزة» بنواحي آسفي يعمدون إلى سَوق الأفراس التي لا تنجب إلى شاطئ حيث يربطونها لقضاء الليل، ويعتقدون أن خلالها سينبثق فحول خيل خارقة، مكسوة بزغب طويل، من أمواج البحر، وتأتي لتخصب الأفراس، وتشفي عقمها إلى الأبد⁴. ولم يحدد مارسي هذه الليلة، لكننا نرجح أن تكون ليلة العنصرة، ذلك أن هذه الليلة ترتبط لدى المغاربة بمجموعة من الممارسات السحرية التي تروم التخصيب، من قبيل تأبير الأشجار وتخصيب النباتات⁵. كما أن الفتيات الراغبات في الزواج يحرصن على الاغتسال بمياه وقع تسخينها على نار هذه

¹ روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج.2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص.879.

² محمد العبدلاوي، الماء والمعتقد في التراث الثقافي بمدينة تطوان، ضمن كتاب جماعي: التراث في جبال الريف: واقع وآفاق، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 20، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2013، ص.53.

³ jeronimo de mascarenhas, historia de la ciudad de cueta, traduccion afonso de dornelas academia das ciencias de lisboa, lisboa, portogal, 1918, p.20.

⁴ Marcy, notes linguistiques autour du périple d'hanon, hespéris, t. xx, fasc.I-II, 1935, p.40.

⁵ Edmond Doutté, Magie et religion dans l'Afrique du nord, op.cit, p.568.

المناسبة¹. بالإضافة إلى هذا كله حافظ الأمازيغ بشمال إفريقيا على عادة قديمة ترتبط بهذه المناسبة، وهي عادة إشعال نيران الاحتفال شبيهة بتلك النار التي يسميها الفلاحون الفرنسيون نار القديس يوحنا، وشبيهة كذلك بتلك التي يشعلها الأروبيون في فترة الانقلاب الصيفي². وقد سجل الحسن الوزان أنه في يوم القديس يوحنا توقد نيران كثيرة من التبن في جميع أحياء فاس³. إذ كان الفلاحون يشعلون نيران الابتهاج والفرح في بساتينهم. كما كانوا في ليلة العنصرة يحرقون كميات كبيرة من البخور حول الأشجار المثمرة طلبا لبركة الإله⁴.

وفي هذا اليوم يخرج الصبيان والنساء إلى المنحدرات، وإلى أسفل الأجراف قصد جمع نبات الكلكخ (ferula) ومريوة (marube)⁵، التي تصدر عند حرقها الكثير من الدخان، وذلك لغرض التبخير⁶، ويتم إحراق هذه النباتات، ثم يسكبون الماء والتراب على الحريق ليغمروا المنزل بالدخان، أملين في طرد كل العفاريت التي تحوم حول الناس⁷. ولإيقاد هذه النيران، سواء في الأزقة أو في ملتقيات الطرق وفي الحقول أو البيادر، يحرصون على اختيار الخش أو الأغصان التي تصدر الكثير من الدخان، وعلى أن تكون الأدخنة معطرة، ويشمل هذا الطقس الجزء الأكبر من شمال إفريقيا⁸.

¹ أحمد توفيق، المجتمع المغربي في القرن 19 (اينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص.433.

² Laoust, noms et cérémonies des feux de joie chez les berbères du haut et de l'Anti-Atlas, Hespéris, vol.1, 1921, p.3.

³ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج.1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980، ص.201.

⁴ Mouët (G), Histoire des des conquêtes de Mouley-Archy (histoire de royaume de maroc), Paris, 1683, p.355.

⁵ وفي بني سنوس بالجزائر يستعملون أشجار العرعار (املزي) والشيح (يزري) والدوم (يلاون)

⁶ في تلمسان يقتني الناس يوم العنصرة سبعة بخور: 1. افيجل / روطلة؛ 2. صحتز/زعتز؛ 3. زريعة الكصبر؛ 4. شجرة مريم؛

5. العطرشة اليابسة؛ 6. فليو/نابطة؛ 7. ناطبة

⁷ Destaing (ed), fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni Snous, op.cit, pp.363-365.

⁸ Edmond douuté, magie et religion dans l'Afrique du nord, op.cit, p. 566.

إن العنصرة من الأيام التي يُفرد لها سكان شمال إفريقيا طقوسا خاصة، إذ هي من العادات الموغلة في القدم التي تتمحور حول الماء والنار، والتي يقيمون لها احتفالات بهيجة. ومن العادات الماثورة في هذا اليوم «خروج الرجال جميعا وأشتاتا مع النساء مختلطين للتفرج»¹، فبعد عشاء دسم يخرجون لإشعال النيران أمام أعتاب الدور، فيرتفع لهيها ويتلاحق الرجال في قفزها، وإذا انخفض الأوار قام الأطفال وقامت النساء بقفزها وبأيديهن صبيانهم الصغار². ومن هذه العادات أيضا، ما عاينه دوشونبي بفاس، حيث كان الشباب يقومون بصنع بيت من قصب وخش، ثم يجعلونه يطفو فوق النهر فيشعلون فيه النيران، وهم يسبحون حولها بمح³، وهذه العادة المثيرة نفسها سجلها سلامون بسلا التي كان يعتمد سكانها في يوم العنصرة إلى نصب كومة ضخمة من الخش، فيتسلقها رجل شجاع لإشعال النار بقمته⁴.

لقد ظلت العنصرة أو عيد الانقلاب الصيفي من المناسبات التي يُحتفى بها بالبلدان المغاربية، ومن الاحتفالات الفلاحية والعائلية المرتبطة بالأرض ومنتوجاتها. فالمغاربة يعدون بالمناسبة عشاء من وجبة الكسكس بالخضر⁵، ويعدونه من القمح الجديد والقرع والحليب، ويمكن أن يعدوا بالمناسبة أيضا وجبة العشاء من قديد

¹ أبو بكر الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق عبد المجيد تربي، دار الغرب الإسلامي، ط.1، بيروت، لبنان، 1990، ص.300. (الهامش/الإحالة رقم 6)

² أحمد توفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، م.س، ص.433.

3 De Chenier, recherches historiques sur les Maures, op.cit, p. 225.

4 Salamon (G), notes sur salé, op.cit, p.323.

5 Lévi-Provençal , pratique agricole et fêtes saisonnières, op.cit, p.104.

الأضحية¹. كما يستهلكون في المناسبة كذلك أكواز الذرة²، والحلزون الذي يطلقون عليه «الغلالة» أو «الببوش»³.

لقد كان الناس يبتهجون في هذا اليوم، ويلبسون فيه الجديد⁴. ومن أشكال هذا الابتهاج إجراء الخيل والمبارة، وحرص النساء على الاغتسال بالماء ووشي البيوت، وكذا إخراج ثيابهن إلى الندى ليلا، وترك العمل في هذا اليوم⁵. وكان خلفاء الأندلس يستدعون الخطباء والشعراء لحضور خيل الحلبة في المهرجان، والذين ينظمون أشعارا تنشد في حضرته⁶.

وبالإضافة إلى هذه العادات التي تكاد تكون مشتركة بين بلدان المغرب عامتها، نجد أن الناس في هذه البلدان يقدمون على مجموعة من الأعمال الأخرى، كما يحجمون على أعمال معينة؛ فمن الأعمال التي يقدمون عليها الحرص على إفراغ خلايا النحل وافتتاح أكل العسل⁷، وحرص النساء العجائز على ثقب أذني الفتيات لوضع الأقراط⁸. بينما من الأعمال التي يجب الإحجام عنها، هي ترك الغرس في يوم العنصرة، لأنه يوم عسير⁹، ويعتقد الناس أن المرأة خلال ليلة العنصرة لا يمكن أن تحمل بطفل، ولا أن تضطجع مع زوجها، وإن حدث بالصدفة أن ولدت امرأة خلال

¹ أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، م.س، ص.433

² محمد بن أحمد اشماعو، المجتمع المغربي... كما عرفته خلال خمسين سنة 1350-1400، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1980، ص.144.

³ عباس الجراري، الحضور الديني في العادات والتقاليد المغربية، م.س، ص.48.

⁴ الزجالي، أمثال العوام بالأندلس، ق.1، م.س، ص.240.

⁵ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعي بإشراف محمد حجي، ج.11، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981، ص.151.

⁶ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج.6، تحقيق سعيد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط.1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1981، صص.294-295.

7 Lévi-Provençal, pratique agricole et fêtes saisonnières, op.cit, p.104.

8 Destaing (ed), fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni Snous, op.cit, p.371.

⁹ محمد بن الحاج الكبير، تاج الملوك المسمى بكرة الأنوار، نشر محمد علي المليجي وأخيه، مكتبة ملتزمية، مصر 1899، صص.89-90.

هاته الليلة، فإن كان المولود أنثى صارت عاقرا، وإن كان ذكرا صار ذميما وشريرا ووهنا¹.

ويسمى العُنْصُرة بتونس عيد الفلاحين، ويحتفل به يوم 24 يونيو حسب التقويم اليوليوسي الموافق ل 6 [أو 7] يوليوز من السنة الميلادية، وتقام فيه الطقوس نفسها تقريبا المرتبطة بالماء والنار. فيحرص التونسيون على القفز فوق النار، على أن يشمل الدخان المنازل والحقول والماشية، كما يرشون بعضهم بعضا، وينظمون ولائم خاصة بالمناسبة. ويعدونه عيدا لإعلان نهاية الحصاد والاحتفال بالموسم الزراعي وجني الثمار، وكذا مناسبة لتأبير الأشجار.

ويقبل التونسيون -على غرار باقي شعوب شمال إفريقيا- على مجموعة من الممارسات السحرية، من قبيل إشعال النار في مجموعة من الأشجار والأعشاب، ثم نقل جزء من هذه النار لتبخير البيوت والحقول والماشية قصد تطهيرها وطلبها للبركة، كما كانوا يمسكون بحشرتين أو ثلاث ويدسونها في حبة عنب خضراء، فيعلقونها في سقف المنزل اعتقادا منهم أن الحبة حين تجف تجعل الحشرات تنصرف عن هذا البيت. كما كانوا يحجمون عن زراعة الأشجار في هذا اليوم، ويحرصون في المقابل على وضع رأس حصان أو بغل أو حمار وسط بساتينهم طلبا للإثمار وزيادة الغلة، ثم يختمون اليوم في الحمام حيث يحرصون على الاغتسال في هذا اليوم².

1 Destaing (ed), fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni Snous, op.cit, p.370.

² محجوب السمراني، الأعياد الشعبية بتونس، م.س، صص.61-63.

4. العنصرة بالريف¹.

يطلق على المناسبة في الريف «ثُعْنَصَاثُ» أو «ثُعْنَصَاثُ»، أو «لُعْنَصَاثُ»² أو «ارعينصرت»³، أو «شَرَحَ مَجَّحُ»⁴، وهي عند الريفيين مناسبة فلاحية أيضا، وعيد للفلاحين يحتفلون فيه بما جادت به الأرض من خيرات. ويصادف يوم الرابع والعشرين يونيو من التقويم الفلاحي، الموافق لليوم السابع من الشهر السابع (يوليوز) من التقويم الغريغوري الميلادي.

تُستهل طقوس الاحتفال باكرا، وبالضبط مع خيوط الفجر الأولى، حيث تحرص ربة البيت على إيقاظ الجميع أبكر من الأيام العادية، وذلك حرصا على الاستيقاظ قبل حدوث ما يسمونه «أَمَّتِي نْ تُمورْت» أي موت الأرض⁵، بسبب الاعتقاد أنه إن وقعت هذه الظاهرة والشخص مازال نائما، فإنه سيصير كسولا خاملا خلال تلك السنة⁶. وبعد الاستيقاظ يشرع الجميع في طقوس الاحتفال بإيقاد النيران في كومة الأغصان غير اليابسة الموضوعة أمام عتبات المنازل، والتي تم جمعها خلال الأيام السابقة، ويحرصون على أن تكون هذه الأغصان غير يابسة، ومنزعة من أشجار بعينها، مثل: «فاضيس»/ الضرو، و«الشيخ»، و«أزير»/ الخزامى...، والتي تصدر عند احتراقها دخانا كثيفا ورائحة عطرة.

فمنذ الصباح الباكر يشرع الناس صغيرا وكبيرا بالقفز فوق كومة النار تباعا، فكل من يستطيع ذلك يقوم به، حتى أن الأمهات يحملن أولادهن الرضع غير القادرين

¹ جل المعطيات الواردة في هذا المبحث مستقاة من خلال المقابلات مع نسوة من الريف رفضن الإشارة إليهن.

² عبد العزيز طليح، ابقوين: نبش في الذاكرة، ط.1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2016، ص.99.

³ أحمد المفتوح، منطقة الحسيمة عبر التاريخ؛ مساهمتها في بناء الحضارة المغربية، ج.1، مطبعة الخليج العربي، ط.1، تطوان، المغرب، 2013، ص.294.

⁴ اسم خاص بأهل قبائل قلعية

⁵ يسود الاعتقاد لدى الفلاحين في الريف أن الأرض تموت كل سنة في يوم العنصرة مع شروق الشمس؛

⁶ يعتقد الريفيون أن الشخص الذي تشرق عليه الشمس وهو نائم خلال هذا اليوم، سيموت «قلبه» كما تموت الأرض في هذا اليوم، وهو تعبير يدل على الخمول والكسل واللامبالاة.

ويقفزن بهم، أما غير القادرين من العجزة والشيوخ والعجائز فيكتفون باستنشاق الدخان.

وبعد طقس النار، يذهب أفراد الأسرة إلى حقولهم القريبة قصد تأبير أشجارهم، ووضع التراب على جذوعها. ويعد هذا اليوم آخر يوم للتأبير بحيث لا تتم هذه العملية بعده، كما أن وضع التراب على جذوع الأشجار لا يتم إلا في هذه المناسبة. ولا يكتفي بعض الناس في الريف بوضع التراب فحسب، بل يعمدون إلى خلطه بالماء قبل وضعه على الجذوع، وآخرون يصبغونها بـ«الجير»، وذلك لمساعدة الأشجار على الاحتفاظ بثمارها.

ويحرص الجميع في هذا اليوم على الاغتسال، سواء الذي قفزوا حول النار، أو أولئك الذي اكتفوا بالتعرض للأدخنة. والغاية من هذا الاغتسال هو التخلص من الجبن، والذي يسميه الريفيون بـ«ثيگسْتُ نْ ثوذائْتُ»، أي التخلص من الخوف. وهي عملية تتم إما بالاغتسال بالمنزل، أو الغطس في البحر بالنسبة للمناطق الساحلية، كما في قبيلتي تمسمان و«ابقوين» الساحليتين. ومنهم من يأخذ دوابه إلى البحر بغرض تعويمها. ففي المداشر القريبة من البحر يُعوّم الأهالي دوابهم ومواشيمهم، وتذكر إحدى الراويات -ممن أجرينا معهن مقابلات- كيف كان إخوانها وأعمامها يركبون دوابهم ويتجهون إلى شاطئ البحر الذي يبعد عنهم بحوالي سبع أو ثمان كيلومترات، بينما أطفالهم وشبابهم يقطعون هذه المسافة ذهابا وإيابا مشيا على الأقدام.

ويخص الريفيون المناسبة بوجبة خاصة يسميها أهل «تمسمان» «عيزايايْن»، وأهل بقيوة «إْمَشِيْحَن»¹. وهذه الوجبة المميزة يتم تحضيرها بالحبوب، لاسيما: الفاصولياء والعدس والجلبان وال فول وسبع حبات من الشعير بعد تقشيرها والقمح والحمص، اللذين يُعدان الأكثر حضورا في إعداد الوجبة. وتجتمع الأسرة أو العائلة

¹ عبد العزيز طليح، ابقوين: نبش في الذاكرة، م.س، ص.102.

على هذه الوجبة بعد صلاة الظهر، ويبقون منها الكثير تحسبا للزوار، لأنه الطبق المفضل عند الضيوف في هذا اليوم.

وهذه الطقوس في مجملها طقوس وقائية تعمل على حماية الفلاح، والأرض وما تنتجه، والحيوانات وما تجود به. فالدخان في اعتقادهم -مثلا- يطرد الأرواح الشريرة، ويحمي الجسم من الأمراض، لاسيما أمراض العين، كما أن التأبير وطلاي الجذوع يساعد على الإثمار ويحافظ عليه، في حين أن الاغتسال يطهر البدن والروح، ويخلص الشخص من الجبن والخوف، ويجعله شجاعا؛ أما الاستيقاظ باكرا فيجعل الشخص نشيطا وقويا خلال السنة.

وإلى جانب هذه الطقوس التي تكاد تكون عامة ومشاركة بين مناطق الريف كله تحضر بعض العادات والطقوس التي تنفرد بها بعض مناطقه عن الأخرى، كما هو شأن قبيلة «إبقوين» التي يغتنم شبابها هذا اليوم لخطبة الزوجة المستقبلية، كما أن أهل هذه القبيلة يعمدون إلى إهداء كؤوس فارغة أو بيض لكل أسرة مات طفلها الأول، وهو صغير¹.

¹ أحمد المفتوح، الحسيمة عبر التاريخ، ج.1، م.س، ص.296

ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية

فتيحة سحيمي

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه
مختبر التراث الثقافي والتنمية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب.



د. سعيد أريديف

أستاذ محاضر
المدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب
ORCID ID : 0009-0005-0733-2942

ملخص:

لا شك أن المجتمعات البشرية كما الأفراد تماما، بحكم ارتقاها في النوع تنحو نحو التواصل والتفاهم والتعايش والسلم، لكن بحكم غريزتها فهي لا تخلو أيضا من النزوع إلى الصراع والرغبة في الهيمنة وفي الغير بغرض تثبيت الذات وضمان البقاء. فإذا كانت الحضارات القديمة قد عرفت صراع الإمبراطوريات الزراعية الكبرى في العصور البدائية، وتلتها فترة نزول الرسائل المساوية التي سادت العالم إلى حوارات الأديان في العصور الوسطى، فإن السعي وراء مراكمة الأموال في ظل الصراعات التجارية والاقتصادية سيعود من جديد في العصر الحديث وفي الأزمنة المعاصرة، مما سيمكن القوى الكبرى في العالم من اكتشافات جغرافية وقارية محممة كانت السبب في حلول حقبة جديدة من الثورات والحروب والأطباع الاستعمارية التي وسمت الدول الإمبريالية، ما إن تخلص منها العالم حتى آل إلى الحرب الباردة والصراعات الأيديولوجية التي أفرزت بدورها أخطر أنواع التنافس والاحتكاك، وأضحى بعدها الرهان الثقافي والعملة الثقافية حاضرين بقوة.

كلمات مفتاحية: الحوار / التعايش - الصراع / العنف - الثقافة / الحضارة.

الاستشهاد المرجعي بالبراسة:

أريديف، سعيد. سحيمي، فتيحة. (2024، أبريل). ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 90-117.

Abstract

There is no doubt that human societies, just as individuals, are moving towards communication, understanding, coexistence and peace, but by virtue of their instinct they are also a tendency to conflict, a desire to dominate and exile others for the purpose of self-determination and ensuring survival. If ancient civilizations had known the struggle of great agricultural empires in primitive times and followed by the descent of the heavenly messages that led the world to medieval religious dialogues, we find also the trade and economic conflicts will resume in modern times and in contemporary times for accumulation of funds which will be able the world's major Powers to make significant geographical and continental discoveries that were the cause of a new era of revolutions, wars and colonial ambitions that characterized imperialist States, No sooner did the world get rid of it than the cold war and ideological conflicts were started, which in turn gave rise to the most dangerous types of competition and friction, after which cultural betting and globalization became strongly present.

Keywords: Dialogue / coexistence – conflict / violence – culture / civilization.

مقدمة

إن الحديث عن الحوار أو الصراع الثقافي عبر التاريخ يقتضي منا تحليلاً شمولياً وإدراج الموضوع ضمن مختلف فروع العلوم الإنسانية والعلوم التقنية والحقة على السواء، وضمن مباحث متعددة للمعرفة والفكر الإنساني مستعينين بكل مناهج الأبحاث العلمية على اختلافها.

نطرح على سبيل المثال لا الحصر جحافل اللسانيين وعلماء الثقافة والاجتماع الذين أسهبوا في دراسات الثقافة والحضارة والحوار والصراع وغيرها من المفاهيم ذات الصلة، بحثاً عن دلالاتها المفاهيمية وتتبعاً لتطورها وانزلاقاتها - خاصة حين يتم نقلها من بيئة ثقافية إلى أخرى-، وكشفاً لمختلف البنى المشكلة لها ووظائفها الاجتماعية والثقافية.

كما نجد المؤرخين والمفكرين قد تأملوها وما يفتؤون يبحثون في خلفياتها وأبعادها وتداعياتها الأنطولوجية والإبستمية والعناصر المحركة لها عبر التاريخ للخلوص إلى دور الانسان في تاريخ حوار الثقافات أو صراعاتها؛ لنطل أخيراً على مختصي علوم السياسة والقانون الذين يتباينون في طروحاتهم بين منظرين قد أفردوا كتباً ومجلدات في المجال، لبسط الطريق أمام مختلف الاتفاقيات والسياسات العالمية سعياً لخلق نموذج تواصلٍ كوني يرتكز على منطق العقل والحق والعدالة بين الافراد والأمم والشعوب من جهة، وبين ممارسين للسياسة والقانون وماسكين بزمام السلطة الذين يجنحون إلى الصراعات والحروب بدعوى القوة والغلبة وبدافع الهيمنة.

إن أهمية البحث في مواضيع الثقافة والحضارة والحوار أو الصراع راجع إلى كونه محط اهتمام الإنسان ومتعلق بوجوده، بل يعد الإنسان نفسه عنصراً محورياً في كل عملياته. فاستمرار النوع البشري يقتضي تحقيق التعايش بين الأفراد على اختلاف فرادتهم وتميزاتهم، وبين الجماعات باختلاف خصوصياتها العرقية

والثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومهما تفاقمت الاختلافات فإن ضرورة العيش المشترك تقتضي بالضرورة الارتقاء في مدارج المدنية والبحث عن سبل التعايش الإنساني السلمي ونبذ العنف والصراع، وتلك هي الأطروحة التي نسعى إلى الدفاع عنها في مضم هذا البحث الذي سنجره وفق التصميم التالي:

مدخل

ا. إشكاليات البحث:

اا. مفاهيم مفاتيح في البحث:

1. مفهوم الثقافة

2. مفهوم الحضارة

ااا. ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية

1. ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي / الحضاري ومأزق

الايديولوجيا

2. ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/الحضاري ومأزق العولمة

خاتمة

مدخل

يقصد بحوار الحضارات أن يخف التوتر بين الشعوب في حوار على مستوى الثقافة بعيداً عن السياسة ومشاكلها والاقتصاد وهمومه. ولا بد في مجتمعاتنا التي تتزايد تنوعاً يوماً بعد يوم من ضمان التفاعل المنسجم والرغبة في العيش معا فيما بين أفراد ومجموعات ذوي هويات ثقافية متعددة ومتنوعة ودينامية.

ولا بد من الاعتراف بالتنوع الثقافي بصفته مكوناً أساسياً للحقوق الإنسانية، رغم كون مساره المديد يتسم بالنزاعات في ظل التعريفات المادية للثقافة والتفاعلات وظواهر الإثقال أو التثاقف التي طبعت حياة المجتمعات، ثقافة عابرة للدول ثم عولمة ثم تكور في ظل التطور الفائق للتقنية ووسائل الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والتواصل ولا بد من الوعي بمأزق التواصل والحوار المفضي الصراع وتعميق الاختلاف والحرص على إيجاد فرص التفاهم والائتلاف بدل الصراع والاختلاف وذلك لتيسير التعايش وتحقيق المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة العامة والخاصة.

1. إشكالات البحث ورهاناته:

إن موضوعاً دسماً من قبيل البحث في الحوار أو الصراع الثقافي والحضاري هو موضوع ذو شجون يفتح على كثير من الفروع العلمية والمعرفية، كما تتجاذبه مختلف المدارس والاتجاهات العلمية المتضاربة، وهو بهذا الامتداد يفترض حصر الموضوع وضبط مادته المفاهيمية، إذ لا بد من رصد مفاهيم الثقافة والحضارة والحوار والصراع وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة، ثم تتبع مختلف قضايا الحوار والصراع عبر التاريخ واستعراض أهم مظاهرها اعتماداً على نماذج وشواهد حية نوردها من خلال كتب ومؤلفات تعنى بموضوع البحث من جوانب لغوية وثقافية وحضارية وتاريخية وغيرها، منطلقين من الإشكالات الآتية:

ما مفهوم الثقافة؟ وما مفهوم الحضارة؟ وما الخلفيات الفكرية التي تحكم تعريف المفهومين في الثقافة الغربية وفي الثقافة العربية الإسلامية؟ هل تصمد تعريفات الباحثين الأكاديميين لمفهوم الثقافة والحضارة وما يتعلق بها من مفاهيم متناسلة (مثل التعدد الثقافي والتنوع والهوية الثقافية والتواصل والحوار الثقافي...) حين يتم تنزيلها إلى حيز الممارسة والتطبيق وحين يتم استعمالها من طرف الحكام والساسة؟ ألا يطالها بعض التحريف عن جادة الصواب حين تصطدم بمأزقي الإيديولوجية والعولمة التي بدأ صداها يتسع مع تطور تكنولوجيا التواصل وتقنيات الإعلام والاتصال، وتؤثر بالتالي على علاقة الذات بالغير أو الآخر المختلف ثقافياً؟

ما طبيعة العلاقة بين الذات والغير/ الآخر؟ هل يطبعها القبول والاعتراف بالغير/ الآخر المختلف ثقافياً المؤدي إلى الائتلاف، أم يطبعها النفي وعدم الاعتراف والنفور المفضي إلى تعميق الاختلاف والخلاف؟ وما الأصل في العلاقات الاجتماعية البشرية؟ هل هو الصراع والعنف والاضطراب، أم التعايش والسلم والاستقرار الحضاري؟

وما الأسباب الكبرى التي كانت وراء نشوب الصراعات والحروب الضارية بين مختلف الحضارات والثقافات والشعوب الإنسانية وبخاصة منذ الثورة الصناعية إلى اليوم؟ وهل هناك من فرص الحوار والتواصل الثقافي/ الحضاري لتحقيق التعايش والسلم ليعم الإنسانية جمعاء؟

II. مفاهيم مفاتيح في البحث

1. مفهوم الثقافة:

يصعب وضع تعريف مفهومي اصطلاحى للثقافة ذلك أن "دلالاتها تقوم على التوظيفات في شتى المجالات والأنظمة" (أرمان ماتلار، 2008م، ص13)، كما يجب التمعن في لفظة الثقافة ومتى تم استحداثها وما المعاني التي وضعت لها، إذ المؤكد أن

المفهوم كان مجهولاً في الماضي لدى الإكليريوس الذي شن في العصر الوسيط البعيد حرب إبادة على منتوجات الأزمنة القديمة (Walter BENJAMIN, 1971, p485)، ومنذ أن تم استحداثه ما برحت انزلاقات المعاني تزداد وتتشدّد، حين ينتقل المفهوم من بيئة ثقافية إلى أخرى.

ظهر مفهوم الثقافة عند الغرب نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وعرف بكونه الأعدق في اللغة اللاتينية نظراً لتطوره عبر التاريخ وانتقاله بين لغات أوربية متعددة (عبد الرزاق الدواي، 2013م، ص 06)، بل بات ينزاح ويستعمل لمفاهيم هامة في مجالات ثقافية متعددة وفي نظم فكرية مختلفة بل ومنتضاربة أحياناً (ريموند وليامز، 2007م، ص 94). وإذا كان قد بدأ تداوله على أوسع نطاق في البيئة الثقافية الغربية فإن مقتضى الموضوعية يفرض البدء بتعريفه لغة واصطلاحاً عند الغرب أولاً، ثم في الثقافة العربية الإسلامية بعد ذلك.

يشق مفهوم (الثقافة) Culture في اللغة الفرنسية القديمة من جذرين لاتينيين أساسيين (ريموند وليامز، 2007م، ص. 95) يتمثلان في لفظي: *Cultura* و *Colere*، فالأولى تعني حراثة الأرض وزراعتها والعناية بها، كما تشتق من لفظة *Colère* دلالات ثلاثة (عبد الرزاق الدواي، 2013م، ص 07) وهي: *culte* التي تدل على العبادة والتقدّيس، و *colonus* التي تفيد إعمار الأرض والاستيطان، و *Cultura* التي تعني حراثة الأرض وزراعتها. وكيفما كانت الجذور الأصلية فالقواميس اللغوية الغربية تكاد تتفق حول معاني التهذيب والعناية والتقدير الفائق لدرجة العبادة.

عبر المفهوم في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي إلى اللغة الإنجليزية وكان معناه الأساسي يتمثل في رعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي (ريموند وليامز، 2007م، ص 96). ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر انتقل المفهوم إلى اللغة الألمانية* (Emile Tonnelat, 1930, pp 64-65) مقترضاً من اللغة الفرنسية وبمعنى واسع، حيث امتد مفهوم العناية بالنمو الطبيعي للحيوان والنبات

ليشمل العناية بالتطور الذهني البشري دون أن يُعلم من هم رائدوه الأوائل في هذه اللغة، ولكن المؤكد أن المفكرين الفرنسيين فولتير وفوفنارك قد استخدماه بهذا المعنى في القرن الثامن عشر نفسه.

أما على مستوى الاصطلاح فقد استخدم العالم الإنجليزي فريدريك تايلور في كتابه الثقافة البدائية سنة 1871م -وهو نفس ما أكده كذلك في كتابه الأنثروبولوجيا الصادر سنة 1881م- وقد جاء فيه: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الكلي الذي يشمل المعرفة والمعتقد والفن والأدب والأخلاق والقانون والعرف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" (معنى زيادة، 1987، ص34). وقد ظل هذا التعريف سائداً باعتباره جامعاً مانعاً لفترة طويلة من الزمن.

أما الثقافة في اللغة العربية فيعرفها أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، والنشر، 1979، ص ص 382/383) على أنها مشتقة من الجذر الثلاثي (ث_ ق_ ف) ومنها تؤخذ باقي الفروع، ويقال ثقفت القنأة إذا أقمت عوجها، وثقفت هذا الكلام من فلان أي أخذته، ورجل ثقف لقف وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء، ويقال ثقفت به إذا ظفرت به، كما يعرفه المعجم الوسيط بنفس المعنى اللغوي (ابراهيم أنيس وآخرون، 2004، ص 98)، إذ يركز على معنى الفطنة والحذاقة في فعل ثقف، وعلى إدراك الشيء والظفر به وهو المعنى الوارد في الآية: "واقتلوهم حيث ثقفتموهم" (مصحف القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 191) وثقّف الشيء بتضعيف عين الفعل إذا قوم اعوجاجه وسواه، وإذا وقع الفعل على الإنسان أفاد معنى التعليم والتهذيب والتأديب.

والثقافة في اصطلاح العرب وردت في كتابات ابن خلدون باعتبارها لفظة لغوية شائعة ذات اشتقاقات مختلفة وغير مستقرة على المفهوم السائد حالياً، كما أن مضامين تعريفاتها لدى بعض المحدثين العرب لم تسلم من التأثر بالسياق الفكري

الغربي الذي أنتجها ، وهي لا تخلو من استعارات واقتباسات أخذت من المنظور الغربي لمفهوم الثقافة (معن زيادة، 1987، ص08) ، لأن جميع المعاني الممكن استخلاصها من المصدر العربي الاشتقاقي لكلمة ثقافة لا تمت بأي صلة مباشرة إلى موضوعات مثل العبادة والاستيطان والحرب والزراعة كما رأيناها في القاموس الغربي؛ يشهد على ذلك المفكر التنويري العربي سلامة موسى الذي يقر أنه هو من أفشأها إلى الأدب العربي الحديث وقد انتحلها من ابن خلدون إذ وجده يستعملها في معنى شبيه بكلمة culture السائدة في الأدب الأوروبي، ويضيف أن شيوع اللفظة الآن على أقلام الكتاب العرب يدل على أننا كنا في حاجة شديدة إليها وأنها سدت معنى كان كامنا في نفوسنا (سلامة موسى، 1927، ص171). ثم هو يميز بين الثقافة والحضارة ف فيعتبر الحضارة مادية والثقافة ذهنية، ويمكن للإنسان أن يكون متحضرا دون أن يكون مثقفا والعكس صحيح أيضا، حيث إن الثقافة هي المعارف والعلوم والآداب والفنون يتعلمها الناس ويتثقفون بها وقد تحتويها الكتب ولكنها مع ذلك خاصة بالذهن، أما الحضارة فمادية محسوسة في آلة تخترع وبناء يقام ونظام حكومة محسوس يمارس ودين له شعائر ومناسك وعادات ومؤسسات (سلامة موسى، 1927، ص172). وسنأتي إلى تعريف الحضارة فيما بعد بتفصيل.

هكذا أخذت تعريفات الثقافة تتطور –وبخاصة لدى الغرب- متماشية مع تطور الحركة العلمية والفهم المتجدد للثقافة ودورها، ولم يقف الطرح الغربي لمفهوم الثقافة عند حدود المعنى اللغوي أو الاصطلاحي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى العديد من التصورات الفكرية الفلسفية والنظريات المرتبطة بها، تلك المستقاة من مجال الفلسفة والفكر التي تناقش مفارقات موضوع الثقافة في براديجمات متقابلة: بين الجانب الستاتيكي الوصفي لها والجانب الديناميكي الذي يجعلها حية متحركة، بين أساسها الطبيعي وامتداداتها الثقافية؛ وفي علاقتها بالإنسان بين الفطرة والاكْتساب، وكذا بين السلوك والتجريد وبين المادي والعقلي وبين الواقعي الملموس والميتافيزيقي المجرد. إنها في الحد والجوهر ظاهرة إنسانية صرفة تتجلى في قدرته على

الترميز (معن زيادة، 1987، ص37) أي التعبير عن أفكار ومعان وعلاقات في النفس الإنسانية عبر الرمز والفكر. هكذا أصبحت تحظى أيضا باهتمام مختلف دراسي العلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع والثقافة وغيرها.

بعد تطور العلوم الاجتماعية والثقافية كان من الطبيعي أن يتطور المعنى الاصطلاحي ليتجاوز بعض جوانب النقص في تعريف تايلور للثقافة المتمثلة في طابعه الستاتيكي الوصفي وعموميته وإهماله لديناميكية الفعل الثقافي ولحامل الثقافة (الإنسان) وللمحيط والبيئة الخاصة بمجال الثقافة، ونتيجة ذلك يطالعنا رائد الأنثروبولوجيا الوظيفية البولندي والبريطاني برونسيلاف مالينوفسكي ليؤكد أن الثقافة هي المواجهة المتكررة مع تلك القضايا الجذرية والأساسية التي تتم الإجابة عنها عبر مجموعة من الرموز، فتشكل بذلك مركبا كليا متكامل المعنى متماسك الوجود قابلا للحياة (معن زيادة، 1987، ص35). وفي صميم هذه المجتمعات المتحضرة ظهرت الأنثروبولوجيا الثقافية التي كانت تعتبر المختلف ثقافيا عند الغرب في الفرنسية القديمة والوسيلة مرادفا لمفردات: متوحش وسيء وفظ (أرمان ماتلار، 2008، ص19)، كما عملت الأنثروبولوجيا الجرمية على تكوين تصور ينبذ حاملي الثقافات الدونية باعتبارهم مجرمين ماردين ومنحرفين وخارجين على القانون (أرمان ماتلار، 2008، ص20).

وفي هذا العصر أيضا (منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الذي يصادف ظهور العلوم الإنسانية) سادت النظرية الانتشارية التي تفيد أن الثيار من ثقافة إلى أخرى يمر من الثقافة الأكثر نموا إلى الثقافة الأكثر بدائية ولا يمكنه أن يرجع في الاتجاه المعاكس، وخلفت إيماننا بالإسهام أحادي الجانب من طرف الرحم الغربية الحديثة أو العرق الأبيض في ترقية الثقافات البدوية المصنفة من منظورهم ضمن أسفل سلم الحضارات، الشيء الذي ولد شعورا لديهم بالعجز الإبداعي للثقافات المتخلفة، وهو المبدأ الذي سارت عليه الرحلات الاستكشافية في عهد الامبراطوريات الكبرى الممهدة لحملات الغزو والاستعمار الامبريالي. وفي نفس الحقبة

طغى التفسير النشوئي لموضوع الثقافات التي لها أطوار لا بد من عبورها عبر التاريخ، هي مجمل النظريات التي شحذت العقلية الاستعمارية الغربية وأخذت تُسبل لعاب ممارسي الشأن العام الإقليمي والدولي وتستأثر باهتمام المؤرخين وعلماء السياسة والاقتصاد.

وفي علاقة الثقافة بالسياسة والاقتصاد أصبح المفهوم يتيه في ملامح هاربة وبات يطرح إشكالات عويصة أعقبت فترات الحروب الدموية التي شهدها القرن العشرين وبعدها الحرب الباردة وشبح العولمة الذي بدأ بمجال الاقتصاد والمال ليمتد إلى كل المجالات بما فيها الثقافة نفسها، وفي ظل المنظور الجيوسياسي لإشكالية الثقافة الذي رافق تطور التكنولوجيا وتقنيات الإعلام والاتصال والتواصل التي نقل البشرية قسرا إلى عوالم الميتافيرس، وفي إبان نظام عالمي جديد أعاد تصور استراتيجيات القوة وأصبح يعتمد صناعة الثقافة وآليات المثاقفة والتثاقف وسيلة لتسيده على الساحة الدولية، كُتِب على الثقافة أن تطرح إشكالات جديدة، تناقش الثقافة بين جمهورية التجارة العالمية المركوتنية وبين القيم الشمولية التي نادى بها فلسفة الأنوار، بين الاستعمارات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية وبين نضالات الحفاظ على الهوية الثقافية، بين المجال الوطني المغلق وبين الشركات العابرة للحدود والقارات، بين فلسفة الخدمة العامة وبرغماتية اقتصاد السوق والتنافس الحر، بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية، بين الثقافة الراقية والثقافة البربرية الدونية. نتج عن هذه المفارقات تصورين اثنين يؤطران مفهوم الثقافة: تصور ينظر إلى الثقافة بوصفها رصيذا قيما وروحيا ومعرفيا وسلوكيا، وتصور آخر ينظر إليها باعتبارها سلعة ووسيلة للترف المادي، وهو ما يؤشر على وجود قوى لا متوازنة تتجاذب المفهوم.

بلغ نقاش الثقافة ذروته في أواخر القرن العشرين وفي مستهل الألفية الثالثة مع بداية القرن الواحد والعشرين، خاصة بعد استحداث مفاهيم مرتبطة بها، مثل تنوع الثقافات وتعددتها وحوار الحضارات/الثقافات أو صراعاتها، والعولمة ونهاية

التاريخ وغيرها من المفاهيم الموجهة التي تبدو في ظاهرها فكرية صرفة ولكن في باطنها لا تخلو من السياسة.

2. مفهوم الحضارة:

تشتق لفظة civilization الإنجليزية من اللاتينية الوسيطة من القرن 16 الميلادي *civilizare* التي تعني جعل الأمور الجنائية مدنية، ومنها الفعل *civilize* بمعنى "يحضر"، واستطرادا من ذلك تم إدراجها في شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، كما يشتق منها لفظتي *civis* و *citizens* بمعنى مواطن. وبحلول القرن السابع عشر والثامن عشر اكتسب المفهوم معنى "منظم وحسن التربية (ريموند وليامز، 2007 م، ص 65) إذ أصبح هو الوصف الأنسب لمجتمع منظم *civility* و *civitas* ويقابله المجتمع البربري والهمجي المتوحش.

أما الحضارة في الاصطلاح فيعرفها العالم الألماني غوستاف كالم (العصر الحديث) تعريفا علميا على أنها: "العادات والمعلومات والمهارات وتشمل الحياة العامة والخاصة في السلم والحرب والدين والعلم والفن، وتتمثل في نقل تجارب الماضي إلى الجيل الجديد." (كلايد كلوهون مغيون، 1964 م، ص 71). وهناك من جعل الحضارة مرادفة للثقافة من أمثال تايلور الذي يورد اللفظين جنبا إلى جنب، ويؤكد ذلك مؤرخ الحضارات الفرنسي فرناند برديول إذ يعتبر اللفظين يعبران عن مركب واحد من الظواهر الاجتماعية، وجه أول مادي ملموس يتعين في المستوى الذي بلغه التقدم العمراني والتكنولوجي عند أمة من الأمم، أو في مجتمع معين أو حقبة محددة، وكذلك في العلاقات الاجتماعية والعادات والمعتقدات وفي المؤسسات وأنظمة الحكم؛ ووجه ثان يتجلى في أنواع الإنتاج الأدبي والفني والفكري والعلمي، ومعالم الرقي الأخلاقي والروحي (عبد الرزاق الدواي، 2013 م، ص 56). وباختصار واضح يمكن القول إن للحضارة جوهرًا ومظهرًا، أما المظهر فهو الإنجازات المادية من قوة عسكرية واقتصادية ونظم سياسية وأشكال العمران وغيره، في حين أن الجوهر هو المعتقدات والقيم وأنماط السلوك الشائعة.

أصبح مفهوم الحضارة شائعاً في منذ أواخر القرن الثامن عشر وبشكل ملحوظ في القرن التاسع عشر، كتب عنها إدموند بيرك E. Burke في البداية تعريفاً يقرنها بالسلوك الإيجابي، أورده في كتابه *Reflections of the french revolution*: "سلوكنا manners، حضارتنا وكل الأمور الصالحة التي تتعلق بالسلوك والحضارة" (ريموند وليامز، 2007 م، ص 66)، ثم كتب عنها ميل في ثلاثينات القرن التاسع عشر في تعريف موسع يشمل "كل أسباب الراحة الجسدية، وتقدم وانتشار المعرفة، وتلاشي الخرافات، ووسائل الاتصال بين الأفراد وتهذيب السلوك وانحسار الحروب والنزاعات الشخصية، والحد بشكل متزايد من هيمنة القوي على الضعيف، والأعمال العظيمة التي أنجزت حول العالم عن طريق تعاون الجماهير..." (ريموند وليامز، 2007 م، ص 67).

أما الحضارة في اللغة العربية فهي مأخوذة من الحضر أي الإقامة والاستقرار والسكن (ابراهيم أنيس وآخرون، 2004، ص 98)، وفي اصطلاحها لا تخرج عن التعريفات الأكاديمية الغربية التي وضعت للمفهوم، فهي تحيل إلى نمط الحياة المدنية، ومقابلة للفظ البداوة (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور 1968 م، ص 196-197) المرتبط بالتنقل وبنمط حياة الرحل، وبذلك تكون الحضارة مقترنة بأنشطة الزراعة والتجارة والحرف التي تتطلب الاستقرار، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وتدل على كل مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر أو المدينة.

أما المفكر التنويري مالك بن نبي فقد عرفها من جوانب مختلفة تاريخية وثقافية ونفسية واجتماعية ووظيفية، ولم يحصرها في التعريف الذي وضع لها من طرف الغربيين لتكون فارقة ومميزة بين عالمين أحدهما غربي متقدم والآخر بدوي ومتخلف، فهي في أبسط معانها "ليست كومة من الأشياء المختلفة والمتنوعة، وإنما هي كل منسجم من الأشياء والأفكار ومن العلاقات والمنافع والمسميات، وهي بناء

وهندسة وتجسيد لفكرة أو مثل أعلى، ولذلك فلكل حضارة في التاريخ سماتها المميزة" (فوزية بريون، 2010م، ص205)

أمام هذه التوصيفات المتباينة يبقى الإشكال الذي يطرح نفسه بإلحاح متمثلاً في إمكانية صمود تعريفات المفكرين والباحثين الأكاديميين لمفهوم الحضارة حين يتم تنزيلها إلى حقل الممارسة وحين يتم استعمالها من طرف السياسة، بل حين تختلط بمفاهيم الأيدولوجيا والعولمة ويتسع صدها مع تطور تكنولوجيا التواصل وتقنيات الاعلام والاتصال، فنجد قادة العالم يتحدثون اليوم عن مفاهيم حوار الثقافات/ الحضارات وصراعاتها بشكل ملتبس بل متناقض أيضاً، ويبقى الرهان أمامهم معقوداً على اللغة وذكائها وعلى المواردية في تصريف الخطابات لإظهار الالتزام بالحكمة والعقل والتبصر في طرقها أمام الرأي العام العالمي من جهة، وللحفاظ على المصالح الخاصة من جهة أخرى، ولو كلفهم ذلك الانقلاب على مبادئ العقل والقيم والأخلاق النبيلة وإغراق العالم في دوامات الصراعات والحروب والمشاهد الدموية.

III. ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى أطروحة الصراع والهيمنة الثقافية.

إن حاجة المجتمعات إلى ثقافة الحوار خلقت مفهوماً جديداً يستجى حوار الثقافات، وهو مفهوم يشير إلى ضرورة تعزيز الحوار بين ثقافات الشعوب المختلفة وبناء تبادل ثقافي بينها، أي مشاركة الأفكار والآراء الثقافية المتنوعة بين فئات مجتمعية شعبية أو عرقية لفهم الاختلافات بين الثقافات والعمل على تقريب وجهات النظر حول موضوعات شائكة كاللغة والأخلاق والتاريخ والدين والهوية الثقافية وغيرها. ومن شروط ومرتكزات الحوار المشترك هناك الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة واحترام الخصوصيات الثقافية، وذلك لبناء جسور الثقة والتواصل، ومنع نشوب حروب ونزاعات إقليمية أو محلية أو عرقية. وفي ظل شبح العولمة الذي أصبح يخيم على المشهد العالمي، وفي ظل التطور السريع للتقنية، يحق لنا أن نتساءل عن سيروية وصيروية حوار الثقافات/ الحضارات بين مختلف

الكيانات المجتمعية والقوى الدولية الكبرى، وكيف يتم استغلال ذكاء اللغة والخطاب لإظهار مبادئ الحوار والتسامح والتعايش والسلام وإخفاء نوايا التهديد والصراع والحروب؟

سنناقش ذلك من خلال عنصرين رئيسين، أولهما يتمثل في تسليط الضوء على ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات/الحضارات إلى أطروحة الصراع والهيمنة والعنف في ظل التطور السريع لتقنيات التواصل وتكنولوجيا الاعلام والاتصال وحلول شبغ العولمة الذي يطال كل ميادين ومجالات الحياة الإنسانية، أما العنصر الثاني فيتجلى في وضع النقاط على لعبة اللغة وخداعها من خلال آليات إيديولوجية تمتلكها مؤسسات السلطة التي تعمل على قلب الحقائق وتشويه الواقع للانتقال أحيانا من بث مفاهيم الحوار والتسليم بالتنوع والتعدد الثقافي إلى أطروحة الاستبداد التي تفضي إلى الصراع والهيمنة والعنف. نناقش المحورين مركزين على فترة ارتفاع وثيرة الصراعات والحروب التي شهدها العالم بقيادة القوى السياسية الكبرى مع تعثر فرص التواصل والسلم خاصة منذ الثورة الصناعية إلى اليوم.

1- ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/ الحضاري ومأزق العولمة

جسد إعلان مذهب الأخلاقية الحديثة وفلسفة المساواة التي ظهرت بعد الثورة الفرنسية 1789م سعيا واضحا إلى اعتبار المواطنين متساوين في كل شيء وتسميتهم بالمواطنين القوميين والعالميين (أرمان ماتلار، 2008، ص30). وظهر بعدها في الساحة الفكرية مفهوم الكوسموبولتي (Nataly Villena Vega, 2009 ; p01) **cosmopolitisme*** مع مفكرين أمثال ناتالي فلينا وفركاس لوزا بهدف تحقيق السلم والتعايش والإيجابية في العلاقة مع الغير وهو ما يفضي إلى نفي الهويات والخصوصيات الثقافية وتحقيق المواطن الكوني، وعلى نفس النهج سارت منظمات

* « Le cosmopolitisme de Vargas Llosa apparaît dans l'intérêt et la sympathie pour l'autre, la négation des identités nationales et finalement la conscience d'une appartenance à la communauté mondiale. »

الطبقة العمالية العالمية والحركة من أجل السلم أو حركات إلغاء العبودية في العالم وغيره (أرمان ماتلار، 2008، ص35).

في نفس الحقبة (القرن 19 م) ظهرت فكرة الأدب العالمي مع ماركس وإنجلس في بيان الحزب الشيوعي 1848م، فما يصح على الإنتاج المادي يصح أيضا على الإنتاج الأدبي والفكري؛ حيث "وصل الأشخاص والمنتوجات والأفكار الى درجة خارقة من الحضارة العالمية.... فالإنسان يعيش الشمولية ويبحث عنها كخير ... هكذا تكونت تدريجيا من كل الأفكار القومية والأثنية فكرة عالمية بفضل الرحلات والمنشورات والمؤتمرات والمعارض" (أرمان ماتلار، 2008، ص34).

وكان الرهان أيضا في مجتمع القرن التاسع عشر الصناعي على الشبكات التقنية وعلى الشبكات الاجتماعية لتنسج مكانا متضامنا يحتوي الجميع في ظل المساواة، لذلك لا بأس من التطرق لبداياتها الأولى إلى أن بلغت ذروتها؛ لكن هل استطاعت توحيد الإنسانية فعلا وإسعادها، أم أنها انقلبت على الإنسان سلبا؟

في العام 1880م عرض ألكسندر جراهام بيل لأول مرة جهازا أطلق عليه اسم الهاتف الضوئي photophone، وهو اختراع صاحب ظهور الهاتف الثابت téléphone، لكنه أتاح أول انتقال "لاسلكي" للصوت البشري. وكان يعمل من خلال تحريك شعاع ضوئي. بالطبع هذا "الخيوط من أشعة الشمس" هو بالتحديد ما نراه اليوم ممدودا حول العالم، إذ كان اختراع بيل هو أول أداة تستفيد من الضوء باعتباره حاملا لمعلومات معقدة؛ ذلك أن نقل شعاع الشمس عبر مسافات غير معقولة لم يكن يتطلب إلا عزل هذا الشعاع؛ واليوم تنظم أشعة بيل البيانات التي تعبر أسفل موجات المحيط، في شكل كابلات ألياف بصرية ناقلة للضوء، تنظم بدورها ذكاء العالم الجمعي وتتيح الاتصال بين بني تحتية ضخمة للحوسبة تديرنا وتحكمنا جميعا (جيمس برايدر، 2022، ص ص 27- 28). وفي العام 1884م ألقى الناقد الفني والمفكر الاجتماعي جون رسكن John Ruskin سلسلة من المحاضرات

في معهد لندن بعنوان "سُحب القرن التاسع عشر المكفهرة" « The Storm Cold of the Nineteenth Century » وقدم خلال ليلتي الرابع عشر والثامن عشر من شهر فبراير نظرة عامة حول الطريقة التي صور بها الفنان الكلاسيكي والأوروبي مشاهد السماء والسحب، وطرح في تلك المحاضرات رأيه الذي يقول: (إن السماء كانت تضم نوعا جديدا من السحب أطلق عليه اسم السحاب المكفهر « Storm-cloud » وأحيانا اسم السحاب الوخيم Plague-cloud». (جيمس برايدر، 2022م، ص ص 25-26)

لقد أصبح كل شيء متعلق بالشبكة، وأصبحنا لا نستطيع أن نفكر إلا في إطارها ولم يعد أماننا خيار سوى التفكير عبرها أو فيها؛ هكذا أكملت الشبكة الكثيفة من الأسلاك والكابلات المدفونة تحت البحار محاصرة العالم، ليس بالتواصل والشبكات الجامعة فحسب، بل حتى الاقتصاد والأموال والتأمينات والصحافة والأدب والعلوم والفن ومختلف مجالات الثقافة. يتحدث أوتلي ولافونتين عن فكرة دائرية الكوني والمحلي ليؤكدنا أننا "نستشعر كلنا ونتأثر ولو أننا في أمكنة متباعدة وفي بلدان مترامية بالأحداث التي تجري خارج حدودنا".*

هذه المنظومة العالمية للكابلات تحت البحرية التي تقف وراء الاحتكار شبه الكامل لرأس الشبكة أصبحت اليوم مملوكة من طرف القوى العالمية المتمثلة في الشركات العابرة للقارات ذات الشبق المهيمن

libido-dominandi (أرمان ماتلار، 2008، ص 39)، فماذا عساها تفعل بمصير

البشرية وهي تمسك بزمام كل القطاعات الحيوية التي تهتم الإنسان، وتتوغل في كل مجالات الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات؟

لقد أضحي الابتكار التقني سلاحا حاسما للغزو الثقافي، وقد استوعب العالم الغربي فكرة السوسولوجي ميشال كروزيه (سنة 1951) الذي اعتبر التواصل مفهوما أساسيا للهندسة الاجتماعية؛ ومع تطور تقنيات التواصل والإعلام وأشكاله

* «Tous nous sommes influencés dorénavant par la large vie qui enveloppe le globe terrestre tout entier»

ووسائله التكنولوجية وتعدد أساليبه ووسائطه المادية والافتراضية، تمازجت المقاربة الثقافية مع المقاربة الإعلامية وأدت إلى قفزة نوعية في المجتمعات الغربية على مستوى صناعة الرأي العام والهندسة الجديدة للإجماع خاصة مع والتر ليبمان وهارولد لاسويل 1922م من رواد سوسيولوجيا الاعلام وصناعة الرأي العام (أرمان ماتلار، 2008، ص39). وبحلول سنة 1944 وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية أقر الكونغرس الأمريكي مبدأ التدفق الحر للمعلومة والدوران الحر للأفكار بالكلمة وبالصورة حتى أصبحت عقيدة رسمية لهذه الدول الامبريالية.

إنها الإمبريالية الثقافية التي يعرفها المفكر هيربرت شيلر Herbert SHILLER (رائد الاقتصاد السياسي للتواصل والثقافة) بكونها مجمل المسارات التي بموجها يدخل المجتمع في صميم نظام عالمي حديث تنجر طبقته القيادية بالإغواء أو الضغط وبالقوة أو الفساد إلى تنميط المؤسسات الاجتماعية لكي تتوافق مع بنى وقيم مركز النظام السائد (أرمان ماتلار، 2008، ص56). وهي إذ تنطلق من المركزية الغربية فهي تعتمد فكرة أساسية كما يقول المفكر Vittorio LANTERNARI مفادها أن "الشعوب الأخرى إما أن تضع نفسها على صفحة الحضارة الغربية وإما أن تكون غير جديرة بالاعتبار ككيانات قابلة للاحترام" (أرمان ماتلار، 2008، ص16)، مما يعني أعمال طريقة المحو الثقافي للخصوصيات الثقافية والهويات المميزة أو عولمتها (Bourdieu et Wacquante, 2000, p06)، هكذا آلت الصيرورة الثقافية لدى الغرب إلى فح السلعة وإلى قياسها بقيمتها السوقية (أرمان ماتلار، 2008، ص76)، صناعة ثقافية موجهة الأهداف وثقافة صناعية تحمل سلسلة أغراض، منها علامة التصنيع والتسلسل والتنميط والقبولية وتقسيم العمل وفكرة التيلورية، وإلى هذا الحد تأكدت فكرة تمييع الثقافة (أرمان ماتلار، 2008، ص81). بعبارة أخرى فالإمبريالية الثقافية تسعى إلى تشبيك علاقات غير متكافئة تذي رؤية مادية ونظامية للثقافة وترسخ تمثلات لنظام العالم بوصفها الرؤية الوحيدة الممكنة العقلانية والمعقولة، وتروج لنموذج وحيد للحدثة في كل المجالات التقنية واللغوية والاقتصادية والسياسية

والحقوقية والتربوية والدينية وغيرها في إطار العلاقات النيوكولونيالية مع الشعوب الأخرى كما جاء على لسان المفكر العربي التنويري إدوارد سعيد.

إذا كان هذا حال الحتمية التقنية التي أدت إلى عولمة ثقافية بلبوس إمبريالي كولونيالي، فكيف يمكننا فهم الشعارات والمبادئ المثالية التي تسعى الآلة الإعلامية الغربية إلى نشرها وغرسها في وجدان الرأي العام العالمي، وتدعي الدول الكبرى والتكتلات الإقليمية إظهارها في الواجهة والدفاع عنها وحمايتها من قبيل تشجيع حوار الثقافات والدفاع عن الهويات الثقافية وحقوق الإنسان والتعاون الدولي والتنمية المستدامة والتضامن بين شعوب العالم، تدعي ذلك من خلال تأسيس منظومة مؤسسات دولية كتلك المنبثقة عن الأمم المتحدة سنة 1945م بأجهزتها المتمثلة في الجمعية العامة ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الوصاية ومحكمة العدل الدولية والأمانة العامة للأمم المتحدة، وتلك المنبثقة عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) والتي تتمثل رسالتها الأساسية في إرساء السلام واستثبات الأمن في العالم من خلال التعاون الدولي في مجال التربية والعلوم والثقافة وإحلال الاحترام العالمي للعدالة ولسيادة القانون، ناهيك عن مختلف الهيئات المنبثقة عن المنظمة ذاتها في مجال الحريات الأساسية وحقوق الإنسان المنشأة بموجب موثيق ومعاهدات؛ إنها مؤسسات دولية بقدر ما تبدي مبادئ فضلى لتحقيق الحوار والسلم والتعايش والاستقرار فهي تمنح الغطاء والشرعية لمختلف الصراعات والحروب الدموية التي مايزال العالم يرزخ تحت عنفها وبطشها، وبقدر ما تتسلح بتكنولوجيا التواصل وتقنيات الإعلام والاتصال لإراحة الإنسان، فقد جعلته أيضا يعاني من أساور مضاعفة، فهو من جهة أولى أسير التقنية وعوالم الميتافيرس التي تطوق وجوده وتقلص من حريته بل وتتحكم في أذواقه ورغباته، ومن جهة ثانية هو أسير شبح العولمة بجميع تلاوينها ولعل أخطرها عولمة الإعلام والثقافة التي تحدد وعيه وتوجهه وتصنع ثقافته وتوحد أشكال القول والقراءة بين جميع بني البشر، وبالتالي تتحكم في مواقفهم من مختلف الأحداث

البارزة والمسيطرة على العالم، كل ذلك باستعمال خدع اللغة وحيلها واللعب بالمصطلحات والألفاظ، فتقنع الرأي العام العالمي على أن الحرب على العراق وأفغانستان ليست حرباً على الإسلام، بل هي حرب على الإرهاب والتطرف؛ وتبدع بالقوة والسلطة معاني قاذحة لمفاهيم (فريديريك نتشه، ص130)* الأصولية والرجعية والظلامية التي تؤدي إلى صناعة الإسلاموفوبيا؛ كما تقنع العالم أيضاً أن المجازر التي ترتكب في حق الشعب الفلسطيني الأعزل ليست بجرائم حرب بل هي مجرد دفاع الكيان اليهودي على أمنه القومي، كما أن اغتصاب الأراضي الفلسطينية التاريخية ليس استعماراً بل هو تنزيل لوعده بلفور وتحقيق للدولة القومية اليهودية وهكذا دواليك في كل الأحداث العالمية المشابهة.

إن استخدام ذكاء اللغة والخطاب في تزييف وقلب الحقائق حول مختلف الأحداث في العالم ترمي أول ما ترمي إليه خدمة مصالح القوى العاتية في العالم لتستمر في توسيع نفوذها وبسط سيطرتها على العالم وتضاعف من نهب خيرات البلدان النامية وتغنم ثرواتها وأموالها طوعاً وكرهاً، حتى تضمن لنفسها اليقاع في موقع الريادة وبسط السيادة على كل أطراف المعمور، إنها تعرية وكشف لخلفيات الفكر الفلسفي السياسي الغربي، تلك التي تنطلق منها وبها تؤطر طبيعة علاقة الذات الغربية مع الآخر (جون بول سارتر، 1996، ص394)* المختلف ثقافياً، وتوضح بجلاء ما يحكم منظورها من دسائس في رصدها لمفاهيم الثقافة والحضارة التي انطلقنا من تعريفها لدى الغرب في بداية البحث، والتي تؤكد باللمس أن هذه الحضارة الغربية تؤمن بمركزيتها وتصنف كل من يخالف ثقافتها في موقع الهامش، كما تؤمن بتراتبية ثقافات المجتمعات عبر العالم، إذ هي رمز لمعاني التقدم والرقى والازدهار والحدثة وما دونها داخل في دائرة البداوة والتخلف والهمجية والشر... تلك هي الحقيقة التي صدع بها كثير من المفكرين الغربيين ومنهم على سبيل المثال

* "اللغة فعل من أفعال السلطة".

* "الآخرون هم الجحيم".

صامويل هنتنجتون الذي كتب سنة 1996م خطاب صراع الحضارات في مؤلفه الذي حمل هذا العنوان، تم كتب موت الأيديولوجيات والأفكار القومية، وأكد على أن الثقافة تلعب دورا مركزيا وخاصة في بعدها الديني ليتسع الشرخ بين سبعة أو ثمانية كيانات ثقافية كبرى وهي الغربية والإسلامية واليابانية والصينية والهندوسية والكونفوشيوسية والسلافية-الأرثوذكسية وأمريكا اللاتينية وربما الأفريقية كذلك، لكن ما يفتأ يؤكد على أن الحضارات البارزة على خط النزاعات والتي تهدد الغرب بطموحاتها العالمية تتجلى في الكونفوشيوسية والإسلامية فقط، فالأولى متمسكة بأسباب القوة الاقتصادية فعلا، والأخرى لها أسباب قوة لكنها خامدة ويمكن في أي وقت أن تنبعث من جديد(أرمان ماتلار، 2008، ص191).

2- ذكاء اللغة والخطاب بين الحوار الثقافي/ الحضاري ومأزق

الإيديولوجيا:

الإيديولوجيا من منظور الفلسفة النقدية هي حاجز للفكر وشراك وقع فيه الإنسان منذ ظهور المجتمع ودخول الإنسان في علاقات اجتماعية خصوصا تلك التي تربط بين الأميين والمطيعين (فريدريك نتشه، 1967، ص240). والإيديولوجية وعي سطحي لا ترقى في مدارج الفكر ولا إلى أعماقه، تحدد الفلسفة التأويلية لها وظائف أساسية ثلاثة (بول ريكور، 1986م، ص ص 419-426)، تتجلى في تشويه الواقع وتزييف الحقائق ثم السعي إلى تبريرها حتى تصبح أفكار الطبقة المسيطرة أو الحاكمة هي المهيمنة على عقول الجماهير وبالتالي يسهل اندماجهم في حياة الجماعة وهذه الأخيرة غاية الوظائف. هكذا كانت الممارسات السياسية منذ ولادة مفهوم الدولة فديدها استخدام الإيديولوجيا، ومن خلالها يسعى الحكام إلى تسويق أفكارهم ولو حدا بهم الأمر إلى نشر الأوهام وقلب الحقائق وتزييفها عن طريق لغة السلطة وسلطة اللغة.

وفيما يلي نحصر حديثنا عن خداع اللغة لتصريف أطماع التوسعات الكولونيالية الإمبريالية التي تستطبخها القوى الغربية وتخفيها وتحاول تبرير أفكار

العنف والصراع والحروب من خلال آليات الإيديولوجيا وتحت غطاء شعارات زائفة تضعها في واجهة الإعلام تتجلى في تهدئة الأوضاع لدى الشعوب غير المستقرة ونقل الحضارة إليهم وإخراجهم من الهمجية والتخلف، تماما كما كان تصورهم ومنظورهم لمفهوم الحضارة الذي أوردناه سلفا، وسنركز كالمنا على الحقبة ما بعد النهضة إلى الآن.

ظهر مفهوم الإمبريالية إبان عصر ما بعد النهضة، عصر الثورة الصناعية الأولى التي بلغت ذروتها في بريطانيا في عهد الملكة فيكتوريا ثم امتدت إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وإبان الانقراض على القارة السوداء كانت الأهداف المعلنة تتجلى في تصدير الحكمة والنظام إلى الشعوب المتخلفة لكن الأهداف الخفية هي التي ستظهر في العقد الأول من القرن العشرين تتجلى في السعي نحو هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية (أرمان ماتلار، 2008، ص39)، وهو ما واصلت أمريكا العمل عليه حيث تنامت عقيدة جديدة للتوسع الإمبريالي روجت لها شعارات مغرية تتجلى في تحقيق الحلم الأمريكي أو ما يسمى "أمركة العالم" كإشارة إلى حياة مثالية وإلى أنموذج حضاري جديد (أرمان ماتلار، 2008، ص40)، لكن الواقع والدافع الحقيقي هو توسيع النفوذ عبر كل دول العالم، حيث شن تيودور روزفلت سنة 1901م هجوما على كوبا وبورتوريكو والفلبين، واستطاع ضم كاليفورنيا وأريزونا وغير ذلك من الأراضي للولايات المتحدة الأمريكية لتوسيع المشروع الإمبريالي للولايات المتحدة الأمريكية.

وفي سنة 1914م بدأت الحرب العالمية الأولى وكان السبب المباشر والمعلن هو حادثة اغتيال ولي عهد النمسا فرانز فرديناند مع زوجته من قبل طالب صربي يُدعى غافريلو برينسيب في 28 يونيو/حزيران عام 1914 أثناء زيارتهما لسراييفو، لكن الدارسين يرصدون جملة من الأسباب العميقة وغير المباشرة، من أبرزها توتر العلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين بسبب توالي الأزمات إثر حروب البلقان الأولى والثانية وتصارع الدول الأوروبية للسيطرة على منطقة البلقان وطرد الخلافة

العثمانية منها، هذا بالإضافة إلى الصراع بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا على النفوذ في شمال أفريقيا وطغيان الأهداف التوسعية، فضلا عن دخول الدول الإمبريالية في تحالفات سياسية وعسكرية أدت إلى سباق التسلح بين الدول المتنافسة.

وبعدها سنة 1917 أصدر جيمس آرثر بلفور تصريحاً مكتوباً وجهه باسم الحكومة البريطانية إلى اللورد ليونيل والتر روتشيلد يتعهد فيه بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، سماه وعد بلفور وكان ذلك بدوافع إنسانية معلنة ولكن على حساب استعمار شعب عربي مسلم ما يزال يعاني من الاضطهاد والحروب الدموية إلى اليوم، وفي العمق وكما تؤكد بعض الصحف البريطانية حينها، فقد كان الوعد بنية حماية مصالح بريطانيا ومد نفوذها في المنطقة، ناهيكم على أنه لم ينطق ولو بكلمة واحدة حول حقوق الطوائف السابقة هناك في فلسطين (أرمان ماتلار، 2008، ص 43)؛ ونفس الشيء تماما كما كانت الحروب الصليبية الأولى في القرن الحادي عشر الميلادي تحت غطاء ديني وتحت مسمى الحروب المقدسة وبأمر من بابا الكنيسة (كما يقول المؤرخ اللاتيني وليم الصوري الذي توفي سنة 1185م)، لكن الأهداف الخفية المضمرة هي ما أورده كثير من المؤرخين من أمثال المؤرخ الأميركي "توماس مادن" في كتابه "تاريخ موجز للحملات الصليبية" أن تلك الحملات الصليبية بعيدة عن كونها حروبا دينية ولم يكن الغرض منها توسيع نطاق أراضي العالم الديني المسيحي، بل هي ردة فعل ولو في وقت متأخر نوعاً ما، أي ردة فعل على الغزوات الإسلامية في إسبانيا وجنوب إيطاليا وفرنسا. ويعطينا المؤرخ الإنجليزي "ستيفان رنسيان" في موسوعته عن الحروب الصليبية أبعاداً أكثر قوة من الأبعاد الدينية للحروب ويستحضر بذلك عبارات البابا في مؤتمر كليرمونت: «إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، بل هي فردوس المباحج».

وفي سنة 1939م اندلعت الحرب العالمية الثانية وكانت الفاشية الإيطالية في عشرينيات القرن الماضي، والعسكرة اليابانية وغزو الصين في ثلاثينيات القرن العشرين، وكانت النازية الألمانية وسياستها الخارجية العدوانية، هي كلها من ضمن

الأسباب. أما السبب المباشر فهو قيام ألمانيا بغزو بولندا في 1 سبتمبر 1939م، إضافةً إلى إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا في 3 سبتمبر 1939م. لكن الأسباب الخفية كانت تتجلى في تنافس القوى الدولية العظمى لتوسيع نفوذها واقتسام المستعمرات، انتهت بصعود معسكرين دوليين قويين هما معسكر الشرق ومعسكر الغرب الذين سينتقلان من الحرب العسكرية إلى الحرب الباردة.

أما في سنة 1990 فقد اندلعت حرب الخليج بقيادة أمريكا وبريطانيا ضد العراق وخارج إجماع مجلس الأمن، وكانت الأهداف المعلنة آنذاك هي تجريد النظام العراقي من أسلحة الدمار الشامل وتخلص دول الخليج والشرق الأوسط من الخطر الذي يدهمهم، إلا أن الأهداف العميقة كانت تتمثل في إبادة أعرق حضارات العالم في العراق وطمس معالمها حتى لا تقوم عليها الحضارة العربية الإسلامية من جديد، ناهيكم على إيجاد منطقة نفوذ لمراقبة المحيط الإقليمي ونهب الخيرات والثروات الطبيعية بهذه الدولة (اتفاقية النفط مقابل الغذاء أنموذجاً).

وفي سنة 2001م ومع أحداث 11 سبتمبر تم شن الحرب على دولة أفغانستان من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، وبرزت كثير من القوى الغربية ذلك بخطابات سياسية وإعلامية تروج لمفاهيم "إسلاموفوبيا" (أرمان ماتلار، 2008، ص44) "الإرهاب" "التطرف" استطاعت الآلة الإعلامية العالمية أن تصل بها إلى وجدان كل الأمم والشعوب، لكن الحقيقة غير المصرح بها هي محاربة الحضارة الإسلامية التي توجد في حالة كمون فقط وتملك من الأسباب ما يمكنها ما يجعلها منافسة للغرب.

وبناء على كل ما سبق، يبدو أن الأسباب المباشرة والمعلنة وراء الصراعات والحروب ما هي إلا تبريرات للايديولوجية الرأسمالية للقوى العالمية الامبريالية ذات الأهداف التوسعية الكولونيالية التي تسعى إلى الحفاظ عن قوتها وعنقوانها واستحكام قبضتها على بقية العالم مقابل اختلاق أسباب الصراعات والحروب ضد الحضارات الصاعدة والمنافسة، أما التذرع بالأسباب الدينية أو الخلافات السياسية

فهي بمثابة أوهام ظل يروجها رجال الكنيسة والإقطاع في أوروبا بالقرن 11 الميلادي، وتغنت بها الرأسماليات الغربية والشرقية بالقرن 21.

وحصيلة القول فإن الصراع كان ولا يزال بمجمله وجوديا وحضاريا، اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا بين المستغلين والمستغلين، وكل ما عداه فهو دُرُّ للرماد في العيون. وهو ما أثار بصيرة بعض المفكرين الغرب أنفسهم من أمثال الفيلسوف الألماني أوسولد شبنغلر إذ تنبأ بإفلاس الحضارة الغربية قائلا: "نحن الحضارات، نعرف الآن أننا حضارات فانية" (Oswald Spengler, 1923, p11)

خاتمة: آفاق وفرص حوار الثقافات وتحقيق التعايش والسلم

علاقة بموضوعنا المتعلق باستثمار ذكاء اللغة والخطاب في الانتقال من حوار الثقافات إلى فكرة الصراع والهيمنة الثقافية، وتأكيدا لأطروحتنا في البحث عن آفاق وفرص حوار الثقافات لتحقيق التعايش والسلم، ومن خلال تحليلنا ومناقشتنا للموضوع ورصدنا لإخفاقات الحوار في تحقيق التعايش والسلم من خلال مآزقين اثنين هما: مآزق الإيديولوجيا ومآزق العولمة، يمكننا الخلوص إلى ما يلي:

- لقد أخفق العقل الغربي حين انطلق منذ فجر العصر العلمي والتقني الحديث فاتحا ومستكشفا للكون رافعا شعار التملك والتحكم الذي نادى به ديكارت، فتطويره الخارق للتقنية والإفراط في استخدامها والتحكم المفرط في الطبيعة انقلب سلبا على الإنسان، وأصبح يعيش تهديدات وجودية حقيقة وفورية، أوضحها احتزار مناخ الكوكب الأرضي وفساد أنظمتها البيئية وتساقط الأمطار الحمضية وانتشار العواصف والأعاصير وغيرها من الكوارث الطبيعية، كلها أدلة أكدت إخفاق العلوم وآفاق التنبؤ المبتورة... وهي أمور مترابطة، فجميعها إخفاقات في التفكير والتعبير (جيمس برايدل، 2022م، ص ص 23-24).

لم تقف النكسات عند هذا الحد، بل إن التقنية مهدت الطريق أمام اكتساح شبخ العولمة وغدت العولمة الثقافية تنذر بموت الإنسان حين سعت إلى إنتاج مواطن

كوني شمولي، مسلوب العقل والإرادة، يغرق في الاستهلاك دون تفكير ويلتزم عبادات ثلاثة (أرمان ماتلار، 2008، ص 211): عبادة الحاضر والعيش في دوامة المستجدات، عبادة الإعلام واستهلاك المعلومة، عبادة الثقافة التقنية الكونية أكثر من الثقافات الرمزية المحلية؛ مواطن شمولي دون مؤسسات ولا وساطة، ينحسر على المحلي وينسلخ عن هويته وخصوصياته الثقافية (أرمان ماتلار، 2008، ص 158). ويبقى الحل الوحيد هو الاقتصاد في استهلاك ثقافة التقنية والرجوع إلى التقليد والاهتمام بحضارة الرمز والكلمة، لأن الثقافة الحقيقية هي دائما ثقافة رمزية وتقليدية متجذرة في تاريخ عميق وفي إمكانية محددة (جلير هوتوا، 2002، ص 54).

- الحفاظ على التنوع والتعدد الثقافي كما تشكل بصورة طبيعية بين المجتمعات البشرية، والحفاظ على الخصوصيات الثقافية للمجتمعات البشرية، وتنشئة الأجيال الصاعدة على التثبث بالهوية والخصوصيات الثقافية وبالقيم الثقافية المحلية والانفتاح على الكونية دون انصهار أو انسياق، كلها أمور أضحت ضرورية للانفلات من شبح العولمة بكل تلاوينها وإطلاق عنان التفكير وإحياء المواطن من جديد، مواطن قادر على تقييم الأحداث التي يشهدها محليا وعالميا واتخاذ ردود الأفعال المناسبة تجاهها دون وصاية أو تحكم أو توجيه، مواطن يرقى لفك ألغاز لغة السلطة وسلطة اللغة ويعبها تمام الوعي حتى لا تنطلي عليه خدع الإيديولوجيا وأوهامها وشراك العولمة وعقالها. ولأمثال هؤلاء يوجه مالك بن نبي خطابه قائلا: "إنني لا اكتب هذه المذكرات من أجل أولئك المثقفين (يقصد المثقفين المزيفين الموالين للاستعمار)، ولكن أكتبها للشعب عندما يستطيع قراءة تاريخه الصحيح، أي عندما تنقضي تلك الخرافات التي تعرض أحيانا أفلاما كاذبة، والتي سيكون مصيرها في صندوق المهملات مع مخلفات العهد الاستعماري" (مالك بن نبي، 1984م، ص 288).

- صناعة التاريخ لا تتم إلا بأفكار أصيلة تستجيب لسائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي وميدان الأفكار الفعالة، لتجابه الإخفاقات التي خلفها العصر التقني والعولمة إذ "لا نستطيع أن نصنع التاريخ بتقليد خطأ الآخرين في سائر الدروب

التي طرقتها، بل بأن نفتح دروبا جديدة" (مالك بن نبي، 1988م ص162) ونعيد النظر في فهمنا للعالم وفي مواقفنا تجاه التقنية مثلما كانت مطارق ثور (ثور هو واحد من أقوى الآلهة وأكثرها شعبية في الأساطير النرويجية) تدق في الأرض لتثير الرعد والبرق وتحمي من غضب الآلهة وكان يعتقد أنها أجسام سحرية هوت من السماء بسبب ما بينها وبين الصلبان من تشابه، وحين اندثرت الأغراض الأصلية منها صارت قادرة على الاضطلاع بدلالة رمزية جديدة، وهكذا، ينبغي علينا أن نعيد أسر مطارقنا - وجميع أدواتنا - كي تغدو أقل شها بمطرقة النجار، وأكثر شها بمطرقة ثور وبالأحجار الرعدية (جيمس برايدر، 2022م، ص 22).

لائحة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

باللغة العربية

- أبو الحسين؛ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، ترجمة عبد السلام محمد هارون، ج1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 1979 لبنان.
- أنيس ابراهيم وآخرون. المعجم الوسيط، إصدارات مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر 2004.
- برايدر جيمس، عصر مظلم جديد، التقنية والمعرفة ونهاية المستقبل، ترجمة مجدي عبد المجيد خاطر، مجلة عالم المعرفة، العدد 497، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، غشت 2022م.
- بريون فوزية، مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دمشق: دار الفكر، سوريا 2010م.
- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الانصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، بيروت: دار صادر/ دار بيروت، لبنان 1968 م، المجلد 4.
- بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، الطبعة الثانية، بيروت: دار الفكر المعاصر: لبنان. / دمشق: دار الفكر، سوريا 1984م.
- بن نبي مالك، مشكلات الحضارة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، لبنان/ دمشق: دار الفكر سوريا، 1988م.
- الدواي عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، الطبعة الأولى، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر 2013م.
- زيادة معن، معالم على طريق تحديث العقل العربي، مجلة عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 115، يوليو 1987.
- سارتر جون بول، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، بيروت: منشورات دار الآداب 1996.

- سلامة موسى، الثقافة والحضارة، مجلة الهلال، عدد 02، مصر بتاريخ 01 فبراير 1927م.
- عثمان نعمان، الكلمات المفتاح، ريموند وليامز، ترجمة: المركز الثقافي العربي، ط 1، 2007م.
- ماتلار أرمان، التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفارابي، لبنان 2008م.
- مغيون كلايد كلوكهون، الإنسان في المرأة. ترجمة شاكرا مصطفى سليم، بغداد- نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، العراق. 1964م.
- نيتشه فريديريك، جينا لوجيا الأخلاق، (الترجمة الفرنسية أنجيل كرامر مارييتي)، سلسلة 18/10.
- هوتوا جليبر، التقنية- علم، ضمن الفلسفة والأخلاقيات، ج: 11، أوديل جاكوب 2002.

باللغات الأجنبية

- LAFONTAINE H. et OTLET P., 1912, « la vie international et l'efforts pour son organisation » revue mensuelle des idées, des faits et des organismes internationaux, Bruxelles, Tome 1.
- Shiller H., 1976, Communication and cultural domination, New York, Sharpe.
- SPENGLER Oswald, 1923, Le déclin de l'occident, esquisse d'une morphologie de l'histoire universelle, Ed. Gallimard.
- TONNELAT Emile, Kultur, 1930, Histoire du mot, évolution du sens, in : Lucien Febvre et al, Civilisation : le mot et l'idée, Paris, la Renaissance du Livre,
- TYLOR Edward brunett, Primitive Culture, Vol. 1 of 2 (Classic Reprint): Researches into Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art and Custum Paperback- August 24, 2018 VILLENA VEGA Nataly, 2009, Le cosmopolitisme littéraire de Vargas Llosa, Éditions et Presses universitaires de Reims.
- Walter BENJAMIN, 1971, L'œuvre d'art à l'ère de sa reproductibilité technique, L'homme ; le langage et la culture, Paris, Denoël.

الوظائف التنفيذية: من التعريف إلى إعادة التأهيل

د. عبد اللطيف الفرحي

أستاذ علوم التربية

المدرسة العليا للأساتذة

جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب.



إبراهيم نظير

طالب باحث بسلك الدكتوراه

جامعة عبد المالك السعدي

تطوان، المغرب

ملخص

تتضمن الوظائف التنفيذية مجموعة من السيرورات المعرفية العليا والتي تشمل كل من: الذاكرة العاملة، المرونة الذهنية، الكف والتخطيط...، وتسمح هذه الوظائف بالعديد من القدرات كنظيم والتحكم في الأفكار والسلوكيات والانفعالات لتحقيق هدف معين، والتكيف مع المواقف الجديدة والتنسيق بين العمليات الأساسية لحل المشكلات في مختلف أبعاد الحياة. وبدأت دراسة الوظائف التنفيذية منذ الستينات من القرن العشرين من خلال ملاحظة المرضى الذين يعانون من إصابات في الفص الجبهي. وقد ارتبطت الوظائف التنفيذية بالفص الجبهي في البداية، إلا أن الدراسات الحديثة أظهرت أن الوظائف التنفيذية تتحكم فيها مجموعة من المناطق غير الجبهية، خصوصاً ما تبين من خلال دراسات التصوير الدماغية. وتستعرض هذه المقالة نبذة تاريخية عن الوظائف التنفيذية وبعض مكوناتها، بالإضافة إلى الأسس العصبية التي تسند هذه الوظائف، علاوة على بعض النماذج التفسيرية ونمو هذه الوظائف، ثم طرح بعض الأدلة على تدخلات إعادة التأهيل. وقد يساهم فهم هذه الوظائف وتحليل مكوناتها بدقة إلى تطوير تدخلات لتحسينها، باعتبار أن هذه الوظائف مهمة لقدرات الفرد في شتى مجالات الحياة.

كلمات مفتاحية: الوظائف التنفيذية؛ الفص الجبهي؛ النماذج التفسيرية؛ إعادة التأهيل.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نظير، إبراهيم. الفرحي، عبد اللطيف. (2024، أبريل). الوظائف التنفيذية: من التعريف إلى إعادة التأهيل. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 118-144.

Abstract:

Executive functions include a group of higher cognitive processes, which include: working memory, mental flexibility, planning, and planning... These functions allow many abilities, such as organizing and controlling thoughts, behaviors, and emotions to achieve a specific goal, adapting to new situations, and coordinating basic processes. To solve problems in various dimensions of life. The study of executive functions began in the 1960s by observing patients with frontal lobe injuries. Executive functions were initially linked to the frontal lobe, but recent studies have shown that executive functions are controlled by a group of non-frontal regions, especially as shown through brain imaging studies. This article reviews a historical overview of executive functions and some of their components, in addition to the neural foundations that underlie these functions, in addition to some explanatory models and the growth of these functions, and then presents some evidence on rehabilitation interventions. Understanding these functions and carefully analyzing their components may contribute to developing interventions to improve them, given that these functions are important for an individual's abilities in various areas of life.

Keywords: executive functions; The frontal lobe; explanatory models; Rehabilitation

مقدمة

تُعتبر الوظائف التنفيذية مجموعة من القدرات المعرفية العليا التي تسمح للفرد بالانتباه والحفظ على التركيز، والاختيار وضبط النفس لتفادي الاندفاع والتسرع أو إصدار رد فعل بدون تفكير، ورؤية الأشياء من وجهات نظر مختلفة، والتفكير وحل المشكلات، وملاحظة مدى ارتباط الأفكار أو الوقائع ببعضها البعض، والتكيف مع التغيير أو المعلومات الجديدة (Diamond, 2010; Jacques & Marcovitch., 2010; Zelazo, Blair & Willoughby., 2016; 2020). وبتعبير آخر، فالوظائف التنفيذية هي عمليات معرفية ومجموعة من السيرورات والإليات التي تسمح للفرد بتنظيم ومراقبة أفكاره وسلوكه من أجل بلوغ مهمة غير مألوفة، جديدة أو معقدة. ويُعد مصطلح الوظائف التنفيذية، من بين أكثر المصطلحات شيوعاً في الأدبيات التي تتطرق لهذا الموضوع، إلا أنه في بعض الأحيان قد نجد مصطلحات أخرى من قبيل "المراقب التنفيذي executive control" أو "المراقب المعرفي cognitive control" (Diamond, 2013; Espy, 2016)، وكل هذه المصطلحات لها نفس المعنى ومرادفة لبعضها البعض.

تتضمن الوظائف التنفيذية مجموعة من القدرات المعرفية العليا والمعقدة، ويتفق معظم الباحثين على ثلاثة مكونات أساسية للوظائف التنفيذية والتي تشمل كل من: الذاكرة العاملة، working memory المرونة الذهنية cognitive flexibility، الكف inhibition (Diamond, 2008; Blair & Carlson, Zelazo & Faja., 2013; Jacques & Marcovitch., 2010; Cicerone et al., 2000; Kennedy et al., 2008; Devine, Ribner, Hughes, 2019). بالإضافة إلى مكونات أخرى كالتخطيط (Devine, Ribner, Hughes, 2019; Cicerone et al., 2000; Kennedy) planning، التفكير reasoning، حل المشكلات (Cicerone et al., 2008)، التحكم الإنفعالي emotional control (et al., 2000; Kennedy et al., 2008).

المراقبة (monitoring، تنظيم المواد (organization of materials, Devine, Ribner, Hughes, 2019) وتعتبر هذه الوظائف (البنىات المعرفية متعددة الأهداف) ضرورية للسلوك الهادف وحل المشكلات في شتى أبعاد الحياة، سواء كانت أكاديمية، مهنية أو إجتماعية (Fogel, et al., 2020 ; Otero, Barker & Naglieri., 2014). وتسمح بالتحكم في الفكر والسلوك والعواطف على أساس تحقيق الهدف الموجه (Zelazo & Carlson, 2012).

بدأت دراسة الوظائف التنفيذية انطلاقاً من ملاحظة المرضى الذين يعانون من إصابات في الفص الجبهي (حالة Phineas Gage) (Ratiu, Talos, Haker et al., 2004)، حيث وجد الباحثون عند هؤلاء الأفراد قصوراً في الأداء خصوصاً في الوضعيات التي تتطلب استخدام الوظائف التنفيذية (تحديد هدف، التخطيط، التنظيم، المرونة الذهنية، كف الاستجابات غير المرغوب فيها...). وبذلك، ربط الباحثون الوظائف التنفيذية بالفص الجبهي، بالإضافة إلى مناطق أخرى في الدماغ. وقد ساهم مجموعة من الباحثين بنمذجة الوظائف التنفيذية منذ السبعينات من القرن العشرين، وكانت البداية مع ألكسندر لوريا (Alexander Luria 1973) الذي اقترح أول نموذج للسيرورات التنفيذية.

وسنتطرق في هذه الورقة إلى بعض مكونات الوظائف التنفيذية واختباراتها المستعملة. وسنتقل إلى تاريخ الوظائف التنفيذية بشكل مختصر. ثم سنعرج على الأسس العصبية للوظائف التنفيذية. وبعد ذلك سنتناول بعض النماذج التفسيرية للوظائف التنفيذية، ثم سيتم تسليط الضوء على تطور هذه الوظائف خلال مراحل النمو. وأخيراً، سنقوم بسرد أدلة حول تدخلات إعادة التأهيل.

1. الوظائف التنفيذية: السيرورات والاختبارات

سنحاول في هذا المحور أن نتطرق إلى تعريف مجموعة من السيرورات التنفيذية والاختبارات الخاصة بها.

الاختبار الخاص بها	تعريفها	نوع السيورة
- n-back task	تُحِيل الذاكرة العاملة حسب بادلي Baddely (2000) إلى نظام ذهني يقوم بالاحتفاظ المؤقت للمعلومات المستعملة ومعالجتها بفعالية من أجل الاستدلال والفهم والتعلم (Gillet, Hommet, & Billard, 2000).	الذاكرة العاملة
- Wisconsin Card Sorting Test - Trail Making part B	تُعرف المرونة الذهنية بأنها "القدرة على التحول أو التناوب الديناميكي بين العديد من المهام، الاستراتيجيات، أو تخزين المهام. هذه القدرة تكون في العادة جاهزة عندما تكون القواعد التي تنطبق على الأشياء في المحيط تتغير بطريقة غير متوقعة" (Gauet, 2012, PP:3). تُعرف أيضا بأنها القدرة على تمرير نوع من معالجة المعلومة إلى نوع آخر بطلاقة وبسرعة. وتُطلب هذه القدرة في غالب الاحيان في المدرسة (Sandrine, 2007). ميز الباحثان إلسينجي Elsinger و غراتام Grattam (1993) بين نوعين من المرونة الذهنية (Elsinger & Grattam, 1993): . المرونة الإرتكاسية Reactive flexibility: وتسمح هذه المرونة بتغيير السلوك وفقا للتعديلات الخارجية. وهي كذلك القدرة على نقل الانتباه من نوع معين من المثيرات إلى نوع آخر، أي القدرة على التناوب بين مجموعات معرفية مختلفة. . المرونة التلقائية Spontaneous flexibility: وتسمح بإنتاج الاستجابات المختلفة في السياقات التي لا تتطلب التعديلات. وهي بذلك القدرة على إنتاج استجابات لأفكار سهلة.	المرونة الذهنية
- go/no-go task - Stroop test	الكف هو إيقاف فعل، فكرة، بطريقة تسمح بمتابعة فعل، أو استراتيجية لتحقيق مهمة (حسية حركية أو معرفية) التي ترتبط بالفعل أو الفكرة. وهو ميكانيزم عام لضبط السلوكات، وكذا ما هو معرفي حسي حركي (Mazzeau & Pouhet, 2014). ويُعرف أيضا باعتباره القدرة على إيقاف أو حذف الاستجابة الأتوماتيكية التي لها صلة للهدف المراد (Gauet, 2012).	الكف

	<p>ميز كل من فريدمان Friedman ومياك Miyake (2004) بين ثلاثة أنواع من الكف نجيزها فيما يلي:</p> <p>1. الكف الذي يعمل على مقاومة التداخل الذي يصدر عن التشتت distractors أو التصفية filtering حتى لا يتشتت انتباه الفرد حيث يعمل على منع المثيرات غير المرغوب فيها من الوصول إلى الذاكرة العاملة. هذا النوع من الكف يسمح بحماية المعلومات ذات الصلة بالذاكرة العاملة.</p> <p>2. كف الاستجابات الراجعة أو الكف السلوكي behavioral inhibition والذي يعمل على منع الاستجابات الأتوماتيكية للأفعال الآلية الخارجية بالنسبة للمعايير المحيطة.</p> <p>3. الكف الذي يعمل على مقاومة التداخلات الاستباقية proactive أو الكف التصوري conceptual inhibition ويتجلى في حذف المعلومات التي ليس لها صلة أو الزائدة في الذاكرة العاملة، والتي من شأنها أن تؤثر على استجابات الفرد وتشويشه من الوصول إلى الهدف (Friedman & Miyake, 2004).</p>	
<p>- Tower of London - Tower of Hanoi</p>	<p>يُعرف التخطيط باعتباره تخطيط للوقت لاستمرارية المراحل، لتحقيق هدف معين أو إنتقاء وتطبيق استراتيجية مناسبة ومتنوعة، لاشتغال مهمة مكتملة، للحصول على نتيجة في زمن محدد (Mazzeau & Pouhet, 2014).</p> <p>وبالتالي، فالتخطيط هو القدرة المعرفية التي يستعملها الفرد باستمرار ليتمكن من توقع الطريقة الصحيحة التي سيتبعها لإنجاز مختلف المهام.</p>	<p>التخطيط</p>

2. نبذة تاريخية عن الوظائف التنفيذية:

ظهرت دراسة الوظائف التنفيذية من خلال ملاحظة المرضى الذين يعانون من إصابات في الفص الجبهي، وتعود أقدم حالة موصوفة لمتلازمة الفص الجبهي frontal lobe syndrome إلى سنة 1835 (Lyketsos, Rosenblatt & Rabins, 2004).

إلا أن حالة فينيس غاج Phineas Gage تعتبر من أهم وأشهر الأدلة على دراسة الوظائف التنفيذية التي وصفها الطبيب جون هارلو John Harlow (1868) والذي كتب تقريرا عن حالة Phineas Gage بعدما اخترق عمود حديدي المناطق القبل جبهية prefrontal regions في دماغه، ونظرا لهذه الإصابة تغيرت شخصيته وسلوكه، وقد شكلت هذه الحالة نقطة بداية الحديث وحجر الزاوية عن أول نظرية حديثة لوظيفة الفص الجبهي كما جاء بها ديفيد فيريير David Ferrier (1995, Barker).

بالرغم من أن الاهتمام بالمناطق القبل جبهية prefrontal regions لم تتطور بشكل فعلي، إلا بعد الحرب العالمية الثانية. خصوصا والتحويلات الطارئة في شتى الميادين والمجالات، بما فيها علم النفس العصبي. توصل لوريا Luria (1966) من خلال عمله حول العلاقة بين القشرة الجبهية والأداء التنفيذي وحل المشكلات، إلى تسجيل مجموعة من السلوكيات لدى الأفراد المصابين بتلف في الفص الجبهي أثناء محاولتهم لحل مشكلة معينة. واستنتج بذلك أن حل المشكلة يحتاج عدد من المهارات الأساسية أو الوظائف التنفيذية (بالرغم من أن هذا المصطلح لم يُطلق من قبل لوريا (Luria)، والتي كان أساسها الفص الجبهي (García-Madruga et al., 2016). ميز لوريا بين ثلاث وحدات وظيفية في الدماغ: حيث تهتم الوظيفة الأولى بتحفيز الإثارة arousal-motivation؛ ويهتم بها كل من الجهاز اللمبي والشبكي limbic and reticular systems، وتقوم الوظيفة الثانية بإستقبال المعلومات، ومعالجتها وتخزينها؛ والتي يتم التحكم فيها من طرف المناطق القشرية ما بعد الرولاندية post-rolandic cortical areas، وأخيرا برمجة النشاط والتحكم فيه والتحقق منه؛ عن طريق نشاط القشرة القبل جبهية prefrontal cortex. ويعتبر لوريا Luria أن هذه الوحدة الثالثة والأخيرة هي التي لديها الدور التنفيذي (Ardila, 2008). ويُعد بذلك أول من بحث في الوظائف التنفيذية. وقام الباحث لوزاك Lezak (1983) بنحت مصطلح الوظائف التنفيذية Executive Functions كمفهوم لأول مرة، وقام كل من

بادلي Baddely وولسون Wilson (1986) بوضع مصطلح ساندروم الاختلالات التنفيذية Dysexecutive Syndrome (Ardila, 2008).

بفضل تطور علم النفس العصبي التجريبي في الستينات والسبعينات من القرن العشرين على وجه الخصوص، سمحت الدراسات بتطوير معارف نظرية حول الاضطرابات المعرفية الناتجة عن الإصابات الجبهية. واستخدمت الدراسات الأولى التي كانت على الوظائف التنفيذية مجموعة من الاختبارات المعرفية المكيفة والتي كانت في الأصل اختبارات للأفراد الذين يعانون من إصابات جبهية. وتشمل هذه الاختبارات كل من اختبار ستروب Stroop Test (Stroop, 1935) وفرز بطائق وسكونسن Wisconsin Card Sorting Test (Milner, 1963; Grant & Berg, 1948) واختبار GO NO GO (Drewe, 1975) ومهمة برج هانوي Tower of Hanoi وبرج لندن Tower of London (Shallice, 1982).

3. الأسس العصبية للوظائف التنفيذية :

ربطت الدراسات السابقة الوظائف التنفيذية بالفص الجبهي frontal lobe، وقد كان هذا الإرتباط منذ ظهور حالة فينس جاج Phineas Gage وإصابته في الفص الجبهي. بالإضافة، إلى أن المصابين على مستوى الفص الجبهي أظهروا قصورا في مجموعة من المهام التي تهم الوظائف التنفيذية (Alvarez & Emory, 2006; Collette et al., 2006). وقد أظهرت دراسة أن الأفراد المصابين في منطقتي القشرة قبل جبهية الظهرية الجانبية dorsolateral prefrontal cortex والقشرة قبل جبهية المدارية الأمامية orbitofrontal prefrontal cortex أظهروا اختلالات على مستوى الوظائف التنفيذية Executive Functions impairments (Barbey et al., 2012). ويمكن تقسيم المنطقة ما قبل الجبهية prefrontal cortex إلى منطقتين عريضتين؛ الأولى تسمى القشرة ما قبل الجبهية الجانبية lateral prefrontal cortex والتي تتضمن كل من القشرة قبل جبهية الظهرية الجانبية dorsolateral prefrontal cortex والقشرة قبل جبهية الباطنية الجانبية

ventrolateral prefrontal cortex، ثم تتمثل المنطقة الثانية في القشرة قبل جبهية الباطنية ventromedial prefrontal cortex والتي تسمى كذلك القشرة قبل جبهية المدارية الأمامية (Hathaway & Newton, 2023). إن العديد من المعطيات النورو. سيكولوجية Neuropsychologic تُبين أن الوظائف التنفيذية تتوزع على مستوى القشرة الجبهية، وذلك من خلال الإصابات الجبهية التي تم دراستها، مما يؤدي إلى دراسات ارتباطية عكس الدراسات التصويرية العصبية neuroimaging التي تسمح بالدراسات السببية (Cristofori, Cohen-Zimerman & Grafman., 2019).

على الرغم من أهمية الفص الجبهي للوظائف التنفيذية، إلا أن مجموعة من دراسات التصوير الدماغية والإصابات الدماغية تستند إلى مجموعة من المناطق الدماغية المختلفة، والتي يتضمن كل من القشرة الترابطية الأمامية والخلفية frontal and posterior associative cortices وبالخصوص المنطقة الجدارية parietal، ثم المنطقة تحت القشرية subcortical structures والمهاد thalamus (Heyder, suchan, & Daum, 2004 ; Collette et al., 2006;) وأكّد تشيري مارفيل Cherie Marvel وجون طيسموند John Desmond (2010) أنه مع تقدم تقنيات التصوير الدماغية، خصوصاً مع التصوير الدماغية بالرنين المغناطيسي الوظيفي تبين أن الوظائف التنفيذية تعتمد على شبكة واسعة موزعة بين مختلف المناطق الدماغية، والتي تشمل المناطق الجبهية والخلفية posterior للقشرة الدماغية، وكذلك المناطق تحت القشرية subcortical regions (Goldstein & Naglieri, 2014).

هناك إذن مجموعة من المناطق غير الجبهية المرتبطة بالوظائف التنفيذية، إذ توجد العديد من المناطق الدماغية التي ترتبط ارتباطاً رئيسياً بالمنطقة الجبهية، مما يؤدي إلى توسيع شبكة عصبية بشكل أكبر والتي تستند إليها الوظائف التنفيذية (Champod & Petrides, 2007).

عموما، تشير الدراسات الآنية إلى أن موضوعة الوظائف التنفيذية لا تقتصر على الفص الجبهي كما افترضت الدراسات الأولى. وبدلا من ذلك، يبدو أن هناك مجموعة واسعة من بنيات ومناطق الدماغ المسؤولة، وهي تختلف باختلاف الوظيفة التنفيذية المستخدمة.

4. النماذج التفسيرية للوظائف التنفيذية :

اقترح مجموعة من الباحثين منذ السبعينات من القرن العشرين، العديد من النماذج التفسيرية للوظائف التنفيذية، وسنحاول في هذا المحور أن نتطرق لبعض هذه النماذج كالآتي:

1.4 نموذج لوريا العصبي. التشريحي:

يُعد لوريا (1973) أول من وضع نموذجا للوظائف التنفيذية، وذلك من خلال ملاحظاته الإكلينيكية للأفراد ذوي الإصابات الجبهية. وتتطور هذه الاضطرابات إذن عند الأفراد، والذين لديهم إصابات جبهية Frontals، حيث نجد عند هؤلاء قصور في الأداء في وضعيات تتطلب تحديد هدف، تخطيط للمراحل قبل التنفيذ، تنظيم متتاليات الأفعال، القدرة على المرور من قدرة إلى أخرى والتحقق من الهدف الثابت المأمول الوصول إليه. (Luria, 1966). وخلص بأن مهام حل المشاكل تتطلب مجموعة من الملكات؛ وهذه الأخيرة تستند إلى الفصوص الجبهية. وتوصل بذلك إلى نموذجه في الوظائف التنفيذية؛ ووصف المكونات الأساسية له بأنها عبارة عن:

- التوقع anticipation (من خلال وضع توقعات منطقية، وفهم النتائج)
- التخطيط planning (تنظيم مختلف الأنشطة الضرورية المتطلبية للمهمة)
- التنفيذ execution (المرونة والحفاظ على المجموعة)

- المراقبة الذاتية self-monitoring (الضبط العاطفي، والتعرف على الأخطاء) (Cristofori, Cohen- García-Madruga, et al., 2016; Zimmerman & Grafman., 2019)

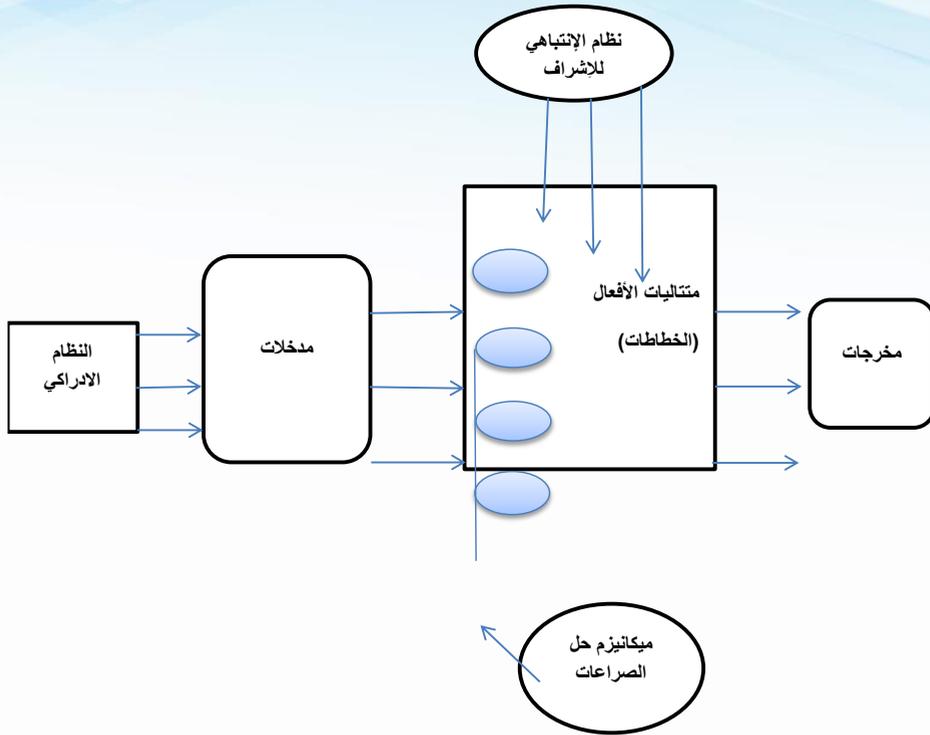
2.4 نموذج شاليس ونورمان للنظام الانتباهي للإشراف:

اقترح نورمان Norman وشاليس Shallice (1986) نموذجاً للمعالجة التراتبية التسلسلية للأنشطة الذهنية التي تنتظم في ثلاث مستويات للمراقبة الانتباهية:

1. يتعلق المستوى الأول بقائمة من خطوات الفعل التي تنطلق بطريقة آلية في الوضعيات الروتينية التي لا تتطلب أي مراقبة انتباهية.
2. يرتبط بنظام حل الصراعات التي تتدخل في الأنشطة شبه أوتوماتيكية، ويسمح هذا النظام بانتقاء الخطأ الأكثر تلاؤماً مع الوضعية من بين العديد من الخطوات المتنافسة.

3. النظام الانتباهي للإشراف (SAS) Supervisory attentional system، الذي يتدخل عندما يتعلق الأمر بالوضعيات الجديدة وغير المألوفة أو الوضعيات المعقدة التي تتطلب إعداد استراتيجيات الذي بدوره يحتاج تدخل مبادرة الفرد. كما أنه يسمح بمواجهة الوضعيات الجديدة باستعمال معارف سابقة مخزنة في الذاكرة بعيدة المدى، وإعداد استراتيجيات تخطيط مختلف مراحل الفعل وكبح الاستجابات غير الملائمة (Norman & Shallice, 1986).

هذا النظام أي (SAS) يعمل تحت دعامة القشرة القبل الجبهية، وأي اختلال يلحق اشتغال هذا النظام لا يتجلى فقط في البطء على مستوى إنجاز المهام المألوفة والروتينية، بينما تتمظهر القصورات خلال إنجاز الأنشطة المعقدة، التي تتطلب استراتيجيات معقدة، وتخطيط الأفعال.



الشكل رقم (1): نموذج نورمان Norman وشاليس Shallice (1986) للوظائف التنفيذية

فنظام الانتباه الإشرافي يلعب دوراً مفتاحاً في الذاكرة العاملة، إذ يسمح بالاحتفاظ بالمعلومة فيها وتحريكها أثناء إنجاز المهام والأنشطة المعرفية (Eustache, Faure & Desgranges, 2014).

3.4 النموذج التراتبي لستيس وبنسون:

حسب النموذج التراتبي التسلسلي لستيس Stuss وبنسون Benson (1986) فالوظائف التنفيذية تنخرط في إنجاز المهام المعقدة التي تتطلب التعاون والتنسيق للعديد من الوظائف المعرفية تحت مراقبة الفص الجبهي. ويشغل هذا الأخير تحت ثلاث مستويات:

1. المستوى الأول يتضمن الأنظمة الوظيفية الأمامية، وهي وظائف آلية ومهمة للتأقلم بشكل جيد في الحياة اليومية.

2. المستوى الثاني يتكون من الوظائف التنفيذية، بمعنى تلك الوظائف التي تحتاج المهام المعرفية الضرورية لإتمام كل فعل جاهز أو تام، والتي تنخرط بشكل خاص في التعلّمات الجديدة، وتصبح أقل جدوى خلال عملية التعلّم عندما يصبح الفعل آلياً. وبذلك فالوظائف التنفيذية لا تتطلب سوى تعديل الوضعية التي تحتاج إلى تكييف السلوك.

3. يتعلق المستوى الثالث في هذا النموذج بالميطا . معرفية والتي تتمثل في الاشتغال الذهني الأكثر تطوراً والأكثر تجريداً، فالميطا. معرفية بشكل دقيق هي الوعي المتكامل بالذات في علاقتها بالمحيط الذي تتواجد فيه (Stuss & Benson, 1986).

4.4 نموذج دامازيو للعلامات الجسدية

يتميز نموذج دامازيو Damasio (1995) عن النماذج الأخرى بالأهمية التي يولها للمكون الوجداني، الذي يعتبر عاملاً محددًا لاتخاذ القرار: فمفهوم العلامة الجسدية هنا تشكل مرجعاً للمعلومات النورو. نباتية والانفعالية الناتجة عن التجارب السابقة وكذا إعادة تنشيطها في وضعيات مماثلة أو متشابهة بسبب توجيه سلوك الفرد.

تسمح القشرة الجبهية، وبشكل محدد الجزء الباطني الأوسط منها، بوضع علاقة بين الوضعيات الخاصة والحالات الإنفعالية النوعية، فالوضعية هي وسم أو تعليم قد يكون إيجابياً أو سلبياً حسب النتائج الفورية، وهذا الوسم يسمح بتفاعل فعال في تفادي الوضعيات المقلقة أو الخطيرة أو العكس، بمعنى يسمح أيضاً بتفاعل جيد في اختيار الحل الأنسب من بين العديد من الإمكانيات المتاحة.

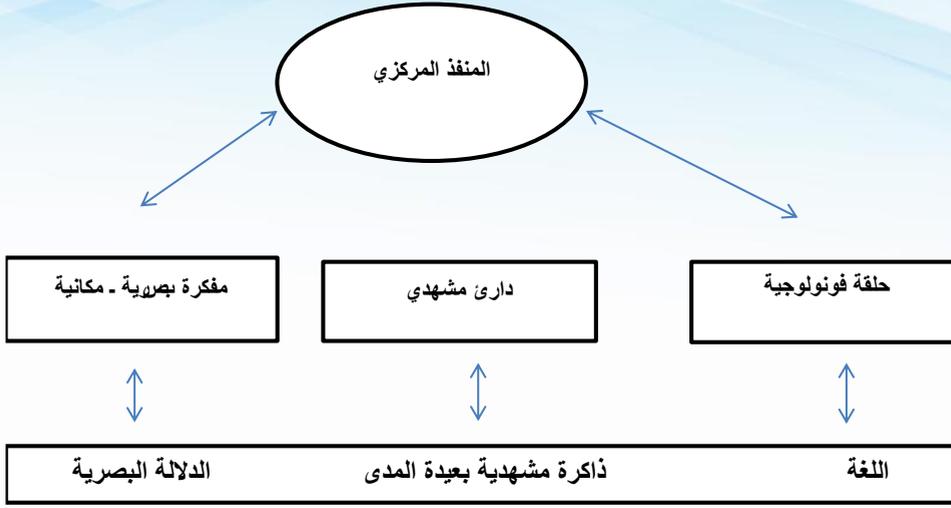
وبالتالي، فالعلامة الجسدية تلعب دور ميسر أو كايح في سيرورة اتخاذ القرار (Eustache, Faure & Desgranges, 2014).

5.4 نموذج بادلي للذاكرة العاملة

اقترح كل من بادلي Baddely وهيتش Hitch (1974) نموذجا للذاكرة العاملة، حيث يتكون هذا الأخير من ثلاث مكونات، يتمثل الأول في المنفذ المركزي central administrator الذي يقوم بتوزيع الموارد المعرفية بين تخزين المعلومات ومعالجتها، وذلك من خلال المفكرة البصرية. المكانية والحلقة الفونولوجية، ويسمح كذلك بتسيير عمليات الذاكرة وذلك عبر تحويل ومعالجة ونقل وتنسيق المعلومات. ويتجلى المكون الثاني في الحلقة الفونولوجية Phonological التي تعتبر المسؤولة عن التخزين المؤقت للمعلومات اللفظية. أما المكون الثالث فهو المفكرة البصرية. المكانية Visuospatial الذي يسمح بالاحتفاظ بالمعلومات البصر. مكانية في الذاكرة العاملة ومعالجتها (Baddeley & Hitch, 1974). إذن، فالباحثان بادلي Baddely وهيتش Hitch (1974) لم يقدموا نموذجا للوظائف التنفيذية، بل الوظائف التي تُسند إلى المنفذ المركزي، والتي تبرر القرابة النظرية بين الذاكرة العاملة والوظائف التنفيذية. ويُعتبر المنفذ المركزي نظاما للمراقبة الإنتباهية ويتضمن كذلك انتقاء الاستراتيجيات المعرفية. إذ يعمل على تنسيق نشاط الأنظمة التابعة له التي تتجلى في المكونات الثلاث التي تناولناها أعلاه.

وأضاف بادلي Baddely (2000) في فترة لاحقة المكون الرابع الذي يتمثل في الدائري المشهدي Buffer épisodique، حيث يسمح هذا المكون بدمج المعلومات التي تدخل النظام المعرفي (Baddeley, 2000).

ساهمت كل من التطورات المهمة في أبحاث الوظائف التنفيذية من جهة وأبحاث الذاكرة بعيدة المدى من جهة أخرى، على إتمام نموذج الذاكرة العاملة لبادلي Baddely (2000). وتتجلى إسهامات الوظائف التنفيذية في صياغة أساس التحليلات الاحصائية البنوية، والاقتراحات التي تؤكد على هذه الأعمال التي تسمح بتوضيح اشتغال المنفذ المركزي وتدل على كيفية تقييمه (Eustache, Faure & Desgranges, 2014).



الشكل رقم (2): نموذج بادلي Baddely للذاكرة العاملة (2000).

6.4 نموذج ميك متعدد الوسائط:

قامت ميك Miyake وآخرون (2000) باقتراح مهمات معرفية بسيطة على 137 حالة من الراشدين، لتحديد ما إذا كانت الوظائف التنفيذية تعتمد على نفس السيرورات، ودراسة العلاقات الموجودة بين المرونة الذهنية Shifting or cognitive flexibility وكف Inhibition الاستجابات المهيمنة والتحيين Miyake et) Updating (al., 2000).

أظهرت النتائج أن المتغيرات التي تمت دراستها من قبل الباحثين كانت متميزة، مما يؤكد على استقلالية وظائفها، وهذا ما يشير إلى التميز بين هذه الوظائف. واقترحت بذلك مقاربتين لتفسير هذه الارتباطات:

- تتجلى المقاربة الأولى في تطبيق الذاكرة العاملة من خلال مجموع الاختبارات المقترحة.
- تحليل المقاربة الثانية بأن الكف يشارك في تحقيق كل المهمات المقترحة.

عرفت مياك إذن ثلاثة وظائف تنفيذية خاصة، وبيّنت أن هناك تبادل للسيروورات المشتركة فيما بينها بالرغم من استقلالية وظائفها. حيث تسمح سيروورة الكف بمسح أو إيقاف المعلومات غير المهمة. في حين تقوم سيروورة المرونة الذهنية بالسماح بالانتقال سريعا من مهمة إلى أخرى، بما يلائم المحيط. وتسمح سيروورة التحيين بتنشيط محتوى الذاكرة العاملة.

5. نمو الوظائف التنفيذية :

تنمو قشرة الفص قبل الجبهي prefrontal cortex بشكل تدريجي، كما تستمر بعض الأجزاء في التطور خلال فترة المراهقة وحتى البلوغ (Gilbert & Burgess, 2008). وتتقاسم الوظائف التنفيذية هذا التدرج في النمو على غرار الفص قبل الجبهي، إذ تعتبر هذه الوظائف آخر الوظائف الذهنية التي تصل إلى مرحلة النضج (Cristofori, Cohen-Zimmerman & Grafman., 2019).

إن وجود العلاقة بين تطور قشرة الفص قبل الجبهي pre-frontal cortex والوظائف التنفيذية، جعل الإعتقاد لفترة زمنية لا بأس بها أن هذه الأخيرة تتطور خلال فترة المراهقة (Bernier, Carlson, & Whipple, 2010). إلا أن الدراسات التي ستأتي فيما بعد، وخصوصا مع التطورات التي شهدتها العلوم العصبية المعرفية، تبين أن الوظائف التنفيذية وقشرة الفص قبل الجبهي تبدأ في وقت مبكر من الطفولة وسنوات ما قبل الدراسة الابتدائية (Fiske, Holmboe, 2019).

وتؤثر مجموعة من العوامل في تطور الوظائف التنفيذية خلال مرحلة الطفولة، ومن بين هذه العوامل الأكثر تأثيرا؛ العامل البيئي، إذ يلعب هذا العامل دورا كبير في تطور الوظائف التنفيذية خلال مرحلة الطفولة المبكرة (Müller, Baker, Yeung, 2013). وبشكل عام، فالوظائف التنفيذية تتطور بفعل التفاعل مع البيئة (Bernier, Carlson & Whipple, 2010 ; Blair & Raver, 2012). ومن بين المؤثرات البيئية التي تلعب دورا مهما في تطور الوظائف التنفيذية، هي ثنائية اللغة

والتي تعزز تطور الوظائف التنفيذية (Antón, Carreiras & Duñabeitia, 2019 ;)
 (Abdolmohammadi et al., 2022). علاوة على ذلك، فالعامل الاجتماعي
 والاقتصادي له دور أيضا في تطور الوظائف التنفيذية (Last et al., 2018 ;)
 (Hackman et al., 2015).

تحسن الوظائف التنفيذية بشكل مستمر في مرحلة الطفولة (Jurado
 and Rosselli, 2007). فخلال السنة الأولى من العمر يمكن ملاحظة قدرة الأطفال
 على استخلاص القواعد الأساسية وقدرات الذاكرة؛ الانتباه من خلال التفاعل مع
 المحيط المباشر (Rose, Feldman & Jankowski, 2016). ويستمر تطور أداء
 مجموعة من المهام في مرحلة المراهقة من قبيل: الذاكرة العاملة، الكف، إتخاذ القرار
 وغيرها من المهام، حل المشكلات وغيرها (Cristofori, Cohen-Zimmerman &
 Grafman., 2019). ويكون هذا التطور في مرحلة المراهقة المبكرة أو المتوسطة في
 الوظائف التنفيذية، إلا أنه يصبح ضعيفا في مرحلة المراهقة المتأخرة (Blakemore
 & Choudhury, 2006). وهذا ما تبين من خلال دراسة طولية أُجريت على مراهقين
 تتراوح أعمارهم ما بين 17 و19 سنة، لمدة 12 إلى 16 شهرا، وقد توصلت الدراسة إلى
 انخفاض هذه الفئة في اختبار الفرز sorting test (Taylor et al., 2015).

أما على مستوى مرحلة الشيخوخة، فقد أُجريت دراسة حول ما إذا كانت
 الشيخوخة مرتبطة بأداء التخطيط، وقد عرفت مشاركة ثلاث مجموعات؛ الأولى
 لأفراد يبلغون من العمر 22.7 سنة وكان عددهم 15 فردا، في حين بلغ عمر المجموعة
 الثانية 68.1 سنة وتكونت من 15 فردا، أما المجموعة الثالثة فتبلغ 78.75 سنة
 وتتراوح عددها 16 فردا. اختُبر هؤلاء المشاركون في مجموعة من الإختبارات (الكف،
 التحول، التحيين، سرعة المعالجة)، وتم تقييم التخطيط بواسطة برج هانوي
 Tower of Hanoi. وتوصلت الدراسة إلى تأثير الشيخوخة على العديد من الوظائف
 التنفيذية والتخطيط، وأن المشاركون الأصغر سنا في هذه الدراسة يتفوقون على
 كبار السن عند اختبارهم في مهمة التخطيط (Sorel & Pennequin, 2008). وتتأثر

بعض المناطق الدماغية كمنطقة الحصين hippocampus والقشرة الصدغية السفلية inferior temporal cortex الفص قبل الجبهي prefrontal بفعل عامل تقدم العمر (Raz et al., 2005). وفي دراستين ميطا تحليلية meta-analyses حول الأداء في اختبار فرز بطاقات ويسكونسن Wisconsin Card Sorting Test، بحثت الدراسة الأولى التغيرات التي لها علاقة بالعمر في أداء عدد من الفئات، ودرست الثانية عدد أخطاء المثابرة perseverative errors. وتوصلت نتائج الدراسة الحالية إلى وجود فروق عمرية قوية في أداء اختبار فرز بطاقات ويسكونسن، وعدد الفئات التي تم إتقانها وعدد أخطاء المثابرة المرتكبة (Rhodes, 2004).

6. إعادة تأهيل الوظائف التنفيذية

لقد حاول مجموعة من الباحثين تطوير تدخلات تأهيلية لتحسين الوظائف التنفيذية عند المرضى الذين يعانون من متلازمة الاختلالات التنفيذية dysexecutive syndrome. ويعتبر إعادة التأهيل المعرفي Cognitive rehabilitation من بين التدخلات المشهورة في تدريب الوظائف التنفيذية. ويمكن تعريفه حسب الكونجرس الأمريكي لطب إعادة التأهيل American Congress of Rehabilitation Medicine بأنه نشاط معرفي علاجي منظم، يكون موجهاً لتحقيق تغييرات وظيفية وذلك عبر إعادة تأسيس وتقوية السلوكيات التي تم إكتسابها في الماضي من جهة، ثم تأسيس أنماط جديدة من النشاط المعرفي أو الآليات التعويضية للأنظمة العصبية الضعيفة (Novakovic-Agopian & Abrams, 2014). وتتمثل أهمية إعادة التأهيل المعرفي للوظائف التنفيذية، في تحسين بعض قدرات الوظائف التنفيذية، باعتبار أن هذه الأخيرة لها تأثير كبير على حياتنا اليومية.

طور مجموعة من الباحثين تدخلا تحت إسم التدريب على إدارة الأهداف Goal Management Training والمستمد من نظرية دنكان Duncan وآخرون (1996) حول إهمال الأهداف goal neglect، على السلوك غير المنظم بعد الإصابة

الدماغية الداخلية traumatic brain injury. ويركز هذا الأسلوب في إعادة التأهيل على السلوكيات الموجهة نحو الأهداف، من خلال مراقبة وضبط السلوك المستمر. وتوصلت الدراسة إلى فعالية تدخل التدريب على إدارة الأهداف في علاج قصور اختلالات الوظيفة التنفيذية executive functioning deficits والذي يكون حاجزا للإستقلالية لدى المشاركين من ذوي الإصابات الدماغية (Levine et al., 2000).

تلقي مجموعة من الأفراد ذوي الإصابات الدماغية لعلاج جماعي مبتكر innovative group treatment ضمن سياق التدخل المعرفي للذين يعانون من قصور في الوظائف التنفيذية (حل المشكلات). ويعد هذا التدخل موجهًا إلى تحسين وتطوير الضبط الذاتي الإنفعالي emotional self-regulation وحل المشكلات problem solving. وبينت النتائج تحسين المشاركين في حل المشكلات (Rath et al., 2003).

واستخدم باحثون تصميم لموضوع واحد single-subject design من خلال المقاربة متعددة السياق multicontext approach لتعزيز استخدام الاستراتيجية عبر مواقف متعددة وزيادة التنظيم الذاتي والوعي والأداء الوظيفي بعد الإصابة الدماغية. وتوصلت الدراسة، إلى أن جميع المشاركين قد أظهروا تغييرات إيجابية في مهارات التنظيم الذاتي واستخدام الإستراتيجية (Toglia et al., 2010).

قامت دراسة مقارنة (مجموعة تجريبية تأخذ هذا البرنامج ومجموعة ضابطة غير معنية بأخذ هذا البرنامج) وباستعمال برنامج تدريبي معرفي. حركي مزدوج المهام ognitive—motor dual-tasking training program لتحسين مجموعة من القدرات الحركية (المشي) والمعرفية (نطق جملة) عند الأفراد ذوي الإصابات الدماغية المكتسبة acquired brain injury. وخلصت الدراسة إلى تحسن الأداء في النتائج الأولية، بالرغم من وجود أدلة قليلة على المقاييس الأخرى (Saffran & Evans, Robe-Torres, 2009).

وفي دراسة أخرى شملت 19 مشاركاً يعانون من أمراض في الدماغ brain disease والتي أثرت بشكل سلبي على وظائف الفص الجبهي. استُخدمت نسخة ممتدة من التدريب على إدارة الأهداف extended version of Goal Management Training بالتدخل البديل alternative intervention من أجل تحسين مجموعة من القدرات. وتوصلت النتائج إلى فعالية هذا الأسلوب التداخلي في إعادة تأهيل القصور في الأداء التنفيذي من خلال مهمة الإنتباه المستمر sustained attention وحل المشكلات البصرية. المكانية visuospacial problem solving (Levine et al., 2011).

وعلى غرار استخدام التدخلات عند الأفراد ذوي الإصابات الدماغية، تم استخدام التدخلات أيضاً عند المصابين باضطرابات نمائية عصبية. فقد استخدم تدخل Unstuck and On Target للأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، ويستهدف هذا التدخل مجموعة من مكونات الوظائف التنفيذية. وقد توصلت النتائج إلى أن تدخل Unstuck and On Target أدى إلى تحسين مجموعة من مكونات الوظائف التنفيذية من قبيل: المرونة، التخطيط، التنظيم وحل المشكلات (Kenworthy et al., 2014).

على الرغم من توفر مجموعة من النتائج الإيجابية حول فعالية التدخلات المعرفية (Levine et al., 2010 : Levine et al., 2000)، وإشارة بعض الباحثين أن هذا التدخل هو أفضل أسلوب تداخلي متاح لتأهيل من يعانون من ضعف معرفي عصبي وقصورات وظيفية (Cicerone et al., 2005). إلا أن العديد من المراجعات، أكدت أن فعالية تدخلات التأهيل المعرفي لا يمكن دعمه أو دحضه (Lincoln, Majid, 2007 ; Bowen & Lincoln, 2007 ; Cicerone et al., 2005 ; Weyman, 2000). علاوة على أن غالبية ذوي الإصابات الدماغية الذين يعانون من متلازمة الاختلالات التنفيذية ويتلقون التدخل المعرفي المكثف لا يسترجعون وظائفهم التنفيذية بشكل كامل (Cristofori, Cohen-Zimmerman & Grafman., 2019). وبالتالي، فقد يحتاج الباحثون دراسات موسعة لتأكيد فعالية هذا البرنامج وتطويره.

خلاصة

نستخلص مما سبق، أن مفهوم الوظائف التنفيذية لم يكن حاضرا إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وعرفت هذه الوظائف تطورا تدريجيا، وهي مجموعة من القدرات التي يستعملها الفرد من أجل بلوغ هدف محدد. وتشتمل هذه الوظائف مجموعة من الإوالات أو السيرورات من قبيل المرونة الذهنية، الكف، التخطيط، الذاكرة العاملة... تتوزع هذه الوظائف بشكل رئيسي في الفص الجبهي، إلى جانب مناطق أخرى في الدماغ كالمناطق الخلفية وتحت القشرية والتي تم كشفها من خلال تقنيات التصوير الدماغي.

اقترح مجموعة من الباحثين العديد من النماذج التفسيرية للوظائف التنفيذية لتوضيح كيفية عمل هذه الوظائف وتوضيح دور كل مكون من مكونات الوظائف التنفيذية، وكانت البداية مع نموذج لوريا Luria (1973) لتأتي بعده مجموعة من النماذج الأخرى. وقد بينت الدراسات أن هذه الوظائف تتطور منذ المراحل المبكرة من الطفولة.

وتؤدي القصورات في الوظائف التنفيذية إلى الحد من قدرة الفرد في التكيف مع الحياة اليومية بشتى مجالاتها، الاجتماعية، المهنية والأكاديمية... وتساهم عملية التشخيص في التكفل بهذه القصورات من خلال البرامج المتوفرة والتي تقلص من حدة هذه الاختلالات ومساعدة الأفراد على تحقيق ذواتهم.

لائحة المصادر والمراجع

- Abdolmohammadi, A., Malek, A., Ghadiri Sourman Abadi, F., and Ebrahimzadeh, K. (2022). Comparing the Dimensions of Executive Functions in Monolingual and Bilingual Children. *Journal of Practice in Clinical Psychology, 10(3), 185-192.* <https://doi.org/10.32598/jpcp.10.3.194.5>
- Alvarez, J. A., & Emory, E. (2006). *Executive Function and the Frontal Lobes: A Meta-Analytic Review. Neuropsychology Review, 16(1), 17–42.* doi:10.1007/s11065-006-9002-x
- Antón, E., Carreiras, M., & Duñabeitia, J. A. (2019). *The impact of bilingualism on executive functions and working memory in young adults. PLOS ONE, 14(2), e0206770.* doi:10.1371/journal.pone.0206770
- Ardila, A. (2008). *On the evolutionary origins of executive functions. Brain and Cognition, 68(1), 92–99.* doi:10.1016/j.bandc.2008.03.003
- Baddeley, A. (2000). *The episodic buffer: a new component of working memory? Trends in Cognitive Sciences, 4(11), 417–423.* doi:10.1016/s1364-6613(00)01538-2
- Baddeley, A. D., & Hitch, G. (1974). *Working Memory. Psychology of Learning and Motivation, 47–89.* doi:10.1016/s0079-7421(08)60452-1
- Barbey AK, Colom R, Solomon J et al. (2012). An integrative architecture for general intelligence and executive function revealed by lesion mapping. *Brain 135 (4): 1154–1164.* <https://doi.org/10.1093/brain/aws021>.
- Barker, F. G. (1995). *Phineas among the phrenologists: the American crowbar case and nineteenth-century theories of cerebral localization. Journal of Neurosurgery, 82(4), 672–682.* doi:10.3171/jns.1995.82.4.0672
- Barkley R. (2012) *Executive Functions: what they are, how they work, and why they evolved.* The Guilford Press New York London.
- Bernier, A., Carlson, S. M., & Whipple, N. (2010). From external regulation to self-regulation: Early parenting precursors of young children's executive functioning. *Child Development, 81(1), 326–339.*
- Blair, C., & Diamond, A. (2008). Biological processes in prevention and intervention: The promotion of self-regulation as a means of preventing school failure. *Development and Psychopathology, 20(3), 899–911.* <https://doi.org/10.1017/S0954579408000436>

- Blair, C., & Raver, C. C. (2012). Individual development and evolution: Experiential canalization of self-regulation. *Developmental Psychology*, 48(3), 647-657
- Blakemore S-J, Choudhury S (2006). Development of the adolescent brain: implications for executive function and social cognition. *Journal Child Psychol Psychiatry* 47 (3-4): 296-312. <https://doi.org/10.1111/j.1469-7610.2006.01611.x>.
- Bowen, A., & Lincoln, N. (2007). *Cognitive rehabilitation for spatial neglect following stroke. Cochrane Database of Systematic Reviews*. doi:10.1002/14651858.cd003586.pub2
- Carlson, S. M., Zelazo, P. D., & Faja, S. (2013). Executive function. In P. D. Zelazo (Ed.), *The Oxford handbook of developmental psychology (Vol. 1): Body and mind* (pp. 706-743). Oxford University Press.
- Champod AS, Petrides M (2007). Dissociable roles of the posterior parietal and the prefrontal cortex in manipulation and monitoring processes. *Proc Natl Acad Sci USA* 104 (37): 14837-14842. <https://doi.org/10.1073/pnas.0607101104>.
- Cicerone KD, Dahlberg C, Kalmar K et al. (2000). Evidencebased cognitive rehabilitation: recommendations for clinical practice. *Arch Phys Med Rehabil* 81 (12): 1596-1615. <https://doi.org/10.1053/apmr.2000.19240>.
- Cicerone, K. D., Dahlberg, C., Malec, J. F., Langenbahn, D. M., Felicetti, T., Kneipp, S., Catanese, J. (2005). *Evidence-Based Cognitive Rehabilitation: Updated Review of the Literature From 1998 Through 2002. Archives of Physical Medicine and Rehabilitation*, 86(8), 1681-1692. doi:10.1016/j.apmr.2005.03.024
- Collette, F., Hogge, M., Salmon, E., & Van der Linden, M. (2006). *Exploration of the neural substrates of executive functioning by functional neuroimaging. Neuroscience*, 139(1), 209-221. doi:10.1016/j.neuroscience.2005.05.035
- Cristofori, I., Cohen-Zimmerman, S., & Grafman, J. (2019). *Executive functions. Handbook of Clinical Neurology*, 197-219. doi:10.1016/b978-0-12-804281-6.00011-2
- Devine, R. T., Ribner, A., & Hughes, C. (2019). Measuring and predicting individual differences in executive functions at 14 months: A longitudinal study. *Child Development*, 90(5), e618-e636.
- Diamond, A. (2013). *Executive Functions. Annual Review of Psychology*, 64(1), 135-168. doi:10.1146/annurev-psych-113011-143750

- Diamond, A. (2020). *Executive functions. Neurocognitive Development: Normative Development*, 225–240. doi:10.1016/b978-0-444-64150-2.00020-4
- Drewe, E. A. (1975). *Go - No Go Learning After Frontal Lobe Lesions in Humans. Cortex*, 11(1), 8–16. doi:10.1016/s0010-9452(75)80015-3
- Eslinger, P. J., & Grattan, L. M. (1993). Frontal lobe and frontal-striatal substrates for different forms of human cognitive flexibility. *Neuropsychologia*, 31(1), 17–28. [https://doi.org/10.1016/0028-3932\(93\)90077-D](https://doi.org/10.1016/0028-3932(93)90077-D)
- Espy KA (2016). The changing nature of executive control in preschool. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 81(4), 1–179.
- Eustache F., Faure S., & Desgranges B. (2014). *Manuel de neuropsychologie*. Dunod. 4^{ème} édition.
- Evans, J. L., Saffran, J. R., & Robe-Torres, K. (2009). *Statistical Learning in Children With Specific Language Impairment. Journal of Speech Language and Hearing Research*, 52(2), 321. doi:10.1044/1092-4388(2009/07-0189)
- Fiske, A., & Holmboe, K. (2019). *Neural substrates of early executive function development. Developmental Review*, 52, 42–62. doi:10.1016/j.dr.2019.100866
- Fogel, Y., Rosenblum, S., Hirsh, R., Chevignard, M., & Josman, N. (2020). *Daily Performance of Adolescents with Executive Function Deficits: An Empirical Study Using a Complex-Cooking Task. Occupational Therapy International*, 2020, 1–11. doi:10.1155/2020/3051809
- Friedman, N. P., & Miyake, A. (2004). The Relations Among Inhibition and Interference Control Functions: A Latent-Variable Analysis. *Journal of Experimental Psychology: General*, 133(1), 101–135. <https://doi.org/10.1037/0096-3445.133.1.101>
- García-Madruga, J. A., Gómez-Veiga, I., & Vila, J. Ó. (2016). *Executive Functions and the Improvement of Thinking Abilities: The Intervention in Reading Comprehension. Frontiers in Psychology*, 7. doi:10.3389/fpsyg.2016.00058
- Gaunet F. (Novembre 2012). *La Modulation Des Comportements ; Les Fonctions Exécutives. Revue Scientifique. Marseille. France: Laboratoire De Psychologie Cognitive.*
- Gilbert, S. J., & Burgess, P. W. (2008). *Executive function. Current Biology*, 18(3), R110–R114. doi:10.1016/j.cub.2007.12.014

- Gillet P., Hommet C., & Billard C. (2000) *neuropsychologie de l'enfant : une introduction*. Solal Editeurs.
- Goldstein, S., & Naglieri, J. A. (Eds.). (2014). *Handbook of executive functioning*. Springer Science + Business Media. <https://doi.org/10.1007/978-1-4614-8106-5>
- Grant, D. A., & Berg, E. (1948). A behavioral analysis of degree of reinforcement and ease of shifting to new responses in a Weigl-type card-sorting problem. *Journal of Experimental Psychology*, 38(4), 404–411. <https://doi.org/10.1037/h0059831>
- Hackman DA, Gallop R, Evans GW et al. (2015). Socioeconomic status and executive function: developmental trajectories and mediation. *Dev Sci* 18 (5): 686–702. <https://doi.org/10.1111/desc.12246>.
- Hathaway W. R. & Newton B. W. "Neuroanatomy, Prefrontal Cortex". In: StatPearls [Internet]. *Treasure Island (FL): StatPearls Publishing; 2023 May 29*. PMID: 29763094
- Heyder, K., Suchan, B., & Daum, I. (2004). *Cortico-subcortical contributions to executive control*. *Acta Psychologica*, 115(2-3), 271–289. doi:10.1016/j.actpsy.2003.12.010
- Jacques, S., & Marcovitch, S. (2010). Development of executive function across the life span. In W. F. Overton & R. M. Lerner (Eds.), *The handbook of life-span development, Vol. 1. Cognition, biology, and methods* (pp. 431–466). John Wiley & Sons, Inc.. <https://doi.org/10.1002/9780470880166.hlsd001013>
- José, R.-G., Samuel, A.-S., & Isabel, M.-M. (2020). Neuropsychology of executive functions in patients with focal lesion in the prefrontal cortex: A systematic review. *Brain and Cognition*, 146, 105633. doi:10.1016/j.bandc.2020.105633
- Jurado MB, Rosselli M (2007). The elusive nature of executive functions: a review of our current understanding. *Neuropsychol Rev* 17 (3): 213–233. <https://doi.org/10.1007/s11065-007-9040-z>
- Kennedy MRT, Coelho C, Turkstra L et al. (2008). Intervention for executive functions after traumatic brain injury: a systematic review, meta-analysis and clinical recommendations. *Neuropsychol Rehabil* 18 (3): 257–299. <https://doi.org/10.1080/09602010701748644>.
- Kenworthy, L., Anthony, L. G., Naiman, D. Q., Cannon, L., Wills, M. C., Luong-Tran, C., Wallace, G. L. (2014). *Randomized controlled effectiveness trial of executive function intervention for children on the autism spectrum*. *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, 55(4), 374–383. doi:10.1111/jcpp.12161

- Last, B. S., Lawson, G. M., Breiner, K., Steinberg, L., & Farah, M. J. (2018). Childhood socioeconomic status and executive function in childhood and beyond. *PLoS One*, 13(8), e0202964.
- LEVINE, B., ROBERTSON, I. H., CLARE, L., CARTER, G., HONG, J., WILSON, B. A., STUSS, D. T. (2000). *Rehabilitation of executive functioning: An experimental—clinical validation of Goal Management Training*. *Journal of the International Neuropsychological Society*, 6(3), 299–312. doi:10.1017/s1355617700633052
- Levine, B., Schweizer, T. A., O'Connor, C., Turner, G., Gillingham, S., Stuss, D. T., ... Robertson, I. H. (2011). *Rehabilitation of Executive Functioning in Patients with Frontal Lobe Brain Damage with Goal Management Training*. *Frontiers Human Neuroscience*, 5. doi:10.3389/fnhum.2011.00009
- Lincoln, N., Majid, M., & Weyman, N. (2000). *Cognitive rehabilitation for attention deficits following stroke*. *Cochrane Database of Systematic Reviews*. doi:10.1002/14651858.cd002842
- Luria, A.R. (1966). *Higher cortical functions in man*. New York: Basic Books.
- Lyketsos, C. G., Rosenblatt, A., & Rabins, P. (2004). *Forgotten Frontal Lobe Syndrome or "Executive Dysfunction Syndrome."* *Psychosomatics*, 45(3), 247–255. doi:10.1176/appi.psy.45.3.247
- Mazzeau M. & Pouhet A. (2014) *Neuropsychologie et troubles des apprentissages chez l'enfant : du développement typique aux « dys »*. 2ème édition. ELSEVIER MASSON.
- MILNER, B. (1963). *Effects of Different Brain Lesions on Card Sorting*. *Archives of Neurology*, 9(1), 90. doi:10.1001/archneur.1963.00460070100010
- Miyake, A., Friedman, N. P., Emerson, M. J., Witzki, A. H., Howerter, A., & Wager, T. D. (2000). *The Unity and Diversity of Executive Functions and Their Contributions to Complex "Frontal Lobe" Tasks: A Latent Variable Analysis*. *Cognitive Psychology*, 41(1), 49–100. doi:10.1006/cogp.1999.0734
- Müller, U., Baker, L., & Yeung, E. (2013). A developmental systems approach to executive function. *Advances in Child Development - opment and Behavior*, 45, 39-66.
- Norman D. A., Shallice T. (1986). Attention to action, in *Consciousness and Self-Regulation*, eds Davidson R. J., Schwartz G. E., Shapiro D. (New York, NY: Springer US;), 1–18.

- Novakovic-Agopians, T., & Abrams, G. M. (2014). *Cognitive Rehabilitation Therapy. Encyclopedia of the Neurological Sciences*, 824–826. doi:10.1016/b978-0-12-385157-4.00481-4
- Otero, T. M., Barker, L. A., & Naglieri, J. A. (2014). *Executive Function Treatment and Intervention in Schools. Applied Neuropsychology: Child*, 3(3), 205–214. doi:10.1080/21622965.2014.897903
- Rabbitt, P. (1997) Methodologies and models in the study of executive function. In: Rabbitt P. Ed., *Methodology of Frontal and Executive Function*, Psychology Press Publishers, East Sussex, 1-38.
- Rath, J. F., Simon, D., Langenbahn, D. M., Sherr, R. L., & Diller, L. (2003). *Group treatment of problem-solving deficits in outpatients with traumatic brain injury: A randomised outcome study. Neuropsychological Rehabilitation*, 13(4), 461–488. doi:10.1080/09602010343000039
- Ratiu P, Talos I-F, Haker S et al. (2004). The tale of Phineas Gage, digitally remastered. *J Neurotrauma* 21 (5): 637–643. <https://doi.org/10.1089/089771504774129964>.
- Raz, N., Lindenberger, U., Rodrigue, K. M., Kennedy, K. M., Head, D., Williamson, A., Acker, J. D. (2005). *Regional Brain Changes in Aging Healthy Adults: General Trends, Individual Differences and Modifiers. Cerebral Cortex*, 15(11), 1676–1689. doi: 10.1093/cercor/bhi044
- Rhodes, M. G. (2004). *Age-Related Differences in Performance on the Wisconsin Card Sorting Test: A Meta-Analytic Review. Psychology and Aging*, 19(3), 482–494. doi:10.1037/0882-7974.19.3.482
- Rose SA, Feldman JF, Jankowski JJ (2016). *Infant cognitive abilities: potential building blocks of later executive functions*. In: JA Griffin, P McCardle, LS Freund, JA Griffin (Eds.), *Executive function in preschool-age children: integrating measurement, neurodevelopment, and translational research. American Psychological Association, Washington, DC, pp. 139–156*. <https://doi.org/10.1037/14797-007>.
- Sandrine C. (2007) Chapitre 5 : *les fonctions exécutives* », in Marie-Pascale Noël , *Bilan neuropsychologique del'enfant Mardaga « PSY-Évaluation, mesure, diagnostic* », p. 117-137.
- Shallice, T. (1982). *Specific Impairments of Planning. Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences*, 298(1089), 199–209. doi:10.1098/rstb.1982.0082

- Sorel, O., & Pennequin, V. (2008). *Aging of the Planning process: The role of executive functioning*. *Brain and Cognition*, 66(2), 196–201. doi:10.1016/j.bandc.2007.07.006
- Stroop, J. R. (1935). Studies of interference in serial verbal reactions. *Journal of Experimental Psychology*, 18(6), 643–662. <https://doi.org/10.1037/h0054651>
- Stuss DT, Benson DF (1986) *The frontal lobes*. New York: Raven Press.
- Taylor SJ, Barker LA, Heavey L et al. (2015). The longitudinal development of social and executive functions in late adolescence and early adulthood. *Front Behav Neurosci* 9: 252. <https://doi.org/10.3389/fnbeh.2015.00252>.
- Toglia, J., Johnston, M. V., Goverover, Y., & Dain, B. (2010). *A multicontext approach to promoting transfer of strategy use and self regulation after brain injury: An exploratory study*. *Brain Injury*, 24(4), 664–677. doi:10.3109/02699051003610474
- VAN DER LINDEN, M. ; MEULEMANS, Th. ; MARCZEWSKI, Ph. ; COLLETTE, F. (2000). The relationships between episodic memory, working memory, and executive functions: the contribution of the prefrontal cortex., *Psychologica Belgica*, 40, 275-297.
- Zelazo, P. D., & Carlson, S. M. (2012). *Hot and Cool Executive Function in Childhood and Adolescence: Development and Plasticity*. *Child Development Perspectives*, n/a–n/a. doi: 10.1111/j.1750-8606.2012.00246.x
- Zelazo, P.D., Blair, C.B., and Willoughby, M.T. (2016). *Executive Function: Implications for Education* (NCER 2017-2000) Washington, DC: National Center for Education Research, Institute of Education Sciences, U.S. Department of Education. This report is available on the Institute website at <http://ies.ed.gov/>.

الأخبار الزائفة (The Fake News) في وسائل التواصل الاجتماعي: تأصيل في المفهوم وبحث في الدوافع والأسباب

د. سعيد الأشعري

باحث في التراث الثقافي والتواصل
الأكاديمية الجبوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
وجدة، المغرب

ORCID ID : 0000-0002-1248-8969



د. عبد العزيز الصادقي

باحث في العلوم السياسية
الأكاديمية الجبوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
وجدة، المغرب

ORCID ID : 0009-0005-4939-3372

ملخص:

على مدى السنوات الأخيرة، سهّل نمو وسائل التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت إلى حد كبير طريقة تواصل الناس مع بعضهم البعض. يقوم مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت بمشاركة المعلومات والتواصل مع الآخرين والبقاء على اطلاع بالأحداث الشائعة. ومع ذلك، فإن الكثير من المعلومات الحديثة التي تظهر على وسائل التواصل الاجتماعي مشكوك فيها، وفي بعض الحالات، تهدف إلى التضليل. غالبًا ما يطلق على هذا المحتوى اسم "الأخبار الزائفة". يمكن للكثير من الأخبار الزائفة عبر الإنترنت أن تسبب مشاكل خطيرة في المجتمع.

كلمات مفتاحية: الأخبار الزائفة - الإنترنت - مواقع التواصل الاجتماعي - وسائل الإعلام.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الصادقي، عبد العزيز. الأشعري، سعيد. (2024، أبريل). الأخبار الزائفة أو (The Fake News) في وسائل التواصل الاجتماعي: تأصيل في المفهوم وبحث في الدوافع والأسباب. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 145-168.

Abstract

Over recent years, the growth of online social media has greatly simplified the way people communicate with each other. Online social media users share information, communicate with others, and stay informed about trending events. However, much of the recent information appearing on social media is questionable and, in some cases, intended to mislead. This content is often called "fake news". Large amounts of fake news online can cause serious problems in society.

Keywords : Fake news - the Internet - social networking sites - the media.

مقدمة

ارتبطت وسائل الإعلام عموماً منذ نشأتها، وفي كل مراحل تطورها، بعلاقة جدلية مع محركات التحديث المجتمعية، المتمثلة بالعوامل السياسية وطبيعة نظمها، والاقتصادية وطريقة إدارتها، والثقافية ومحاولة تشكيل الهوية عبر الأنساق القيمية. ولا زال هذا الارتباط مستمرا بين هذه المحركات ووسائل الإعلام على مختلف أنواعها¹.

فالتحولات الكبيرة التي يشهدها العالم اليوم في ميدان تكنولوجيا الاتصال والإعلام، قد نتج عنها إحداث تغيرات كبيرة في إنتاج وتلقي المعلومة. فوسائل الإعلام بمختلف أصنافها المرئية والمسموعة والمقروءة وحتى الإلكترونية عرفت تطورات نوعية، وصارت تلعب أدوارا كبيرة وخطيرة في نفس الوقت. فأصبحت عملية الحشد والتعبئة وتوجيه الرأي العام والتأثير فيه، وتشكيل مفاهيمه وتغييرها من الأدوار الرئيسية لها. كما أصبحت وسائل الإعلام عنصرا فاعلا ومكونا من مكونات الرأي والفهم والوعي، وهو ما حدا بها أن تكون اليوم من أهم الأدوات التي لا غنى عنها في صناعة الرأي العام وتوجيهه لخدمة مشروع معين أو لقضايا تروج لأجندات معينة، على اعتبار أن الجمهور اليوم أصبح يتابع كل ما يجري حوله لحظة بلحظة.

لقد واكبت شبكات التواصل الاجتماعي هذه التطورات المتسارعة لوسائل الاتصال والإعلام، مستغلة سرعة انتشارها بين مختلف شرائح المجتمع، فغيرت بشكل جذري سلوك عموم المستعملين إزاء المعلومات. فما كان ينشر في إطار مقيد من وجهات نظر وآراء وتعليقات، صار اليوم متاحا أكثر من ذي قبل، حيث أصبح بوسع جميع مستعملي شبكة الانترنت تبادل هذه المعلومات وتقاسمها. إذ توفر

1 ليث عبد الستار عيادة اللهي، التعددية السياسية والإعلامية وأثرها في بناء القصة الخيرية في الصحافة الإلكترونية، رسالة ماجستير في الإعلام، جامعة القاهرة 2014، ص98.

شبكات التواصل الاجتماعي وطريقة عملها إمكانية الحصول على المعلومة وتداولها في حينها.

تشير إحصائيات الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات إلى أنه يشارك أزيد من 99% من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم ما بين 12 و39 سنة في الشبكات الاجتماعية، ويتجاوز استخدام 73 في المائة من هؤلاء لهذه الشبكات الساعة الواحدة يوميا¹.

لقد أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي مصدراً أساسياً للحصول على الأخبار والمعرفة، وهذا يمثل تحولاً كبيراً عن الأوقات التي كانت فيها هذه المعلومات محصورة في بعض الأوساط المتخصصة. فتح هذا التطور أمام الجمهور خيارات متعددة لتلبية احتياجاتهم الإعلامية بسهولة أكبر مما كانت عليه في الماضي. ومن اللافت أن هذه الشبكات أصبحت بيئة مثالية لممارسة الإعلام، سواء من قبل المؤسسات الإعلامية أو من قبل أشخاص ذاتين.

ومع ذلك، فقد كشف هذا التطور عن جوانب سلبية، حيث أصبحت الشبكات الاجتماعية بيئة مثالية لانتشار الأخبار الكاذبة، وملجأ للأخبار المضللة والمعلومات غير الصحيحة. الشيء الذي أدى إلى زيادة الاهتمام العالمي بمكافحة هذه الظاهرة.

وللإلمام بهذه الموضوع، تأتي هذه الورقة البحثية لإمطة اللثام عن هذه الظاهرة التي أصبحت مصدر قلق ليس للأفراد فقط، وإنما للدول والحكومات والمؤسسات. وذلك من خلال مقارنة الإشكالية التالية:

1 الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات، بحث سنوي بخصوص تجميع مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والاتصال (2020).

إلى أي حد يمكن اعتبار انتشار ظاهرة الأخبار الزائفة نتيجة حتمية للتطور الكبير الذي عرفته منظومة الاتصال والإعلام؟ وهل القلق من استفحال هذه الظاهرة له ما يبرره؟

وتفتّح عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية والتي تُعدّ الإجابة عنها ضرورية للإحاطة بالموضوع، وهي كالتالي:

- ما مفهوم مصطلح الأخبار الزائفة؟
- لماذا تنتشر الأخبار الزائفة بسرعة؟
- ما تأثير الأخبار الزائفة على الأفراد والمجتمع والمؤسسات؟
- كيف يتم الحد من تأثير الأخبار الزائفة؟
- ما السبيل لمواجهة انتشار الأخبار الزائفة؟

هي إذن، تساؤلات وإشكالات لا تنتهي بمجرد التعرف على ظاهرة انتشار "الأخبار الزائفة" وسبل مواجهتها، ولكنها تشكل دافعا قويا من دوافع هذه الورقة للبحث في الأبعاد والغايات من وراء نشر "الأخبار الزائفة" المعلنة والخفية، ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمع والدول.

إنّ طبيعة الموضوع وما يثيره من إشكالات يستلزم البحث فيما منهجا نسقياً يمثل آلية تحليلية متعدّدة الأبعاد للبحث في مدخلات ومخرجات موضوع الدراسة، وما يرتبط به من حلقات متداخلة ومتتابعة من الأفعال وردود الأفعال، حتّم علينا الاعتماد على منهج تحليل المضمون، والمنهج التحليلي النقدي، الذي حاولنا من خلاله أن نضع اليد على الإشكالات التي يطرحها موضوع "الأخبار الزائفة" المعني بالدراسة، وما ترتّب عنها بالضرورة من إشكالات اجتماعية وسياسية وقانونية.

لذلك سيتم تناول الموضوع من خلال مطلبين:

المطلب الأول: سنتناول فيه الأخبار الزائفة: مفهومها وأسباب انتشارها.

فيما سيتناول المطلب الثاني: الأخبار الزائفة غاياتها وسبل التصدي لها.

المطلب الأول: الأخبار الزائفة: مفهومها وأسباب انتشارها.

إنّ مصطلح "الأخبار الزائفة" هو مصطلح جذاب للغاية، كما أنّ بساطة تركيبية المصطلح المكونة من كلمتين تجعل المتلقي يستحضر على الفور مجموعة متنوعة من المعاني، وبالتالي يمكن استخدامه بمرونة شديدة. ولكن هنا تكمن الصعوبة. خلف البساطة الواضحة للمصطلح، يكمن نطاق واسع محتمل من أنواع التعبير المختلفة نوعياً. يمكن أن يشمل أي شيء بدءاً من الخُدع المرحة أو الدعاية العدائية، وصولاً إلى التحريض على العنف. وهذا ليس غير مفيد من الناحية القانونية فحسب، بل إنه يمثل مشكلة كبيرة تهدد ليس الأفراد والمجتمع فقط، وإنما تصل خطورته إلى الحكومات والدول.

الفرع الأول: تأصيل في السياق التاريخي للمصطلح ومفهومه.

يعتبر مصطلح "الأخبار الزائفة" من المصطلحات التي ظهرت منذ القدم، فهي ليست وليدة العصر الحالي، لكن التطور التكنولوجي الكبير الذي شهده العالم في بداية مطلع الألفية الثالثة أعطى لهذا المصطلح زخماً كبيراً، فقد منحها ثورة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بمختلف أنواعها أبعاداً جديدة. وجعلت "الأخبار الزائفة" من العضلات التي أصبحت تؤرق الكلّ، سواء كانت أنظمة، أو مؤسسات، أو مجتمعات، أو أفراد.

كانت عملية استغلال المعلومات والتلاعب بها ممارسة تاريخية حتى قبل فترة طويلة من وضع الصحافة الحديثة معايير تُعرّف الأخبار كنوع قائم على قواعد معينة للنزاهة. وتعود هذه الممارسة كما تدوّن السجلات إلى عهد روما القديمة عندما قابل

انطونيو كليوباترا وشن عدوه السياسي اوكتافيان حملة تشويه ضده "بشعارات قصيرة حادة مكتوبة على عملات معدنية بأسلوب تغريدات قديمة". وأصبح مرتكب الجريمة أول إمبراطور روماني سمحت الأخبار الزائفة له باختراق النظام الجمهوري إلى الأبد"¹.

يقترن تاريخ صناعة ونشر الأخبار الزائفة بتاريخ الأخبار نفسها، حيث على سبيل المثال في نهاية القرن التاسع عشر انتشر مصطلح "الصحافة الصفراء" وهو تجسيد لمفهوم الأخبار الزائفة، وتقوم الصحافة الصفراء على مبدأ تضخيم الحقائق والمبالغة فيها أو محاولة تشويهها، وفقا لمصالح معينة تكون إما ضد أشخاص معينين، أو في سبيل مصالح سياسية أو اقتصادية أو حتى مجتمعية.

لكن مصطلح "الأخبار الزائفة" اخذ زخما إعلاميا كبيرا منذ سنة 2014. وارتبط هذا المصطلح باسمين هما:

- الصحفي الكندي Craig Silverman الذي استعمله أول مرة بتاريخ 14 أكتوبر 2014 حيث استنكر نشر خبر حول فرض الحجر الصحي على مدينة تكساس بسبب إصابة عائلة بفيروس إيبولا.

- الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب الذي استعمل تعبير Fake News مرة واحدة ضمن كل 20 رسالة في تغريداته على تويتر². فبعد انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، صرح في إحدى مقابلاته مع الشبكة الإخبارية الأمريكية "CNN": لست أنا المسؤول عن اختراع مصطلح "الأخبار الزائفة" فكل ما فعلته هو جعل هذه

1 شيريلن آيرتون وجول بوسيتي، الصحافة والأخبار الزائفة والتضليل، دليل التدريس والتدريب في مجال الصحافة، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، فرنسا، 2020، ص: 14.

2 شريط حورية، الأخبار الكاذبة. مفهوم جديد أو وجه جديد للدعاية والتضليل، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، العدد4، ديسمبر 2022، ص: 403.

العبارة أكثر وضوحاً، لأن مجتمعنا، للأسف، يعجّ بهذا النوع من الأخبار وهذا مؤسف حقاً¹.

لقد عُرفت "الأخبار الزائفة" لسنوات عديدة كنوع من الأخبار غير المهنية وغير الحقيقية، وقد اتصفت بعدم صدقها. لكن لم يكن هذا التصنيف نابعا من القارئ أو ناشر الخبر، ومع ذلك أصبح هذا مصطلح منذ سنة 2016 مرادفاً لرؤية القراء الذين يعتبرون أنّ أي معالجة سلبية للمادة الخبرية أخباراً مزيفة، ويتضمن العمل الإخباري نشر الحقائق حول الأحداث الجارية وإتاحة الوسائل التي يشارك بها الجمهور في المناقشات السائدة، وقد يتم إنشاء الأخبار ونشرها من قبل أي شخص. ولكن تظل الأخبار الأكثر شهرة هي الأخبار الصادرة عن وسائل الإعلام الرئيسية أو المؤسسة الرسمية المعنية بالخبر. وعادة ما يتم اعتبار الأخبار الزائفة قصصاً شبيهة بالأخبار، لا ترمي إلى تحقيق الإعلام أو التثقيف، بل يتم إعدادها للتجاوب مع القصص التي يتصورها الجمهور حول كل ما يحيط به، والمتاجرة بأسماء المصادر الخبرية، واستغلالها من أجل إضفاء صفة الشرعية على الخبر المقدم وتحقيق سهولة نشره عبر الشبكات الاجتماعية².

لقد تعدّدت محاولات تعريف مصطلح "الأخبار الزائفة" وتنوعت، وعلى الرغم من الاتفاق على عدم صدقية وفائدة تسمية هذا مصطلح بـ "الأخبار الزائفة"، إلا أنه لا يوجد مصطلح بديل. وربما تكمن إشكالية المصطلح في أن هذا الأمر لا يتعلق

1 نزار خيرون، الأخبار الزائفة.. الحرب الجديدة على وعي الشعوب

<https://www.aljazeera.net/blogs/2020/5/24/%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%B1->

[%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D9%81%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9](#)

2 Humphrey, J. (2026). The Plague Of Fake News And The Intersection With Trademark Law. Cybaris Intell. Prop. L. Rev. 8. 126

بالأخبار فقط، ولكنه يتعلق بالنظام البيئي للمعلومات بأكمله¹. وهكذا فقد عُرِّفت الأخبار الزائفة بوصفها المعلومات التي تم تليفها ونشرها عمدا بقصد خداع الآخرين وتضليلهم من خلال تصديق الأكاذيب أو الشك في الحقائق التي يمكن التحقق منها، وهي معلومات مضللة يتم تقديمها - أو من المحتمل أن يتم إدراكها - على أنها أخبار².

كما عُرِّفت بكونها "معلومات ملفقة تحاكي محتوى وسائل الإعلام الإخبارية في الشكل، ولكن ليس في العملية التنظيمية أو القصد"³.

فيما عرّفها قاموس كامبريدج للغة الإنجليزية بأنها قصص كاذبة تبدو وكأنها أخبار، أو تنتشر على الإنترنت أو تستخدم وسائل أخرى، وعادة ما يتم إنشائها للتأثير على الجمهور⁴، ودفعه نحو اتجاه معين. كما يمكن اعتبار الأخبار الزائفة على أنّها: "أي معلومات المقصود منها يكون غالبا الكذب أو التضليل، والدوافع من إنشاء هذه الأخبار الزائفة تكون إما مالية أو من أجل إقناع الآخرين باتخاذ قرار معين، أو الدعم، أو معارضة قضية، أو مرشح سياسي"⁵.

وجب الإشارة إلى أنّ دراسة إعلامية نشرت في المملكة المتحدة عن جامعة بورنماوث عرّفت "الأخبار الزائفة" على أنّها: "نوع من العلاقات العامّة يُظهر تحيزا مبالغا في بعض الحقائق، ويحجب البعض الآخر". كما لخصت هذه الدراسة تعريف

1 Wardle,C.,Fake News.It's complicated.First Draft,16,1-11.

2 McGonagle,T.(2017). "Fake news" False feas or real concerns?. Netherlands Quarterly of Human Rights.35(4),203-209.

3 Lazer,D.M,Baum,M. A.,Benkler,Y.,Berinsky,A.J.,Greenhill,K. M., Menczer, F.,..... Zittrain ; J. I.(2018)The science of fake news.Science ;359(6380),1094-1096.

4 <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/fake-news>

5 Kerry Gallagher & Larry Magid, Media Literacy & Fake News, PARNT & EDUCATORGUIDE, 2017.p02.

الأخبار الزائفة: "بأنها الانتشار المتعمد للتضليل، سواء كان ذلك عبر وسائل الإعلام التقليدية أو من خلال وسائل التواصل الاجتماعي"¹.

أما الخطاب المعاصر فيعرقها على أنها تشير إلى منشورات تُنشر على نطاق واسع، وتستند إلى حسابات وهمية مصنوعة لتبدو وكأنها تقارير إخبارية². في حين، أنّها مجرد معلومات غير صحيحة أو مضللة يتم نشرها عبر وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي. تستخدم هذه الأخبار لخداع القراء أو المشاهدين وإيهامهم بأن المعلومات التي يتم تقديمها حقيقية، في حين أنها قد تكون مفبركة أو مزيفة.

هذه الأخبار الزائفة يمكن أن تأتي على شكل³:

- مضامين صحيحة: بحيث تكون أركان الخبر صحيحة، ومن الممكن إثباتها بأدلة ووقائع، لكن التفاصيل تكون خاطئة ومضللة.
- مضامين انتقائية: تتضمن عناصر معينة، تكون صحيحة وتتجاهل العناصر الأخرى المكتملة أو المفسرة للمضمون.
- مضامين خاطئة: بحيث يتم نشر مضامين خاطئة تماما لا تمت إلى الحقيقة بصلة.
- مضامين مضللة: ويتم ذلك من خلال استخدام مضلل للمعلومات في غير سياقه.

1 سناء يساري وآخرون، إعلام الأزمات الخليجية-الأخبار المزيفة، مركز الدوحة لحرية الإعلام، 2017، ص06.

2 Edson C. Tandoc Jr., Zheng Wei Lim and Richard Ling,R(2017);Defining « fake news » A typology of scholarly definitions,Digital journalism,6(2),137-153.

3 Walid Hayouni, "vérification des infos du web et des réseaux sociaux " :

<https://www.pagof.fr/wp-content/uploads/2021/03/fact-checking.ppt>

- مضامين تم التلاعب بها: ويتم ذلك من خلال التلاعب بمعلومات أو تعديل أو فبركة الصور بهدف الخداع.
 - الربط الخاطئ: بحيث يتم استخدام عناوين رئيسة أو مواد بصرية أو عناوين فرعية لا تشير بشكل صحيح إلى المضمون.
 - مضامين الإثارة: يتضمن الخبر عناصر مبالغ فيها، تستهدف جذب الانتباه وإثارة اهتمام الفئة المستهدفة، إلا أنَّ محتوى الخبر يكون في الحقيقة غير مرتبط بالادعاء أو بالعنوان.
 - مضامين الانتحال: أي انتحال صفة مصادر حقيقية ونسب أقوال كاذبة لها.
 - التصريحات المجتزأة: بحيث يتم اقتطاع جزء من فيديو أو مقطع صوتي بهدف التضليل.
- وجب ذكر أنَّ مصطلح الأخبار الزائفة يعتبر من المصطلحات التي تتقاطع مع العديد من المصطلحات المشابهة لها، من أبرزها:
- مصطلح الأخبار الكاذبة:** و رغم كون مصطلح الأخبار الزائفة يعتبر من المصطلحات الحديثة التي تستعمل بكثرة فهو يستعمل كذلك للدلالة عن الأخبار الكاذبة أو المضللة، إلا أنه أوسع نسبياً من مصطلح الأخبار الكاذبة، لكون التعريف يصف نوعاً من أنواع التضليل المختلفة للأخبار بأشكال مختلفة سواء تقارير، قصص، صور، فيديوهات عبر الجرائد، وعبر مختلف الوسائل الإلكترونية للإعلام، حيث يعرف الخبر المزيف على أنه المحتوى الإخباري الكاذب سواء كان (أخبار، مقالات، قصص إخبارية) يتم صياغته ليبدو وكأنه في هيئة ومحتوى الأخبار الصحيحة، لينشر عبر نطاق واسع عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بهدف خداع المتصفح وتضليلهم، والتأثير على توجهاتهم. ويرتبط بتناول قضايا لها صلة بالرأي

العام¹. فالأخبار المزيفة تتناول أكاذيب يتم إنشاؤها بشكل متعمد واستراتيجي تهدف إلى تضليل الجمهور².

مصطلح الإشاعة: الذي تُعرّف على أنها الأخبار التي تتردد وتنتشر وتداع بين الناس دون التثبت، فلا يعلم صدق الخبر فيها من كذبه. فهي كل الأقوال والأحاديث والروايات التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها، بل ودون التحقق من صدقها بغض النظر عن أسلوب ووسيلة تناقلها ونشرها بين الناس³.

الفرع الثاني: أسباب انتشار الأخبار الزائفة

تمثل الثورة المعلوماتية سمة أساسية من سمات العصر الذي يعيشه العالم في الوقت الراهن، وقد شكلت مواقع التواصل الاجتماعي قفزة هائلة في البنية الاتصالية، وأنماط التأثير في المجتمعات الإنسانية، لما لها من قدرة فائقة على تجاوز حدود الزمان والمكان. كما أنّ إنشائها يعد أهم انجاز تكنولوجي تحقق في أواخر القرن العشرين، إذ استطاع الإنسان بواسطتها أن يلغي المسافات ويطلع على أحداث العالم وتطوراتها في مختلف المجالات، وأن ينشر الثقافة ويتبادل المعلومات⁴.

وقد ارتبط انتشار الأخبار الزائفة بشكل أو بآخر باستفادة منصات التواصل الاجتماعي من الثورة التي شهدتها مجال الاتصال والتواصل. وبسبب طبيعة

1 عمرو محمد عبد الحميد، العداء لوسائل الإعلام: التحديات المهنية واستعادة ثقة الجمهور، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2019، ص:164.

2 Watson, Carol A. "Information literacy in a fake/false news world : An overview of the characteristics of fake news and its historical development" International Journal of legal Information 46.2(2018): p93.

3 مفيد عبد الجليل الصلاحي، نظرة حديثة حول تجريم الشائعات الإلكترونية في القانون الجنائي، مداخلة منشورة في إطار المؤتمر العلمي السادس بعنوان القانون والشائعات، بكلية الحقوق بجامعة طنطا، 22-23-3-2019، مصر، ص:11.

4 مسفر احمد مسفر الوادعي، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الامن الفكري من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ومعلمي العلوم الشرعية بمنطقة عسير، مقال منشور بمجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، مصر، العدد 171، جزء 3، 2016، ص:35.

وخصائص الشبكات الاجتماعية، أصبحت المعلومات المضللة سهلة الانتشار. وقد أثبتت الدراسات أن المستخدمين يقومون بمشاركة المحتويات الإخبارية والقصص الصحفية والتعليقات دون أن يقوموا بقراءتها بشكل كامل¹.

فشبكات التواصل الاجتماعي وفّرت البيئة المشجعة والمهيأة لانتشار الأخبار الزائفة، وذلك من خلال توفر هذه الشبكات أو المنصات على المميزات التالية:

السرعة: حيث أن نشر الأخبار لا يستغرق وقتاً طويلاً لتنتشر بين المتابعين خصوصاً في ظل توافر الهواتف الذكية، وتعدد منصات التواصل الاجتماعي. فالأمر لا يحتاج سوى ثوانٍ ودقائق معدودة لتجوب الأفق.

الانتشار: وتعد هذه الخاصية من الخصائص الهامة في انتشار الأخبار الزائفة، نظراً للعدد الكبير للمشاركين على منصات التواصل الاجتماعي.

النوع: تتكون الأخبار الزائفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي من مزيج تفاعلي من الصوت والصورة والكلمة والحركة. وإضافة مثل هذه المميزات جعل الأخبار الزائفة مادة ذات جاذبية عالية.

الكلفة: لا يحتاج نشر الأخبار الزائفة إلى أي نفقات لتوزيعها فهي ذات تكلفة منخفضة جداً.

التأثير: يرتبط عنصر التأثير بالخصائص السابقة، حيث أنها تؤدي كلها إلى تأثير كبير على الجمهور المستهدف، إذ أن تأثيرها يزيد بنوعيتها وبخصائصها بأهميتها وبطريقة وصولها وتزامنها مع الأحداث، وبدعمها بالموثرات الصوتية والسمعية.

هذا، وقد أوضحت بعض الدراسات في علم الاجتماع الجزئي أن الأخبار الزائفة ونظرية المؤامرة على شبكات التواصل الاجتماعي تندرج ضمن ممارسات اتصالية

1 Tim bajaran, How do you fight fake news? <https://www.pcmag.com/opinions/how-do-you-fight-fake-news-ask-the-kids>

محددة، إذ أن معظم مستخدمي الأنترنت الذين يشاركون هذا المحتوى لا يثقون في المصادر التقليدية، وتشكل بذلك عملية استهلاك المصادر البديلة موقفا سياسيا ليس أكثر. كما تشير الأدلة كذلك إلى أن الكثير من نشر الأخبار الزائفة يرجع إلى السلوك البشري، حيث أن الأشخاص الذين يصادفون مواد خاطئة على وسائل التواصل الاجتماعي قد ينشرونها عن طريق الإهمال أو اللامبالاة. وبذلك فقد تبين أن المستخدمين هم لاعبون مهمون يمكن أن يساعدوا في انتشار الأخبار الزائفة. كما تم الكشف أيضاً عن أن مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي الذين يفتقرون إلى التفكير النقدي معرضون للأخبار الزائفة.

تتفق هذه الدراسات عمومًا على أن القدرة على التمييز بين الأخبار الحقيقية والأخبار الكاذبة ترتبط بالتفكير النقدي الذي يجعل الناس على دراية بالأخبار الزائفة وتداعياتها الخطيرة على المجتمع¹.

وعموماً يمكن إجمال أسباب انتشار الأخبار الزائفة فيما يلي:

- انتشار وسائل الاتصال الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي شكلا مناخا جيدا لانتشار الحسابات الوهمية والأخبار الزائفة والصور ومقاطع الفيديو المفبركة والمجتزأة من سياقها (250 مليون حساب وهمي على شبكة الفيس بوك سنة 2018).
- عدم خضوع وسائل التواصل الاجتماعي إلى الرقابة والتدقيق على غرار وسائل الإعلام التقليدية.
- عدم إتاحة الأخبار بشكل سريع عبر منصات الإعلام التقليدية تسبب في لجوء الجمهور إلى مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومة.

1 Jehel Sophie, Saemmer Alexandra, Education critique aux médias et a l'information numérique, (Paris ; Presses de l'enssib ; 2000). p :28.

- زيادة الاستقطاب السياسي من خلال شعبية وسائل الميديا الاجتماعية.
- المصادر المجهولة وإمكانية استخدام الأسماء المستعارة على مواقع الإنترنت
- غياب الضوابط الأخلاقية، ولدت شعورا بعدم المحاسبة، وهو ما عزز انتشار الشائعات والأخبار الزائفة.
- انتشار وتطور البرمجيات التي تقوم بعمليات النشر التلقائي على شبكات التواصل الاجتماعي، وجلب عدد كبير من المتابعين وزيادة التفاعل والمشاركات الوهمية (Slack Social, HootSuite, ButtonPushFacebookLeads, FB Wall Poster)، الأمر الذي يعطي انطباعا لدى المتلقي بأنها ردود فعل حقيقية وبالتالي تدفعه لتصديقها وربما تبنيها.
- يشير علماء النفس إلى أن ردة فعل المتلقي تكون أكثر عاطفية وتأثرا تجاه المواقف الصادمة والمفاجئة، وهو ما يعزز انتشار الشائعات والأخبار المفبركة والكاذبة، إضافة إلى المواقف الشخصية تجاه قضية ما، حيث يميل الأشخاص بطبعهم لسماع وتصديق الأخبار التي تدعم مواقفهم وآراءهم تجاه القضايا التي تهمهم، ويتبنون نتيجة ذلك هذه الأخبار ويساهمون في نشرها.
- يلعب الذكاء الاصطناعي دورا كبيرا في انتشار الأخبار الزائفة، من خلال تحليل بيانات مستخدمي الشبكة الاجتماعية أو تسريبها لاستغلالها في الانتخابات مثلا¹.

1 Walid HAYOUNI.vérification des infos du web et des réseaux sociaux :
<https://www.google.com/url?sa=j&url=https%3A%2F%2Fwww.pagof.fr%2Fwp-content%2Fuploads%2F2021%2F03%2Ffact-checking.ppt&uct=1707855757&usg=vYk4929ltRvYyngMBDZkPkEWVmY.&opi=89978449&ved=2ahUKewji442BzdGFAxXTf6QEhdKSCLoQwtwHKAB6BAgBEAE>

المطلب الثاني: الأخبار الزائفة غاياتها وسبل التصدي لها

لطالما استعملت وسائل الاتصال تاريخياً كأدوات للتأثير على الرأي العام وتوجيهه وصناعته عبر معالجة المعلومة وانتقائها والتلاعب بمعناها أحياناً. ويذكر التاريخ بالعديد من الأمثلة المتعلقة بنشر الأخبار الزائفة لأغراض مختلفة، منها ما أوصى به قبل 2500 عام الاستراتيجي العسكري الصيني سون تزو (Sun Tzu) بخصوص استخدام المعلومات الخاطئة لخداع العدو وتحقيق التوازن الصحيح بين الكذب والحقيقة لزيادة مصداقية هذه الأخبار الزائفة. ويحكى عن فرانسيس بيكو أنه كان يستشهد بمثل يقول: "اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس"¹.

الفرع الأول: الغايات المرجوة من نشر الأخبار الزائفة

إنّ نشر الأخبار الزائفة بشكل متعمد أصبح أداة تستخدم على نطاق واسع بهدف التلاعب بالرأي العام وخداع الجمهور وتوجيه تفكيره في اتجاه معين. وفي هذا الإطار قام (Tandoc Jr)² وفريقه بمراجعة 34 مقال أكاديمي استخدم فيه مصطلح الأخبار الزائفة، وقد توصلوا إلى أن هذه الدراسات حصرت الأشكال التي تُقدّم من خلالها الأخبار الزائفة في الآتي: السخرية، والمحاكاة الساخرة للأخبار، والتلفيق، والتلاعب، والدعاية.

تُظهر جميع هذه الأشكال مدى تشابه الأخبار الزائفة مع الأخبار الحقيقية من ناحية الشكل، سواء من حيث شكل المواقع أو كيفية كتابة المقالات. هذه الأخبار قد تكون على شكل نصوص، أو صور، أو فيديوهات، أو صوتيات خاطئة، أو مضللة. يتم ترويجها، وجعل الجمهور يعتقد بأنها معلومات موثوق بصحتها، إذ أنها تحاكي انتشار الأخبار الحقيقية من خلال بناء شبكة من المواقع المزيفة. ويعتمد نجاحها غالباً على تداولها بشكل واسع، وقد يكون لها تأثير كبير على الرأي العام والقرارات

1 <https://theconversation.com/les-fausses-nouvelles-une-histoire-vieille-de-2500-ans--101715>

2 Tandoc Jr., Zheng Wei Lim and Richard Ling, R (2017). *ibid*.

الفردية من خلال هذا الاختلاس لمصداقية الأخبار، فهي بذلك تعمل على تقويض شرعية ومصداقية الصحافة والمؤسسات، لا سيما في بيئة وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتم غالباً إزالة المصدر الفعلي للمعلومات.

إذن، فالأخبار الزائفة تتنوع في مضمونها وأشكالها، فقد تكون تقارير ملفقة تمامًا، أو تشويهها للحقائق من خلال تحريف المعلومات أو تقديمها بسياق خاطئ، أو حتى استخدام الصور والفيديوهات المفبركة لدعم الأخبار الكاذبة. ومن بين الأهداف الشائعة للأخبار الزائفة نجد الرغبة في زعزعة الاستقرار الاجتماعي لمجتمع ما، أو لخلق اضطرابات السياسية، أو لتحقيق مكاسب مالية، أو لترويج أجندات معينة.

سنقتصر في هذا الجانب على دراسة نوعين من الأهداف المراد تحقيقها من وراء نشر الأخبار الزائفة، والتي نعتقد أنها الأكثر شيوعاً وهما: الأهداف الاقتصادية والأهداف السياسية.

أما الأهداف الاقتصادية أو الربحية المراد تحقيقها من وراء نشر الأخبار الزائفة فهي عديدة، نذكر منها:

زيادة الزيارات والمشاهدات: تتلقى الصفحات الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي إيرادات من الإعلانات بناءً على عدد الزيارات والمشاهدات. والأخبار الزائفة غالباً ما تثير الفضول وتحظى بانتشار سريع، مما يزيد من عدد الزيارات وبالتالي الإيرادات من الإعلانات.

التأثير على السوق المالية: قد تُنشر الأخبار الزائفة بناءً على أجندات معينة للتأثير على أسعار الأسهم أو العملات أو سلوك المستثمرين، مما يتيح لبعض الأفراد والجهات الاقتصادية تحقيق ربح من تغييرات السوق.

توجيه الرأي العام والتأثير على القرارات السياسية: قد تستخدم الأخبار الزائفة كأداة لتوجيه الرأي العام باتجاه معين أو للتأثير على القرارات السياسية التي قد تؤثر على الاقتصاد.

القضاء على المنافسين أو العلامات التجارية الأخرى: يمكن أن تنشر الأخبار الزائفة لتشويه صورة المنافسين أو للتأثير سلباً على علامات تجارية معينة، مما قد يؤدي إلى زيادة حصة السوق أو تقليل المنافسة.

تشويه الحقائق لتحقيق مكاسب سياسية أو اجتماعية: في بعض الحالات، يمكن استخدام الأخبار الزائفة لتشويه الحقائق بهدف تحقيق مكاسب سياسية أو اجتماعية، وهو ما قد يؤثر بشكل مباشر على البيئة الاقتصادية.

وأما الأهداف السياسية المراد تحقيقها من وراء نشر الأخبار الزائفة فهي تتنوع حسب السياق السياسي والهدف النهائي المرغوب في تحقيقه من طرف الأفراد أو الجماعات التي تنشر هذه الأخبار. ومن بين هذه الغايات نذكر ما يلي:

تشويه صورة الخصم السياسي: يُستخدم نشر الأخبار الزائفة لنشر شائعات أو أخبار مفبركة من أجل تشويه صورة الشخصيات السياسية المعارضة أو الأحزاب السياسية المنافسة.

توجيه الرأي العام: يمكن استخدام الأخبار الزائفة لتوجيه الرأي العام في اتجاه معين، سواء لصالح جهة سياسية معينة أو لتشويه صورة جهة أخرى.

التأثير على الانتخابات: يمكن استخدام الأخبار الزائفة للتأثير على نتائج الانتخابات من خلال نشر معلومات زائفة حول المرشحين أو عمليات الاقتراع.

تغيير السياسات العامة: يمكن استخدام الأخبار الزائفة لإثارة الرأي العام ضد سياسات معينة أو لتبرير اتخاذ إجراءات سياسية محددة.

تضليل الرأي العام: قد تُستخدم الأخبار الزائفة لتشيت انتباه الجمهور عن القضايا الحقيقية أو لتغطية فشل سياسي بالتركيز على قصص ملهمة أو مثيرة. مما يؤثر على الحوار العام ويصعب اتخاذ القرارات السياسية الصائبة.

إثارة الفتنة والتوتر الاجتماعي: يُستخدم نشر الأخبار الزائفة لإثارة الفتنة والتوتر الاجتماعي بين مجموعات مختلفة في المجتمع، مما قد يؤدي إلى انقسامات سياسية واجتماعية.

تشويه صورة الصحافة ووسائل الإعلام: يُستخدم نشر الأخبار الزائفة لتشويه صورة وسائل الإعلام المستقلة والصحافة المهنية، بهدف التشكيك في مصداقيتها وتقليل تأثيرها.

الفرع الثاني: سبل مواجهة الأخبار الزائفة

إن ترويج الأخبار الزائفة يمكن أن يؤدي إلى تهديد الاستقرار الاجتماعي، وإلى تفكك المجتمع من خلال تأجيج الانقسامات بين أفرادها مما يعزز الاضطرابات. كما يمكن أن يؤدي ذلك إلى إثارة التوترات الاجتماعية والسياسية، وزعزعت ثقة الناس في المؤسسات الرسمية وتقويض مصداقيتها. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للأخبار الزائفة أن تكون سبباً في نشر العنف والتفرقة الاجتماعية. وبالتالي، فإن مكافحة الأخبار الزائفة تتطلب جهوداً مشتركة من المؤسسات الإعلامية، والحكومات، والمنظمات غير الحكومية، والأفراد أيضاً.

لذلك يجب على الحكومات أن تتخذ إجراءات قانونية وتنظيمية صارمة ضد الجهات التي تروج للأخبار الزائفة، مع الحفاظ في الوقت نفسه على حرية التعبير وحق الوصول إلى المعلومات. وفي هذا الإطار، فقد أصدرت المفوضية الأوروبية مثلاً تقريراً يستند إلى تحقيق وسط مخاوف من أن المعلومات المضللة والزائفة تضر بالمجتمع بأكمله، لهذا يدرس السياسيون في كل دولة من أستراليا والفلبين وكندا وفرنسا والمملكة المتحدة والبرازيل والهند وإندونيسيا ما يجب القيام به استجابة لذلك. وفيما يتعلق بالتشريع بادرت ألمانيا أولاً بقانون جديد لتغريم المنصات الرقمية بشدة إذا لم تقم بإزالة المحتوى غير القانوني بما في ذلك الأخبار الزائفة وخطاب

الكرهية في غضون 24 ساعة من الإبلاغ عنها. وفي ماليزيا أقرّ برلمانها ترسانة قانونية لمكافحة الأخبار الزائفة في أبريل 2018¹.

لكن الجانب التشريعي وحده لا يكفي، إذ أنّ مسؤولية محاربة الأخبار الزائفة يجب أن يتحمّلها الجميع. وتبعاً لذلك، يجب على وسائل الإعلام هي بدورها تعزيز معايير النزاهة والمصداقية، وتقديم التقارير بموضوعية ودقة، بالإضافة إلى توفير التوجيه والتثقيف للجمهور حول كيفية التحقق من صحة المعلومات والمصادر.

من الضروري كذلك تعزيز التربية الإعلامية والرقمية لدى الناس، بما في ذلك تعليمهم كيفية التفكير النقدي وتقييم المصادر، وذلك لتمكينهم من التعرف على الأخبار الزائفة وتجنب نشرها أو التآثر بها.

وفي هذا الإطار، وتماشياً مع ما سبق ذكره، نورد على سبيل الاستئناس بعض سبل مواجهة الأخبار الزائفة، وهي:

التثقيف ورفع الوعي لدى أفراد المجتمع ومستخدمي الإنترنت: يجب تثقيف الناس حول كيفية التعرف على الأخبار الزائفة وكيفية التحقق من صحة المعلومات قبل نشرها أو مشاركتها. يمكن تحقيق ذلك من خلال الحملات التوعوية، ومن خلال البرامج التعليمية.

تنمية وتعزيز قدرات ومهارات التفكير الناقد لدى الأفراد والمستخدمين: فالتفكير بطريقة ناقدة يُعدّ عنصراً مهماً من عناصر التعامل بوعي ووضوح مع وسائل ومنصات الإعلام، وتحديد ما هو سلبي وإيجابي من رسائل تُنشر وتُبث عبرها، وإكسابهم أيضاً مهارات التمييز بين الحقائق وبين الآراء، وهو عامل آخر يسهل على

1 Report of the independent High level Group on fake news and online disinformation : <https://op.europa.eu/fr/publication-detail/-/publication/6ef4df8b-4cea-11e8-be1d-01aa75ed71a1/language-en>

المستخدمين كشف المعلومات الكاذبة والسعي لإيقاف انتشارها ووصولها إلى أعداد أكبر من الجمهور¹.

تعزيز القدرات الرقمية: ينبغي تمكين الأفراد من تطوير مهارات البحث عبر الإنترنت والتحقق من مصداقية المعلومات والمصادر الرقمية.

تعزيز المصادر الرسمية والموثوقة: يجب تعزيز الثقة في المصادر الرسمية والموثوقة، مثل الوكالات الإخبارية والمؤسسات الحكومية والمواقع الإلكترونية الرسمية.

استخدام أدوات التحقق من صحة الأخبار: يمكن استخدام الأدوات والمواقع التي تساعد في التحقق من صحة الأخبار والمعلومات، مثل FactCheck.org و Snopes.com ومبادرة Google للتحقق من الأخبار.

تشديد الرقابة والتنظيم: يجب تشديد الرقابة والتنظيم على المحتوى الإعلامي والرقمي لمكافحة الأخبار الزائفة ومحاسبة من يروج لها.

التعاون الدولي: يجب تعزيز التعاون الدولي في مواجهة الأخبار الزائفة، حيث يمكن للدول والمنظمات الدولية العمل معًا لتبادل المعلومات والخبرات وتطوير استراتيجيات مشتركة لمكافحة هذه الظاهرة².

باستخدام هذه السبل، يمكن للمجتمعات أن تقلل من انتشار الأخبار الزائفة وتعزز الوعي بأهمية التحقق من صحة المعلومات قبل الاعتماد عليها أو نشرها.

باختصار، يتطلب مواجهة الأخبار الزائفة جهودًا متعددة المستويات، تشمل التوعية، وتعزيز المعايير الإعلامية، وتعزيز التربية الإعلامية والرقمية، وتشديد

1 حسني رفعت حسني، التربية الإعلامية...طريقنا الأمثل في التصدي للأخبار الكاذبة: <https://2u.pw/k00tEE>

2 Dealing with propaganda, misinformation, and fake news:

<https://www.coe.int/en/web/campaign-free-to-speak-safe-to-learn/dealing-with-propaganda-misinformation-and-fake-news>

الإجراءات القانونية، بهدف الحد من انتشار هذه الظاهرة وتقليل تأثيراتها الضارة على المجتمعات.

خاتمة

لا شك أنّ الأخبار الزائفة اليوم أصبحت همّاً يورق الجميع حكومات وأفراد، مؤسسات وجمعيات. فمع توقّر المعلومات المجانية للجميع بسهولة وسرعة عالية على منصات الوسائط الاجتماعية والأنترنت يمكن لكل فرد أن يكون ناشراً. ونتيجة لذلك ارتفع منسوب عدم الثقة، وازدهرت جهات النظر المتطرفة ونظريات المؤامرة، وتمّ التشكيك في الحقائق، وحتى في شرعية المؤسسات التي كانت بالأمس مقبولة. لقد أصبح من الواضح في عالم كهذا أنه لحل هذه المشكلة هناك حاجة ماسة إلى التدخلات العلاجية المستعجلة.

لذا، فإنّ الحد من انتشار الأخبار الزائفة يتطلب تحركاً جماعياً من الحكومات والمؤسسات والأفراد على حد سواء، من خلال تعزيز الوعي الإعلامي بمخاطرها وتعزيز المهارات الضرورية للتمييز بين الأخبار الحقيقية والزائفة، بالإضافة إلى الرقابة الصارمة على المحتوى المنشور، واتخاذ إجراءات قانونية وتقنية لمكافحةها. مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة الحفاظ على الحريات التعبيرية التي تكفلها المواثيق الدولية، وعدم الإضرار بالانفتاح الذي أتاحه التقدّم التكنولوجي في مجال الاتصال والتواصل.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- سناء يساري وآخرون، إعلام الأزمة الخليجية - الأخبار المزيفة، مركز الدوحة لحرية الإعلام، 2017.
- شريط حورية، الأخبار الكاذبة.. مفهوم جديد أو وجه جديد للدعاية والتضليل، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، العدد 4، ديسمبر 2022.
- شيريلن آيرتون وجول بوسيتي، الصحافة والأخبار الزائفة والتضليل، دليل التدريس والتدريب في مجال الصحافة، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، فرنسا، 2020.
- عمرو محمد عبد الحميد، العداء لوسائل الإعلام: التحديات المهنية واستعادة ثقة الجمهور، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2019.
- ليث عبد الستار عيادة اللبي، التعددية السياسية والإعلامية وأثرها في بناء القصة الخبرية في الصحافة الإلكترونية، رسالة ماجستير في الإعلام، جامعة القاهرة 2014.
- مسفر أحمد مسفر الوادعي، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأمن الفكري من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ومعلمي العلوم الشرعية بمنطقة عسير، مقال منشور بمجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، مصر، العدد 171، جزء 3، 2016.
- مفيد عبد الجليل الصلاحي، نظرة حديثة حول تجريم الشائعات الإلكترونية في القانون الجنائي، مداخلة منشورة في إطار المؤتمر العلمي السادس بعنوان القانون والشائعات، بكلية الحقوق بجامعة طنطا، مصر.
- الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات، بحث سنوي بخصوص تجميع مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والاتصال (2020).

باللغة الإنجليزية

- Humphrey,J.(2026).The Plague Of Fake News And The Intersection With Trademark Law.Cybaris Intell.Prop.L.Rev.8.126.
- McGonagle,T.(2017). "Fake news" False feas or real concerns?.Netherlands Quarterly of Human Rights.35(4),203-209.
- Kerry Gallagher & Larry Magid,Media Literacy & Fake News,PARNT & educatorguide,2017.
- Edson C. Tandoc Jr., Zheng Wei Lim and Richard Ling,R(2017) ;Defining « fake news » A typology of scholarly definitions,Digital journalism,6(2),137-153.
- Watson,Carol A. "Information literacy in a fake/false news world :An overview of the characteristics of fake news and its historical development" International Journal of legal Information 46.2(2018).
- Jehel Sophie,Saemmer Alexandra,Education critique aux médias et a l'information numérique,(Paris ;Presses de l'enssib ;2000).
- Wardle,C.,Fake News.It's complicated.First Draft,16,1-11.

الويبوغرافيا

- نزار خيرون، الأخبار الزائفة.. الحرب الجديدة على وعي الشعوب:

<https://www.aljazeera.net>

- حسني رفعت حسني، التربية الإعلامية...طريقنا الأمثل في التصدي للأخبار الكاذبة:

<https://2u.pw/k00tEE>

- Lazer, D.M, Baum, M.A., Benkler, Y. ,Berinsky ,A.J, Greenhill, K.M. ,Menczer, F., Zittrain; J. I. (2018) The science of fake news. Science ;359(6380),1094-1096.

<https://dictionary.cambridge.org>

- Walid Hayouni, "vérification des infos du web et des réseaux sociaux" :

<https://www.pagof.fr>

- Tim bajarin,How do yo fight fake news ?

<https://www.pcmag.com>

- Report of the independent High-level Group on fake news and online disinformation:

<https://op.europa.eu/fr>

- Dealing with propaganda, misinformation and fake news:

<https://www.coe.int>

التوافق البياني في التفسير القرآني - آيات العربية عند بعض المفسرين أنموذجا -

د. يوسف العلمي

باحث في العلوم الشرعية
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
المغرب.



ملخص

يحاول هذا البحث الكشف عن تفاسير بعض العلماء للآيات التي تحدثت عن عربية القرآن الكريم على وجه الخصوص، وإدراك الوجه البياني في توافقها بما يؤكد على قوة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وهي الإشكالية التي يعالجها من خلال إبراز تجليات التوافق البياني بين أقوال المفسرين لآيات العربية في القرآن الكريم، وتتجلى أهدافه في كونه يساهم في الكشف عن التفاسير المختلفة للآيات التي أكدت على عربية القرآن الكريم ومكانتها في الخطاب الشرعي، بما يبرز قوتها ودلالاتها الإعجازية، كما أنه ينطلق من المنهج الاستقرائي والاستنباطي والمنهج الوصفي التحليلي في وصف الموضوع وتحليل جزئياته، وقد توصلت من خلاله إلى أن العربية لها أهمية كبيرة في القرآن الكريم، وأن العلماء اتفقوا في تفاسيرهم على ذلك، من خلال التأكيد على أن العربية لغة القرآن، وهي بذلك حجة على أصحابها، كما أنها من باب التيسير والحفظ والفهم والتدبر، وهي من البدائع والإعجاز القرآني.

كلمات مفتاحية: التوافق البياني؛ التفسير؛ القرآن الكريم؛ العربية؛ المفسرون.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

العلمي، يوسف. (2024، أبريل). التوافق البياني في التفسير القرآني - آيات العربية عند بعض المفسرين أنموذجا -. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 169-185.

Abstract

This research aims to uncover some scholars' interpretations regarding the verses that speak specifically about the Arabic language in the Quran. It explores their understanding of the linguistic aspect to affirm the power of the Arabic language in which the Holy Quran was revealed. The research sheds an important light on the manifestations of linguistic harmony among the interpretations of these verses by different scholars. Its objectives include revealing the different interpretations that affirm the Arabic nature of the Quran and its significance in religious discourse, emphasizing its strength and miraculous nature. The research adopts an inductive, deductive, and descriptive-analytical approach in describing and analyzing the topic and its details. The findings indicate that scholars agree on the great importance of the Arabic language in the Quran. They affirm that Arabic is the language of the Quran, serving as evidence for its authenticity. Arabic facilitates comprehension, preservation, and contemplation of the Quran, and it is considered one of its marvels and miracles.

Keywords: Linguistic Harmony, Interpretation, Quran, Arabic, Scholar.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن علم التفسير من أهم العلوم وأجلها، بفضلله يفهم كلام الله تعالى، وتدرك معانيه، وتحقق مقاصده، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أول مفسر يعلم الناس معاني القرآن، ويشرح ألفاظه، فسار الصحابة الكرام على طريقه في التفسير، فسار التابعون ومن ساروا على نهجهم من العلماء الكبار، متعمدين في ذلك علوم اللغة، فاشتراطوا في المفسر أن يكون عالماً بالعربية وعلومها، حتى يستطيع فهم أسرار القرآن، وإدراك المعاني الصحيحة، والشرح المناسب، بما لا يخرج صاحبه عن جادة الصواب، كالذين فسروا القرآن بهوهم فضلوا وأضلوا.

وقد نجد اختلافاً واتفاقاً بين المفسرين في تفسير الآيات والسور، إلا أنها كلها تسير وفق منهج علمي، يراعي قواعد التفسير وضوابطه، لأن الاختلاف لا يضر، ولكن الخروج عن المعاني الحقيقية للآيات هو الذي يسيء إلى صاحبه، فلا ينظر إلى تفسيره ولا يعتمد عليه.

لذلك فالبحث الذي بين أيدينا يحاول الوقوف مع أقوال بعض المفسرين، وإبراز توافقاتهم في التفسير، تخصيصاً بالآيات التي تحدثت عن عربية القرآن، لعله يكون مفيداً ونافعاً.

أهمية الدراسة:

لكل بحث أهمية تميزه عن باقي البحوث، وإلا لما كان بحثاً إضافياً، لذلك فهذا البحث يحاول أن يكشف عن تفاسير بعض العلماء للآيات التي تحدثت عن عربية القرآن الكريم على وجه الخصوص، وإدراك الوجه البياني في توافقهم بما يؤكد على قوة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

إشكالية الدراسة:

إن الحديث عن العربية وعلاقتها بالقرآن الكريم، حديث عن علاقة ترابطية توافقية، تحقق المقاصد والغايات التي جاء بها الشرع الكريم، فمما يفهم الخطاب القرآني، ويدرك الوجه البياني، والتفسير المنطقي الموافق لضوابط الشرع وقواعده، ومن خلاله تدرك التوافقات بين أقوال المفسرين، من خلال الاطلاع على تفاسيرهم وأقوالهم في معاني القرآن الكريم، ومن ذلك التفاسير التي وقفت عند تفسير الآيات التي أبرزت عربية القرآن الكريم، لذلك يمكن تلخيص إشكالية هذا البحث في السؤال المركزي الآتي:

ما هي تجليات التوافق البياني بين أقوال المفسرين لآيات العربية في القرآن الكريم؟

الفرضيات:

من الفرضيات المقترحة والتي تناسب خصوصيات هذا البحث:

- أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية دليل على أهميتها وقيمتها بين باقي العلوم الأخرى؛
- أن القرآن الكريم نزل بالعربية لتيسير الفهم والحفظ والتدبر؛
- أن العلماء رغم اختلاف تفاسيرهم إلا أن المقاصد القرآنية واحدة، كما هو الشأن بالنسبة للآيات التي تحدثت عن عربية القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

تتجلى أهداف هذا البحث في الكشف عن التفاسير المختلفة للآيات التي أكدت على عربية القرآن الكريم ومكانتها في الخطاب الشرعي، بما يبرز قوتها ودلالاتها الإعجازية.

منهج الدراسة:

بما أن الموضوع يركز على تفاسير العلماء للآيات التي أكدت على عربية القرآن الكريم، فسيتم الاعتماد في دراسته وتحليله على المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي والاستنباطي: من خلال جمع المادة العلمية والوقوف عند بعض تفاسير العلماء للآيات الدالة على عربية القرآن الكريم، واستنباطها لتكون مفيدة من حيث المعنى والمبنى.

- المنهج الوصفي التحليلي: يمكن استخدامه لوصف وتحليل جوانب محددة من الموضوع، حيث يقوم بتحليل الجزئيات والتركيز على تفاصيلها.

خطة البحث:

نظرا إلى طبيعة الموضوع وإشكاليته والأهداف المرجوة، قسمت البحث إلى:

- مقدمة: تتضمن أهمية الدراسة وإشكاليته، وفرضياتها، وأهدافها، ومنهجها.

- المبحث الأول: أهمية العربية في القرآن الكريم.

- المبحث الثاني: التوافق البياني في تفسير آيات العربية.

- خاتمة: تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث بالإضافة إلى بعض التوصيات.

المبحث الأول: أهمية العربية في القرآن الكريم.

تشكل اللغة العربية أهمية كبيرة في حياة المسلمين، لكونها تجيب عن التساؤلات وتعالج المشكلات التي تعترض حياتهم، فتكون بذلك مفتاحاً يفتح المجال للمفسرين والفقهاء لمعرفة معاني الآيات القرآنية واستخراج الأحكام الشرعية المناسبة للنوازل المستجدة.

ويعتبر تعلمها فرض عين، لأن فهم النصوص الشرعية مبنية عليها، لأن اللغة العربية من الدين، ومعرفة فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.¹

وعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به القرآن.²

ثم إن النصوص الشرعية مستنبطة من الوحيين القرآن والسنة وكلاهما نزل بالعربية على لسان رسول عربي صلى الله عليه وسلم إلى أمة عربية تيسيراً لحفظه وفهمه.

وقد تحدث الشاطبي رحمه الله عن أهمية العربية في فهم النصوص الشرعية، ببيان أنه لا يعني بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني كيف تصورت.³

¹ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط7: 1419هـ/1999م، دار عالم الكتب بيروت لبنان، ص 442.

² - الرسالة، الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطليبي أبو عبد الله، تحقيق: أحمد شاکر، ط1: 1358هـ/1940م، مصطفى البابي الحلبي، ص 51.

³ - الموافقات - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (توفي 790هـ) - تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد - ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان - دار ابن عقان -، ج 5 ص 52.

كما يعتبر المعاني المستنبطة من القرآن الكريم، والتي لا تجري على اللسان العربية مبطللة ولا ينبغي الأخذ بها، وأن فهم كتاب الله تعالى لا يكون إلا عن طريق اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها.

وإن كان بعث للناس كافة فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعاً للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها.¹

وهناك من جعل العربية دليل على الإيمان الصحيح، وأن المؤمن الحق لا يتكلم في كلام الله إلا وهو ضابط للعربية وأسرارها، حتى لا يخرج المعاني عن حقيقتها. فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب.²

وقد سار الصحابة الكرام على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في فهم الوحي المنزل من السماء، من خلال جريان استنباطاتهم وفق العربية، باعتبارها ذات أهمية في إدراك حقيقة المعاني وتنزيل الأحكام الشرعية بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية وأهدافها.

فالقرآن الكريم نزل بلسان العرب، جارياً على معهودهم في الكلام، وعادم في الخطاب، فكل من كان من لسان العرب متمكناً كان للقرآن أشد فهماً وأحسن إدراكاً، ولا يعلم أحد أفصح لساناً وأسد بياناً وأقوم خطاباً من أهل القرون الأولى المفضلة، وأولاهم في هذا الفضل والسبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يكون في الأمة من بعد القرون الأولى أحد أفصح منهم لساناً، ومن ثم فلا يقدر أحد أن يفهم

¹ - الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، دار الرحمة ط 1، 1988م، تقديم محمد رشيد رضا، ج 2 ص 294.

² - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، درا التراث، ج 1 ص 292.

القرآن من هذه الجهة - جهة كونه عربيا - أفضل ولا أحسن من أصحاب القرون الأولى، بل كل من جاء بعدهم فهو دوم في الفصاحة والبيان، والفهم والإدراك¹ وسار التابعون ومن جاء بعدهم من العلماء المعاصرين على نفس النهج، حيث اشترطوا فيمن يتصدر للإفتاء من الفقهاء المجتهدين أن يكون عالما بقواعد العربية ضابطا لقواعد التفسير وفقها، فلا يمكن فهم النصوص إلا بها، فإذا نزلت بهم نازلت رجعوا إلى كتاب الله أولا لكونه المصدر الأول للتشريع، ولا يمكن استنباط النصوص الشرعية المناسبة إلا بمعرفة العربية لأن القرآن عربي وآياتها عربية، تحتاج إلى لسان عربي فصيح يعطي المعاني حقيقتها والأحكام شرعيتها، لتكون وفق قواعد الشرع وضوابطه.

لذلك لا بد للمجتهد أن يعرف من اللغة والنحو القدر الذي يفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز به بين صريح الكلام وظاهره ومجمله، وحقيقته ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه، ولحنه ومفهومه².

وبذلك يمكن القول أن للعربية أهمية بالغة في القرآن الكريم، وعلى نفس المنهج الذي سار عليه الأولون ينبغي أن نسير، وقد تعددت كتب المفسرين، فكانت مرجعا هاما للطلبة والباحثين والعلماء، بل وهناك من الكتب المعاصرة التي فسرت القرآن الكريم بأسلوب مبسط يسير، حتى يستفيد منها المتخصصون وغيرهم، ولتشجيع القراء على فهم القرآن وتدبره، وإدراك حقيقته ومعانيه.

¹ - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، 1412 مكتبة الرشد، ج2 ص 506.

² - الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، الدكتور يوسف القرضاوي، ط الأولى 1417هـ/1992م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت، ص 34.

المبحث الثاني: التوافق البياني في تفسير آيات العربية عند بعض المفسرين

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد ميزه الله تعالى بميزة العربية، حيث إنه منزل على رسوله صلى الله عليه وسلم بلغة العرب وقومه، وقد كانت العربية اللغة السائدة في عصورهم، فنزل القرآن بها، حتى يفهموا كلام ربهم ويدركوا حقيقته، ويصلوا بفضلها إلى التصديق الجازم والإيمان الكامل، وقد اعترف غير واحد من كبار العرب وكفار قريش بصدق القرآن وإعجازه، من ذلك عتبة ابن ربيعة الذي دعا النبي عليه السلام إلى التنازل على النبوة مقابل ما يشاء من المال والسلطة، فقرأ عليه النبي عليه السلام بعضاً من سورة فصلت، فرجع إلى قومه، مقراً بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق ما جاء به، لقوة القرآن الكريم البلاغية والإعجازية، وقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل القرآن، وتحدى كل المخلوقات من الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو تعاونوا على ذلك، بل إنهم لا يستطيعون كتابة جملة واحدة شبيهة بما جاء به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ضهيراً¹﴾.

والناظر في كلام الله تعالى يدرك إشارات قوية تعطي الجزم على صدقه وحقيقة آياته وسوره، لذلك تكلف الله بنفسه بحفظه من كل تغيير أو تزوير أو تضليل، إذ يقول عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون²﴾.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم معلم البشرية القرآن الكريم عربياً، بل وكان متحدثاً بلغة القرآن معلماً بها، يحث صحابته على نقل الحكم والأحكام بها، فساروا على نهجه ومنهجه في تبليغ الدعوة وإحقاق الحق.

¹ - سورة الإسراء الآية 88.

² - سورة الحجر الآية 09.

وقد نهج المفسرون منهج النبي عليه السلام وصحابته، في تفسير القرآن الكريم، فألفوا كتباً نافعة، كان ولا زال المسلمون يستفيدون منها، ويجعلونها مرجعاً أساساً في حياتهم العامة، وفي تعاملهم مع القرآن الكريم وفك مفاهيمه خصوصاً. وهناك آيات قرآنية أبرزت عربية القرآن الكريم، وما يتمتع به من خصائص إبداعية، في لغته وقوة تأثيرها في نفوس الناس، ومنها ما خصت ببيان أن القرآن نزل بالعربية الفصحى لتيسير حفظه وفهمه وإدراكه، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: {إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون}¹؛ حيث توضح الآية الكريمة أن القرآن الكريم أنزل بأشرف اللغات وهي اللغة الأم بين جميع لغات العالم.

فهم القرآن الكريم من خلال هذه الآية يقتضي عربية المفسر وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات.² فتكون بذلك عربيته دليلاً على وضوحه وفصاحته وهي صفة للقرآن، وهو نفسه الذي يشير إليه القرآن الكريم بقوله: {وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق}³.

إذ أن عربية القرآن خاصة بمن أنزل عليه أي الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه نشأ في قبيلة العرب، حتى يفهموه ويكون حجة عليهم، وهو بذلك نزل بالعربية تسهيلاً للفهم والحفظ، كما أن العربية خاصة بالنبي عليه السلام، اعتباراً للغة قومه، فيكون الحكم مترجماً بلغتهم حتى يفهموه ويدركوا حقيقته.

¹ - سورة يوسف الآية 2.

² - تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ، ج 4 ص 313 بتصرف.

³ - سورة الرعد الآية 38.

والعجم هم الذين لا يفهموا العربية ولا يتحدثوا بها، لذلك يؤكد الله تعالى على أن القرآن نزل بعربية واضحة، وهو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾¹.

يقول الرازي: "... وقال أبو علي الفارسي: الأعجم الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم"².

كما أن عربية القرآن من باب ضبط اللسان والإقرار بأنه واضح، نفيا لادعاءات المشركين الباطلة من تعليم رجل أعجمي للنبي عليه السلام، فالقرآن خير دليل على عربية النبي عليه السلام وعلى عربية الوحي المنزل عليه.³

أي أن الكتاب المبين حال كونه قرآنا عربيا، فعلى تقدير أن السورة (الكتاب) تكون تسميتها قرآنا باعتبار أن القرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض، وعلى تقدير أن المراد بالكتاب كل القرآن، فتكون تسميته قرآنا واضحة وعربيا صفة لقرآنا أي على لغة العرب....⁴

ثم إن العربية التي نزل بها القرآن لها أهمية كبيرة من خلال جعل العرب نظمها وإعجازها وتفهم حقيقته، يقول عز وجل: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يذكرون﴾⁵.

¹ - سورة النحل الآية 103.

² - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، ج 20 ص 271.

³ - ينظر بتفصيل: تفسير ابن كثير، م.س، ج 4 ص 518

⁴ - فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، ج 3 ص 6.

⁵ - سورة طه الآية 110.

فكونه عربيا لتفهمه العرب فيقفوا على إعجازه ونظمه وخروجه عن جنس كلام البشر...¹. فتكون بذلك عربيته دليلا على فصاحته حتى لا يجد فيه العرب أي لبس، أي وأنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عي...². وفي قوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾³، يؤكد على نزول القرآن الكريم بالعربية وهي لغة العرب التي يتحدثون بها، وأن هذا يدل على أنه نازل بلغة العرب...⁴، حيث إن العربية كانت حجة على العرب لأنهم أهلها فيعرفون حقيقة ما جاء به القرآن.

يقول ابن كثير: "أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينا واضحا ظاهرا، قاطعا للعدر، مقيما للحجة دليلا إلى المحجة"⁵.

فهو بذلك يوضح بأن عربية القرآن كانت حجة عليهم كذلك، لكونه فصيحاً بفصاحة يفهمونها، ولو أنزل الله تعالى القرآن الكريم بغير العربية ما فهمه العرب.

كما أن عربية القرآن دليل على إعجاز المعارضين له فأنزله الله تعالى بغير عوج ولا خلل، لقوله تعالى: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾⁶؛

فقد وصفه الله تعالى بصفات ثلاثة: أولها: كونه قرآنا، والمراد كونه متلوا في المحاريب إلى قيام القيامة، كما قال: ﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لعاقصون﴾⁷، وثانيها: كونه عربيا والمراد أنه أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال: {قل لئن

¹ - تفسير الرازي، م.س، ج 22، ص 103.

² - تفسير ابن كثير، م.س، ج 5، ص 280.

³ - سورة الشعراء الآية 195.

⁴ - تفسير الرازي، م.س، ج 2، ص 251.

⁵ - تفسير ابن كثير، م.س، ج 6، ص 146.

⁶ - سورة الزمر، الآية 27.

⁷ - سورة الحجر الآية 09.

اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً¹ وثالثها: كونه غير ذي عوج والمراد براءته عن التناقض.²

أي وكما أنزلنا عليك القرآن فأنكره بعض الأحزاب كذلك أنزلناه حكماً عربياً، وإنما وصفه بذلك لأنه أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو عربي، فكذب الأحزاب بهذا الحكم أيضاً... وكما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزلنا إليك القرآن حكماً عربياً، أي بلسان العرب...³

ويقول البيضاوي: "فهو كتاب يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ومترجماً بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال..."⁴

وهو ما يشير إليه القرآن الكريم ببيان أن العربية دليل على الوضوح والإعجاز، يقول عز وجل: ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾⁵؛

وفي حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لحن حكيم خبير﴾⁶ أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه ﴿لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^{7,8}؛

¹ - سورة الإسراء الآية 88.

² - تفسير الرازي، م.س، ج 26 ص 249، بتصرف.

³ - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م، ج 9 ص 326.

⁴ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، ج 3 ص 190، بتصرف.

⁵ - سورة فصلت الآية 02.

⁶ - سورة هود الآية 01.

⁷ - سورة فصلت الآية 41.

⁸ - تفسير ابن كثير، م.س، ج 7 ص 147.

وفي قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾¹. يؤكد القرآن الكريم على أنه منزل بلغة العرب ولسانهم، وأن الله تعالى يرسل لكل أمة رسولا بلسان قومهم، لذلك أنزل بالعربية بلسان العرب، وهو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾². حيث يبين أن العربية في القرآن من باب الفصاحة والوضوح والبديع فيه ودليل على صدق لسان المنزل عليه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾³. يقول ابن جزي: "أي صدق ذا لسان عربي وهو محمد صلى الله عليه وسلم"⁴.

وفي قوله تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشري للمحسنين﴾⁵؛ يبرز أنه منزل بلغة العرب فصيحاً واضحاً لعلمهم يفهمونه ويتدبرونه، كما قال عز وجل: ﴿بلسان عربى مبين﴾⁶. أي بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه.⁸

وبالرجوع إلى تفاسير العلماء نجدهم يتفقون على كون القرآن الكريم أنزل باللغة العربية على العرب وهي أشرف اللغات، وقد أسمعها جبريل للنبي عليه السلام بلسانه ولسان قومه، فكان من باب تسهيل الفهم والحفظ، فأنزله الله فصيحاً

¹ - سورة فصلت، الآية 43.

² - سورة الشورى، الآية 05.

³ - سورة الزخرف، الآية 02.

⁴ - التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ، ج 2، ص 276.

⁵ - سورة الأحقاف، الآية 11.

⁶ - سورة الشعراء، الآية 195.

⁷ - ينظر: تفسير ابن كثير، م. س، ج 7، ص 200 بتصريف.

⁸ - ينظر: فتح القدير للشوكاني، م. س، ج 4، ص 144.

واضحاً حتى لا يجدوا فيها لبساً أو غموضاً، والعربية فيه من البدائع وهي دليل على صدق رسالة النبي عليه السلام، كما أنها من الإعجاز، فلأنه أنزله بلسانهم، كان من باب الإعجاز للمعارضين وإثبات تعنتهم وعنادهم لأنهم امتنعوا عن التصديق بما يفهموه ويدركوا حقيقته وقوته البلاغية والإعجازية التي أنزله بها، فيكون القرآن الكريم بذلك أفضل كتاب، لم يقدر أحد على الإتيان بمثله، فكان ولا يزال وسيبقى معجزة بقوة العربية والإبداع فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

خاتمة

توصلت من خلال هذا البحث إلى أن العربية لها أهمية كبيرة في القرآن الكريم، وذلك لأنه أنزل بها، وقد اتفقت تفاسير العلماء في الآيات التي تحدثت عن كون القرآن عربياً، رغم اختلافهم في تفسير الآيات القرآنية وفي تناولها بطرق متنوعة، إلا أن المقصد واحد، وهو أن العربية لغة القرآن، وهي بذلك حجة على أصحابها، كما أنها من باب التيسير والحفظ والفهم والتدبر، وهي من البدائع والإعجاز القرآني.

يمكن تلخيص أهم نتائج هذا البحث في الآتي:

- أن اللغة العربية لها أهمية كبيرة، لكونها لغة الوحي المنزل من السماء، وبها كان يستعين الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من العلماء والفقهاء الكبار لفهم القرآن الكريم وإدراك أسرارته وحكمه.

- أن اللغة العربية لغة الرسول صلى الله عليه وسلم ولغة الصحابة ولغة كل مجتهد، وهي من أهم الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتصدر للإفتاء، لتكون الأحكام الشرعية المستنبطة صحيحة من حيث المعنى والمبنى.

- أن التنوع في تفسير القرآن الكريم، ووجود مؤلفات في مجال التفسير، تختلف في طريقة التفسير وتتفق في المعاني والمقاصد دليل على قوة القرآن الكريم البلاغية والإعجازية.

- أن التفاسير المختلفة لآيات العربية في القرآن الكريم يبرز أهمية التوافق البياني في التفسير للقرآن لهذه الآيات، حيث نجد كل مفسر يتناول هذه الآيات بطريقته الخاصة، لكن المعاني تتفق على اعتبار العربية أشرف اللغات وأجلها، وهي لغة الرسول صلى الله عليه وسلم، لتسهيل الفهم والحفظ، وهي من البدائع والإعجاز في القرآن الكريم.

- أن القرآن الكريم كتاب عربي بامتياز، يوحى إلى مكانة العربية بين جميع لغات العالم.

- أن الاهتمام بكلام الله تعالى وعربيته قراءة وفهما واجب كل مسلم، لأن الفهم والتدبر يؤدي إلى الإدراك والتأثر، فيرتقي بالمسلم إلى أعلى الدرجات، ويدرك أسرار الشرع ومقاصد التشريع الإسلامي.

التوصيات:

- ضرورة العناية باللغة العربية بتنظيم أنشطة علمية تبرز مكانتها في الدين الإسلامي؛

- المشاركة في ملتقيات علمية ودورات تكوينية في مجال اللغة العربية ودورها في تفسير القرآن الكريم؛

- الاشتغال على البحوث والدراسات التي تبين أهمية اللغة العربية في القرآن الكريم ومكانتها بين اللغات الأخرى.

والحمد لله رب العالمين

لائحة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الاعتصام، دار الرحمة ط 1، 1988م، تقديم محمد رشيد رضا.
- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (توفي 790هـ)، الموافقات، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان - دار ابن عفان -.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله، الرسالة، تحقيق: أحمد شاکر، ط1: 1358هـ/1940م، مصطفى البابي الحلبي.

- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، درا التراث.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط7: 1419هـ/1999م، دار عالم الكتب بيروت لبنان.
- الدكتور يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، ط الأولى 1417هـ/1992م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.
- عثمان علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ط1412، مكتبة الرشد.
- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

مقاصد العقيدة في الفكر الكلامي عند الإمام الماوردي (ت450هـ) وأثرها في بناء الإنسان وال عمران (قسم النبوات نموذجاً)

د. خالد أزداد

طالب باحث بسلك الدكتوراه

مختبر مدارك الاجتهاد في المستجدات الإنسانية المعاصرة
جامعة القاضي عياض بمراكش - المغرب.



ملخص

إن من حقائق العقيدة الإسلامية بعد الإيمان بالله تعالى رباً بمحمد نبياً هادياً مطاعاً، ورسولاً معصوماً متبعاً، هي وثيقته التي لا تبلى، وعروته الوثقى التي لا تنفصم أبداً. وإن إثبات النبوات لا يتحقق إلا بآيات الله تعالى لأتباعه ورسوله التي جعلها سبحانه علامات وبراهين منه على صدق نبوته وصحة رسالته. وإن من خصائص العلماء السادة استجلاء الأمور، والعمور على الحقائق، وتمييز الصحيح من السقيم، ويعد الإمام الماوردي من هؤلاء العلماء الأعلام الأفاضل الذين يستحقون أن يحمل علمهم، ويخدم من جيل إلى جيل، وذلك بالجمع، والترتيب، والدراسة، والتحليل (...). فقد عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، والنصف الأول من القرن الخامس، ويعد هذا العصر من أخصب عصور الفكر الإسلامي، كما أنه نشأ بالبصرة حاضرة العلم، وقبلة العلماء في تلك الحقبة الزمنية. ولقد بذل رحمه الله غاية جهده، ووسع تحصيله في الكتاب الذي أسماه بـ "أعلام النبوة" - وهو موضوع دراستنا. نشرنا للعلم، ودعوته إلى الحق. ومن أهداف هذا البحث أنه يكشف عن بعض الحلقات المفقودة في تاريخ تطور العقيدة الإسلامي، ويعين على تصحيح بعض الأفكار الخاطئة حول مقاصد العقيدة في الفكر الإسلامي والقدرة على مواكبة تطورات الحياة. كما تكمن في الكشف عن الوسائل التي اعتمدها الإمام الماوردي في الفكر العقيدي وخاصة في مبحث النبوات، وهي كثيرة ومتنوعة، فمنها ما يرجع إلى النقل، وما يرجع إلى العقل غيرها التي كانت تسعفه في أغراضه.

كلمات مفتاحية: مقاصد - العقيدة - الماوردي - بناء الإنسان - العمران.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أزداد، خالد. (2024، أبريل). مقاصد العقيدة في الفكر الكلامي عند الإمام الماوردي (ت450هـ) وأثرها في بناء الإنسان وال عمران (قسم النبوات نموذجاً). مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 186-212.

Abstract

summary: One of the truths of the Islamic faith, after believing in God Almighty as Lord, in Muhammad, a prophet, guide, and obeyer, and an infallible messenger who is followed, is their bond that never fades, and their strongest bond that never breaks. Proof of prophecies cannot be achieved except through the signs of God Almighty to His prophets and messengers, which God Almighty has made signs and proofs of the truth of their prophecy and the validity of their message. One of the characteristics of master scholars is to clarify matters, find facts, and distinguish the correct from the incorrect, and Imam Al-Mawardi is considered one of these distinguished scholars who deserve to have their knowledge carried, served, and transmitted from generation to generation, through collection, arrangement, study, and analysis. (He lived in the second half of the fourth century AH, and the first half of the fifth century, and this era is considered one of the most fertile eras of Islamic thought. He also grew up in Basra, the capital of knowledge and the qibla of scholars in that era. May God have mercy on him, he exerted his utmost effort and expanded His achievements in the book which he called: "Importants of the Prophethood" - which is the subject of our study - spread knowledge and his call to the truth. One of the goals of this research is that it reveals some of the missing links in the history of the development of the Islamic faith and helps correct some wrong ideas about the purposes of the faith in Islamic thought and the ability to keep pace with life's developments. It also lies in revealing the methods that Imam Al-Mawardi adopted in doctrinal thought, especially in the field of prophecies, and they are many and varied. Some of them are due to transmission, and others are due to reason, which were helpful to him in his purposes.

Keywords: Objectives - Creed - Al-Mawardi - Human Building - Urbanism.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، أحمدده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين، وأثنى عليه ثناء الذاكرين، والصلاة والسلام على نبي الأمم، وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين الأعظم. أما بعد: فإن من حقائق العقيدة الإسلامية بعد الإيمان بالله تعالى رباً خالقاً ورازقاً، وإلهاً معبوداً، والإيمان بمحمد نبياً هادياً مطاعاً، ورسولاً معصوماً متبعاً، إن هذه الحقيقة هي سر حياة المسلمين وضرورتهم الكبرى، وهي وثيقتهم التي لا تبلى، وعروتهم الوثقى، التي لا تنفصم أبداً.

وإن إثبات النبوات لا يتحقق إلا بآيات الله تعالى لأنبيائه ورسوله التي جعلها سبحانه علامات وبراهين منه على صدق نبوتهم وصحة رسالتهم.

وإن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال المبين إلى الهدى التام، الذي به انشراح الصدور، وطمأنينة القلوب، لتحقيق الحياة وسعادة الإنسان في الدنيا والأخرة.

وقد ضمن الله تعالى كتابه العزيز كافة ما يحتاج إليه العباد في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم. وجاءت السنة المطهرة تبياناً لما أجمل فيه، وتفسيراً لما أبهم فيه، وتفصيلاً لما عمم فيه.

رغم كثرة عدد الأنبياء - عليهم السلام - واختلاف أعصارهم، وتباين أنسابهم، وتباعد مساكنهم، قد اتفقوا جميعاً على الدعاء إلى الله عز وجل وشعارهم في ذلك: "أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً"، وصار الآخر منهم يقر بنبوة من تقدمه، وبصحة ما جاء به، وإذا خالفه في تحليل بعض ما حرمه الله على لسان الأول، أو تحريم ما أحله الله له ولأمته، فهو مقر بأن الحكم الأول تحليلاً أو تحريماً هو حق، وهو حكم الله عز وجل، وأنه الذي تعبد الله به أهل تلك الملة السابقة، واختاره لهم

كما اختار للملة اللاحقة ما يخالفه، والكل من عند الله عز وجل، وذلك جائز عقلا وشرعا في ملة واحدة فضلا عن الملل المختلفة.

نظرا لهذه الأهمية، قررت أن أشتغل في هذه الورقة البحثية على المباحث الكلامية عند الإمام الماوردي، الذي وسمته بـ: "مقاصد العقيدة في الفكر الكلامي عند الإمام الماوردي (ت450 هـ) وأثرها في بناء الإنسان والعمران (قسم النبوات نموذجاً)"، وأتناول هذه الورقة في مقدمة وثلاثة مطالب.

أما المطلب الأول: تناولت فيه ترجمة الإمام الماوردي ومكانته العلمية، والمطلب الثاني: ضمنته مقاصد العقيدة عند الإمام الماوردي وأثرها في بناء الإنسان والعمران، والمطلب الثالث: عالجت فيه إثبات وحي النبوات وأثره في بناء الإنسان. وخاتمة ضمنتها أهم الخلاصات والنتائج التي انتهى إليها البحث.

المطلب الأول: الإمام الماوردي ومكانته العلمية.

هو أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري، المعروف بالماوردي، نسبة إلى بيع الماورد وعمله⁽¹⁾، الفقيه الشافعي، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم. وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة، ولقب بقاضي القضاة في سنة 429 هـ واستوطن بغداد في درب الزعفراني.⁽²⁾ ولد بالبصرة في أزهى عصور الثقافة الإسلامية حين بلغت الدولة العباسية درجة رقيعة من الرقي والتقدم العلمي.⁽³⁾

لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن أسرته سوى أن والده كان يعمل في ماء الورد ويبيعه، وكان له أخ مقيم بالبصرة وهذا هو الخبر الوحيد الذي ذكره الماوردي عن

1- الأنساب للسمعاني، تج: عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط:1، 1382 هـ - 1962 م، 60/12. واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، مطبعة القدس - القاهرة، 1370 هـ، 90/3.

2- الماوردي، عزيز العظمة، رياض الرئيس للكتب والنشر، ط:1، فبراير 2000م، ص: 321. وينظر: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ابن خلكان، تج: إحسان عباس، دار الثقافة-بيروت، 1969م، 282/3-283. وينظر: الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط:15، مايو 2002 م، 146/5.

3- طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، تج: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح لعلو، مطبعة الحلبي، ط:1، 267/5.

أسرته، وكانا يتراسلان من وقت لآخر. وابن الجوزي حين ذكر أسرة الماوردي جاء بخبر آخر مفاده أن له ولدا يكتي: "أبا الفائز"، ويدعى عبد الوهاب، شهد عند القاضي سنة 431هـ، وقبلت شهادته إكراما لأبيه، ولم يفعل ذلك مع غيره لصغر سنه توفي 441هـ.⁽¹⁾

أما فيما يخص مكانة الماوردي العلمية ووظيفته، فإنه يعد من أعلام المفكرين المسلمين في القرن الخامس الهجري، أعطاه الله بسطة في العلم والعمر، ولم يكن من أسرة سليمة علم وأدب، ولكن أسرة تبيع ماء الورد، فأنشأ نفسه بنفسه، محبا للعلم والعلماء، فارتفع بعلمه وأخلاقه وشجاعته إلى أن وصل إلى منصب أفضى القضاة في عصره⁽²⁾. تلقى علومه الأولى في البصرة على أبي القاسم الصميري، وهو عالم قدير من علمائها آنذاك، ثم رحل إلى بغداد وسكن في درب الزعفراني، وفيها سمع الحديث، وأخذ الفقه، وانضم إلى حلقات أبي حامد الأسفراييني لاستكمال ثقافته⁽³⁾.

ولما بلغ أشده واستوى تصدر للتدريس في بغداد والبصرة، وتنقل في بعض المدن الأخرى لنشر علمه ثم استقر به المقام في بغداد، فدرس بها عدة سنين، وحدث فيها، وفسر القرآن، وألف فيها كتبه التي تدل على أنه كان عالما بالعميقة، والحديث، والفقه، والأدب، والنحو، والفلسفة، والسياسة، وعلوم الاجتماع، والأخلاق، وقد ولى القضاء ببلدان كثيرة.⁽⁴⁾

وعن طريق وظيفته (القضاء) خبر حياة الناس اليومية عن قرب، وعرف ما يقوم بينهم من أنواع المنازعات في مختلف نواحي الحياة.

1 - ينظر: المنتظم لابن الجوزي: 143/8. والكامل في التاريخ لابن الأثير: 414/9. البداية والنهاية لابن كثير: 712/15.

2 - من أعلام الإسلام الإمام أبو الحسن الماوردي، محمد سليمان داود، وفؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص: 2.

3 - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 53/12.

4 - المضاربة، الماوردي، 57.

ولقب بقاضي القضاة، وجرى من الفقهاء إنكار لهذه التسمية، وقالوا: لا يجوز أن يسمى به أحد، ولكنهم لم يلتفتوا لأقوالهم واستمر له لقب: "أقضى القضاة" إلى أن مات، واشتهر ذلك في كتب المؤرخين، حتى أصبح يذكر مقرونا بهذا اللقب عند الباحثين، وقد تلقب به القضاة فيما بعد.⁽¹⁾

وعن طريق وظيفة أقضى القضاة، ارتفع إلى الوظائف الإدارية العليا التي تسمح لأصحابها بالقرب من الأمراء وكبار رجال الدولة، وهذا ما تمرس فيه الإمام الماوردي، وهكذا كان له دور في إصلاح ذات البين بين الخلفاء والأمراء، ولهذا تميز عن غيره من أعلام ومفكري الإسلام ممن ذكرناهم ولم يمارسوا القضاء، بأنه عرف حياة المجتمع عن قرب مما أهله لكي يصور لنا جوانب كثيرة من مجتمعه المعاصر تصوير شاهد عيان فكان صاحب نظرة شاملة بأمر مجتمعه.⁽²⁾

هكذا عاش الإمام الماوردي حياة حافلة مليئة بالأحداث الجسام وظل متصلا بالخلفاء حتى في أخريات أيامه، إذ كان يشاركونهم في حل الأزمات والخصومات، كما يشاركونهم في الأفراح إلى أن توفي رحمه الله رحمة واسعة.

وكان الإمام الماوردي ملتزما في حياته جانب الاستقامة، والتزمها في كتاباته، وبذلك كان منسجما في سلوكه مع مكانته العلمية والثقافية. فقد كان صدوقا في نفسه ثقة⁽³⁾ من وجوه الفقهاء الشافعيين جليلا رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب والتفنن التام في سائر العلوم، حليما وقورا أدبيا، وله مكانة الرفيعة عند

1 - الأعلام، الزركلي، 5/146. والمضاربة، الماوردي، 58.

2 - ينظر: الماوردي مؤرخا، لسعد زغلول عبد الحميد، بحث مقدم إلى ندوة أبي الحسن الماوردي جامعة عين شمس سنة 1975م، ص: 4. والمضاربة، الماوردي، ص: 58.

3 - ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي (ت 748هـ)، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، 1963م، القسم الثالث، ص: 155.

الخلفاء وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء فيما يصلح به خلافاً أو يزيل خلافاً، كما كان محترماً عند الخلفاء والملوك.⁽¹⁾

وقد حرص على أن يبين للناس طريق السعادة في الدنيا والآخرة، فكان كتابه أدب الدنيا والدين الذي ارتضاه منهجاً لإصلاح الفرد والرعية. ومن كلامه الدال على دينه ومجاهدته لنفسه؛ ما ذكره في كتابه أدب الدنيا والدين فقال: "ومما أندرك به من حالي أنني صنفت في البيوع كتاباً جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، وأجهدت فيه نفسي، وكددت فيه خاطري، حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به وتصورت أنني أشد الناس اضطلاعاً بعلمه، حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان فسألاني عن بيع عقدها في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل، لم أعرف لواحدة منهن جواباً، فأطرقت مفكراً، وبحالي وحالهما معتبراً فقالا: ما عندك فيما سألتناك جواباً، وأنت زعيم هذه الجماعة؟ فقلت: لا. فقالا: واهاً لك، وانصرفا. ثم أتيا من يتقدمه في العلم كثير من أصحابي فسألناه فأجابهما مسرعاً بما أقتنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه، فبقيت مرتبكا، وبحالهما وحالي معتبراً وإني لعلى ما كنت عليه من المسائل إلى وقتي، فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بها قياد النفس، وانخفض لها جناح العجب، توفيقاً منحتة ورشداً أوتيتها. وحق على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لما لا يحسن. فقد يما نهى الناس عنهما، واستعاذوا بالله منهما"⁽²⁾.

ومن صفاته مداراته للناس بحكمة وتعقل، محافظاً على الشجاعة التي يتطلبها الحق، وخاصة لذوي الجهل الذين يتصورون أن الحرمان في طلب العلم، وإذا رأوا محبرة تطيروا منها، وإذا رأوا كتاباً أعرضوا عنه قال: "لقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوي منازل وأحوال، كنت أخفي عنهم ما يصحبي من محبرة وكتاب لئلا أكون

1 - ينظر: الأعلام للزركلي، 5/146.

2 - ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، تج: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير- دمشق، ط:4، 1426هـ/2005م، ص:

عندهم مستثقلاً وإن كان البعد عنهم مؤنسا ومصالحا، والقرب منهم موحشا ومفسدا، فقد قال بزرجمهر: الجهل في القلب كالنثر في الأرض يفسد ما حوله. لكن اتبعت فيهم الحديث المروي عن الأشعث عن أبي عثمان عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خالطوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم"⁽¹⁾ (2).

وتتلذذ الإمام الماوردي على أساتذة كبار في الفقه والحديث والأدب، وكان لهؤلاء الفقهاء الذين أخذ عنهم العلم مكانة عالية وفضل جليل في حفظ هذه الشريعة السمحة، وهم دعامة الدعوة وأركان الرسالة.

كما استفاد الإمام الماوردي من علماء الطبقات السابقة عليه، ونهل من منهلهم العذب الصافي، ومن أهم شيوخه منهم: أبو القاسم عبد الواحد بن حسين الصَّيْمَرِيّ بالبصرة (ت386هـ): نسبة إلى صيمرة بلده من ديار الجبل وخورستان من أنهار البصرة.⁽³⁾ والشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد (ت406هـ):⁽⁴⁾ حافظ المذهب الشافعي وإمامه، جبل من جبال العلم المنيع، وحرر من أحبار الأمة رفيع.⁽⁵⁾ ومحمد الباقي الخوارزمي (ت398هـ)، فقد كان من أفقه أهل زمانه، مع المعرفة بالنحو والأدب، فصيح اللسان، بليغ الكلام حسن المحاضرة، حلو العبارة، حاضر البديهة،

1 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت 807هـ)، تج: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م، باب: مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به، 280/7.

2 - أدب الدنيا والدين، ص: 44.

3 - تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام (حوادث ووفيات 381-400 هـ)، ص: 219. وكتاب: أبو الحسن الماوردي وكتاب نصيحة الملوك، الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، بدون طبعة، وبدون تاريخ. ص: 5.

وطبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي، 210/1.

4 - الماوردي، عزيز العظمة، 321-322. وينظر: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ابن خلكان، 282-282/3.

5 - ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، 368/4. وطبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي، ص: 103. طبقات الشافعية للسبكي، 339/3. وفيات الأعيان لابن خلكان، 55/1.

يقول الشعر الحسن من غير كلفة، ويكتب الوسائل المطولة بلا روية.⁽¹⁾ وغيرهم من الأعلام الأفاضل.

كما تتلمذ على يد الماوردي تلاميذ كثيرون، واستفادوا من كتبه وتراثه العلمي، وظهر ذلك في مؤلفاتهم العلمية، فقد كان الماوردي صاحب مدرسة، فمنهم: الخطيب البغدادي (ت463هـ): صاحب كتاب: "تاريخ بغداد"، كان ثقة.⁽²⁾ الحافظ الكبير، أحد أعلام الحفاظ ومهرة الحديث، وأحد الأئمة المشهورين.⁽³⁾ وابن خيرون (ت488هـ): المعروف بابن الباقلاني، محدث بغداد، سمع الكثير وكتب عن الخطيب.⁽⁴⁾

ولقد كان الماوردي حافظاً للمذهب وله فيه كتاب "الحاوي الكبير" الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب. وقال فؤاد عبد المنعم: "وتميز أسلوبه في التأليف بالوضوح، ينتقي ألفاظه ومعانيه ويؤلف بينهما في تطابق تام".⁽⁵⁾ ومن مؤلفاته أيضاً: تفسير القرآن الكريم: ويسمى: "النكت والعيون"، والأحكام السلطانية: وهو أشهر كتب الماوردي، وأقدم ما نشر له، وقد حاز من الشهرة بين علماء المسلمين في المجالات السياسية والإسلامية والمالية حظاً كبيراً، كما تناول الحدود مما يخرج في بعض موضوعاته عن دائرة النظام السياسي. وكتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، والبغية العليا في أدب الدين والدنيا: وقد نشر الكتاب بعنوان: "أدب الدنيا والدين"، وهذا عرض مختصر لتصانيف وكتب الإمام الماوردي، ومما نلاحظه أيضاً أنها جمعت بين تخصصات عدة منها التفسير، والفقه، وأصول الفقه، والتربية، والاجتماع، والسياسة... فهذه الكتب

-
- 1 - ينظر: معجم البلدان: 1/475. وطبقات الشافعية للسبكي، 3/318. والبيدابة والنهاية لابن كثير، دار الفكر، 1407 هـ/1986م، 11/34. وأبو الحسن الماوردي وكتابه نصيحة الملوك للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ص: 5.
 - 2 - الماوردي، عزيز العظمة، ص: 321. وينظر: وفيات الأعيان، 3/282-282.
 - 3 - طبقات الشافعية لابن السبكي، 4/39. والأنساب للسمعاني، 303.
 - 4 - البيدابة والنهاية، ابن كثير، 12/211. وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (ت748هـ)، تج: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط: 1، 1382 هـ - 1963م، 1/92.
 - 5 - الماوردي، عزيز العظمة، ص: 321-322. وينظر: وفيات الأعيان، 3/282-283.

لازالت محط اهتمام الباحثين في المشرق والمغرب، وكما نجد أن بعضها ترجمت إلى لغات أجنبية. وهذا يبرز لنا مكانة الإمام الماوردي وموسوعيته في العلوم، وجمع بين العلم والعمل، قال الدكتور ميمون باريش: "إنه قد رزق حياة طويلة، سخرها كلها فيما يرضي الله عز وجل، وذلك بزهد، وورعه، واستقامته، وتقواه، وبالعمل النافع الذي لا ينقطع بموت صاحبه، والمتمثل أساسا في عطائه العلمي المتنوع".⁽¹⁾

ومن خلال كتابات الإمام الماوردي نجده مجتهدا، يبحث عن حلول للمشكلات الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، وأغلب كتاباته كانت في القضاء، وهذا راجع إلى طبيعة العمل الذي كان يزاوله، وهي مهمة القضاء.

وفاته: لقد أجمع الذين ترجموا للإمام الماوردي على أن عمره ست وثمانون سنة، وأجمعوا على أنه توفي يوم الثلاثاء سلخ (اليوم الأخير) شهر ربيع الأول سنة 450هـ، فتكون ولادته هي: 364هـ الموافق ل: 973م. ودفن في الغد في مقبرة باب حرب بغداد، وعمره ست وثمانين سنة (86)⁽²⁾. وقد صلى عليه الخطيب البغدادي في جامع المدينة، وشيعه رؤساء الدولة وعلماؤها، وكانت وفاته بعد وفاة أبي الطيب الطبري بأحد عشر يوما⁽³⁾.

المطلب الثاني: مقاصد العقيدة عند الإمام الماوردي وأثرها في بناء الإنسان وال عمران

لقد بعث الله جل وعلا رسله وأنبياءه واختارهم من بين الناس ليبلغوا عنه ما يجب عليهم اعتقاده وما ينبغي لهم التخلق به وما عليهم العمل به ليدبروا وليتدبروا

1 - مناهج الاستنباط والاستدلال عند الإمام الماوردي، ص: 65

2 - الماوردي، عزيز العظمة، ص: 322. وينظر: وفيات الأعيان، 282/3-283.

3 - بنظر: طبقات الشافعية لابن السبكي، 627/5. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، 102/16.

أمور معاشهم وحياتهم. ولا زالوا متتابعين إلى أن ختموا بنبوته برسالة محمد بن عبد الله عليه وعليهم الصلاة والسلام.⁽¹⁾

والنبوة والنباوة الارتفاع، نقول: نبا فلان مكانه، ونقول النبوة وهي الشرف المرتفع عن الأرض، فالنبأ وصف من النبأ، وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم. والنبى بغير همز أبلغ من النبى بالهمز؛ لأنه لا ينال الرفعة والمكانة المرموقة العالية كل منبئ، لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم فيمن خاطبه بالهمز بغضاً منه. لذا لما قال رجل إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «يا نبي الله» قال صلى الله عليه وسلم: "لست بنبي الله، ولكن نبي الله"⁽²⁾، والنبى بغير همز المكان المرتفع. وقيل: هو العلم من أعلام الأرض التي يهتدي بها. ومن ثم قيل اشتق من معنى العلم الكبير الذي يهتدي به النبي؛ لأنه أرفع خلق الله قال تعالى: ﴿وَرَبَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ [مريم: 57]. ويطلق النبيء عند أهل الكتاب على الملمم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلية.⁽³⁾

وفي هذا المطلب سأبرز أن من مقاصد بعثة الأنبياء بناء الإنسان والعمران، حيث عرف الإمام الماوردي الأنبياء فقال: "الأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه،⁽⁴⁾ زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها وإلزاما لما جوّزته من مباحاتها،

1 - ينظر: الفكر المقاصدي والاجتهاد في مسائل الاعتقاد الإسلامي، إسماعيل الحسني، دار البشير للثقافة والعلوم، ط:1، 1444هـ/2023م،

ص: 101.

2 - أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يخرجها وقد صححه سند، ح رقم: 2906. (المستدرک على الصحيحين، الحاكم (ت 405هـ)، تج: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1411هـ - 1990م، 2/251).

3 - ينظر: لسان العرب لابن منظور، 302/15. والوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1426 هـ / 2005 م، ص: 28.

4 - والله سبحانه دلّ عباده بالدلالات العيانية المشهودة، والدلالات المسموعة؛ وهي كلامه. لكنّ عامتهم تعدّ عليهم أن يسمعوا كلامه منه، فأرسل إليهم بكلامه رسلاً، وأنزل إليهم كتباً. والمخلوق إذا قصد إعلام من يتعدّ أن يسمع منه، أرسل إليه رسلاً، وكتب إليه كتباً؛ كما يفعل الناس؛ ولادة الأمور، وغيرهم: يُرسلون إلى من يُعَدُّ عنهم رسلاً، ويكتبون إليه كتباً. ثم

لما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ كَرَامَةِ الْعَاقِلِ، وَتَشْرِيفِ أَعْمَالِهِ، وَاسْتِقَامَةِ أَحْوَالِهِ، وَانْتِظَامِ مَصَالِحِهِ، حِينَ هِيَأَهُ لِلْحِكْمَةِ، وَطَبَعَهُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، لِيَجْعَلَهُ حَكِيمًا، وَبِالْعَوَاقِبِ عَلِيمًا؛ لِأَنَّ النَّاسَ بِنَظَرِهِمْ لَا يَدْرِكُونَ مَصَالِحَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَشْعُرُونَ لِعَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ بِغَرَائِزِهِمْ، وَلَا يَنْزَجِرُونَ مَعَ اخْتِلَافِ أَهْوَائِهِمْ، دُونَ أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِمْ آدَابُ الْمُرْسَلِينَ، وَأَخْبَارُ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، فَتَكُونُ آدَابُ اللَّهِ فِيهِمْ مُسْتَعْمَلَةً، وَحُدُودُهُ فِيهِمْ مُتَبَعَةً، وَأُؤَامِرُهُ فِيهِمْ مُمْتَثَلَةً، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ فِيهِمْ زَاجِرًا، وَقِصَصُ مَنْ غَبَرَ مِنَ الْأُمَمِ وَاعْظَا، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ الْعَجِيبَةَ إِذَا طَرَقَتِ الْأَسْمَاعَ وَالْمَعَانِيَ الْغَرِيبَةَ إِذَا أَيْقَظَتِ الْأَذْهَانَ اسْتَمَدَّتْهَا الْعُقُولُ فَزَادَ عِلْمُهَا وَصَحَّ فَهْمُهَا وَأَكْثَرَ النَّاسَ سَمَاعًا أَكْثَرَهُمْ خَوَاطِرَ، وَأَكْثَرَهُمْ خَوَاطِرَ أَكْثَرَهُمْ تَفَكُّرًا، وَأَكْثَرَهُمْ تَفَكُّرًا أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا أَكْثَرَهُمْ عَمَلًا، فَلَمْ يَوْجَدْ عَنِ بَعْثَةِ الرَّسْلِ مَعْدَلٌ وَلَا مِنْهُمْ فِي انْتِظَامِ الْحَقِّ بَدَأٌ"⁽¹⁾

فَالْغَايَةُ مِنْ بَعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسْلِ هِيَ: إِصْلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ اعْتِقَادٍ وَعِبَادَةٍ وَأَخْلَاقٍ وَسُلُوكٍ، وَقَالَ الْمَاورِدِي: "إِنَّهُ لَا تَسْتَفْنَى قِضَايَا الْعُقُولِ عَنِ بَعْثَةِ الرَّسْلِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ قِضَايَا الْعُقُولِ قَدْ تَخْتَلَفَ فِيهَا تَكَافُؤَاتٌ فِيهِ أَدْلَتُهَا، فَانْحَسَمَ بِبَعْثَةِ الرَّسْلِ اخْتِلَافُهَا. وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا مَدْخَلَ لِلْعُقُولِ"⁽²⁾ فِيهَا يَأْتِي بِهِ الرَّسْلِ مِنَ الْوَعْدِ، وَالْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَمَا يَرْعُونَهُ مِنْ أَوْصَافِ التَّعْبُدِ الْبَاعِثِ عَلَى التَّأَلُّهِ، فَلَمْ يَغْنِ عَنِ بَعْثَةِ

إِنَّهُ سَبْحَانَهُ جَعَلَ مَعَ الرَّسْلِ آيَاتٍ؛ هُنَّ عَلَامَاتٌ وَبَرَاهِينٌ؛ هِيَ أَعْمَالٌ يَفْعَلُهَا مَعَ الرَّسْلِ، يَخْصُصُهَا، لَا تَوْجِدُ لِغَيْرِهِمْ؛ فَيَعْلَمُ الْعِبَادَ - لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهَا - أَنَّ ذَلِكَ إِعْلَامٌ مِنْهُ لِلْعِبَادِ، وَإِخْبَارٌ لَهُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ رَسُلِي؛ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ بِكَلَامِهِ الْمَسْمُوعِ مِنْهُ، وَمِنْ رَسُولِهِ. (يَنْظُرُ: النَّبِوَاتِ، تَقِي الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةِ الْحَرَانِيِّ الْحَنْبَلِيِّ الدَّمَشْقِيِّ (ت728هـ)، تَج: عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَالِحِ الطَّوَيْبَانِ، أَضْوَاءُ السَّلَفِ، الرَّيَاضُ، الْمَمْلُوكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، ط:1، 1420هـ/2000م، (777/2-778).

1- أَعْلَامُ النَّبِوَةِ، الْإِمَامُ الْمَاورِدِيُّ (ت450هـ)، ضَبِطَ نَصَّهُ وَخَرَجَ أَحَادِيثَهُ: الشَّيْخُ خَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَكِّ، دَارُ النَّفَائِسِ-بَيْرُوتَ، ط:1، 1414هـ/1994م، ص: 65-66.

2- إِنَّ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَسْتَطِيعُ وَحْدَهُ الْإِهْتِدَاءَ إِلَى مَا يَنْجِيهِ مِنْ مَهَاوِي الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْإِنْسَانِ مَعَ الْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ، دَلِيلٌ ذَلِكَ أَنَّ تَمَيِّزَ الْمَفِيدِ مِنْهَا لِلصَّحَّةِ لَا يَتَبَسَّرُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَالِمًا بِالطَّبِّ وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَلَى دِرَايَةِ بِالْأَدْوِيَةِ. وَمِنْ ثَمَّ حَاجَةُ الْمَرِيضِ إِلَى الطَّبِيبِ مِمَّا تَلْجَأُ الْعُقُولُ إِلَى النَّبِوَةِ أَوْ إِلَى الرَّسَالَةِ. (يَنْظُرُ: الْفِكْرُ الْمَقْاصِدِيُّ وَالْاجْتِهَادُ، إِسْمَاعِيلُ الْحَسَنِيُّ، ص: 107).

الرسول".⁽¹⁾ فمن مقاصد بعثة الأنبياء والرسول؛ إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية، ومن أرجاس الوثنية إلى طهر التوحيد، ومن برائن الظلم إلى رحمة العدل، ومن فساد الفوضى إلى استقرار الإصلاح، قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]. ويدعوهم إلى أداء حق الله تعالى الذي يتمثل في عبادته وحده لا شريك له، بأن يشهدوا له بالربوبية والألوهية، وبأنه لا رب سواه ولا إله غيره، ويطيعونه في أوامره وأوامر رسوله ﷺ، وأن يجتنبوا نواهيه ونواهي رسوله ﷺ. ويعرفوا كذلك أقوامهم بحقوقهم على الله تعالى حتى ينالوا رضاه سبحانه، وذلك لا يتحقق إلا بعبادتهم لله تعالى وحده لا شريك له، بشرعه الذي أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ؛ لأن الشرع جاء بالتعبد وهو المقصود من بعثة الأنبياء - عليهم السلام - كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: 91]، وقوله عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوجِيءُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء آية 25]، فهذه الآيات فيها دلالة على أن المقصود من بعثة الأنبياء هو الدعوة إلى تعبد الله سبحانه، وأوتوا بأدلة التوحيد إلى المعبود بحق وحده سبحانه لا شريك له، قال إسماعيل الحسني: "على الرغم مما حازه النوع الإنساني من إمكانات متفاوتة، وعلى الرغم مما امتلك من طاقات متباينة، وعلى الرغم مما سخر له في البر والبحر والنهر والجو من هذا الكون الفسح والمترامي، فقد ظل في حاجة مستمرة إلى النبوات والرسالات التي صححت وتصحح من عقائده ما يستوجب التصحيح، وسددت وتسد من أقواله ما يستوجب التسديد وأصلحت وتصالح من فكره ومن عمله ومن تدبيره ما يستوجب التصليح. بقدر ما انطوى القرآن الكريم في هذا الباب على الاستيعاب والتصحيح بل والتجاوز للتراث السابق عليه، قدم لقارئه ولتدبره صوراً بشرية متنوعة للأنبياء والرسول يمكن

1- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ص: 66-67.

الإفادة منها في توجيه حاضر الإنسانية ومستقبلها".⁽¹⁾ فمن خلال هذا القول، نجد أن الإنسان يحتاج دائما إلى من يذكره ويوجهه ليرجع إلى الهدى المستقيم، لتصلح علاقته مع نفسه، خالقه، وإخوانه، وها يبني حضارة إنسانية منسجمة ومتراصة.

وقال الإمام الماوردي: "فأما أمر الإعلام فمختصُّ بالاعتقاد دون الفعل، ويجب أن يتقيد الأمر على الاعتقاد بزمان واحد، وهو وقت العلم به، وأما أمر الإلزام فمتوجه إلى الاعتقاد والفعل، فيجمع بين اعتقاد الوجوب إيجاد الفعل، ولا يجزئه الاقتصار على أحدهما".⁽²⁾ وقال الشاطبي: "كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى".⁽³⁾

وما شرعه الله تعالى من التكاليف فإنه يضمن مصالح العباد أفرادا وجماعات، والتكاليف باعتبار ما فيها من مصلحة الفرد هي حق للفرد، وباعتبار ما فيها مصلحة للجماعة هي حق لهم مناطة بحق الله تعالى. وتحقيق سعادة الإنسان في شرع الله تعالى، لأنه يحفظ مصالحهم ويوفر حاجياتهم، وهذا يجب أن يكون متحققا دائما غير منقطع في الدنيا والآخرة، فالتزام شرع الله سبب لسعادة الإنسان ولحفظ مصالحته ولتوفير ضرورياته، ولذلك جعل الله تعالى ذلك فرضا لازما على كل مكلف.

والإنسان الذي يحيى على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ فإن سعادته محققة ثابتة دائمة حتى إلى ما بعد الموت - إلى يوم القيامة- والمجتمع الذي يُحكم بشرع الله تعالى هو المجتمع الذي تتحقق فيه مصالح جميع أفرادها، وتوفير جميع حاجياتهم الضرورية؛ لأن الله تعالى أراد بشرعه حفظ مصالح الناس وتوفير جميع حاجياتهم.

1- الفكر المقاصدي والاجتهاد في مسائل الاعتقاد الاسلامي، ص: 105.

2- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ص: 62.

3- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، 60/1.

ومن هنا كان الحكم بغير شرع الله تعالى إفسادا لمصالح الناس وتضييعا لحاجيات العباد. ونخلص القول: إن وظيفة الأنبياء تكمن في بناء الإنسان ليكون صالحا ومصالحا، وفاعلا في مجتمعه، يؤدي وظيفة الاستخلاف وإعمار الأرض، وإقامة العمران.

ومن وظيفة الأنبياء الترغيب والترهيب من أجل تحقيق المصلحة، حيث قال الماوردي: "أن فيما يأتي به الرسل من الجزاء بالجنة وثوابا على الرغبة في فعل الخير، وبالنار عقابا يبعث على الرهبة في الكف عن الشر، صار سببا لانتلاف الخلق وتعاطي الحق".⁽¹⁾

وقال أيضا: "إن العقول ربما استكبرت من موافقة الأكفاء ومتابعة النظراء، فلم يجمعهم عليه إلا طاعة المعبود فيما أداه رسله، فصارت المصالح بهم أعم، والإتقان بهم أتم، والشمل بهم أجمع، والتنازع بهم أمتع (...)"⁽²⁾ نفهم من هذا القول: أن من وظيفة الأنبياء الأخذ بيد البشرية، والمضي بهم صعدا في طريق الهداية، والنور، والحق، والعدل، والبشرية تشرذم من هنا، وتوحيد عن النهج القويم، وتعاقب الرسالات يجدد لها المنهج إلى العودة إلى هدي بارئها وخالقها، فكان المستجيبون لها يسيرون داخل هذا النطاق الشامل الذي يسعدها دائما، ويسع نشاطها المتجدد في الوصول إلى الحقيقة التي لا تصل إلها عن أي طريق آخر. وجاءت الرسل بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، والتوجيه الخالص لتوحيد الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان، ولكن الانحرافات في العقيدة والسلوك في الفترات التي تعقب غياب الرسل عن الحياة بوفاتهم، كانت تعيد المجتمعات إلى جاهليتها القديمة أو لجاهليات مستحدثة، فكان تجديد البعث للنبوة من جديد ضرورة من ضروريات الحياة السعيدة. وكان التركيز في كل رسالة على أمر واحد وهو: تعبيد الناس كلهم لرب

1- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ص: 71.

2- نفسه.

العالمين وحده لا شريك له، وهذه العبودية للخالق العظيم تحرير للبشرية من استعبادها لسلطان الطواغيت وطغيان الشياطين.

وإن القصص المتعلقة بالأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم تكشف من خلالها عن حقائق وظائفهم، ومهمات أعمالهم، وبمقدار معرفتنا لقصصهم يكون الإدراك العميق لعظيم رسالاتهم، ودعواتهم، ووظائفهم، وكبير أثرهم البالغ في حياة أتباعهم السالكين على مناهجهم، وهذا أكمل الطرق لمعرفة الحكمة من بعثتهم وإرسالهم عليهم الصلاة والسلام، ولهذا يقول الله جل في علاه: ﴿تَحْنُ نَفْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف:3]، وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:111].

فهذه الآيات الكريمة تحتاج إلى التأمل والنظر العميق للوصول إلى معرفة وظائف الأنبياء عليهم السلام الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم لها.

المطلب الثالث: إثبات وحي النبوات وأثره في بناء الإنسان.

قال الإمام الماوردي: "فإذا ثبت جواز النبوات، وبعثة الرسل بالعبادات، فهم رسل الله تعالى إلى خلقه إما بخطاب مسموع، أو بسفارة ملك منزل. ومنع قوم من مثبتي النبوات أن تكون نبوتهم عن خطاب أو نزول ملك لانتفاء المخاطبة الجسمانية عنه تعالى؛ لأنه ليس بجسم، والملائكة من العالم العلوي بسيط لا تهبط، كما أن العالم السفلي كثيف لا يعلو".⁽¹⁾ علق الشيخ خالد عبد الرحمن العك عن هذا القول قائلاً: "هذا كلام الفلاسفة الذين هم أجهل الخلق بأمر النبوات، وهم أشد الخلق فساداً للعقل، وفوق هذا هم أشد الناس مخالفة للشرع، فما من قضية يبحثونها إلا ولهم فيها استطالة عليه، ولهم استعلاء على الأنبياء، ولهذا فهم يكرهون ظهور ما جاء

1- أعلام النبوة، الإمام الماوردي، ص: 72-73.

به الرسول ﷺ بل يمنعون من قراءة الأحاديث النبوية وسماعها، كما يكرهون قراءة القرآن وتلاوته وحفظه، نعوذ بالله تعالى من ضلالات الكفر والإلحاد. وقد ثبت في الكتاب والسنة تنزل الملائكة وعروجها، كما ثبت عروج النبي ﷺ إلى السماوات السبع إلى سدرة المنتهى، كما ثبت رفع عيسى عليه السلام إلى السماء الثالثة، فثبت بطلان دعواهم وفساد زعمهم⁽¹⁾.

وأشار الإمام الماوردي إلى اختلاف بعض أهل الكلام حول إثبات النبوة، وفيما صاورا به أنبياء، فقال بعضهم: صاروا أنبياء بالإلهام لا بالوحي، وهذا فاسد من وجهين:

أحدهما: أن ما بطل به إلهام المعارف في التوحيد كان إبطال المعارف به في النبوة أحق.

والثاني: أن الإلهام خفي غامض يدعيه المحق والمبطل، فإن ميزوا بينهما طُلبت أمارة، وإن عدلوا عن إلهام فذلك دليل يبطل الإلهام⁽²⁾. وقال الشيخ خالد عبد الرحمن العك: دعوى الإلهام في إثبات النبوة لا تصدر إلا عن أنصاف العقلاء، أو عن عقلاء الصبيان، الذين يخوضون في عظام الأمور بعقولهم السفهية وبتصوراتهم الخيالية، وكان الأخرى بالمؤلف -ويقصد الإمام الماوردي- أن لا يذكر هذه الأقوال المريضة والآراء الهزيلة، فإنها والله لمن المزعجات التي تأبى العقول الصحيحة والأفهام اللببية سماع الترهات ثم سوق الأدلة على بطلانها.

والإلهام ثابت للصالحين من عباد الله المخلصين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أخبر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه منهم، وأبو بكر أفضل منهم، إذ هو الصديق رضي الله تعالى عنه. فالملمهم وإن كان إلهامه من الله تعالى فهو ليس من الوحي في شيء قطعاً، ولذلك يجب على صاحبه أن يعرضه على كتاب الله تعالى وسنة رسوله

1- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ص: 73 الهامش الأول.

2- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ص: 73.

ﷺ؛ لأن إلهامه ليس بمعصوم، فإذا وافق ما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإنه يعرف أنه من الله تعالى، وإن خالفه فهو من هواجس النفس، أو من وساوس الشيطان".⁽¹⁾

فانطلاقاً من هذه القولة نجد الإمام الماوردي يحذر من الخرافة ومن الوسواس الشيطانية التي يمكن أن تصدر من أحد الأشخاص الذي قد يدعي الكرامة⁽²⁾ أو النبوة؛ لأن الخرافة والاعتقاد الفاسد يهدم الإنسان ويخرب العمران؛ ولأن محاربة الخرافة يؤدي إلى إصلاح الفكر، وبصلاح الفكر يصلح العمران في جميع المجالات، والاهتمام بالعقل بعلم والفكر السديد نستطيع أن نبني حضارة تسع لخدمة الإنسان وبنائه بناء سليماً، وحينما نعتقد أن الإلهام لا يكون إلا للأنبياء وعباد الله الصالحين، ويكون ذلك موافقاً للكتاب والسنة، فهنا نسد الباب الذي يدخل علينا المفسد - عملاً بأصل سد الذرائع - عن كل من سولت له نفسه ويدعي ما لا يستق في هذا المجال، وهذا من مراعاة مقاصد العقيدة الذي يتجلى في محاربة الخرافة والأباطيل، وهذا يخدم الإنسان ويبني عقيدته على الأسس المتينة والعقيدة الصحيحة، وموافقة للقرآن والسنة، وتجب العقائد الفاسدة، وما يتعلق بها من خرافات، يقول ابن حجر العسقلاني: "خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإماء والإغواء، كما يقع للصدّيق بطريق الكرامة والإكرام، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة".⁽³⁾

1- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ص: 73 الهامش الثاني. وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، 2/226-227
 2- الكرامة: أمر خارق للعادة، يتفضل الله به على عبد من عباده اصطفاً، غير مقرون بتحد. (ينظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. محمد حسن عبد الغفار. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم ألياً، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 73 درس.
 3- تح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، 385/12.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: "ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله سبحانه، فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره. بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لها، فهي حق، وصدق، وكرامة من الله سبحانه، وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك؛ فليعلم أنه مخدوع ممكور به، قد طمع منه الشيطان؛ فلبس عليه".⁽¹⁾ فتبين بهذا أن بين كرامات الأولياء وتهريجات المشعوذين والدجالين فروقا تميز الحق من الباطل.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "وتوجد في زمن النبوة وأشرط الساعة وغيرهما، ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى، ولا على ولايته لجواز سلبها وأن تكون استدراجا له يعني أن مجرد الخارق لا يدل على ذلك، ولذلك قال: ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها، وتظهر بلا طلبه تشريفا له ظاهرا، ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي الله تعالى غالبا بذلك، وقيل: بلى ولا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق من يدعيها بدون بينة أو قرائن حالية تفيد الجزم بذلك، وإن مشى هو على الماء وفي الهواء أو سخرت له الجن والسباع، حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الأمر والنهي. وإن وجد الخارق من نحو جاهل فهو مخرقة ومكر من إبليس وإغواء وإضلال، ولا شيء على من ظن الخير بمن يراه منه، وإن كان في الباطن شيطانا وحسن الظن بأهل الدين والصلاح حسن".⁽²⁾

وسار على هذا النهج محمد بن عبد الوهاب حيث قال: "وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله".⁽³⁾ ويقول ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة: التصديق

1- ولاية الله والطريق إليها، الشوكاني، تح: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة - مصر / القاهرة ص: 249.
2- لوامع الأنوار الهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت 1188هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط: 2، 1402 هـ/ 1982 م، 393/2.
3- أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب، تح: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: 5، 1420 هـ، ص: 22.

بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة⁽¹⁾.

فهؤلاء توسطوا في موضوع الكرامات بين الإفراط والتفريط؛ فأثبتوا للأولياء منها ما أثبتته الكتاب والسنة، ولم يغفلوا في أصحابها، ولم يتعلقوا بهم من دون الله، ولا يعتقدون فيهم أنهم أفضل من غيرهم، بل هناك من هو أفضل منهم، ولم تجر على يديه كرامة، ونفوا ما خالف الكتاب والسنة من الدجل والشعوذة والنصب والاحتيال، واعتقدوا أنه من عمل الشيطان، وليس هو من كرامات الأولياء واستدلوا بقصة مريم مع طعام الشتاء الذي كان يأتيها في الصيف، وطعام الصيف الذي كان يأتيها في الشتاء، وكذلك يستدلون بقصة الخضر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام، وبقصة أصحاب الكهف، والثلاثة الذين آوهم المبيت إلى غار في جبل إلى غير ذلك من الكرامات التي أكرم الله بها أولياءه.

من الغالين في كرامات الأولياء الأشاعرة، حيث جعلوا كرامات الأولياء مساوية لمعجزات الأنبياء، يقول ابن تيمية رحمه الله في فصل تعريف المعجزة عند الأشاعرة من كتاب النبوات: "والمعتزلة قبلهم ظنوا أنّ مجرد كون الفعل خارقاً للعادة، هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارقٍ إلّٰ لنبيّ. والتزموا طرداً لهذا: إنكار أن يكون للسحر تأثيرٌ خارجٌ عن العادة؛ مثل أن يموت ويمرض بلا مباشرة شيءٍ. وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تُخبر ببعض المغيبات، وأنكروا كرامات الأولياء فأتى هؤلاء، فأثبتوا ما أثبتته الفقهاء، وأهل الحديث من السحر، والكهانة، والكرامات"⁽²⁾.

1- شرح العقيدة الواسطية، ويلي ملحق الواسطية، لمحمد بن خليل حسن هراس (ت 1395هـ)، باب: من أصول أهل السنة والجماعة تصديق كرامات ... ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط: 3، 1415 هـ، ص: 252.

2- النبوات. لابن تيمية، 1/ 484 - 485.

ومما خالف فيه الأشاعرة غيرهم، قولهم: إن كرامات الأولياء ليست من آيات الأنبياء؛ لأنهم يشترطون في المعجزة اقترانها بدعوى النبوة. ومن ذلك: قولهم إن كل ما وقع معجزة لنبي جاز وقوعه كرامة لولي.⁽¹⁾

وهذا فيه مبالغة وإفراط في حق الكرامة الذي يؤدي لا محالة إلى نقض ببيان المعجزة، فإذا استطاع الولي أن يأتي بالكرامة التي كانت معجزة لنبي بطل التحدي وانتهت المعجزة.

وعرج الإمام الماوردي على الحديث حول معجزات النبوة باعتبارها دليلاً على صحتها، فقال: "ولا يجوز أن يُظهر الله تعالى المعجز مما يجعله دليلاً على صدقه في غير النبوة، وإن كان مطيعاً؛ لأن النبوة لا يوصل إلى صدقه فيها إلا بالمعجز؛ لأنه مغيب لا يعلم إلا منه، فاضطر إلى الإعجاز في صدقه، وغير النبوة من أقواله وأفعاله قد يعلم صدقه فيها بالعيان والمشاهدة (...)"⁽²⁾. هذا الحكم قد أوجبه الله تعالى قدراً نافذاً وحتماً مقضياً، فلا يظهر سبحانه المعجزات مما يجعله دليلاً على صدقه في غير النبوة، فالنبوة هي أصل الحقائق، وهي أم العلوم الدينية، وهي الموجهة في سائر العلوم الكونية والدينية قاطبة، فجميع الخلق على اختلاف اختصاصاتهم وتنوع مهنتهم مفتقرون إلى علوم الأنبياء التي جاؤوا بها من عند الله تعالى لإصلاح الخلق، فالملوك، والقادة، والأطباء، والسادة، بحاجة إلى هداية الأنبياء والمرسلين، وليس أحد بغني عنهم، ومن استغنى عنهم فهو الشقي المحروم في الدنيا والآخرة.

ولهذا جعل الله تبارك وتعالى دعوة الأنبياء والرسول قائمة على الحق، والعدل، والصدق، والإحسان، والصلاح، والفضيلة، وكل هذا ضروري لتحقيق سعادة العباد، وهذا من أعظم المقاصد التي جاء الدين الإسلامي لتحقيقها.

1- كرامات الأولياء بين أهل السنة ومخالفهم. موقع طريق الإسلام. <http://ar.islamway.net/>.

2- أعلام النبوة، الإمام الماوردي ص: 73.

وتطرق الإمام الماوردي إلى ما نستشف منه أثر مقاصد العقيدة وهو يتحدث عن الوحي ومراتبه حيث قال: " فتستدل الرسل بالمعجزات على تصديق الملائكة بالوحي⁽¹⁾، وتستدل الأمم بمعجزات الأنبياء على تصديقهم بالرسالة. ويكون خطاب الملك لفظاً إن كان قرآناً، أو ما قام مقام اللفظ إن كان وحياً، ولا يجوز أن يؤدي الملك إلى الرسول ما تحمله عن ربه إلا بلسان الرسول، كما لا يؤدي الرسول إلى قومه إلا بلسانهم، ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه، والرسول واسطة بين الملك وبين قومه، وما يؤديه الملك إلى الرسول ليؤديه لرسول إلى قومه ضربان: قرآن ووحى، فأما القرآن فيلزم الملك أن يؤديه إلى الرسول بصيغة لفظه، وليس للملك ولا للرسول أن يعدل بلفظه إلى غيره، ويكون ما تضمنه من الخطاب المنزل متوجهاً إلى الرسول وإلى أمته".⁽²⁾ قال الله تعالى: ﴿فَلِإِنَّمَا أَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّايَ مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: 203]، بمعنى أنه لا يبتدع ولا يملك إلا ما يوحى إليه ربه، ولا يؤتى إلا بما أمره به، قال سبحانه: ﴿رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203]، إن هذا الوحي "القرآن" بصائر تهدي، ورحمة تفيض لمن يؤمن به ويهتدي بهديه وهذا من أم المقاصد في العقيدة حيث إن هذا القرآن الكريم الذي لا يبلغ مراتب سنوه إلا الذي آمنوا به وانقادوا لشعره الحكيم القويم.

ومنهج هذا القرآن العظيم منهج فريد في الوجود، لا يدع جانباً من جوانبه إلا ويشير إلى حقائق هذا الكون والغاية التي وجد من أجلها - وهذا يدخل في أثر القرآن في بناء العمران - وهو يتناول قضايا الحياة والإنسان - وهذا من مقاصد بناء الإنسان - فيكشف عن أسرار ما أودع الله سبحانه في هذه الحياة وهذا الإنسان، وهو يأخذ

1- أخرج الدارمي في سننه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزين، وقد تخضب بالدم من فعل أهل مكة من قريش، فقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله، هل تحب أن أريك آية؟ قال: «نعم»، فنظر إلى شجرة من ورائه، فقال: ادع بها، فدعا بها، فجاءت وقامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها فرجعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسي حسي». (أجرحه الدارمي في سننه، باب ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم من إيمان الشجر به، واليهانم، والجن، ح رق: 23، 172/1)

2- أعلام النبوة، الإمام الماوردي ص: 76-77.

بالفطرة الإنسانية خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة، يصعد بها في أعالي السعادة والصفاء والهناء، هذا القرآن هو كلام خالق هذا الكون والحياة والإنسان.

خاتمة

بعد هذا الطواف عبر مطالب هذا البحث، نصل إلى مرحلة الخاتمة التي نريد أن نجمل فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث في الآتي:

العقيدة الإسلامية ليست غاية في حد ذاتها، ولكنها وسيلة لتحقيق مقصود الله من خلقه، بإلزامهم بها، ومحاسبتهم على جحودها، فالعلم بغنى الله المطلق، واستغناؤه عن عبادة عباده له، وإيمانهم به، لا تفسير له سوى أنه تعالى خلقنا ليمتعنا في الدنيا وفي الآخرة. فإن اعترض أحد على قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، قلنا له ذلك مقصد الخلق، وهو عبادة الله، لكن مفهوم الواسع للعبادة الواسعة، يجعل العبد يفهم أن الله تعالى خلقنا ليسعدنا مرتين، في الدنيا بعبادته والتعلق به سبحانه، وفي الآخرة برؤية المعبود الذي تعلق به القلوب في الدنيا، وبإلها من سعادة متصلة دائمة، ومن أجل هذا أرسل الله الرسل والأنبياء، ليوصلوا الخلق إلى تحقيق هذه السعادة.

ولهذا يمكن أن أقول: إن العقيدة وسيلة ومقاصدها غاية، ولا يمكن تحقيق هذه الغاية دون تلك الوسيلة، فمقاصد العقيدة أخلاق وقيم وتزكية للنفس، لبناء الإنسان الذي يقيم العمران، وبهذا تتحقق سعادته في الدنيا والآخرة. ولكن لما كانت باقي نعم الدنيا غير تامة، مقارنة مع ما في الجنة، جعل الله عبادته وطاعته وتوحيده، جزاء لمن حقق العقيدة الصحيحة، فجزاه الله برضوانه، ووجنته، ورؤية وجهه الكريم. ولن يتحقق لهذا العبد الذواق شيء مما فاته هنا، إلا بالسير إليه سبحانه.

وإذا تقرر الاستنتاج الأول، لزم أن نقول إن العقيدة الإسلامية، ليست كلاما فلسفيا، وبراهين عقلية منطقية، ولا نظريات فلسفية، ولا معارف جامدة، بل هي قيم روحية تسري في الجسد الترابي فتصيره ملكا، يأكل الطعام، وينام مع النيام،

ويمشي في الأسواق، ويستمتع بالأذواق، فالعقيدة الإسلامية على هذا النحو، عمل دائم، وتسبيح لله لا يفتر، وحراسة للنفس من الأمور الدنية، وبذل للخير لجميع الناس، وأول الخير دعوتهم إليه سبحانه وتعالى. ومعنى ذلك أن العقيدة يجب أن تكون سهلة وبسيطة وواضحة ومحبوبة، ليسعد بها جميع الناس، ويستعذبها الجميع، ويرغب فيها الكل.

وإذا تقرر الاستنتاج الأول والثاني معا، ينبغي أن يشحذ رجال العلم الربانيون، والمربون، همهمهم - وأنا لست منهم - لاستنباط مقاصد العقيدة الأصلية والتبعية، والعمل على تصنيفها وفق المنهج القرآني، لعل الله تعالى يقيض لهذا المشروع الهائل شاطبيا ثانياً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأن الله عز وجل قد يعطي بفضله من يشاء من صالح عبادته كرامات، إكراما له على إيمانه واستقامته على شرعه، وقد لا يعطيها لعبد من عباده رغم تقواه وصلاحه، وقد يأتي بعض العصاة بخوارق يظنها البعض أنها كرامة، وما هي أفعال شيطانية ناتجة عن الفسق والفجور والمعصية.

وهذا تتحقق الخلافة، ويدوم العمران، ويفوز العبد بالرضوان، يبدأ من الاعتراف لله بكل نعمه وكرمه، وعبادته حق العبادة، ومعاملة خلقه كما يحب لهم أن يعاملوا، وينتهي إلى حوض النبي صلى الله عليه وسلم، وجنة الخلد، ورؤية وجهه الكريم سبحانه تعالى. ربنا لا تحرم هذا الفضل واجعلنا من أهل الجنة.

لائحة المصادر المراجع

القرآن الكريم.

- أدب الدنيا والدين، الماوردي، تح: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير- دمشق، ط:4، 1426هـ/2005م.
- أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب. تح: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط:5، 1420هـ
- أعلام النبوة، الإمام الماوردي (ت450هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه: الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس- بيروت، ط:1، 1414هـ/1994م.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط:15، مايو 2002 م.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي الدمشقي (ت1396هـ)، دار العلم للملايين، ط:15، 1422هـ/2002م.
- الأنساب للسمعاني، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط:1، 1382 هـ/ 1962 م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، 1407 هـ/ 1986م.
- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام (حوادث ووفيات) 381-400.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت463هـ)، تح: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط:1، 1422هـ/ 2002 م.
- سنن الدارمي (ت255هـ)، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1412 هـ/ 2000 م.
- شرح العقيدة الواسطية، ويلييه ملحق الواسطية، لمحمد بن خليل حسن هزاس (ت1395هـ)، باب: من أصول أهل السنة والجماعة تصديق كرامات ... ضبط نصه وخرّج

- أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط:3، 1415 هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح لعلو، مطبعة الحلبي، ط:1.
 - طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي (ت: 476هـ)، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ)، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط:1، 1970م.
 - الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، مطبعة أنصار السنة المحمدية- مصر، 1466هـ/1987م.
 - الفكر المقاصدي والاجتهاد في مسائل الاعتقاد الإسلامي، إسماعيل الحسني، دار البشير للثقافة والعلوم، ط:1، 1444هـ/2023م.
 - الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت/لبنان، ط:1، 1417هـ/1997م.
 - كتاب: أبو الحسن الماوردي وكتاب نصيحة الملوك، الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
 - اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، مطبعة القدس- القاهرة، 1370هـ.
 - لوامع الأنوار الهمية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت 1188هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبها - دمشق، ط:2، 1402 هـ /1982م.
 - الماوردي مؤرخا، لسعد زغلول عبد الحميد، بحث مقدم إلى ندوة أبي الحسن الماوردي جامعة عين شمس سنة 1975م.
 - الماوردي، عزيز العظمة، رياض الريس للكتب والنشر، ط:1، فبراير 2000م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت 807هـ)، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
- المستدرک علی الصحیحین، الحاكم (ت 405هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1411هـ/1990م.
- المضاربة، الإمام الماوردي، تحقيق ودراسة وتعليق: عبد الوهاب حلاس، دار الوفاء للطباعة والتوزيع- المنصورة، ط:1، 1309هـ/1989م.
- من أعلام الإسلام الإمام أبو الحسن الماوردي، محمد سليمان داود، وفؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- مناهج الاستنباط والاستدلال عند الإمام الماوردي، للدكتور ميمون باريش، منشورات مختبر الدراسات والبحوث الفقهية وقضايا الهجرة والأقليات المسلمة، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش، ط:1، 2017م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي (ت 597هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1412هـ/1992م..
- الموافقات للشاطبي (ت 790هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:1، 1417هـ/1997م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (ت 748هـ)، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط:1، 1382هـ - 1963م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي (ت 748هـ)، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، 1963م، القسم الثالث.

- النبوت، تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1420هـ/2000م.
- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1426 هـ / 2005 م.
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة-بيروت، 1969م.
- ولاية الله والطريق إليها، الشوكاني، تح: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة - القاهرة.

حكمة التوفير في المطبخ التقليدي الوجدي

د. كمال بورمضان

أستاذ محاضر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب.



ملخص

ظفر المطبخ التقليدي المغربي بمكانة عالمية في فن الطهو، ولا يقتصر هذا الصيت على نكهاته ووصفاته الساحرة، ولا على مميزاته في طريقة الإعداد والجمع بين المالح والحلو، ولا على صحة الكثير من الوجبات التي يبدعها، ولكن أيضا لما يقدمه من توفير يرقى لمستوى الحكمة. في هذه المقالة، سنحاول إبراز هذا بالاعتماد على المطبخ التقليدي الوجدي، كونه جزءا من المطبخ التقليدي المغربي، وذلك اعتمادا على المعطيات التي حصلنا عليها من مقابلات شفوية وأخرى ميدانية مع أناس من أصول وجدية، مقتنعين كل الاقتناع بأن التعريف بما يكتنزه هذا المطبخ من فوائد؛ هو جزء من الثمين الذي يستحقه، والاستمرارية التي تعرفها الأكلات السريعة (طعام بدون قيمة غذائية)، والهدر الغذائي.

كلمات مفتاحية: المطبخ التقليدي الوجدي - التخزين - "بيت لخزين" - طرائق الاستهلاك - الاستمرارية - التكامل - التماهي - الصحة - الجمالية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بورمضان، كمال. (2024، أبريل). حكمة التوفير في المطبخ التقليدي الوجدي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 213-229.

Abstract:

Moroccan traditional cuisine has gained a global status in gastronomy. This is not limited to the reputation for its charming flavors and recipes, or its advantages in the method of preparation and combination of salty and sweet, or even on the healthy aspect of many of the meals that it creates, but also for the savings that it provides, and which qualifies as thrifty. In this article, we shall try to highlight this topic by relying on the traditional Oujdi cuisine, being part of the traditional Moroccan cuisine. We shall be based on the data we have obtained from oral and field interviews with people of genuine origin and are fully convinced that introducing what is this kitchen is has multiple benefits and will guaranty great valorisation and continuity this tradition deserves, which often fast food and junk food attenuate nowadays.

Keywords: Traditional kitchen - Storing - The store - Consuming methods - Perpetuation - In symbiosis - Identification - Identification - Healthy - Aesthetic.

مقدمة

كيفما نظرت وتأملت في المطبخ التقليدي المغربي، سواء في مكوناته الغذائية، أم تقنياته في الطهو وطرائق التقديم والتقاسم والتخزين والتوظيف المناسباتي، بل حتى في الأزمات والعلاج... إلا ووجدت حكماً وقيماً وفوائداً ومواعظاً يندھش لها مختصون عصريون في التغذية. وبما أن هذا الموضوع شاسع بشكل يفاجئ أي دارسٍ جدي، اخترت أن أعالج حكمة واحدة من حكم المطبخ التقليدي المغربي متخذاً نموذج المطبخ الوجداني¹ لقربي الشديد منه، وتحديد الفترة الزمنية الممتدة من فجر الاستقلال إلى أواخر الثمانينيات، في ارتباط وامتداد وثيق بالعقود والقرون السابقة، وهذه الحكمة التي أعنيها هي "التوفير"، لا أقصد التوفير القريب من البخل، أو لغرض الربح المادي، أو لقلّة الموارد الغذائية بالضرورة، أو الخوف من الجوع فقط، بل أقصد ذلك التوفير الذي ينسجم مع تعاليم ديننا السمحة، ويتناغم مع البيئية الطبيعية بالمفهوم المستدام، وأيضاً ذلك التوفير الذي تَغزُرُ فيه قيم التضامن، وُبعد النظر، والحفاظ على الصحة. ولتكشف ماهية هذا التوفير سأركز على فعل التخزين كشكل من أشكال التوفير، ثم فعل الاستهلاك الذي يحرص على عدم التبذير وإعادة الاستهلاك لاحقاً، مع توليد حكمٍ أخرى مترابطة مع الحكمة التي نتناولها بالشرح في هذه المقالة، إنها تقنيات توفيرية للغذاء تأتي في مقابل الإحصائيات الخطيرة التي تتحدث عن فاقد وهدر غذائي يبلغ سنوياً 1.3 مليار طن؛ أي ثلث إجمالي الأغذية المنتجة عالمياً، علماً أن العالم لا يزال فيه حوالي 800 مليون شخص يعانون من الجوع²، والمغرب بدوره معني بهذا الأمر، إما بفعل فقدان الأغذية أثناء إنتاجها

1. المطبخ الوجداني نسبة إلى مدينة وجدة، وهي مدينة تقع في الشمال الشرقي للمغرب وهي من المدن العريقة في المغرب، وحاليا تعد عاصمة الجهة الشرقية وتتميز بقربها من الحدود الجزائرية، وليست ببعيدة عن البحر الأبيض المتوسط، وتحيط بها قبائل متنوعة ومختلطة الأصول؛ مما أكسبها طابعاً خاصاً يميزها عن باقي مدن المغرب.

2 - "التصدي للفاقد من الأغذية والهدر الغذائي في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا" عن موقع منظمة الغذاء والزراعة FAO تمت زيارة الموقع بتاريخ 2022/09/25. <http://www.fao.org/neareast/perspectives/food-waste/ar/>

وتخزينها، أو هدرها عند مرحلة الاستهلاك¹، وهذا ما تشير إليه الإحصائيات بالأرقام التالية: 42,6% من المغاربة يرمون ما قيمته 6 إلى 20 دولار من الغذاء شهريا، وتشكل نسبة 3,3% فقط المغاربة الذين لا يرمون أي غذاء صالح للأكل في القمامية²، إنه تناقض مخجل لآدميتنا، ربما يلهم مطبخنا التقليدي صانعي القرار على تصحيحه، خصوصا أن المغرب كان قد خطط فعلا لخفض هذا الهدر إلى النصف بحلول نهاية عام 2024³.

على ضوء هذا المنطلق ستسير هذه المقالة نحو الآتي؛ متخذة من المطبخ الوجداني التقليدي نموذجا⁴:

أولا- حكمة التوفير في مهارات التخزين [قبل الاستهلاك]؛

ثانيا- حكمة التوفير في طرائق الاستهلاك وما بعدها، أي من فعل الاستهلاك إلى تدبير البقايا، وتقدير الكمية المطبوخة لاحقا؛

ثالثا- ارتباط حكمة التوفير بحكم أخرى من التخزين إلى ما بعد الاستهلاك.

1- حكمة التوفير في مهارات التخزين (قبل الاستهلاك)

1 - راجع مفهومي فقد الأغذية والطعام المهدر حسب تعريف منظمة الفاو FAO على رابط موقعها الرسمي: الاطلاع بتاريخ <http://www.fao.org/platform-food-loss-waste/ar/>:2022/09/25

2 - International Centre for Advanced Mediterranean Agronomic Studies (CIHEAM) and Food and Agriculture Organization of the UN (FAO), *Mediterra 2016. Zero Waste in the Mediterranean. Natural Resources, Food and Knowledge*, Paris: Presses de Sciences Po, 2016, PP 220-221.

3 - Ibid., 306.

4 - أغلب المعطيات التي اعتمدت عليها هي عبارة عن مقابلات شفوية مع وجرين خصوصا من "أهل الجامل" وأولاد عمران" وهما من الأسر الخمس المكونة لسكان مدينة وجدة القديمة، ولكن أخص بالذكر والشكر السيدة "فاطمة بوكايس" (68 سنة) على مجهودها الاستثنائي في مدنا بما احتجنا إليه من معطيات.

للتخزين في البيوت الوجدية التقليدية مكانة مركزية، تختلف بدرجات بين البيوت المرتبطة بالبساتين (الجنان)¹ والبيوت التي لا ترتبط أسرها بالنشاط الفلاحي أو تلك التي تتمركز داخل أسوار المدينة القديمة، ويتجلى ذلك أساسا في المساحة المخصصة لمكان التخزين، وأيضا في وجود بيت تخزين إضافي لدى الوجديين أصحاب البساتين محجوز فقط لتخزين ما تحتاجه المواشي، لكن القاسم المشترك بينهما؛ هو فعل تخزين المواد الغذائية في «بيت تخزين»² والتي لا تتوفر على مدار العام، أو هي من الضروريات طيلة السنة، مع استخدام نفس المبادئ التقنية وكذلك الإيقاعات الزمنية.

1-1 «بيت تخزين» (نوعان: الأول مخصص لغذاء الأسرة والثاني موجه للمواشي)

ترتبط عملية التخزين زمنيا بفصل الربيع لتصل ذروتها صيفا استعدادا لفصل الخريف وخصوصا الشتاء، وترتبط مكانيا بالحجرة المسماة «بيت تخزين»، هذه الأخيرة لا تهم مساحتها بقدر أهمية تواجدها في بيوت الوجديين، ومن مواصفاتها بالنسبة لمن يتوفرون على بساتين زراعية أمها مشيدة داخل منازلهم³ وبمواد بناء طبيعية أبرزها الطين «مُرْكُز»⁴ والخشب، ليس لها باب، إنما مجرد ستارة، وليس لها نوافذ بل فتحات صغيرة للتهوية وضعت في الجدار المناسب حسب اتجاه سطوع

1 - كل الكلمات التي وضعها بين هلالين (-) هي التي تتطابق كتابتها باللغة العربية الفصحى والدارجة الوجدية لكن مع اختلاف النطق.

2 - كل الكلمات التي وضعها بين مزدوجتين «-» هي التي تقابل النطق بالدارجة الوجدية.

3 - يتقاسم الوجديون الذين يقطنون وسط بساتينهم الفلاحية نمطا واحدا في تشييد مساكنهم، وهو ضرورة تواجد (وسط دار) أول وثاني، وكلاهما يتميز بمساحته المتوسطة أو الكبيرة وغير مسقوف، أما الأول فيوجد مباشرة بعد دخول المنزل وتحيط به حجر المعيشة، وأما الثاني يولج له عبر فضاء وسط الدار الأول بباب وفيه نجد حجرا أخرى أهمها «بيت التخزين» الرئيسة و«بيت التخزين» الخاصة بالمهائم وأيضا ممر يؤدي للبهستان وحضيرة المواشي. (معلومات مستقاة مما قدمه المستجوبون ميدانيا)

4 - «مُرْكُز»: عبارة عن جدران مصنوعة من مزيج الطين الأحمر الأجوري والتبن، يُرْكُز هذا الخليط داخل قوالب تتماشى مع شكل الجدار ومن هنا جاء اسمه. (تعريف مستقى من ملاحظات شخصية)

أشعة الشمس،¹ ذات نسبة رطوبة منخفضة، كما يُمنع دخولها إلا بإذن مسبق من الوالدين.

أما بالنسبة للوجديين الذين لم يتوفر لهم الفضاء الكافي لتشييد «بيت لخزين»، ونقصد هنا من واصلوا استقرارهم في المدينة القديمة، أو في الأحياء التي شيدت بجانبها، فهم يكتفون بتخصيص حجرة صغيرة في بيوتهم لهذا الغرض، أو حتى ركن صغير من حجرة...

يتوفر الوجديون المرتبطون ببساتينهم، والذين استقروا فيها بعد خروجهم من أزقة المدينة القديمة وما جاورها على «بيت لخزين» الخاصة بعلف الهائم أيضا، ويُخزّن فيها أساسا الخرطال² (تنطق اللام ميمًا بالدارجة = الخرطوم) والتبن والشعير والذرة والنخالة وقشور الفول المجفف المدقوق المسمى «أدلك» (مشتق من فعل دلك أي فرك)، وكذلك قشور البازلاء المجففة، وبالنسبة لهذين الأخيرين يمكن استعمالهما أيضا كسماد زراعي طبيعي إضافة إلى روث الحيوانات «لغباز».

وفيما يلي التقنيات المتبعة من طرف الوجديين في تخزين موادهم الغذائية داخل «بيت لخزين» وبصنفيه:

1-2- التخزين بتقنية التعليق (خضروفواكه وأعشاب وبذور)

تتلخص هذه التقنية في تعليق مواد غذائية بخيوط مربوطة بالخشب الذي يُكوّن سقف «بيت لخزين» بعلو حوالي مترين، وهي تشمل البصل والثوم على شكل ظفائر، والرمان³ والفلفل الأحمر صغير الحجم «أنئوزة»، وكلها تخزن في موسم

1- يراعى في وضع النوافذ عامل التعريض، فهناك دائمة جهة شمسية وأخرى ظليلة هذه الأخيرة تصلها أشعة الشمس لفترة قصيرة جدا من النهار، بل وتكاد تغيب عنها خلال النهار كله خاصة في فصل الشتاء. وبحكم خبرة الفلاحين فهم يحددون ذلك بسهولة كبيرة.

2- يدعى أيضا بالهرطمان (القرطمان) أو الخافور أو القصبية، راجع: صوفي لأكوست، الأعشاب التي تشفي، ترجمة. ألفيرا منصور، بيروت: دار الفراشة، 2013، ص 205. وهو المعروف حاليا على نطاق واسع بالشوفان.

3- يستهلك الرمان المخزن أول مرة بعد تخزينه في مناسبة «أنئاز» (تعريف مستقى مما قدمه المستجوبون ميدانيا).

جنهما، مع انتقاء أجودها وأصلحها للتخزين، إضافة إلى ما سبق يخزن بنفس الطريقة كل من النعناع الذي يجنى صيفا بشرط تركه حتى يبلغ أقصى نمو له (الواصيل) ويختار من النوع الخشن، وأيضا تخزن نبتة "اللويزة" بتقنية التعليق نفسها.

ومن المواد المخزنة بهذه التقنية نضيف أيضا بذور المواد التالية وهي: البصل، وبصل «البُورُو»¹ والخس والثوم والكرنب، والطمامطم، هذه الأخيرة تُصَفَّى منها بذورها وتوضع في شبكة دقيقة وتعلق لتجف، ولاحقا عندما يأتي موسم زرعها تُرمى في حوض؛ لتنتبت بعض الشيء، ثم تنقل لتزرع «النُقْلَةُ»² بشكل منظم في البستان.

3-1- التخزين في أواني طينية (اللحم والسمن والزيتون)

- اللحم: يذبح الخروف ويختار جزء من لحمه ليتم استهلاكه في الحين، لكن أكثر ما تبقى منه يوجه للتخزين على شكل قديد «لُخْلِيع» وذلك بتجفيفه ثم تقطيعه لإربٍ صغيرة ليُطهى بعد ذلك في قدر ثم يضاف إليه شحمه، وشيء من الزيت والملح بكمية إضافية وقليل من التوابل والكزبرة، وأثناء عملية الطهو تقوم السيدة المشرفة على هذه العملية بإسدال فتيلة من ثوبٍ داخل القدر، فإن قطر ما علق بها، تواصل عملية الطهي، وإن لم يحدث ذلك تطفئ النار، يوضع ذلك القديد في أنية طينية متوسطة أو كبيرة الحجم ليبرد، ويتحول لونه إلى الأبيض بفعل الدهون، ثم تغطى فوهة الأنية الطينية بثوب ولا يُمسَّ محتواها إلا بملعقة مصنوعة من الخشب، ومخصصة لهذا الغرض حصرا، ودائما موضوعة جانبا، ولتفادي تكرار فتح وغلق تلك الخابية، تملأ أنية صغيرة مصنوعة من الطين أيضا بما يحتاجه المطبخ لمدة معينة لضمان بقاء جودة ما بداخلها.

1. نوع من البصل الذي يتخذ شكله شكل شرائط طويلة تنتهي برأس صغيرة.
2. هي شتلة صغيرة تنمو بعد زرع البذرة، يتم نقل الشتلة الصغيرة إلى أحواض زراعية بشكل متناظر؛ ولذلك سميت "بالنُقْلَةُ".

- السَّمْنُ الحَارُّ: تستخرج الزبدة بعد رَجِّ الحليب في (الشكوة)¹ ثم يضاف إليها الملح وتوضع في إناء طيني لتتحول إلى سمنٍ حار، وتغطى بثوب نباتي يسمى (الخيش)²، ولا تمس بدورها إلا بملعقة خشبية، ويُمنع منعاً باتاً استخدام ملعقة معدنية أو الديدن، ويضاف السمن الحار عادة إلى الكسكس أو «بُرْكوكش»³.

- الزيتون الأخضر: يُختار أفضله بعد القطف، ويهشم بضربة حجرٍ واحدة، ثم يوضع في خابية طينية داخل «بيتٍ لُخزين».

- الزيتون الأحمر: كذلك يُنتقى من بين أفضل الحبات، ثم يشقق بسكين ويوضع بدوره في خابية طينية مليئة بالماء في «بيتٍ لُخزين».

- الزيتون الأسود: يخلط بالملح ويعبأ في الأكياس النباتية المشار إليها سابقاً (الخيش)، بعدها توضع فوق بعضها البعض، وعليها ثقل حجر يساعد على تضغط الزيتون الأسود ليخرج منه ماؤه، ثم بعد ذلك يفرش أرضاً ليتعرض لأشعة الشمس قصد تجفيفه، وتكرر هذه العملية عدة مرات حسب الحاجة، وتنتهي برش زيت الزيتون عليه ثم تخزينه داخل خابيات طينية.

1 - الشَّكْوَة: تصنع من جلد الماعز في الغالب وهي مناسبة جداً لعملية رج الحليب لاستخراج الزبدة واللبن وذلك لسهولة تمططها. (تعريف مستقى مما قدمه المستجوبون ميدانيا).

2 - الخيش: ثياب رفاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقفة الكتان ومن أردنه، وربما اتخذت من العصب، والجمع أخياش، قال: وأبصرت ليلي بين بردي مراجل، وأخياش عصب من مهلهلة اليمن وفيه خيوشة أي رقة. وخاش ما في الوعاء: أخرجته. ورد في: أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب المجلد السادس س- ش، بيروت: دار صادر، 2003، ص 301. كما يعرف هذا النوع من الثوب في أرجاء مختلفة من العالم، إذ يطلق عليه بالإنجليزية Canvas وورد تعريف له في موقع المعجم الأكسفوردي كالتالي: قطعة قماش قوية غير مقصورة مصنوعة من القنب أو الكتان أو القطن أو خيوط مماثلة، تستخدم لصنع أغراض مثل الأشرعة والخيام وسطح للرسم الزيتي. (ترجمته) اطلع عليه بتاريخ: 2022/09/30، الرابط:

<https://en.oxforddictionaries.com/definition/us/canvas>

3. «بُرْكوكش»: يصنع عن طريق دعك دقيق القمح مخلوطاً بقطرات من الماء، ليصبح على شكل كريات كبيرة مقارنة مع الكسكس العادي، ثم يبخّر ويمزج مع المرق والتوابل والقطناني، ترتبط هذه الأكلة بعدد من المناسبات كزيادة مولود أو عيد المولد النبوي...

4-1- التخزين في أكياس نباتية (كيس الخيش تحديدا)

- التين المجفف: يفرش حَصِيرٌ أسفل شجرة التين؛ لتساقط عليه ثمار التين الملتوية «الكَرْمُوسُ اللأْوِيَا» التي جفت في الشجرة، ثم توضع تحت أشعة الشمس لتجف جيدا، وبعدها تخزن في الأكياس النباتية المسماة بـ: (الخيش).

- الفاول والذرة: يضاف إلى ما سبق حبات الفول والذرة اليابسين، وهما أيضا من البذور الموجهة للتخزين بغرض زرعهما لاحقا، وبالنسبة للفول يصنع منه أيضا (البصارة)¹.

5-1- التخزين في أواني زجاجية وتقنيات مختلفة

يتم تخزين عدة أغذية، وبعدها أشكال في أواني زجاجية رغم قلتها في الماضي، لكن مع مرور الوقت أصبحت أكثر شيوعا، وهي إما:

- معصورة: كزيت الزيتون: اعتمد الوجديون على إمكانياتهم الذاتية في عصر الزيتون، فبعد انتقاء أجوده من الأخضر والأحمر والأسود، والذي يوجه للتخزين بالطرائق التي سلف ذكرها، يبقى منه الأقل جودة نوعا ما، وغالبا ما يكون نصفه، وبذلك يخصص لعملية العصر المكونة من مرحلتين كبيرتين، الأولى هي تهشيم حبات الزيتون واحدة بواحدة بضربة حجر ورميها في حفرة صغيرة مصقولة، ثم في المرحلة الثانية يسكب عليه الماء المغلي لتقوم سيدة ثقيلة الوزن، وكبيرة الرجلين برفس ذلك الزيتون، علما أنها نظفت جيدا رجلها بالماء الساخن جدا والحجر²، وشيئا فشيئا يتصاعد الزيت إلى الأعلى ليتم تجميعه في أواني زجاجية إن توفرت، شريطة تغطيتها

1 - البصارة: تصنع من الفول أو البازلاء، تطبخ مع الماء والملح والتوابل والكزبرة، يضاف إليها زيت الزيتون والحرار عند التقديم، وهي أكلة شتوية لأنها تساعد على تدفئة الأبدان. (تعريف مستقى مما قدمه المستجوبون ميدانيا).

2 - الحَجَز: أو الحجر إنها صخرة كروية لكن مسطحة تشبه حجر التيمم، حجمها يناسب قبضة كف اليد وهي بين الملساء والخشنة يتم اختيارها من بين صخور الواد وتستعمل لحك الجلد أثناء الاستحمام وتحديد مناطق الرجلين والركبة والكوعين واليدين. (تعريف مستقى مما قدمه المستجوبون ميدانيا).

بثوبٍ كحماية من الضوء ولو كان قليلا. ولاحقا وبعد ظهور المعاصر، تلاشت طريقة العصر هذه بالتدريج حتى انقرضت.

- مخللة كالفلفل الحار الأخضر صغير الحجم: يوضع الفلفل الحار الأخضر صغير الحجم بعد التنظيف والتنشيف في قارورة زجاجية، نصفها ماء، ونصفها خل، ويرص داخلها جيدا، ثم تغلق القارورة، ليصبح مخللا بعد مرور مدة معينة.

- مضغوطة كالفلفل الأخضر: عندما يشارف موسم الفلفل الأخضر على الانتهاء، يجمع منه قدر معين، ويشوى على النار الموقدة بالفحم، ثم ينظف ويترك ليحفظ، بعد ذلك يدهن بالزيت العادية [زيت الصوجا]، ويكدس في علب زجاجية، بحيث لا يترك مكان لتسرب الهواء، وعند الرغبة في استهلاكه مقلبا يبقى في زيتته التي خزن بها، وإن رغب في استهلاكه بشكل آخر يغسل من تلك الزيت.

- مهروسة كالفلفل الأحمر صغير الحجم «النِّيُورَة»: هو فلفل أحمر صغير الحجم حلو المذاق، يسميه الوجديون بـ «أَنْيُورَه»، يُقَطَّعُ ويجفف تحت أشعة الشمس، ثم يهرس بـ: «المَهْرَازُ»¹ مع قليل من زيت الزيتون، تفاديا لتطايره، ثم يخزن في قارورات زجاجية، وقد سبق الإشارة إليه في تقنية التخزين بالتعليق.

- مطبوخة كالطماطم: تقطع إلى قسمين أو أربع حسب حجمها، ثم تغلى جيدا في قدر كبير، وبعدها تُصَفَّى وتُطَحَنُ فيما يشبه الرحى اليدوية التي تعزل القشور والبذور عما تبقى من الطماطم، وبعدها ترجع للقدر قصد غليها مرة أخرى مع قليل من الملح وزيت الزيتون حتى يميل لونها للسواد؛ وبهذا تتوقف عملية الغلي، وتترك لتبرد ليلة كاملة لتخزن في قارورات ضيقة الفتحة؛ كالتي يباع فيها ماء الزهر أو الصودا.... وحتى يُحَكَمَ إغلاقها تستعمل السدادة الفلينية، مع وضع قليل من الزيت في الأعلى لإحكام عزلها عن الهواء الخارجي.

1. «المَهْرَازُ»: وعاءٌ مجوّفٌ من الحديد أو النحاس أو غيرهما، يُدَقُّ فيه الطَّعامُ والتَّوابلُ أو الدَّواءُ.

6-1- التخزين فوق الأرض (القرع الأحمر)

نقصد هنا بالضبط نبتة القرع الحمراء والتي تُجنى شريطة تركها تَحْمَرُ جيداً حتى جذورها وهي في الحقل، وهذا سر صمودها طويلاً بعد القطف، بعد ذلك تُخزن ببساطة فوق الأرضية الترابية في «بَيْتٍ لُخْزِينٍ»، وكلما احتاج أصحاب المنزل شيئاً منها قطعوا جزءاً دون أن تتعرض للتعفن، كما أن بذورها أو «زُرَيْعَتَهَا» تستخرج وترش بالسكر، وتقلب في الرماد، بعدها تُجَفَّفُ قصد زرعها لاحقاً، ويكون منتجها لذيذاً حلو المذاق.

7-1- التخزين في المطامير (الحبوب: القمح والشعير)

المطامير هي مكان تخزين خارج «بَيْتٍ لُخْزِينٍ»، وتكون قريبة منه، وفي مكان من وسط الدار، هي حفر تتراوح بين 4 و10 أمتار عمقا، ويعرض متر واحد أو أكثر حسب عمق الحفرة، تُصَقَلُ جنبات الحفرة، ويوضع فيها القمح أو الشعير (الزرع)، يمكن أن تصمد لعدة سنوات علماً أنها في مأمن من سيلان وجريان المياه، أو أي شيء يضر بما تحتويه. وزيادة على ما سبق هناك ميزة علاجية لحبوب الشعير المخزنة في المطامير شريطة أن تكون حائلة «الحائلة» أي قضت مدة طويلة في المظمورة، فهي توصف لمرضى ضيق التنفس إما بأكل خبزه، إذ يقال لكل من أصيب بذلك المرض: «كُوِّلَ خُبْزُ الزَّرْعِ»؛ أي "كل خبز الشعير"، أو بطبخه في الماء مع عيدان من «عَرَقُ أَسْوَس»¹، وبعد تصفيته، يوضع في قارورة زجاجية ويشرب كل صباح.

2- نماذج من حكمة التوفير في طرائق الاستهلاك وما بعدها وارتباطها بحكم أخرى

1. «عَرَقُ أَسْوَس»: عرق السوس: كلمة من أصل يوناني معناها "الجذر الحلو"، هو نبات عشبي أزهاره أرجوانية، ينمو في مناطق عديدة منها شمال إفريقيا، يحصد في فصل الخريف بعد سنتين إلى 3 سنوات من زراعته، ذو نكهة حلوة ومميزة، نظراً لاحتوائه على السكر، وله فوائد عديدة بسبب توفره على المعادن والفيتامينات.

رغم توفر الغذاء بشكل فائض في مواسم فلاحية جيدة ومتتابعة، هذا لا يعني بتاتا التوقف ولو مرة واحدة عن فعل التخزين، أو معناه ضوءاً أخضرًا لشيء من التبذير أو الترف؛ لذلك تجد الأم الوجدية حريصة على طبخ ما تحتاجه أسرتهما بأقصى دقة ممكنة. كما تحرص أيضا على تدبير الفائض - إن وجد - والبقايا بشتى الأساليب الممكنة. باختصار يرفعن شعار: "لا شيء يرمى، لا شيء يضيع".

1-2- نموذج إعداد الخبز واستهلاكه وتدبير بقاياها

لنأخذ نموذج إعداد الخبز من طرف الأمهات اللاتي اكتسبن نوعا من مهارة التقدير¹، التي تبدأ بقياس كمية الدقيق الذي يحول لعدد محدد من الخبز باستخدام آنية تسمى (الطَّاسَة)، ولها واحدة إضافية مخصصة لأنواع أخرى من الطعام، وتبقى دائما في كيس الدقيق، وعندما تلاحظ الأم في آخر اليوم بقاء خبزة أو أكثر لم تستهلك، تقوم في اليوم الموالي بإنقاص (طاسة) من الدقيق أو أكثر؛ حتى تزيد فُرصَ استهلاك الخبز المتبقي «الخُبْزُ البَايْتُ». وفي هذا السياق يشار إلى أن العائلات الوجدية لا تستهلك في الغالب الخبز في وجبة العشاء، مكتفية بأنواع الحساء المختلفة؛ ك(الحريرة) و«التَّشِيْشَة»² وغيرها.

بالرجوع إلى موضوع تدبير الخبز، تعجن الأم كل يوم خليطا من دقيق القمح الطري ودقيق القمح الصلب ودقيق الشعير، باستثناء يوم الخميس الذي يُعجن خبز الدقيق الطري فقط، والسر في ذلك أن الأفران التقليدية لا تشتغل يوم الجمعة، وخبز القمح الطري أو «القَرِيْنَة»³ كما يسمى، يصمد ليوم السبت عكس الخليط المعتاد.

1. التقدير: معناها هنا قاس الشيء، وجعله على مقدار.

2. «التَّشِيْشَة»: شربة الشعير.

3. «القَرِيْنَة»: مشتقة من الكلمة الفرنسية La farine وهي مسحوق الحبوب.

كما تقوم بعض السيدات وتحديدًا الفقيرات بتوفير كوب واحد من الدقيق من الحصة التي تعجن كل يوم، وبعد مرور نصف شهر يجتمع لديهن كم يومين أو ثلاث، كنوع من الاحتياط في حالة عدم قدرة أزواجهن على توفير الدقيق لبضعة أيام. عندما يببت الخبز، يصبح أكثر تيبُّسًا، ولتجاوز ذلك يتم تسخينه ويُأكل مع زيت الزيتون أو يُقلى مع البيض، وهي تقنية تعلمها الوجديون من الفرنسيين الذين استقروا في مدينة وجدة، وإن لم تنجح هذه التدابير في استهلاكه، يوضع تحت أشعة الشمس ليصبح يابسًا أكثر، ثم يعطى للمهاجرين بعد تكسيره لقطع تستوعبها أفواههم أو يسحق تماما ويخلط مع النخالة والماء الساخن؛ ليقدّم للدجاج الذي بمجرد تناوله تُسرَّعُ عملية تبييضه؛ وبالتالي حوّل الخبز بشكل عجيب من مادة نشوية إلى أخرى بروتينية!

2-2 - نماذج أخرى

رغم أن المطاير مليئة بقدر معتبر من الحبوب، إلا أن رب الأسرة يفتح ثغرة صغيرة جدا فيها، ويسحب بحذر كبير قدر ما يحتاجه لذلك اليوم؛ ليطحن في الرحي اليدوية في حينها دون أي نوع من التبذير.

تحرص الأمهات بشكل حازم على أن يُتِمَّ الأبناء حصتهم الغذائية، وألا يبقى شيء في الطبق، وبملاحظاتها الدقيقة تكتسب خبرة تجعلها تطبخ ما يكفي دون أي زيادة أو نقصان. إنها خبرة متراكمة وتبلور باستمرار، وتشمل جميع شؤون الأسرة فيما يتعلق بمواردها، سواء كانت غذائية أو غيرها؛ كالألبسة مثلا. وبشكل آلي ومنظم وتدرجي تمرر الأم هذه الخبرات إلى بناتها منذ الصغر، كما حدث معها سلفا، وهكذا، دواليك، فلا غرابة عند سماع نداء يسأل الأم عن المقدار الواجب إعداده من طعام، أو تقديم الأم توجيهات معينة ودقيقة وبنبرة فيها جدية واضحة¹ إلى بنتها، أو بناتها،

1 - قام عالم اللسانيات والأنثروبولوجيا الشهير إدوارد ساير Edward Sapir بتصنيف هذه النقطة بالذات في المستوى الثاني للكلام ضمن خمس مستويات، وهذا المستوى الثاني هو الديناميكية الصوتية التي تنقسم بدورها إلى الرنة الصوتية،

من قبيل توزيع المهام وضبط المقادير في حالة انشغالها بأمر أخرى، أو عدم تواجدنا في البيت.

3- ارتباط حكمة التوفير بحكم أخرى من التخزين إلى ما بعد الاستهلاك (نماذج)

- حكمة الاستمرارية: تتجلى في عدة نقاط أولها استمرار وجود طعام رغم انتهاء موسم مع عدم تعارضه مع شرط الصحة، عكس ما يحدث الآن بإنتاج مواد زراعية في غير موسمها الطبيعي، وثانيها تخزين البذور المنتجة للطعام لضمان زرع محصول جديد الموسم المقبل، إنها استمرارية على شكل دائري.

- حكمة التكامل: تتكامل منظومة المطبخ الوجداني التقليدي بشكل متراس فعلا، فالتخزين في حد ذاته متكامل يغطي احتياجات البشر والحيوانات الأليفة في تناغم تام مع الإيقاع الزمني لليوم الواحد، وصولا إلى فصول السنة، ثم يتكامل مع المتطلبات التي يحتاجها أهل البيت وتدخل بعدها حتى البقايا في هذا التكامل لتعود إلى طاولة الأكل بشكل ما، أو لتتحول إلى غذاء للمواشي التي سينتهي بها المطاف في الموائد أيضا أو توجه للأرض على شكل سماد طبيعي، بدوره سيصبح جزءا من نباتات تنتهي هي كذلك في موائد الأكل.

- حكمة التماهي: إذا ما نظرنا بشكل شمولي، لجميع عمليات التخزين وطرائق الاستهلاك وما بعدها، وكذلك لحكمة التوفير، سنلاحظ التماهي الواضح بين نمط المطبخ الوجداني التقليدي، ونمط عيش الكثير من الكائنات الأخرى؛ كالنمل مثلا، إنه تماهي مدهش، يجعل الإنسان يعيش في انسجام تام مع بيئته الطبيعية، كجزء لا يتجزأ منها.

الإيقاع، الانسياب، السرعة. وكلها ذات طابع فردي واجتماعي تختزن حمولة تواصلية كبيرة أهم من مضمون الكلمات المنطوقة نفسها.

- Edward Sapir, *Anthropologie Tome 1: culture et personnalité*, trad. Christian Baudelot et Pierre Clinquart, 1921; l'Université du Québec à Chicoutimi, 2001, P26-28.

- حكمة الصحية: يسهل الخروج بهذا الاستنتاج عندما نجد كل ما له علاقة بالمطبخ التقليدي الوجداني من أدوات ومكونات وتقنيات لا يضر بالصحة، بل ويزيد من مناعتها، فمواد الطبخ والتخزين من الطين والخشب والزجاج... والمواد المخزنة والمستهلكة خالية من أي مواد كيميائية مضافة، وفيها توازن غذائي دقيق للغاية. يضاف إلى ذلك فعل تخزين مواد علاجية كاللوزة والشعير الحائل.

- حكمة الجمالية: رغم بساطة كل ما يتعلق بالمطبخ التقليدي الوجداني، لكن هذه البساطة بالذات هي سر جماله، جمالٌ يتجلى في تفاصيل دقيقة، ظاهرة وخفية، بالنسبة للظاهرة منها نأخذ مثال طريقة تعليق الثوم والرمان، وكيفية رص المواد المخزنة في «بيت التخزين»، مع وجود روائح زكية تزيد من جمالية المكان رغم تواضعه. أما بالنسبة للخفية، وهي بالأساس عبارة عن مشاعر يصعب وصفها؛ مثل تلك السعادة التي تشع وتملأ المكان عندما تتجمع العائلة لقطف ثمارٍ أو تخزينها، أو استهلاكها أو طبخ وصفة خاصة بمناسبة معينة...

خاتمة

في ختام هذه المقالة، يتضح استنتاج كبير مفاده أن المطبخ التقليدي الوجداني كنز تراثي حقيقي، يختزن في كل ركن من أركانه حكما وإن بدت بسيطة، لكنها في الحقيقة غاية في الأهمية؛ لأنها تمس صحتنا الفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، والمخزن في هذا كله، أن هذا التراث أصبح في حكم شبه المنقرض، لكن في المقابل لازال هناك بصيص أمل يتجلى في ظهور بعض المحاولات لإحياء هذا النمط من التغذية والطبخ، بداية من إنتاج الغذاء إلى تخزينه واستهلاكه وتوفيره وإعادة استهلاكه، أو تدويره ليعود مرة أخرى وفي أشكالٍ جديدة. هذه المحاولات التي تزوج بين إحياء هذا التراث، وبين تحديثه في نفس الآن، دون المس بجوهره، مع الاستفادة منه في التنمية الاقتصادية، وخصوصا الشق السياحي، والصناعة التقليدية، والزراعة الإيكولوجية...

كل ما ذكر أعلاه في هذه الخاتمة، ينطبق على عموم المطبخ المغربي التقليدي، بل هناك المزيد والمزيد من الأسرار التي تضيفها كل منطقة من مناطق المغرب، وربما كل بيت من بيوته.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم. لسان العرب المجلد السادس س- ش. بيروت: دار صادر، 2003.
- لاكوست، صوفي. الأعشاب التي تشفي، ترجمة. ألفيرا نصور. بيروت: دار الفراشة، 2013.

باللغة الأجنبية:

- Sapir, Edward. Anthropologie Tome 1: culture et personnalité. trad. Christian Baudelot et Pierre Clinquart. Publie 1921, l'Université du Québec à Chicoutimi, 2001.
- International Centre for Advanced Mediterranean Agronomic Studies (CIHEAM) and Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO). Méditera 2016. Zero Waste in the Mediterranean. Natural Resources, Food and Knowledge. Paris : Presses de Sciences Po, 2016.

روايات شفوية:

- عدد من المستجوبين كلهم ينتمون إلى أهل الجامل وأولاد عمران، وأهم المعطيات قدمتها السيدة "فاطمة بوكايس" وجدية من أهل الجامل وقاطنة طول حياتها بمدينة وجدة (68 سنة).

مواقع إلكترونية:

- "التصدي للفاقد من الأغذية والهدر الغذائي في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا" عن موقع منظمة الغذاء العالمية FAO تمت زيارة الموقع بتاريخ 2022/09/25، الرابط:

<http://www.fao.org/neareast/perspectives/food-waste/ar>

- مفهومي فقد الأغذية والطعام المهدر حسب تعريف منظمة FAO تاريخ الاطلاع: 2022/09/25

<http://www.fao.org/platform-food-loss-waste/ar>

- مقابل مصطلح "الخيش" وتعريفه باللغة الإنجليزية، اطلع عليه بتاريخ: 2022/09/30
الرابط:

<https://en.oxforddictionaries.com/definition/us/canvas>

بيداغوجيا الإنصاف*

للمؤلفة "إميللي دوتورلو EMILIE Doutreloux"

ترجمة:

د. عبد الكريم بومعزة

باحث في اللغة والتواصل
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
بركان، المغرب



د. رفيق أوباشير

باحث في اللسانيات والتواصل
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
بركان، المغرب

ملخص

تسعى كل الأنظمة التعليمية إلى جعل حق التعليم في متناول جميع أفراد مجتمعاتها، ومع ذلك، فالفرص إلى الولوج إليه، أو الاستفادة من الإمكانات التي يتيحها، في كل أطواره وتخصصاته، ليست متكافئة. فكيف يتحقق معنى تكافؤ الفرص في التعليم؟ وهل المساواة في وولوجه كافية؟ أم لابد من إنصاف أولئك الذين يجدون صعوبات في التعبير عن إمكانياتهم؟ هذه جملة أسئلة، من غيرها، تحاول الباحثة الكندية "إميللي دوتورلو" أن تجيب عليها باختصار؛ فهي أولا، تحدد معاني المفاهيم (المساواة والعدالة والإنصاف) والفروق الموجودة بينها، ثم، تقف عند أبعاد تكافؤ الفرص وكيف يمكنها أن تتجسد في الواقع، لتصل في الأخير، إلى اقتراح بيداغوجيا الإنصاف على الأساتذة الذين يرغبون في تطوير مهارات تلامذتهم وإبراز قدراتهم.

كلمات مفتاحية: الإنصاف-التعليم-تكافؤ الفرص-النظام التعليمي-المساواة

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أوباشير، رفيق. بومعزة، عبد الكريم. (2024، أبريل). بيداغوجيا الإنصاف. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 230-241.

Abstract

Every educational system aims to make the right to education accessible to all members of its society. However, opportunities for access or benefitting from its potential at all levels and specializations are not equal. How can educational equality be achieved? Is equal access sufficient, or is it necessary to accommodate those who struggle to express their abilities? Canadian researcher (EMILIE Doutreloux) attempts to answer these questions succinctly by defining concepts like equality, justice, and fairness, exploring the differences between them, examining the dimensions of equal opportunities, and proposing a pedagogy of fairness for teachers wishing to develop their students' skills and highlight their capabilities.

Keywords : Fairness-Education-Equal Opportunity-Education System-Equality

* Emilie Doutreloux, *la pédagogie de l'équité*, Pédagogie Collégiale, Volume 32, N°4, été 2019, pp.22-27

"لنجعله في متناول الجميع، بغض النظر عن معتقدتهم، أو أصلهم العرقي، أو ثقافتهم، أو خلفيتهم الاجتماعية، أو جنسهم، ومهما كانت صحتهم البدنية وقدراتهم العقلية؛ إنه التعليم الجيد الذي يستجيب لتنوع الاحتياجات" (مقتطف من تقرير المجلس الأعلى للتعليم بالكيبك سنة 2007).

للوهلة الأولى، يبدو هذا الاقتباس من حاضرنا، ومع ذلك، فهو يعود إلى سنة 1964، وكان، حينها، الهدفَ للتعليم الثانوي الذي صاغه مقررو اللجنة الملكية للبحث في التعليم في مقاطعة الكيبك بكندا. فمنذ خمسين عاما، أدت الديمقراطية في التعليم، بلا شك، إلى توزيع في عدد التلاميذ: أجيال جديدة مكونة، خاصة، من الفتيات، وفرنكفونيون، وتلاميذ من خلفيات محرومة، تستفيد للمرة الأولى، من التعليم العالي في الكيبك، ومن ذلك الحين، يتزايد عدد الطلاب في الكليات: تنوع سوسيلوجي، وثقافي، ولغوي، وذهني، ومن الجنسين؛ تفكيرا وقدرات.

برغم هذا التعميم المكثف الذي تدفعه الرغبة في تكافؤ الفرص، لاتزال أوجه التفاوت وعدم المساواة في المدارس قائمة. يرى كل من الباحثين في سوسيلوجيا التعليم: "رائل" و"بيلوت" أن الجهود المبذولة لتعزيز الوصول إلى التعليم العالي لم تمنع آليات التمييز المنهجي التي تؤثر بشكل خاص على الأقليات والفئات المهمشة في التعليم: "المساواة في الفرص في التعليم تبدو نظرية أكثر منها حقيقية. هذا ما جاء في تقرير المجلس الأعلى للتعليم بكندا مقاطعة الكيبك. (CSE 2016/p.72).

ماذا نعني بالضبط، بتكافؤ الفرص؟ وكيف يتفق هذا المبدأ مع مبتغى العدالة والإنصاف؟ ثم، كيف تتحقق تكافؤ الفرص في المجال الثانوي؟

يحاول النص التالي الإجابة على هذه الأسئلة بإيجاز؛ أولا، بشرح الفروق التي تميز مفاهيم المساواة والإنصاف والعدالة. ثم، عرض بعض أبعاد تكافؤ الفرص، وعلى وجه الخصوص التكافؤ في الولوج والمكتسبات والنتائج والمعاملة.

وسيسمح هذا الوضع في السياق عندئذ، بعرض بعض سبل العمل للأساتذة لتعزيز تكافؤ الفرص داخل النسيج التلاميذي المتنوع الذي يشكل فصولهم. والأفكار المقترحة، هي جزء من بيداغوجيا الإنصاف؛ وهي مقارنة من أربع خطوات ترمي إلى كسر الصمت بالكلام، والإهمال بالذاكرة، والسلبية بالمشاركة الفعالة، والعجز بالقوة.

ومن شأن هذه الوسائل أن تتيح لجميع التلاميذ، بغض النظر عن ملامحهم واحتياجاتهم، أن يشعروا بالاهتمام أثناء مرحلتهم الثانوية، وأن يعيشوا تجربة مدرسية جيدة تساعدهم على نجاحهم التعليمي.

المساواة والإنصاف

تهدف كل من المساواة والإنصاف إلى تعزيز العدالة الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية حسب تقدير الباحثين (هانسون وبرنيه Bernier et Hanson) إلا أنه في كلتا الحالتين، لا تعمل العدالة بالطريقة نفسها؛ حيث تستجيب المساواة لمبدأ العدالة التبادلية بإحداث فروق بين الأفراد وإعطاء الجميع نفس الحصة، بينما يستجيب الإنصاف لمبدأ عدالة التوزيع الذي يأخذ في الاعتبار قيمة الأشخاص ومزاياهم غير المتكافئة. باختصار، إن مبدأ المساواة يقدم نفس الشيء للجميع، بينما مبدأ الإنصاف، في وضع غير منتظم، يوزع حسب الاقتضاء أو الحاجات. وفي السياق المدرسي، يدعم الأول العدالة الاجتماعية لضمان حق كل شخص في التعلم المجاني وبالجودة ذاتها، ويتعلق الثاني، بالعدالة المدرسية التي تراعي تنوع التلاميذ والطلاب.

تكافؤ الفرص

المساواة: مفهوم معقد لا يعالج بطريقة مطلقة " ولكن دائما، حسب الحالة التي تأخذ فيها قيمة نسبية تتحدث، أساسا، على المساواة في شيء ما" (CSE 2016/p.8) ، ثم ما المهم، و تحديد ما هو مطلوب لتحقيق المساواة بوضوح.

من الواضح أن المدرسة تسمح للجميع بتطوير إمكاناتهم الكاملة، كيف ما كانت، مع ضمان أن تتاح للجميع فرصة متساوية للوصول إلى ذلك (CSE / 2016). وتتطابق هذه الفرصة في الواقع مع نوعية الخبرة التعليمية للشباب؛ فيما يتصل بعلاقته بالتعلم، وعلاقته بالمعرفة وحرية في التطلع إلى إمكانيات المستقبل نفسها مع الآخرين، وهذا، لا يقاس بالضرورة، بالحصول على الشهادة. سيصل المتعلم إلى كامل إمكاناته إذا ما تابع تعليمه بغض النظر عن مدى نجاحه في المدرسة.

"[فهو] أي المتعلم، لا يحس بالاعتراف به في المدرسة، إلا إذا طور شعورا بالانتماء وعلاقة إيجابية بالتعلم، وحينما يكتسب المهارات والاستقلال الذاتي للاضطلاع بدور نشط في المجتمع".

ولذلك، فإن تنوع الإمكانيات ينطوي على تنوع الفرص؛ والهدف هو تعزيز تكافؤ الفرص كمرجع معياري أساسي للنظام المدرسي.

غير أن مفهوم تكافؤ الفرص في التعليم لا يزال غير واضح، ويخلق توافقا صعبا في الآراء بسبب تعدد معاني مصطلح الفرصة (CSE / 2016). ويمكن النظر إلى هذا المثل الأعلى بطرق تكميلية مختلفة: المساواة في الولوج، والمساواة في المكتسبات، والمساواة في النتائج، والمساواة في المعاملة. و [المعنى] الأخير، مماثل لمفهوم الإنصاف، وهو نموذج يجري طرحه حاليا في النظام الثانوي استجابة لتنوع الطلاب.

سنكتشف إذن، هذه الأبعاد الأربعة لتكافؤ الفرص بشرحها وإعطائها أمثلة واضحة محددة للسياق العام في الكيبك بكندا.

المساواة في الولوج

تعني المساواة في الولوج حالة تتاح فيها لجميع الأفراد، أو مجموعة أفراد، نفس الفرص للاستفادة من الخدمات التعليمية في نظام مدرسي عام في عدد من مستويات التعليم وقطاعاته، بقدر ما تستوفي جميع شروط التسجيل. وفي أصل المطالبات

بالتعليم المجاني، تمثل المساواة في الحصول على التعليم وعلى مستوى التعليم الثانوي. تحققت المساواة في الوصول إلى التعلم؛ من بين أمور أخرى، عن طريق نشر شبكة كبيرة من (cegeps 48 = مؤسسات عمومية) تمنح تعليماً عاماً في الكبيك على مجموع تراب الإقليم، مع السماح للطلاب من جميع الخلفيات الاقتصادية أو الجغرافية للولوج إلى التعليم العالي، ومع ذلك، لا يمكن الحديث عن إمكانية التحقق الكامل؛ لأن التلاميذ الذين يعيشون في المناطق التي تعرف تهميشاً ما؛ بسبب العروض القليلة من تلك التي تُمنح للمراكز الحضرية الكبرى من مثل العدد المحدود في بعض التخصصات التقنية والمسافة التي ينبغي أن يقطعها المتعلمون يومياً للوصول إلى المدرسة برغم إمكانية بقائهم حيث يقطنون (CSE/2016).

المساواة في النتائج والمساواة في المكتسبات

إن المساواة في النتائج تشير عموماً إلى أمرين:

[...] " عند مغادرته [أي التلميذ] النظام المدرسي، يكون كل فرد قد طور إمكانياته وحصل على الحد الأدنى من المهارات والمعارف التي تسمح له بأخذ مكانته في المجتمع المعاصر [...]؛ وأن تكون جميع الفئات الاجتماعية ممثلة تمثيلاً عادلاً بين الخريجين على جميع مستويات التعليم (CSE, 2016/ p/ 49)

من منظور الحد الأدنى المشترك؛ حيث يمكننا في الواقع، أن نتكلم عن المساواة في المكتسبات التي تشير إلى المبدأ التعليمي الذي يقضي بأن المدرسة يجب أن تسمح لجميع الشباب أن يُنجزوا التعلّيمات الأساسية نفسها وهذا يعني ضمناً، توفير تكوين مماثل للجميع (CSE/2016). وعلى المستوى الثانوي، فإن المواصفات الوزارية التي تحدد المهارات الواجب تطويرها بين التلاميذ، أو الأهداف والمعايير الواجب تحقيقها، يشكل وسيلة لضمان المساواة في المكتسبات من مؤسسة إلى أخرى. وعلى الصعيد المحلي، تشكل الأطر المرجعية لبرنامج ما، جزءاً من فكرة تحديد التعلّم الأساسي لنفس الدرس، بغض النظر عن الأستاذ. إن صيغة الجذع المشترك تسعى لتقديم

المجموعة نفسها من الدروس لمختلف فئات التلاميذ، بغض النظر عن التخصص، أو الخبرات المقصودة، هو أيضا، مثال جيد للمساواة في المكتسبات. ويوفر التعليم العام المشترك مجموعة من الدروس في الفرنسية والفلسفة والانجليزية والتربية البدنية - إجبارية للجميع - وهي تساهم في تطوير المهارات المرتبطة بغايات التعليم الثانوي الذي يعزز قاعدة مشتركة من المعرفة.

وقد لوحظت المساواة في النتائج من منظور المكتسب، بعد إجراء تقييم وثيق الصلة بالتعلم الأساسية؛ فعلى سبيل المثال: من أجل الحصول على دبلوم عام، يجب على الجميع اجتياز الاختبار التركيبي لبرنامجهم (ESP)، والامتحان الموحد في الفرنسية (EUF). والغرض من هذه الاختبارات هو التحقق من أن كل طالب يتمتع بالمهارات الكافية المنصوص عليها.

أما المنظور الثاني للمساواة في النتائج؛ فهو أنه يمكن تمثيل جميع الفئات الاجتماعية على المستوى الثانوي، وتكون لديهم نفس الفرص للحصول على الشهادة كما يفترض، من جانبه، أن من حق جميع التلاميذ، بغض النظر عن أصولهم وخصوصياتهم الحصول على جميع الفرص الوظيفية بما في ذلك الفرص الأكثر قيمة مثل الطب والقانون (CSE/2016). هذه الصيغة من التكافؤ تبدو أكثر تعقيدا عند التنفيذ؛ فمن جهة الجهود الحالية لتساوي الحظوظ لا تأخذ بعين الاعتبار حقا، التفاوت الحاصل في إيقاعات التعلم وأن لكل منها نقاط قوة ومصالح مختلفة؛ فالأهداف والمسارات المسطرة من قبل المدرسة تهيئ نفس الشيء للجميع دون إمكانية التكيف الحقيقي مع المهارات والإمكانيات الأولية لكل فرد. ومن جهة أخرى، ستكون هناك صلة بين المسار المدرسي المتبع في المدارس الثانوية والجامعية؛ (المدارس العامة أو الخاصة / برنامج عادي أو مكثف) واحتمال الالتحاق بالجامعة أو القبول في برنامج شامل وبالتالي، فإن المساواة في النتائج كثيرا ما تفسر من زاوية الاستحقاق؛ استنادا إلى افتراض أن المدرسة تُعدُّنا للعيش في مجتمع توجد فيه سلطة معينة ومناصب محجوزة لأكثر الناس "استحقاقا". ونتيجة لذلك، فإن النظام المدرسي

الحالي يسمح لمن هم محظوظون اجتماعيا واقتصاديا... بالنجاح وإقصاء الآخرين وتصنيفهم "كفاشلين".

ومع ذلك، يجب الاعتراف بأنه ليس لدى كل فرد الرغبة، ولا الغرض، في مواصلة الدراسة الجامعية، أو أن يكون لدى البعض مهارات وقدرات غير تلك التي يقدرها المجتمع عادة من هذا المنظور، ومن أجل تنفيذ إجراءات عادلة من الضروري ضمان أن تتاح لكل شخص فرص حقيقية لاتخاذ خيارات وظيفية وإيجابية ومعقولة بالنسبة له، واعتبار هذه الخيارات حرة، وبمثابة طريق معترف به للازدهار والاستفادة من مهاراته ومن أجل تعزيز المساواة الحقيقية في النتائج. من المهم إيجاد الوسائل الكفيلة بالتمكين، مع التسليم بتنوع المسارات وأنواع النجاح الأخرى؛ بما في ذلك مهن المدارس الثانوية، والمهارات العامة والتكوين بالنسبة للكبار (CES /2016). "إن تنوع الإمكانيات ينطوي على تعدد في الفرص، والغاية هي تعزيز تكافؤ الفرص كمرجع معياري أساسي للنظام المدرسي".

المساواة في المعاملة

تقوم المساواة في المعاملة على أساس الحرص على ضمان ظروف تعلم بجودة عادلة لجميع التلاميذ "حتى لو كانت هناك، في البداية أو في النهاية تفاوتات في القدرات أو المهارات" ومهما ظلا قائمين . (CSE/2016 / p.36) ومن الأهمية بمكان، تصحيح أوجه عدم المساواة هذه؛ بتزويد الجميع بالوسائل اللازمة لتحقيق مشاريعهم المعقولة. ويجب أن تفيد تدابير المساواة في المعاملة الأضعف والأقوى وهكذا، وباسم الصالح العام، توزع موارد معينة توزيعا غير متكافئ بغية الوصول إلى قدر أكبر من الإنصاف بين الجميع (CSE /2016).

وهنا نجد مبدأ الإنصاف الذي يتجلى في توفير المعاملة المتميزة التي تراعي خصوصيات كل واحد، ولا ينطبق بنفس الطريقة على الجميع فعلى سبيل المثال: تلاحظ المساواة في المعاملة على المستوى الثانوي عند إجراء اختبار اللغة الموحد،

وعندما يتمكن (التلاميذ المتعثرون في اللغة) عند الاقتضاء، طلب الاستفادة من دقائق إضافية لإكمال امتحاناتهم بسبب تخلفهم في لغة التدريس التي هي لغة ثانية بالنسبة لهم؛ ويراعي هذا النوع من الإنصاف الظروف الشخصية والاجتماعية الخاصة بشريحة من التلاميذ بهدف منحهم فرصا متساوية مع الآخرين.

بيداغوجيا الإنصاف

بالإضافة إلى الحاجة إلى التوزيع العادل للموارد، يهدف [مبدأ] تكافؤ الفرص إلى ضمان جودة التجربة التعليمية لكل شخص حتى يتمكن من تنمية إمكاناته كاملة. وهذا يعني أن تُوفَّر للتلاميذ وضعيات تعلم مفتوحة؛ حيث يمكنهم الشعور بالاعتراف بهم. وفي القسم، يمكن أن يتم ذلك انطلاقا من أسئلتهم، ومن شواغلهم، ومن اهتماماتهم، ومعرفتهم الشخصية كدعامة للتعلم، وفي الوقت الذي يلتمسون فيه قدرتهم على ممارسة الخيارات (CSE/2016/p22).

إن بيداغوجيا الإنصاف، من خلال نهجها في التوعية، توفر طرق عمل للأساتذة الذين يرغبون في تحسين الخبرة التعليمية لتلاميذهم، مع التركيز على التقسيم الاجتماعي للموارد والسلطة والمعرفة لقد ولدت [هذه البيداغوجيا] من التقاء تربويين مدافعين عن حق المرأة، ومناهضين ضد العنصرية، وتحرّرين. إن بيداغوجيا الإنصاف تفضي إلى التحرر الديمقراطي وتنطبق، بطبيعة الحال، على أنشطة التعليم الثانوي من أجل تعزيز الإنجاز الملموس لتكافؤ الفرص وتدعو جذورها النسوية إلى إعطاء المرأة تمثيلا أفضل في الفكر التعليمي. وتذكرنا أصولها المناهضة للعنصرية بأن ننظر في مشكلة العرق في مداخلتنا في الوقت الذي تدعو فيه أسسها التحررية إلى إجراء تحليل نقدي لدور التعليم للتمكن من التحرر الاجتماعي للطبقات المهمشة. ويشترك هؤلاء التربويون في إثبات صحة الاختلافات والتحدي المتسق للمعايير التي يضعها المجتمع، مما يسمح لكل فرد بأن يشعر بالتقدير بتنوعه وإمكاناته.

"إن بيداغوجيا الإنصاف تقترح استراتيجيات تضمن للجميع، وبخاصة، للأقليات والمجموعات المهمشة جودة لتجاربها التعليمية".

المفاتيح الأربعة لبيداغوجيا الإنصاف:

تقترح بيداغوجيا الإنصاف أربعة مفاتيح للعمل لتساعد الأستاذ على وضع استراتيجية تشجع تكافؤ الفرص: الكلام، والذاكرة، والمشاركة النشطة، وتقاسم السلطة. ها هي باختصار، النقاط التي تعد أساسية:

1- الكلام

على المستوى الفردي، يسمح الكلام للناس بالوجود، وعلى الصعيد الاجتماعي، يسمح للجماعة بالعمل؛ إن إعطاء الكلام للفئات المهمشة يساعدها على الخروج من الظل، والشعور بالاهتمام. تركز بيداغوجيا الإنصاف بشكل منظم واستراتيجي على أخذ الكلمة شفويا وخطيا على حد سواء، كتقنيات تيسر وتشجع تبادل الأفكار في جماعات صغيرة وتحفز على تبادل الخبرات والحوار المحتمل بشأن المعرفة. وبالتالي، فإن الخطاب يجعل الشخص الذي يتكلم مرئيا والفئة المهمشة قادرة على أن تقول ما تريد وأن يُعترف بها. وإعطاء الكلمة يتوخى، أيضا، بطريقة متداخلة استخدام لغة شاملة أو تحديث واضح لغياب مجموعة معينة في المواد البيداغوجية.

2- الذاكرة

تركز بيداغوجيا الإنصاف، على وجه التحديد، على إغفال بعض الفئات المسيطرة أو المهمشة في الخطاب البيداغوجي ومواده؛ اعترافا بمساهماتهم ومعرفتهم وتجاربهم، عن طريق توفير مجال بيداغوجي لإضفاء الشرعية على التجربة وانتقاد المعرفة غير الشاملة أو غير الممثلة للتنوع. ويُقدّر الأستاذ تنوع وجهات النظر، ويسمح للتلاميذ بتقاسم انطباعاتهم وعواطفهم. وتساعد الذاكرة على ملء الفراغ الهوياتي الذي قد تشعر به بعض المجموعات.

3 - المشاركة النشطة

إن تهيئة مناخ تعلم يشعر فيه كل عضو في المجموعة باحترام، عنصر أساسي لتحقيق تكافؤ الفرص؛ هذا يعني قبل كل شيء، إيلاء اهتمام خاص للعلاقة البيداغوجية والتفاعلات بين الطلاب؛ بما ينطوي عليه، أيضا، كمحاولة لكسر القوالب النمطية للتلميذ السلبي. إن إنشاء هياكل تعاونية خاصة بالتعلم النشط من شأنها أن تتيح للتلاميذ من الفئات المهممة من أن يشغلوا أدوارا مختلفة عن الأدوار التي يحصرون فيها عادة. وبما أن المهمشين يميلون إلى تفضيل الحالات التعاونية وليس التنافسية، فإن هذه الطريقة توفر مناخا مشجعا للتعلم وتنعكس المشاركة النشطة، أيضا، على مشاركة الأشخاص في بناء معرفتهم فضلا عن تحديد أهدافهم التعليمية.

4 - تقاسم السلطة

تؤكد بيداغوجيا الإنصاف على التحول الاجتماعي، بالإضافة إلى إتاحة المجال للمتعلمين في الفصول الدراسية. ويمكن للأستاذ أن يحاول إزالة الغموض عن المعارف التي يتم تدريسها بشرح أبنيتها ومواطن قوتها وحدودها. وبالتالي، هناك اعتماد حقيقي للمعرفة وتطوير للتفكير النقدي؛ وهي ردود لا غنى عنها للتأمل في العمل والتصرف على أساس الفكر. ويتم تقاسم السلطة من خلال تنفيذ آليات الدعم. وأخيرا، فإن الأستاذ الذي يضع ممارسته في ظل بيداغوجيا الإنصاف يهدف إلى تمكين التلاميذ، أيضا، من أجل التغيير الاجتماعي، ونقل أشكال العمل التي تعزز العدالة الاجتماعية.

خاتمة

إن تحقيق تكافؤ الفرص على نحو ملموس يتطلب المساواة في الولوج إلى المدرسة والتحصيل والنتائج، وأيضا، معالجتها. ولهذا، تقوم غاية النظام التعليمي على مبدأ الإنصاف ويؤكد القانون هذا الانتماء الواضح في تعريفه لمفهوم تكافؤ الفرص.

"المبدأ الأساسي لدمقرطة التعليم الذي يعترف بالحق في الإنصاف والإمكانات لكل شخص، وبدون استثناء، بغض النظر عن ظروفه الجغرافية، والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها من المميزات الطبيعية، في التطور الأمثل والمستمر للتعليم" (CSE:2005:p543).

بيد أن تكافؤ الفرص هدف صعب لأنه يقع ضمن الهامش بين المصالح الفردية والمصالح العام (CSE:2016). إن فعالية وأهمية الوسائل المستخدمة لتعزيز تنمية الإمكانات الكاملة لجميع الشباب على الاعتراف والقبول الاجتماعي لهذه الحلول ومبدأ المساواة ينطوي على مسؤولية الشخص الذي يتحمل نتائج اختياراته. ويعود الأمر إليه في اتخاذ أي إجراء؛ وهذا يعني أن الذين لا ينجحون لم يتمكنوا من الاستفادة من الفرص المتاحة. وينبغي أن يتحملوا عبء فشلهم. وإذا كانت الفرص المتاحة لهم لا تراعي إمكاناتهم، ولا تمكن من التكيف مع مهاراتهم الملائمة، فإن النظام هو الذي يعد غير مناسب.

إن البيئة المدرسية المنخرطة، فعلا، لن تأخذ المساواة في الولوج إليها، أمرا مسلما به، وتشكك في طرق الوصول إليها. يجب أن تعترف بجوانب القوة المتنوعة للشباب وستعتمد عليها لجعلهم يعيشون تجارب حتى يتمكنوا من الثقة بقدرتهم على التعلم. ونتيجة لذلك، سيرغبون في التعلم. ومن شأن ذلك، أن يُسمح لكل شخص بالاعتراف به، والشعور به، مستعينا بمصالحه وشواغله كأداة للنجاح. وستوفر نماذج متنوعة للناجحين وتربئ لمسارات تكوينية تلبى تنوع المواصفات والحاجات.

ولا يمكن للأستاذ وحده أن يتحدى المظالم الاجتماعية والأكاديمية التي لا تزال قائمة في التعليم الثانوي؛ بيد أنه يمكن اعتماد قيادة تحويلية في سياق التدريس، وبالتالي، التشكيك في طرق استخدام سلطة الامتيازات التي تخلق أو تديم عدم المساواة في الفرص. تشكل بيداغوجيا الإنصاف سبيلا في هذا الاتجاه؛ من خلال اقتراح استراتيجيات وضمنان تمتع الجميع، ولا سيما الأقليات والفئات المهمشة، بخبرة تعليمية جيدة.

صورة المرأة في التاريخ السياسي الإسلامي: (سلطانات منسيات) لفاطمة المرينسي أنموذجا

د. محمد حمداوي

دكتوراه في الآداب

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
الناظور، المغرب



ملخص

عندما نتحدث عن الفكر النسائي وقضايا المرأة، نستحضر الباحثة وعالمة الاجتماع المغربية فاطمة المرينسي (1940-2015) التي سخرت أبحاثها الاجتماعية والفكرية لخدمة تحرير المرأة والمطالبة بحقوقها ومساواتها مع الرجل. فلقد خصصت كتاباتها النسوية للدفاع عن المرأة المغربية بصفة خاصة، والمرأة العربية المسلمة بصفة عامة وفق مقاربة جندرية تنبغي تحقيق المساواة النوعية، والسعي الحاد من أجل خلق نوع من التكامل والتطابق والتعايش بين الذكورة والأنوثة. وقد أثارت كتاباتها وتصوراتها الفكرية نقاشا حادا في الأوساط العلمية والفكرية المحافظة. وإن كان الموت قد خطف الكاتبة فاطمة المرينسي، فإن رصيدها العلمي والفكري والاجتماعي والسياسي لازال حاضرا يؤثث المشهد الثقافي المغربي والعربي.

كلمات مفتاحية: فاطمة المرينسي - سلطانات منسيات - الفكر النسائي - المرأة - المساواة.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

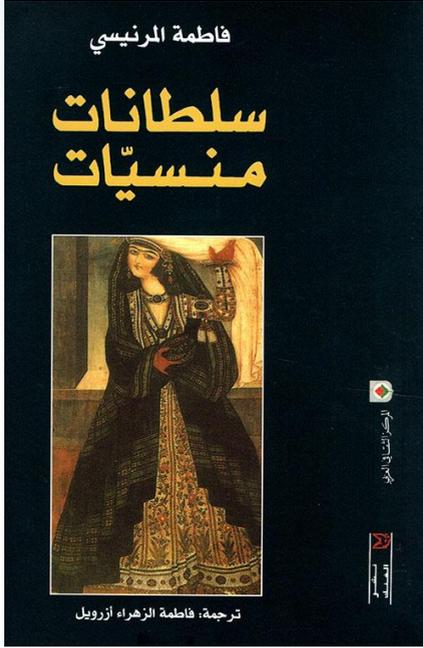
حمداوي، محمد. (2024، أبريل). صورة المرأة في التاريخ السياسي الإسلامي: (سلطانات منسيات) لفاطمة المرينسي أنموذجا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 242-268.

Abstract

When it comes to feminist thought and women's issues, the name of Moroccan sociologist and researcher Fatima Mernissi (1940-2015) immediately comes to mind. She dedicated her social and intellectual research to the cause of women's liberation, demanding their rights and equality with men. Her feminist writings were devoted to the defense of Moroccan women in particular, and Arab Muslim women in general, following a gender approach that aims to achieve gender equality and strive for a kind of integration, compatibility, and coexistence between masculinity and femininity. Her writings and intellectual concepts sparked heated debate in conservative academic and intellectual circles.

Keywords: Fatima Mernissi – Forgotten Queens - Feminist Thought - Women – Equality

تقديم



عندما نتحدث عن الفكر النسائي وقضايا المرأة، نستحضر الباحثة وعالمة الاجتماع المغربية فاطمة المرينيسي (1940-2015) التي سخرت أبحاثها الاجتماعية والفكرية لخدمة تحرير المرأة والمطالبة بحقوقها ومساواتها مع الرجل. فلقد خصصت كتاباتها النسوية جلها للدفاع عن المرأة المغربية بصفة خاصة، والمرأة العربية المسلمة بصفة عامة وفق مقاربة جندرية تبتغي تحقيق المساواة النوعية، والسعي الجاد من أجل خلق نوع من التكامل والتطابق

والتعايش بين الذكورة والأنوثة، ولاسيما في المجتمعات العربية المسلمة التي تخضع للهيمنة الرجولية من جهة، وتستسلم للعادات والأعراف والتقاليد من جهة أخرى. وقد أثارت كتاباتها وتصوراتها الفكرية نقاشا حادا في الأوساط العلمية والفكرية المحافظة، باعتبارها تصورات تستند لأفكار علمانية تنويرية غربية منفصلة عن الخطاب الديني والقيم الأساسية للمجتمع العربي الإسلامي من جهة، ومن جهة ثانية لاختراقها جانبا مسكوتا عنه من الطابوهات الاجتماعية، والدينية التي اعتبرت عائقا أمام تطور وضعية المرأة وتحررها وظهورها. كما ساهمت أبحاثها في تعرية واقع المجتمعات العربية التي تسيطر على المرأة وتختزل وجودها في مجموعة من الأدوار النمطية.

وإن كان الموت قد خطف الكاتبة فاطمة المرينيسي، فإن رصيدها العلمي والفكري والاجتماعي والسياسي لازال حاضرا يؤثت المشهد الثقافي المغربي والعربي، إذ تعد أبحاثها ومقالاتها مرجعا أساسيا للباحثين في قضايا المرأة وحركتها التحريرية داخل

المغرب وخارجه، ونبراسا مضيئاً لحقوق المرأة وحريتها. وقد خلفت مجموعة من الإصدارات ترجمت أغلبها إلى العديد من اللغات العالمية ما ساهم في انتشارها عربياً ودولياً¹، لاسيما مؤلفها الصادر عام 2001 بعنوان: (سلطانات منسيات: النساء رئيسات الدول في الإسلام). وهو منجز سوسولوجي يسلط الضوء على قدرة المرأة على الحكم، وتسيير الشأن السياسي والاجتماعي، وأن صناعة القرار ليس حكراً على الرجل كما ادعى الفقهاء ورواة السير. فقد أظهرت فاطمة المريني فاعلاً عن وجود نساء وصلن السلطة السياسية، وتقلدن منصب رئيس دولة. صكت باسمهن النقود، وألقيت الخطب في المساجد باسمهن كمعيار أساس لتقلد المنصب. ولكن التاريخ غيبن، وهناك جهات عملت على إخفاء وطمس معالم حضور المرأة في الحياة السياسية منذ فجر التاريخ الإسلامي، وقد أسقطن من الذاكرة عمداً. فمن هؤلاء النساء اللاتي ناولن شرف التاريخ، وبالتالي الحق في أن تلقى الخطب وتصك النقود باسمهن؟ وفي أي ظروف وصلن أعلى مراتب السلطة؟ وما أهم القضايا الفكرية والمفاهيم الجندرية المطروحة في (سلطانات منسيات)؟ وما تجليات المنهج المعتمد في صياغة وبلورة التصورات الفكرية والنقدية لدى فاطمة المريني؟ وإلى أي حد أسهمت الباحثة بمشروعها العلمي الاجتماعي في تأسيس تصور نقدي نسائي عربي عمل على خلخلة الرؤى والأحكام الموروثة، وتصدى للجُمود الثقافي الذي وقف عائقاً إزاء التحرر والحرية؟

تحدد فاطمة المريني هدفها من تأليف كتابها (سلطانات منسيات) قائلة: "إن الهدف من هذه الرحلة في الماضي، بحثاً عن السلطانات وألقابهن، هو القيام بخطوة صغيرة في هذا الاتجاه. يبرز لنا هذا الانغمار في الماضي حقيقة ثابتة: إن العودة إليه مستحيلة، ذلك أن ما تغير في العالم وضمنه المجتمعات الإسلامية، ليس مطالب النساء أو الرجال تجاه الحكام فحسب، ولكن المحيط الذي يعيشون فيه هو الآخر

1- الباحثة المغربية الراحلة فاطمة المريني، مجلة الصقلية، منشورات الراصد الوطني للنشر والقراءة طنجة، عدد 9، 2018، ص 114، 113.

قد تغير... بيد أن النضال من أجل الديمقراطية، بمعنى المساواة، لم يبدأ مع استيراد وثيقة حقوق الإنسان الغربية كما يعرف الجميع، لقد بدأ هذا النضال مع قرون الإسلام الأولى لدى طائفة الخوارج... التي احتجت ضد التطبيق السياسي للإسلام، برفضها لشرط انتماء الخليفة إلى قريش، زاعمة بأن الخلافة من حق كل مسلم قادر عليها¹.

وتستدرك المرنيسي استثناء بشأن الملكات المسلمات قائلة: "ليس الهدف من هذا الكتاب، بشأن الملكات المسلمات، وصف نساء رائعات من تاريخنا، نساء بدون نقائص، يتحلين بكل الصفات، ولا ينهزمن البتة في لعبة السلطة سواء تعلق الأمر بالسياسة أو الحب... وأياً كان وضعنا الراهن، فإن المرأة حسب اعتقادي ليست في حاجة، الأمس أو اليوم، لتكون كاملة، ورائعة وعجيبة، حتى تتمتع بكل حقوقها، وهذه هي الفكرة التي جعلت النساء يعتقدن بأن علمهن أن يكن استثنائيات، حتى يصبحن متساويات مع الرجل، ويغدو لهن الحق في امتيازاته... أن تكون النساء اللاتي سندرسهن ذوات شخصيات عادية طموحة أو متقنة لفن المراوغة، وأن يكن قد ارتكبن أخطاء، أو فشلن أغلب الأحيان فشلاً ذريعاً، كل ذلك لا يجب أن يزعجنا"².

أولاً: صورة المرأة في التاريخ السياسي الإسلامي

لن نخرج من هذا المبحث إلى التعريف بمفهوم الصورة لشساعة مفهومها، واتساع مجالاتها؛ بل سنكتفي بمحاولة رصد صورة المرأة في التاريخ الإسلامي من خلال كتاب "السلطانات المنسيات" للكاتبة فاطمة المرنيسي، وسنوضح بعض الصور التي قدمتها عن المرأة في مختلف العصور والبلدان التي ذكرتها.

فالمرأة تعرضت منذ قرون للإقصاء والتهميش والاحتقار في مختلف المجالات، بدعوى أن المرأة مكانها المنزل، ولا حق لها في الاعتراض أو حتى محاولة الرفض.

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، مطبعة الخليج العربي، البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص32.

2- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص131.

وفي هذا الباب سنعرج لذكر صورة المرأة السياسية، إذن كيف ستقنع الآخر بولوجها لهذا الميدان؟ وبأي السبل واجهت لتكون امرأة سياسية بامتياز؟

إن أول امرأة سياسية ذكرتها الكاتبة هي "بينازير بوتو"؛ التي تولت رئاسة الوزراء في "باكستان"، وهي امرأة تعرضت للاحتقار والرفض من طرف كبار الدولة من منظور إسلامي. فقد قال عنها نواز شريف رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي الإسلامي: "يا للفضاعة لم يسبق مطلقاً في دولة مسلمة أن تولت امرأة قيادتها"¹.

وعلى الرغم من خيالها الواسع فهي لم تحظ باهتمام السلطة، فلم يكن الاحتقار والتهميش من منظور إسلامي فقط، بل حتى اللغة كانت متحيزة للذكور دون الإناث. فالتعارض الشديد مع خلافة المرأة، كان لغويًا أيضًا، إذ إن مصطلح الخلافة مذكر ولا يتعلق إلا بالرجال.

ودائمًا ما نسمع عن رجل السلطة أنه سلطان "ومع ذلك فإن الملكات العربيات نادرا ما حملن لقب سلطنة، وغالبا يعطيهن المؤرخون لقب ملكة"².

وأمام الظلم الشديد الذي تعرضت له كل من بينازير بوتو وراضية وشجرة الدر وأسماء أروى إلا أن "زينب النفزاوية" تعتبر استثناء لأنها تصرفت في سلطة زوجها.

وقد برزت "عائشة الحرة" في الساحة الأدبية، امرأة غيرة سخرت السياسة وتجرات عليها للثأر من زوجها فسلمت السلطة لابنها بدله³، كما كانت السياسة هوايتها، وفرضت وجودها انطلاقاً من خبرتها في العلوم الدينية، فأصبحت رئيسة مميزة إذ اتخذت قرارات بطولية في تلك الفترة المأساوية، رغم كل هذا فقد بقيت مهملة والتاريخ العربي لم ينصفها.

1- فاطمة المريني، سلطانات منسيات، ص 7.

2- نفسه، ص 25.

3- نفسه، ص 31.

نجد أن الصورة التي بلغتها عن بنت عمر ابن أسعد هي صورة المرأة الفقيهة المحدثة¹. ويمكننا القول أن النساء في تلك الفترة التجأن للدين وتعلمنه ليدخلن غمار السياسة حسب الكاتبة لم تكن النظرة الدونية للمرأة مرتبطة بعامة الناس بل حتى بالمتقنين منهم؛ يتجلى ذلك في نظرة الخليفة لها الذي يعتبرها غير جديرة بأن تمارس حتى السلطة الدنيوية...²، وقد أدى رفض الرجال للنساء في أن يكن سياسيات إلى قتلهن.³

إن وقوع بعض الخلفاء في حب الجواري، أدى بهم إلى القتل لأنهم يعتبرون أن السياسة والحب لا يجتمعان حيث قال عضد الدولة للجلاذ شوكر: "إن من ينقاد للشهوات يصبح سياسيا سيئا وسوف يفقد بالضرورة سلطته الأرضية"⁴.

وقد اعتبروا وصول الجارية إلى الحكم يأتي عن طريق اختيالها على الخليفة وإغرائه للوقوع في حبها. وهذا أمر لا يعقل فمثلما تحب المرأة يحب الرجل وهذا أمر لا خلاف فيه.

نستنتج من خلال هذا، أن الخلفاء أعطوا صورة سيئة عن الجواري اللواتي يصلن إلى السلطة؛ إذ حين وصولهن لها يقتلن أزواجهن ومن بين هؤلاء النساء: أم المقتدر.

ونجد خلافا لهذا، صورة المرأة الأجنبية الجميلة الطموحة، وهي الصورة التي تمثلها "صبح" أو "صبيحة" مليكة قرطبة التي فتن بجمالها الخليفة الحكم وسماها صبحا كونها كانت ذات جمال مدهش .

وهناك أيضا صورة المرأة الذكية واللجوء إليها في الحكم والخلافة: فكل الجواري اللواتي نجحن في التأثير على سيدهن إلى حد جعله يشركهن في السلطة بدون

1- فاطمة المرينسي، سلطانات منسيات، ص 36.

2- نفسه، ص 45.

3- نفسه، ص 52.

4- نفسه، ص 52.

استثناء كن نساء موهوبات بذلك الذكاء التحليلي الذي ضمن النجاح الدائم لمن يحوزه حتى يومنا هذا...¹.

وهو السبب الرئيس في جعل الحكم يهمل إدارة السياسة ويترك ذلك لزوجته. غير أن المحدثين اعتبروها مستهلكة للرجال والسلطة.

كما نلاحظ صورة المرأة الحرة الغيورة من الجارية إذ كان سبب هذه الغيرة هو الخوف من أن تنزع منها زوجها وكان هذا شأن "خيزران" إذ تقول: "لم أخف مطلقاً من امرأة كما خفت من هذه".²

وقد حاولت العديد من النساء الإمام بكل الأمور العامة من شعر وثقافة وفقه وتاريخ لسلب اهتمام الرجل أو كما هو الشأن مع خيزران "ولكي تحافظ خيزران على محابة المهدي لها وحظوتها لديه، كانت تتابع دروساً في الفقه على يد أحد القضاة الأكثر شهرة في زمنها وكانت الفنون الجنسية واللباقة في الشبقية ميداناً آخر حاولت الجواري تطويره...".³

ونحن نفوس في صفحات الكتاب، تتجلى لنا صورة المرأة المستغلة؛ إذ نجد من النساء من تتزوج أكثر من رجل للولوج إلى السياسة، وذلك ما لاحظناه عند الملكة المنغولية "ساطي بك" التي كانت شهيتها للسلطة عالية لدرجة أنها استغلت ثلاثة رجال متعاقبين لتحفظ بالسلطة وتستمر.⁴

أما صورة المرأة في جزر المالديف، فهي صورة المرأة العارية التي تخرج للنتزه نصف عارية ولا تغطي رأسها، تقول الكاتبة: وفي هذا الصدد قول ابن بطوطة

1- فاطمة المريني، سلطانات منسيات، ص 77.

2- نفسه، ص 90.

3- نفسه، ص 97.

4- نفسه، ص 168.

معظمهن لا يلبس إلا تنورة (وزرة) تغطيهن من السرة إلى الأرض وباقي الجسم يظل مكشوفاً وبهذا الزي يتنزهن في الأسواق وفي غيرها.¹

كما يصف المرأة عندهم بالمتعة فيقول: "لم أجد في عالم النساء علاقة أكثر متعة منهن والزوجة عند سكان الجزر، لا تعهد إلى أي كان بالعناية بخدمة زوجها، فهي التي تحضر له الطعام وتقدم له الحلوى بعد الطعام وتغسل له يديه وتقدم له الماء من أجل الوضوء وتغطي له قدميه إذا أراد النوم".²

وعليه، فالعرب يقدمون بوضوح سلوكاً مبغضاً للمرأة بينما الأتراك والمنغول والأندلسيون والآسيويون، يملكون مظهراً ذا نزعة شبه نسوية بصورة عامة... وواقعة أن كل النساء اللواتي نجحن في الجلوس على عروش، كن باستثناء جزر الهند، تركيات أو منغوليات، هي برهان واضح على الأهمية التي كانت هذه الثقافة تمنحها للمرأة في القضايا العامة.³

وكان من نصيب الملكة "أسما" والملكة "أروى"، أن يلقين الخطب في المساجد، وهي صورة حسنة للمرأة، حيث لم تحصل أي امرأة عربية على هذا الشرف في أي بلد عربي بعد ظهور الإسلام.⁴

ثم إن الرجل العربي في العصور المتأخرة لم يعد ينزعج من ذكاء المرأة؛ فالمرأة الذكية هي شيء مثير للإعجاب دائماً ومستحسن، والتسرب الكثير للنساء في الدوائر الجامعية في العالم العربي، وأقل من ثلاثين سنة من التعليم يؤكد هذه الفكرة؛ فدخلت المرأة إلى المعرفة وإلى الجامعة ومعاهد العلم لا يزعج إلا قليلاً، شريطة ألا

1- فاطمة المريني، سلطانات منسيات، ص 174.

2- نفسه.

3- نفسه، ص 177.

4. نفسه، ص، 179.

تؤثر هذه الظاهرة على السياسة ولا تتجاوزها. ما يزعم هو قرار المرأة أن تكون ذات إرادة مستقلة. هناك اختلاف كبير بين الذكاء والإرادة.¹

ثانيا: قراءة في المفاهيم الجندرية

تعد فاطمة المرنيسي من أهم المناضلات في الحقل النسوي المغربي، إذ خصصت كتاباتها النسوية جلها للدفاع عن المرأة المغربية بصفة خاصة، والمرأة العربية المسلمة بصفة عامة وفق مقاربة جندرية تبتغي تحقيق المساواة النوعية، والسعي الجاد من أجل خلق نوع من التكامل، والتطابق، والتعايش بين الذكورة والأنوثة، ولأسيما في المجتمعات العربية المسلمة التي تخضع للهيمنة الرجولية من جهة، وتستسلم للعادات والأعراف والتقاليد من جهة أخرى. ومن هنا تحضر المقاربة السوسيولوجية ذات البعد الجندري في كتاباتها النسوية المختلفة.

ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من المفاهيم الجندرية يمكن حصرها فيما يلي:

1- مفهوم الحريم:

تعد إشكالية الحريم التي تجرأت المرنيسي على معالجتها معالجة اجتماعية معرفية دينية من الإشكاليات التي استطاعت توضيح الغامض فيها وتصحيح التأويل الخاطئ المهيم عليها وتحريير الفكر المسجون فيها. وقد ناقشت المرنيسي مفهوم الحريم بنوعيه الحريم المنزلي والحريم السلطاني. فالأول يعني أن يعيش الزوج مع مجموعة من الزوجات في منزل واحد ضمن ما يسمى بالأسرة الممتدة الشاملة. حيث تهيمن الذكورة على الأنوثة داخل دار كبيرة واسعة، حيث توضع النساء جميعهن بين جدران وأسوار مغلقة لا يمكن تخطي حدودها من أجل الانفتاح على الخارج. وقد حظي مفهوم الحريم المنزلي بمناقشة متسفيضة من قبل المرنيسي في جل كتاباتها لأسيما مؤلفها الذائع الصيت (نساء على أجنحة الحلم). أما النوع الثاني، فيقترن بالسلطانات، والحرات، والملكات، والأميرات اللاتي مارسن السلطة السياسية حيث

1. فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص، 28.

"كانت الحرة في الحریم تعني الزوجة الشرعية التي تنحدر غالبا من أصل أرستقراطي، وذلك عكس الجارية التي كانت تشتري من طرف السيد في أسواق النخاسة"¹.

فسواء أكانت الواحدة منهن ملكة أم سلطانة أم خاتونا أم جارية، فهذا لا يعني بأنها حملت لقب خليفة، بل كانت تمارس السلطة في الظل انطلاقا من الحریم،² أو بمعية زوجها أو ابنها. كما حدث للجارية الخيزران التي حملت زوجها المهدي الخليفة العباسي الثالث وابنها هارون الرشيد فيما بعد أن يقتسما معها الحكم.³

وقد يترادف الحریم مع العبودية، والاستغلال، والظلم المجتمعي، ما جعل المرأة عادية كانت أو سلطانة ترفض العبودية النسوية، ولأن "الخيزران كانت تحب السلطة وتتألم لعودتها إلى الحریم فقد قررت أن تلجأ إلى السلاح الوحيد الذي يشكل جوهر السياسة أي القتل، ومن ثم خططت لجريمتها من الحریم رغم كونه مجالا للسلم"⁴.

ومن هنا، يحيل الحریم المنزلي أو السلطاني على الشقاء، والحصار، والحرمان والعبودية، والاستغلال، والانغلاق، وهيمنة الذكورة على الأنوثة "إن الحریم يعني المكان والنساء اللاتي يعشن فيه في نفس الوقت، وهذا الخلط بين الأشخاص والمكان أساسي قطعاً في الهندسة المعمارية الإسلامية بأكملها. الحریم أيضا هو المجال المحمي الذي يمكن للرجل أن يقتل للدفاع عنه، والجريمة تكون خارج الحریم وليست داخله، ومهمة العلماء تكمن في الحرص على الحدود"⁵.

ومن جهة أخرى يختلف الحریم في الزمان والمكان، وتتغير ملامحه الحضارية والثقافية والمجتمعية من بلد إلى آخر، فحریم الخليفة العباسي هارون الرشيد لا

1- فاطمة المرزسي، سلطانات منسيات، ص 17.

2- نفسه، ص 30.

3- نفسه، ص 77.

4. نفسه، ص، 98.

5. نفسه، ص، 98.99.

يشبه حريمنا الآن الذي يعج بنساء أميات، فقد كانت الجواري وقتذاك "تحملن إلى الخليفة كسبايا إثر الفتوحات، أو يهدين إليه من طرف ولاته، أو كن يقتنين في حالة توفرهن على مواهب استثنائية بطبيعة الحال لقد كانت دراسة الفقه، والشعر، وتطوير المواهب الموسيقية والغناء، الطريق الوحيد المفتوحة أمام هؤلاء النساء".¹

2- مفهوم الداخل/المجال:

يعد الداخل مفهوما جنديا لارتباطه الشديد بالمجال، والحدود، والحواجز، والفواصل. ومن ثم لا تستطيع المرأة أن تتخطى حواجز الداخل من أجل الانفتاح على الخارج.

ويعني الحریم كذلك أن تبقى الأنثى في الداخل بين الأسوار، والأعمدة المحصنة محافظة على التقاليد، والعادات، والأعراف. ويعني الخروج التمرد على التقاليد وانتهاك قوانين الحرمة، والإساءة إلى الشرف العائلي.²

فقد غدا الداخل أكبر حاجز نفسي يهدد المرأة في أي مكان وزمان، وأيا كانت زوجة، أو أختا، أو سلطانة، أو أميرة. إذ كان أكبر ما " يتهدد الحياة السياسية لسلطانة كالخيزران... لا يتمثل في المستوى البيولوجي (أن تكون امرأة)، أو في المستوى القانوني (أن تكون جارية)، ولكنه حاجز يرتبط بالمجال، أي أن تكون المرأة منتمية إلى الحریم، فضاء الداخل ومجال السلام إذا قورن بالمجال العام، أي مكان الحرب".³

وقد كان حلم السلطانات المنسيات في الوصول إلى مراكز صناعة القرار نابع من رغبتهن في اختراق المجال الداخلي أي الحریم، ومشاركة الرجل في اقتسام السلطة، وتسلم زمام الحكم. وفي هذا تقول المرنيسي "تنهي المرأة إلى المجال الداخلي أي الحریم، المكان الممنوع، أما رئيس الدولة فينتهي إلى المجال الخارجي أي العام. ومن

1. فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص، 82.

2- جميل حمداوي، سوسيولوجيا الجندر عند فاطمة المرنيسي، ط1، 2019، ص 30.

3- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 77.

هنا ضرورة اكتشاف العادات التي تترسخ بالضرورة في المجال، والتي ستعتمدها النساء عندما يتسلمن زمام الحكم للمطالبة بحقهن في الوجود في مجال الرجال.¹ فعلى الرغم مما كانت تتمتع به الخيزران من كفاءة، وذكاء، وتفوق سياسي، فقد أشهر ابنها الهادي ضدها سلاحاً آخر: "واجبها في أن تعود إلى مجالها أي الحریم". ويشكل الإسلام - حسب المرنيسي- إحدى الديانات النادرة التي جعلت من الاختلاف بين الجنسين هندسة اجتماعية. وقبل الخيزران، كانت عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أول امرأة مسلمة طالبت بحقها في العمل السياسي وممارسته بمنطق المجالية نفسه.²

ومن هنا، ترفض الباحثة مبدأ "لكل مجاله" الذي تركز عليه الهندسة المعمارية التقليدية، وتؤكد أن لكل الأفراد الحق في كل المجالات، تلك هي رسالة الديمقراطية الحديثة. إنه خلاف كوني في طبيعته ودرجته.³

3- مفهوم الحدود:

تقتزن فكرة الحدود بمفاهيم جندرية سوسولوجية أخرى من قبيل المجال، والحریم، والداخل، والحاجز. يضعها الرجال للتحكم في النساء قصد درء الفتنة والابتعاد عن الشبهات الناتجة عن الاختلاط بين الجنسين، ومن ثم، تترسخ هذه الفكرة الظالمة في أذهان البشر لتتحول إلى صور نمطية ثقافية تحاكم فيها المرأة وفق مجموعة من الحدود الفاصلة المصطنعة. وتستحضر الباحثة مفهوم الحدود الذي يتحول إلى متاريس وقيود ونوع من الفوبيا التي تترسب في اللاشعور الأنثوي، على أساس أن التربية الإسلامية مبنية على المجال والحدود ومهمة "العلماء تكمن في الحرص على الحدود، وتذكيرنا بأن الإسلام هو احترام الحدود، ولبعض العلماء الحق

1 - فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 100.

2 - نفسه، ص 101.

3 - نفسه، ص 99.

في التأكيد على أن القضاء على التمييز الجنسي وخروج النساء من البيت لتحمل المسؤوليات التي يتحملها الرجال من علامات القيامة"¹.

فعلى الرغم مما كانت تتوفر عليه السلطانات، والملكات، والجواري من قوة وقدرة في تسيير شؤون الحياة السياسية بدايات فجر التاريخ الإسلامي، فإنها لم تكن تمارس سلطتها إلا في الظل انطلاقاً من الحريم، أو بأمر من زوجها الحاكم، أو من وراء حجاب. فهذه الخيزران كان لها الفضل في دعم ابنها الخليفة هارون الرشيد لتقلد منصب الخلافة رغم ذلك لم يجد هارون الرشيد حرجاً من يثبت أن "الحدود التي تقيد امرأة الحريم سواء كانت جارية أو حاکمة: إنها لا تمتلك سلطة إلا من خلال رجل وبموافقته، ولا يمكن لها أن تظهر كأمراة سياسة في المجال العام إلا إذا كانت مختفية وراء حضور رجل"². لذا "ظلت حياة الخيزران السياسية موسومة حتى النهاية بالمصير القدرى لحياة الحريم، حيث ستبقى قوتها في الخفاء مشكلة إشعاعاً لسلطة الآخرين"³.

يتضح من خلال معاينة الكاتبة لمساهمة المرأة في القرار السياسي عبر التاريخ العربي الإسلامي الذي عرف خلال مساره تجليات عدة لمظاهر السلطة النسائية في سائر المجالات. أن التراث الذكوري طمس مظاهر هذه السلطة على مستوى الفعل والفكر معاً. ولذلك تعمقت الهوة بين المرأة والسياسة حتى العصر الحديث. لذا تطالب المرنيسي في خاتمة الفصل الرابع أن "تكون المرأة التي تأخذ بزمام الحكم هي التي تطالب بحقها في الوجود خارج حدود منزلها، والتي تبحث عن السبل التي تجعلها مرئية في أكثر المجالات عمومية أي المنبر، حيث تتواصل السلطان الأرضية والإلهية بشكل حميمي، وتتمظهر كل منهما بالأخرى ومن خلالها".

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص، 99.

2- نفسه، ص 78.

3- نفسه، ص 78.

وتستمد المرنيسي شرعية التحرر من سطوة الحدود والحريم من حادثة واقعة الجمل التي شاركت عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بوصفها " أول امرأة تخترق الحدود بين مكاني النساء والرجال، كما كانت أول من حفزت على القتل، في حين أن فعل الحرب كان امتيازاً للرجال، يرتبط بالمجال الخارجي عن الحريم. ليس من حق المرأة القتل، واتخاذ قرار الحرب هو مهمة الرجال وسبب كينونتهم".¹

4- مفهوم المساواة

يعد مفهوم المساواة من أهم المفاهيم الجندرية التي دافعت عنها الكتابات النسائية بصفة عامة، وكتابات فاطمة المرنيسي بصفة خاصة. لذلك اقترنت المساواة بالحق والعدالة، والمساواة بين الذكورة والأنوثة في الحقوق والواجبات. ولا يقتصر مفهوم المساواة على مجال حقوقي معين، بل يغدو عند المرنيسي مفهوماً كونياً شاملاً يمس كافة الحقوق الاجتماعية، والثقافية والسياسية، والإنسانية التي ينبغي أن يتقاسمها الرجل والمرأة بغض النظر عن الاختلاف الجنسي والعرقى بينهما. ولاسيما حق الإمامة والخلافة الذي أصبح حكراً على الرجال دون النساء، أو على العرب دون الأعاجم إذ "تشكل الذكورة والأصل العربي مقياسين من المقاييس المعتمدة في اختيار الخليفة، وفي حين استثار هذا المقياس الثاني احتجاجاً اكتسى صبغة العمق، حيث استشهد آلاف المسلمين من أجل الدفاع عن الفكرة القائلة بأن الخلافة من حق مسلم سواء كان عربياً أو أعجمياً، لا نجد أحداً احتج ضد مقياس الذكورة، وعلى كل حال فلا أحد جازف بحياته ليثبت بأن مقياس الذكورة المفروض لتحمل مسؤولية الخلافة يمس بمبدأ المساواة التي تشكل أساس الإسلام".² تستنكر المرنيسي بقوة الموقف الازدواجي الذي تعامل به المرأة حين تمنح حقوقاً وتحرم حقوقاً أخرى، تقول: "كيف أمكن الجمع بين هذين الأمرين: مبدأ المساواة بين الجميع من جهة والقيود

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 102.

2- نفسه، ص 32.

التي تضعها مقاييس اختيار الخليفة من جهة أخرى، إننا هنا أمام أحد أسرار التاريخ السياسي، وعلى المحدثين إضاءته".¹

وتعزى هذه التراتبية في تقلد منصب الخلافة، والإمارة، والسلطة السياسية عامة إلى التأويل الخاطئ والفهم السيء لنصوص القرآن، والسنة، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي طالما أصرت على فكرة المساواة بين الذكور والإناث، وبين الأسياد والعبيد. تقول المرنيسي في هذا الخصوص: "ورغم موقف الرسول صلى الله عليه وسلم، المناهض للتراتبية، والداعي إلى المساواة بين الأسياد والعبيد، ظل أهل المدينة يكرهون الإماء حسب ما أورده ابن عبد ربه... مر زمن ليس باليسير قبل أن يتقبل العرب فكرة المساواة التي أصر عليها الرسول والقرآن. يحذو حذو موقف الرسول الإيجابي جدا تجاه النساء عامة وزوجاته على الأخص، حيث إنه سمح لهن بالتفتح. وينطبق نفس الأمر على موقفه التحرري تجاه العبيد، وإذ مر زمن طويل قبل أن تخترق فكرة المساواة بين العبيد والأسياد العقلية، وخاصة من النخبة التي كانت تهدد مصالحتها الطبقية".²

5- مفهوم القيادة:

لقد توقفت فاطمة المرنيسي عند القيادة الجندرية التي هيمنت عليها الذكورة لأمد طويل منذ فجر التاريخ الإسلامي، على أساس أن القيادة مرتبطة بالقوة والفتنة والذكاء من جهة، وبالقسوة، والشدة، والصرامة في الحكم والسيادة من جهة أخرى. لذا يتضح من خلال محاولة المرنيسي نفص الغبار عن أهم المحطات في تاريخنا الإسلامي (الأموي، والعباسي، والفاطمي...): أن الرجل، الخليفة، السلطان لم يعترف بأحقية المرأة، السلطانة، الأميرة، الجارية، الست في القيادة، وتدبير شؤون الدولة وتسيير أمورها الإدارية والسياسية. ويرجع هذا إلى أسباب دينية وبيولوجية وتاريخية وثقافية مختلفة ومصطنعة، تمنع المرأة من حقها الشرعي في قيادة الدولة والاهتمام

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 32.

2- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 85.

بأمور الشعب. فجعلت الحكم، أو السلطة من نصيب الذكورة التي هيمنت على المجتمعات الإنسانية أمدا طويلا إلى يومنا هذا. وإن تبوأ السلطانات المنسيات بعض مراكز القرار السياسي في الدولة الإسلامية أمثال شجرة الدر، والسلطانة راضية، وعائشة الحرة، وخيزران، وحبابة، إلا أن هذه حظوة القيادة عندهن كانت تمارس من وراء حجاب أو تحت ضغط أوامر أزواجهن الخلفاء والسلطين. كما حدث للسلطانة الخيزران في عهد ابنها الخليفة هارون الرشيد الذي وضع حدودا ومتاريس "تقيد امرأة الحريم سواء كانت جارية أو حاكمة: إنها لا تمتلك سلطة إلا من خلال رجل وبموافقته. ولا يكن لها أن تظهر كأمراة سياسة في المجال العام إلا إذا كانت مختفية وراء حضور رجل".¹

وفي هذا الإطار "تشكل التجربة الباكستانية بامرأة تسلمت قيادة الدولة عن طريق انتخاب العامة، حظا فريدا من نوعه، من شأنه أن يلقنا طريقة التحرك في قرن مليء بالتحديات، قرن حيث لم يغد مبعدو الأمس ومن ضمنهم النساء، في حاجة إلى التحجب للحكم كما هو الشأن بالنسبة للجواري سابقا".²

6- مفهوم الحرية:

تتوق فاطمة المرنيسي تحرير الذات بأبعادها الوجودية، والانعتاق من نظام أبوي ذكوري متعسف يحرم الأنثى من التحرك في المجال العام، لا حيث يتحرك الرجل، ويكبت حريتها في التعبير عن ذاتها. ولا ترتبط الحرية بالحريم كما يبدو من اللقب الذي أطلق على النساء اللاتي مارسن السلطة السياسية وهو الحرة. تعني لفظة "الحرة" -حسب تعبير المرنيسي- "المرأة التي تتوفر على حريتها مقابل الأمة، وكانت الحرة في الحريم تعني الزوجة الشرعية التي تنحدر غالبا من أصل أرستقراطي، وذلك على عكس الجارية التي كانت تشتري من قبل السيد في أسواق النخاسة".³

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص، 78.

2- نفسه، ص 53.

3- نفسه، ص 16، 17.

وتستدرك المرينسي أمر الفصل بين لفظة "حر" المتجذرة في الذاكرة العربية التقليدية، ولفظة "حر" و"حرية" الموسومة بالدلالة الحديثة التي ترتبط بحقوق الإنسان. تقول الكاتبة في الصدد: "إن مفهوم -حر- يبعث على تذكر الزواج الأرستقراطي العبودي... لفظه حر أصل كلمة حرية ولكنها حرية بمعنى السيادة الأرستقراطية وليس بمعنى النضال ضد الاستبداد، كما هو الشأن بالنسبة للفظه حرية في الشعار الفرنسي الشهير: "حرية- مساواة- أخوة"... إذا كانت لفظة حرية في اللغة الفرنسية الحديثة ترتبط في الذاكرة بنضالات الشعب من أجل حقوقه ضد نظام استبدادي، فإن حدودها في اللغة العربية تغور في تصور مناقض يرتبط بالسيادة الأرستقراطية... والشرف والنخبة والفئة العليا".¹

ومن هنا، ترفض المرينسي مفهوم الحرية كما هو متداول في المشهد الخليفي التقليدي العربي الإسلامي، حيث يوسم الشعب عامة، والنساء خاصة بالاستغلال والعبودية في ظل حكم استبدادي. وتتبنى مبادئ المعاهدة الدولية لحقوق الإنسان التي وافقت عليها أغلب الدول الإسلامية بعد الحرب الكونية الثانية، حيث "يشكل الفصل الأول من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، خرقاً تاماً للحجاب ومنطقه "كل الأشخاص يولدون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم يتوفرون على العقل والوعي" و"لكل فرد الحق في حرية الرأي والتعبير، ويترتب عن ذلك الحق في عدم التحرج من الآراء، ومن البحث عن المعلومات والأفكار، بواسطة أية وسيلة للتعبير، وتلقيها ونشرها دون اعتبار للحدود".²

ثالثاً: تجليات المنهج المعتمد في الكتاب

اعتمدت فاطمة المرينسي منهجاً تاريخياً تحليلياً نقدياً لم تتوان فيه من وضع التاريخ الإسلامي على المشرحة السوسولوجية عبر السفر بالقارئ إلى أزمنة وأمكنة متباعدة (العصر الأموي، العصر العباسي، العصر الفاطمي...) لتحاول نفخ الغبار

1- فاطمة المرينسي، سلطانات منسيات، ص 17، 18.

2- نفسه، ص 281.

عن أهم المحطات في تاريخنا الإسلامي التي ينبغي دراستها والاهتمام بها عوضاً عن تجاهلها، فمن خلال المراجع التاريخية المعتمدة من قبل الباحثة من قبيل أعمال مشاهير المؤرخين أمثال ابن بطوطة، والطبري، والمسعودي، أظهرت فعلاً عن وجود نساء وصلن السلطة السياسية وتقلدن منصب رئيسة دولة، صكت باسمهن النقود، وألقيت الخطب في المساجد باسمهن كمعيار أساس لتقلد المنصب، ولكن التاريخ غيبن. وقد رصدت الباحثة مختلف الأطوار التاريخية التي خلدت فيها السلطانات المنسيات أروع صور من التآلق السياسي، والقيادة الحكيمة، والجرأة في صنع القرار السياسي. قدمت المرنيسي هؤلاء النسوة حسب عرقهن، والمكان الذي حكمن فيهن، فكانت هناك نساء من تركيا، وبلاد فارس، والجزر، وبلاد البربر والأندلس.

ولم تكتف الكاتبة باعتماد، ونسخ النقول التاريخية نسخاً مباشراً، بل اعترتها بمناقشتها، وبقراءتها التشريحية النقدية الفاحصة توخياً للحيد والموضوعية العلمية. تنتقد المؤلفة المؤرخ ابن بطوطة الذي تقلد منصب قاض، لم يصمد طويلاً أمام إغراء نساء جزر المالديف "وبمكر الطنجي يلاحظ ابن بطوطة بأن نساء المالديف، يبدين أجمل وهن نصف عاريات... ومن هنا كان القاضي مستعداً لتنازلات عن الشريعة فيما يخص الحجاب، إذا كان هذا الأخير يناقض أشياء جديدة كالجمالية، وخاصة في محيط الجزر الشهواني، ولكن الجزر لا تتشابه وكذلك النساء، وخلال مقامه في أندونيسيا، لم تلهم النساء ابن بطوطة إلى هذا الحد رغم أن هناك ملكات تعاقبن على الحكم".¹

كما علق على تأويل كل من المؤرخين الطبري والمسعودي بخصوص اتهامهما للجارية حبابة التي وصلت السلطة في عهد الخليفة يزيد الثاني، بأنها منحرفة وعدوة الله. حيث "تحامل كل المؤرخين على يزيد، بحيث إنه لن يستعيد مكانته واحترامه إلا على يد أبي الفرج الأصبهاني في كتابه "الأغاني" الذي ذكر حبابة ضمن الفنانين الذين

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 166، 167

ساهموا في ازدهار الشعر والغناء، حيث اعتبرها شاعرة وعازفة موهوبة، واعتبر يزيدا رجلا يتوفر على ذوق فني متقدم، أهله لكي يقدرها، وذلك على عكس تأويل المسعودي والطبري اللذين تبنا وجهة نظر السلطة، ووصفا حباة كمنحرفة وعوة لله ودينه...ورغم كونهما مؤمنين صادقين، لم ير كل من المسعودي والطبري في حباة أكثر من مجرد جارية تبعد الخليفة عن مهمته. ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن المؤرخين يحتقرون يزيدا لأنه أعلن حبه لجارية، إلى حد أنهم تجاهلوا البتة مقاربتة التي تتسم بالتجديد على مستوى الممارسة السياسية"¹.

ومن المؤرخين المحدثين الذين تصدت لهم المرنيسي بالتحصيح والنقد نجد علي إبراهيم حسن في كتابه (نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب) الذي وصف جارية ظهرت في الساحة السياسية خلال العصر العباسي تدعى شغف أم المقتدر بأنها نموذج يجسد الانهيار الذي يهدد الدول حين تدع النساء يتدخلن في شؤونها. وتعقب عليه المرنيسي بالرد: "إن طريقة هذا المؤرخ في تقديم الثلاث وثلاثين ترجمة لنساء اعتبرهن مثاليات، لا تزرع فينا الرغبة لممارسة السياسة، فالنساء الممتازات في رأيه هن الصحابييات اللاتي نلن شرفا يستحيل الحكم به اليوم، ونساء مثقفات توجهن لدراسة العلوم، الشيء الذي لا يضمن البتة الوصول إلى الحكم"².

يندرج هذا الإسهام الفكري والنقدي الموسوم (سلطانات منسيات) ضمن سياق النقد النسائي الذي ظهر بوصفه خطابا منظما في سنوات الستين، واعتمد على حركات تحرير المرأة التي طالبت بحقوق المرأة المشروع في العالم العربي، ولأزال النقد النسائي على صلة وثيقة بحركات النساء المطالبة بالمساواة، والحرية الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية، والسياسية. فهي تشبه في أطروحتها الاجتماعية، والفكرية والفلسفية على المستوى الغربي فرجينيا وولف التي اتهمت العالم الغربي بأنه مجتمع "أبوي" منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية،

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 59، 60.

2- نفسه، ص 65.

إضافة إلى حرمانها اقتصاديا وثقافيا. والفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار التي تزعمت الحركة النسائية حينما أقرت على أن تعريف المرأة وهويتها ينبع دائما من ارتباط المرأة بالرجل فتصبح المرأة موضوعا ومادة يتسم بالسلبية، بينما يكون الرجل ذاتا سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية. وتشبه جوليا كرستيفا التي تبنت النظرية التفكيكية في تحطيم الحواجز المفتعلة بين الرجل والمرأة، وتدعو للتسلح بالنظرية التفكيكية حتى لا تتحجر أو تتجمد في قوالب جامدة تتعالق مع الرجل.¹

وعلى المستوى العربي، يعد إسهام المرنيسي النقدي والفكري امتدادا للحركة النسوية العربية التي ظهرت منذ العقود الأولى من القرن العشرين مع حركة الإصلاح الاجتماعي التي قادها قاسم أمين في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة). ومع ظهور كتابات نسوية ثورية تتبنى مشروعا إصلاحيا مناهضا لاستبداد الرجل وهيمنة الذكورة على دواليب المجتمع، والسياسة، والاقتصاد، والثقافة. كما عند وردة اليازجي، وملك حنفي، وهدى الشعراوي وسهير القلماوي، وعائشة التيمورية، ومي زيادة، ومليكة الفاسي، وأمينة اللوه.

يقوم المنهج النقدي في هذا المنجز السوسولوجي على استقراء نماذج من نساء سلطانات الإسلام منسيات حكمن في التاريخ الإسلامي، ألقىت الخطب بأسمائهن في المساجد. في دلهي وصنعاء وغرناطة، وقد أسقطن من الذاكرة الجمعية. وأعطت المرنيسي مثلا باستقراء تاريخ الملكتين أسماء وأروى، وأبرزت أن الإيديولوجيا التي حرمت المرأة، ماهي إلا رد فعل إزاء الخوف المستقبلي من الحداثة. كما توسلت الباحثة بعدة آليات منهجية تفسيرية من قبيل السرد التاريخي، والتعريف ببعض المفاهيم (الحرية، الحرية، الخليفة، الحريم، الحجاب..) والمقارنة بينها في القاموسين الفرنسي والعربي. ولعل هذا التنوع الأسلوبي المنهجي يفصح عن رغبة المؤلفة في تكسير رتابة السرد التاريخي وتنويع الخطاب لاستمالة القارئ وإقناعه بمدى نجاعة تصورهما

1- يحيى عمارة، فاطمة المرنيسي بين الثابت والمتحول، موقع يحيى عمارة الأدبي، 2016.

النقدي النسائي. وما يلفت النظر في أسلوب وطريقة معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المرتبطة بتقلد السلطانات منصب رئيس الدولة، هو كثرة الحواشي والاستطرادات والإطناب والإسهاب في الشرح والتفسير، ما جعلها أحياناً كثيرة تخرج عن وحدة الموضوع، وتنجر وراء الجدل، والخوض في تعريف بعض المفاهيم¹ وتضمين فصول بقضايا ومسائل دينية لا تمت بصلة كبيرة إلى الموضوع من قبيل تعديد الزوجات، ومشروعية صلاة النساء بالمساجد. إضافة إلى تكرار ذكر سلطانات المماليك نفسها اللائي وصلن إلى السلطة أمثال شجرة الدر، وراضية وغيرها في القسمين الأول والثاني.

ويلاحظ من خلال طريقة مناقشة الباحثة لقضية الرغبة في ممارسة السياسة عند النساء السلطانات نوع من التحامل، والتهكم، والسخرية بصحبايات الرسول صلى الله عليه وسلم. تقول في معرض تعقيها على علي إبراهيم حسن "إن طريقة هذا المؤرخ في تقديم الثلاث وثلاثين ترجمة لنساء اعتبرهن مثاليات، لا تزرع فينا الرغبة لممارسة السياسة، فالنساء المميزات في رأيه هن الصحبايات اللائي نلن شرفا يستحيل الحكم به اليوم"².

كما اعتبرت عائشة "أول امرأة تخترق الحدود بين مكاني النساء والرجال، كما كانت أول من حفزت على القتل"³. تقصد قتال علي بن أبي طالب في معركة الجمل. فطلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم لم يحدث قط أنهم أبطلوا خلافة علي، ولا

1- في معرض الحديث عن إعادة الهادي أمه خيزران إلى الحریم، توقفت الباحثة عن السرد التاريخي لتسهب في تعريف لفظة الحریم، ثم عادت ثانياً إلى الموضوع (نفسه، ص 101).

- في معرض الحديث عن زوجات المهدي أقحمت الباحثة موضوع التعديد ومشروعيته في الشريعة الإسلامية (ص 81)

- في معرض الحديث عن خطبة الجمعة كمقياس من مقاييس الحكم في الإسلام، أوردت الباحثة صفحات كثيرة عن

مشروعية صلاة النساء في المساجد (ص 113، 126)

2- يحيى عمارة، فاطمة المرنيسي بين الثابت والمتحول، ص 65.

3- نفسه، ص 102.

طعنوا عليه، ولا ذكروا فيه جرحاً، ولا بايعوا غيره، ولا خرجوا لقتاله إلى البصرة، فإنه لم يكن بالبصرة يومئذ¹.

فقد هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا، فظن جيش طلحة أن جيش علي غدر بهم، فناوشوا جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهرية، فاشتعلت المعركة².

وبالتالي، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غير معصومين، ونعتقد العصمة في إجماعهم، لأن النبي أخبرنا أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فهم معصومون من أن يجتمعوا على ضلالة، ولكنهم كأفراد غير معصومين، فالعصمة لأنبياء الله وملائكته، أما غير الأنبياء فلا نعتقد عصمة أحد³.

ومن هنا، نسائل الباحثة لم رجحت الاستدلال بكتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصبهاني، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه، ورفضت تأويلات المؤرخين المسعودي والطبري⁴؟ خصوصاً وأن كتاب "الأغاني" هو كتاب سمر وشعر وطرب، وشابهه بكثير من الأخبار الباطلة، والعقد الفريد هو أيضاً كتاب أدب لم يخل من طعن. ومن أراد تاريخاً صحيحاً فليرجع إلى كتاب (تاريخ الأمم والملوك) المشهور "بتاريخ الطبري" الذي يعتبر أهم كتاب في التاريخ الإسلامي، وكثيراً ما ينقل الناس عنه، لأمر كثيرة منها: قرب الإمام من تلك الحوادث، كونه يروي الأسانيد، جلاله الإمام ومنزلته العلمية⁵.

1- عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، دار الجوزي، مصر، ط، 2007، ص 108.

2- نفسه، ص، 109.

3- نفسه، ص19.

4- فاطمة المرنيسي لمرنيسي، سلطانات منسيات، ص 59 " تحامل كل المؤرخين على يزيد، بحيث لن يستعيد مكانته واحترامه إلا على يد أبي الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني...وذلك على عكس تأويل المسعودي والطبري".

5- عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص 20، 21.

وبعد هذا الجرد المفصل لأهم المفاهيم والقضايا الجندرية، والاجتماعية، والفكرية المطروحة في النص جاز لنا أن نتساءل عن الإسهام الفكري، والنقدي للباحثة في تأسيس تصور نقدي نسائي عربي عمل على خلخلة الرؤى والأحكام الموروثة، وتصدت للجمود الثقافي الذي يقف عائقا إزاء التحرر والحرية.

فمن خلال قراءتنا للمشروع السوسيو ثقافي التي اشتغلت عليه فاطمة المرينسي، ذات التوجه التنويري العقلاني، يؤكد الباحث يحيى عمارة صعوبة إيجاد أي بنية معرفية مناسبة لهذا المشروع الاجتماعي الفكري سوى بنية الاشتغال على ما هو ثابت ليس من أجل ترسيخه كما كان سائدا في الذهنية التقليدية المغربية السابقة والعربية الإسلامية بصفة عامة، بل لغرض تحويله وتغييره وتطويره بحس نقدي حدائي يستشرف الواقع المغربي، والعربي والإسلامي معا استشرافا ديمقراطيا ينبني على زعزعة الثوابت في الذهنية المتسلطة فكريا وإيديولوجيا، واجتماعيا. فحسب فكر المرينسي من ناصر السلطة التقليدية على مستوى التفكير والاحتذاء واتباع ما قاله السابقون دون اجتهاد فيه، فهو مثقف تقليدي يؤمن بالتشابه في الفكر والوجود، ومن ثم فهو منتصر للقيم البائدة التي لا تريد التخلي عن تسلط الوصايا والأعراف والتقاليد المتسلطة، بينما يبقى المؤيد للخطاب التجديدي المؤسس على التفكير المغاير هو البديل الحقيقي للمشروع الحدائي الديمقراطي في تصورهما.¹ فما قامت به المؤلفة في كتابها (سلطانات منسيات) هو اقتحام حقل معرفة الماضي وتشريح صفحات التاريخ الإسلامي عبر محطاته النسائية المنسية، من أجل إضاءة أبعاد إنسانية شملت النساء اللائي مارسن السلط وساهمن في صنع القرارات السياسية في استقلالية تامة أحيانا، كما حدث للرئيسة الباكستانية "بنازير بوتو"، أو ممارسة السياسة من وراء حجاب، أو انطلاقا من الحريم أحيانا أخرى. فتنوير الماضي الإسلامي يكمن في طرح الأسئلة والنظرات الجديدة التي تستطيع تبيان

1- يحيى عمارة، فاطمة المرينسي بين الثابت والمتحول، 2016.

المحتكر فيه. الذي هو منتج فئة ذكورية متسلطة تقدم صورة لماضي لا أثر فيها للمرأة.

وتعد إشكالية الحريم التي تجرأت المرنيسي على معالجتها في كثير من صفحات مؤلفها ولاسيما في الفصل الموسوم "الجواري أو ثورة الحريم" معالجة اجتماعية فكرية دينية على المستوى العربي والمغربي معا، من الإشكاليات التي استطاعت توضيح الغامض فيها وتصحيح التأويل الخاطئ المهيم على تحرير الفكر المسجون فيها. بضرورة نقل ممارسة الحياة السياسية من الظل أو مجال الحريم والعبودية، والاستغلال إلى المجال العام المتحرر المتحرك المتحول. مطلقة في ذلك من كل عناصر البحث الاجتماعي، والتاريخي العلمي القائم على دراسة ونقد التراث التاريخي الإسلامي من أجل إعادة بناء علاقات جديدة معه بصورة حديثة. فالنتيجة التي توصلت إليها الباحثة عن مفهوم الحريم في علاقته بالواقع والمجتمع والتفكير تكمن في حلمها في البحث عن الحرية والنزوع إلى كسر قيود التسلط بكل أشكاله. ولعل هذا ما جسده ثورة الجواري في الفصل الموسوم (الجواري أو ثورة الحريم) والتي كانت ثورة أعمق وأكثر استمرارا من ثورة الزنوج العبيد ضد أسيادهم خلال العصر العباسي، حيث تمت ثورة الجواري على مستوى العاطفي أي "على عكس الزنوج الذين حاولوا الاستيلاء على الحكم من الخارج، فإن الجواري كن يقدن عملياتهن في قصر الخلافة ذاته، على فراش وفي قلب ذلك الذي يجعل منه القانون سيذا مطلقا على الأرواح والأموال".¹

إذا، لقد ظهرت كتابتها "سلطانات منسيات" بصفة خاصة، وكتاباتها الفكرية النقدية النسائية الأخرى لتدمير الثابت أو تهيمشه في الثقافة الذكورية عن المرأة مثل المرأة الشيء والمرأة الدونية لصالح بناء نموذج المرأة الإنسان. فالكتابة الفكرية

1- فاطمة المرنيسي، سلطانات منسيات، ص 56.

النقدية عندها تمرد على التفكير البائد والمتحجر الذي ظل أمدا طويلا يقيد إنسانيتها المسلوقة.

خاتمة

وخلاصة لما سبق يمكن استنتاج ما يلي:

- استجوبت الباحثة التاريخ الإسلامي وصفحاته التي تتحدث عن سلطانات منسيات لم يكن لهن حق امتلاك لقب الخليفة، على الرغم من حصولهن على لقب السلطانة أو الحرة، أو الست، أو خاتون، أو رئيسة دولة. فجاءت فاطمة المرنيسي لتكشف القناع عن هذا الجزء المنسي من التاريخ الإسلامي من خلال تلمسها لنساء كان لهن دورهن في الحياة السياسية الإسلامية من تركيا وبلاد فارس، والبربر، والأندلس، واليمن، كانت تصك النقود، وتلقى الخطب بالمساجد باسمهن. مما يدل على تقلدهن مناصب القرار السياسي.

- ينطوي المنجز الفكري النقدي السوسيولوجي الموسوم (سلطانات منسيات) على مجموعة من القضايا والمفاهيم الجندرية المرتبطة بالمشروع النقدي النسائي عند فاطمة المرنيسي، من قبيل مفهوم الحريم، ومفهوم الداخل، ومفهوم المساواة، ومفهوم القيادة، ومفهوم الحدود، ومفهوم الحرية.

- اعتمدت الباحثة في صياغة أفكارها النقدية، ومفاهيمها الجندرية وفق منهج علمي تاريخي تحليلي نقدي توسلت فيه بآليات تفسيرية عدة من قبيل التعريف، والسردي التاريخي، والمقارنة، والاستقراء لإقناع القارئ بوجهة نظرها النقدية إزاء دعوتها إلى إلغاء الحدود، والحواجز الحريمية والثورة على الأعراف، والتقاليد البالية والخروج إلى المجال العام، حيث يوجد الرجل من أجل إثبات الذات بأبعادها الوجودية وممارسة حقها في صنع القرارات في شتى مناحي الحياة الإنسانية. وفق رؤية ديمقراطية تقدمية حديثة. لكن هذا المنهج لا يخلو من بعض الملاحظات النقدية

على مستوى النقول التاريخية المعتمدة، أو على مستوى تناول سيرة الصحابييات في الإسلام.

- ساهمت الباحثة من خلال منجزها النقدي السوسيولوجي في تأسيس تصور نقدي نسائي عربي عمل على خلخلة الرؤى والأحكام الموروثة، وتصدى للجمود الثقافي الذي يقف عائقاً إزاء التحرر والحرية.

لائحة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- فاطمة المريني، سلطانات منسيات، مطبعة الخليج العربي، البيضاء، المغرب، ط 2، 2006.

ثانياً: المراجع

- جميل حمداوي، سوسيولوجيا الجندر عند فاطمة المريني، ط 1، 2019.
- عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، دار الجوزي، مصر، ط 2007.

ثالثاً: المجلات

- مجلة الصقلية، منشورات الراصد الوطني للنشر والقراءة، طنجة، عدد 9، 2018.

رابعاً: الروابط الالكترونية

- موقع يحيى عمارة الأدبي:

<https://archive.alsharekh.org/AuthorArticles/13899>

المرأة و"إبليس"

في مجتمع البيضان بالجنوب المغربي

د. شرقاوي حم

باحث في علم الاجتماع
المغرب.



ملخص

يتعلق المقال بالمرأة في مجتمع البيضان بالجنوب المغربي، خاصة حضورها في الموروث الشعبي الشفهي، وما يختزنه هذا الأخير من تمثيلات حول هذا الكائن الذي يحظى بمكانة متميزة عند كل أفراد المجتمع، مع التركيز على موضوع من المواضيع المغمورة ألا وهو المرأة والشيطان في الثقافة الحسانية، لكن من منظور ثقافي وخصيصة مجتمعية حسانية محضة، وليست تلك الصورة النمطية التي طالما لصقت بالمرأة على اعتبار أنها شيطان، وإنما ستعالج ما يعرف محليا بالمرأة الجميلة التي يسكنها الشيطان، فتكون حاضرة وفي قمة غوايتها أو ما يصطلح عليه بـ"اتبيلس".

كلمات مفتاحية: المرأة البيضانية - المجتمع البيضاني - الجنوب المغربي - الجن - إبليس - الغواية والفنتنة - المعتقد الشعبي..

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

شرقاوي، ح. (2024). المرأة و"إبليس" في مجتمع البيضان بالجنوب المغربي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 269-288.

Abstract

The article discusses women in the community of Al_ bidan in southern Morocco, particularly their presence in the oral folklore, and the representations associated with this entity, which holds a prominent position among all members of the community. It focuses on a hidden topic, namely the woman and the devil in Hassani culture, but from a cultural perspective and the specific nature of the pure Hassani society, rather than the stereotypical image that has long been associated with women as being devilish. The article will address the locally known concept of the "beautiful woman possessed by the devil", exploring her presence and her ultimate allure, or what is commonly referred to as "Atbils."

Keywords: Beidan women- Beidan society - southern Morocco - the jinn - the devil - temptation and sedition - popular belief.

يعتبر موضوع المرأة من المواضيع التي ما فتئت تستقطب المزيد من الاهتمامات البحثية، وذلك راجع لما احتلته المسألة النسائية من مكانة خاصة في البحوث والدراسات العلمية، وفي الأوساط السوسيو-ثقافية تحديدا في العقود الأخيرة، وهو ما تعكسه بشكل لافت تلك الإنتاجات الأدبية والفكرية، والدراسات في تخصصات متنوعة كالسوسيولوجيا والانثروبولوجيا وعلم النفس، والقانون...، وقد تطلبت عمليات إثبات الذات هاته مسارا يزيد عن قرن من الزمن، ذلك أن أولى الاهتمامات بهذا الموضوع تعود إلى القرن 19¹.

وفي المجتمعات القديمة بشمال إفريقيا، وحسب العديد من المضان الإخبارية أنه كانت تولي للمرأة مكانة مهمة وتجنّبها كل تعب يذهب بجمالها ورقمها، فإذا كانت المرأة بالعالم المقدس تكاد تكون لها نفس مكانة الرجل، بل تشاركه في أنشطة متعددة وتستقل بأخرى فإنها بعالم الواقع يغيب إسهامها في مرافق وميادين عديدة خاصة الميادين التي تثقل كاهن المرأة، إذ كانوا يسارعون لتجنّبها أي مشقة، كون "جمال المرأة مقدس بالنسبة لهم لأنه رمز للكمال ورمز أيضا للخصوبة"²، حيث كان للربات حضور في التصور الديني في التصور الديني للإنسان القديم سواء الروماني أو المحلي، ذلك أنه قدس عددا من الربات، وقدم لها هدايا متنوعة وقام بتمثيلها على أشكال مختلفة من الآثار المادية كالفسيفساء، والتماثيل والنقود وغيرهم³، وهو نفسه الذي "عرفته عبادة الربات في المغرب انتشارا واسعا مقارنة مع العبادة المخصصة للآلهة"⁴.

1- محمد حبيدة، *البحث في تاريخ النساء تجربة الغرب نموذجا*، نقلا عن: مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 13-14، السنة الخامسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص 124.

2- نفسه، ص 15.

3- عبد العزيز بل الفايذة، *عبادة الربات في المغرب القديم على ضوء الإبيغرافيا (Epigraphie)*، نقلا عن: مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 13-14، السنة الخامسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص 55.

4- نفسه، ص 62.

وارتباطا بما سبق، نستحضر هنا أهمية حضور المرأة الحسانية بالجنوب المغربي، والتي هي الأخرى كانت لها مكانة جد متميزة في مجتمعها، فقد كانت مناط تقدير واحترام كل ما كانت تسكن إليه، فعتنوا بها وجنبوها كل مشقة تذهب بحسنها وجمالها، وعبروا البيضان عن ذلك في العديد من مظاهرهم الإخبارية وفي مورثهم الشعبي العامي الحساني المغربي، ومن هذا المنطلق نحاول إبراز مكانة المرأة البيضانية في هذا المجتمع المغربي الغني بتراثه المادي واللامادي، ثم الوقوف على أهم التمثلات الاجتماعية المتصلة بالمرأة البيضانية، وإبراز تلك العلاقة الجدلية الفلسفية بين المرأة بصفة "إبليس" أو "الشيطان" أو ما يعرف "بالتبليس" في اللسان الحساني الدارج دو الصفة الإيجابية أو السلبية التي تجتر معها بعض الصور النمطية التي لطالما حبست ولصقت بالمرأة البيضانية بالمجتمع الصحراوي المغربي .

أولا- المرأة وإبليس في المعتقد الشعبي للمجتمع الصحراوي المغربي

1- المرأة الحسانية في الموروث الشفهي الحساني

حظيت المرأة البيضانية بمكانة خاصة في المجتمع البيضاني* الذي كرمها أحسن تكريم، وجعلها متساوية مع الرجل في الكثير من الحقوق والواجبات، وذلك ولد عنه ثقافة المساواة في المجتمع البيضاني بين أفرادها، وتماشيا مع ذلك نجد العلامة محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين يقول: «فاعلم أن النساء أهل ذلك القطر كأنما خلقن للتبجيل والإكرام، فلا تكليف ولا تعنيف ولا تريب، وذلك في الأقسام الثلاث، إلا ان كل قسم وعادته في ذلك، فالمرأة هي سيدة جميع ما يتعلق

* البيضان: اسم بلاد البيضان Pays des Maures، وهو مصطلح كان شائعا في كتب الجغرافيين العرب منذ القرن الرابع الهجري لوصف صنهاجة الصحراء في مقابل السودان الواقع جنوبا. ثم أصبح يطلق على الناطقين بالحسانية منذ القرن الحادي عشر الميلادي. لكنه كان مقصورا على النبلاء من العرب (المحاربون)، والزوايا (أهل الدين). وكان اسم "الكحلان" يطلق على الفئات الأخرى "الحدادون" و"الزفافون Les griots" (أرباب الموسيقى). ثم تطور لفظ البيضان ليطلق على كل متحدث للحسانية بغض النظر عن لونه ومهنته. مع بقاء الاستخدام الأصلي في الاستعمالات الخاصة داخل المجتمع. نقلا عن: رجال بوبريك، دراسات صحراوية للمجتمع والسلطة والدين، دار أبي قرقاق للطباعة والنشر، ط 2 الرباط المغرب، 2008، ص 11.

بالببت أثاثا ومتاعا ونحو ذلك، والرجل بمثابة الضيف فلها أن تفعل في البيت ما شاءت من غير اعتراض عليها ولا مراقبة"¹.

وتتميز حياة المرأة الحسانية في مجتمعها بالاحترام، والبعد عن الطابع الصدامي وكأنها خلقت للتبجيل والإكرام، "فلا تكلف ولا تعنيف ولا تثريب"²، وهناك نماذج في الصحراء يضرب بهن المثل في المشاركة الفعالة في المجتمع "نساء حسانيات عرفن بأدوار اقتصادية وحضور ديني ضمن عشائرهن، ولعل أشهرهن من قبيلة «آل بارك الله»، إذ تعتبر «أعززة منت مولود بن بارك الله بن أحمد يزيد»، و«الْحَيْتُ منت أَلْمِينُ بن بارك الله»، و«مريم تلميت منت أحمد البخاري»، من بين النساء اللواتي قمن بحفر الآبار الثلاث «شار» و«أغوييت» و«دؤمس»³، وتتعدد الأدوار التي تضطلع بها المرأة الحسانية في مجتمعها لتغطي مختلف مناحي الحياة، فلا يقتصر بذلك اهتمامها على مملكتها الخاصة فقط، بل يتعدى ذلك إلى إثبات قدرتها كعنصر فعال، فهي ليست على حد تعبير الدكتور محمد الغربي: "سيدة البيت المطلقة أو مربية الأولاد أو المحافظة على كيان الأسرة بقدر ما هي فوق ذلك عنصر اقتصادي وسياسي لا مندوحة عنه ولا سبيل لتجاهله"⁴.

وعلى الرغم من تعدد وتنوع وسائل وآليات الاشتغال لدى المرأة بالجنوب المغربي من أجل الحصول على المكانة اللائقة داخل المجتمع الصحراوي تبقي دوما في صراع مع الزمن للتصدي لشقي أشكال التهميش والإقصاء التي تعمل على إسكات صوت المرأة الفاعلة وفرملة عملها الدؤوب من داخل المساهمة في الأدوار الاستراتيجية سواء على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والديني والاقتصادي

¹ - شيخ محمد الإمام، الجأش الربيط في الدفاع عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، تحقيق محمد الظريف، تقديم ماء العينين ماء العينين، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، 2013، ص 115

² - الإمام محمد الشيخ بن الشيخ ماء العينين، الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة في مركب وبسيط، دار الفرقان، الدار البيضاء، 1985، ص 39.

³ - ولد عبد الله العتيق أحمد بابا، تاريخ حياة الشرفاء أهل باركله أخلاقهم وعاداتهم، ط2، نواكشوط، موريتانيا، 2008، ص 73.

⁴ - الغربي محمد، الساقية الحمراء ووادي الذهب، دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون سنة، ص 153.

(...) للحفاظ علي الموروث القيمي للمرأة الصحراوية، وهو ما يعتبره «كلود ليفي ستروس: النساء معتبرات كقيم»¹، وان كانت المرأة البدوية بالصحراء تقوم بأعمال ذات نشاط فاعل في تربية النشاء وفي حماية الأسرة بتوفير الغذاء والعلاج ومساعدة الرجال لخلق منتجين جدد يساهمون في إعادة الإنتاج الاجتماعي والبيولوجي للمكون القبلي، في ضل اقتصاد السوق، استطاعت أن تخرج إلى ميادين العمل المختلفة رغم أن خروجها كانت تطبعه في البداية الريبة والحذر وحتى «العار» أحيانا نظرا إلى أن التصور التقليدي السائد حول المرأة بالمجتمع الصحراوي يمنع عليها العمل خارج البيت وزوجها وأبوها أو من يعيلها موجود على قيد الحياة، لكن نتيجة الضغوط الاقتصادية والتحولت في ميدان التعلم والأسرة جعل من خروجها للعمل وممارسة سياسة كترشح في الانتخابات مثلا معطى مقبول ولو على مضض أحيانا.

بالإضافة إلى أن هناك مجالات أخرى كان للمرأة فيها حضور فعال خاصة مجال الدراسة والتحصيل العلمي والتدريس والتدوين وحفظ القرآن والمتون ومحاورة العلماء والفقهاء، وفي هذا الإطار عرفت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب طيلة القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن العشرين مجموعته من النساء الحافظات المدرسات مثل: لآلة النائرة بنت الشيكو السباعية (زوجة العلامة القاضي الشيخ ولد حامي)، كانت فقيهة وعالمة بالأصول والفروع، وكانت تجادل زوجها في الأحكام الشرعية وأمها الكتب، وهناك الحافظة حبيبة بنت سيدي علي المساوية الركيبية، والفقيهة الخطاطة فاطمة بنت الحاج البشير ولد عبد العي البربوشي²، وأم المؤمنين بنت المامي السباعية: كانت صاحبة محاضرة (ت 1920م)، والأستاذة فاطمتو بنت محمد الأمين بن أبا حازم الجكني نسبة لقبيلة تجكانت التي أنجبت العديد من العلماء والمشايخ، والتي كانت فقيهة في العلوم

¹-Strauss Claude (levi) " *les structures élémentaires de la parenté* ", Mouton et Co, Paris, 1967, p, 527.

² - مجلة دعوة الحق، المرأة في حضارة الغرب الإسلامي، القسم الثاني مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، السنة الثالثة والخمسون، العدد 399 ربيع الأول 1432، مارس 2011، ص 52.

الشرعية من جملة المجاهدين الذين أقاموا بجبل كردوس بسوس أيام تولى الشيخ مربيه ربه بن ماء العينين قيادة حركة المقاومة بالجنوب المغربي. ومن الوليات الصالحات: أمنتو بنت يوسف، والعيافة التيدرانية (ولية صالحه من قبيلة أولاد تيدرارين، يوجد مزارها عند مصب واد الساقية الحمراء، غرب مدينة العيون)، وعائشة بنت أمميدة السباعية، وأم فاطمة الفلالية (ولية صالحه سمي عليها واد أم فاطمة جنوب مدينة طانطان حيث مدفنها)، وشامنة الدليمية وغيرهن كثير. كان هذا النوع من النساء هو ذاكرة المجتمع الصحراوي وخزان أرشيفاته الشفوية نظرا لقدرتهم على الحفظ وحماية الموروث الثقافي، وكذا لحضورهن في المجالس العلمية وارتباطهن بالمحاذثة والحكي كعادة يومية¹.

إن ما وصلت إليه المرأة في هذا المجتمع البدوي المتحرك هو نتيجة احترام المجتمع لها وثقته بها، والحكيم الحساني "الأمثال الحسانية" عبرت عن تلك المكانة المتميزة والتميزة التي كان يولمها لها المجتمع بكل أعمارها، حيث نجدهم يقولون أَلْ أَبْلَا مُنَات ما تعرف الناس أَيَنْت مات، ويقولون أيضا "لَعْلِيَاتُ أَعْمَائِمُ لَجَوَاذُ وَأَنْعَائِلُ لَكَلَابُ" أي أن النساء في المجتمع الحساني يمثلن عمائم الكرام الكرام، فمن يعاملهن من الرجال معاملة حسنة تليق بمكانتهن المحترمة في مجتمعهم يصنف ضمن الأفاضل ومن يعاملهن عكس ذلك يدخل في خانة الكلاب واللئام.

وأعطى المجتمع البيضاني مكانة هامة للمرأة التي شاركت في صناعة الذاكرة الشعبية، أبرزها في المعارف المتصلة بالأمثال الشعبية خاصة في بعدها الزمني. حيث ظل الدهر والمرأة لهما دلالة رمزية قوية تتصل ببعضها البعض في السياق الرمزي التأويلي. كما هو مبين في المثل الحساني: «الدهر والمرأة ما ينفلشوا»، بمعنى أن الدهر غير مأمون كذلك المرأة، «الدهر ولعليات ما ينفلشوا»، و«الدهر يولد بلا ضرع»، و«الدهر تكلابوا شين» فهاجس الدهر حاضر بقوة ويرمز للخوف الدائم

¹ - مجلة دعوة الحق، المرأة في حضارة الغرب الإسلامي، القسم الثاني مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، مرجع سابق، ص 53.

من الزمن حتى أصبح يؤرخ به للأحداث التي تمر عند أهل الصحراء كعام الدكة إي التلقيح.

2- المرأة البيضاء المغربية وغواية إبليس

والجن عالم مستقل تتباين وتتعدد أصنافهم وصورهم، كما هو حال سائر كائنات الكون وأجناسه، ولا علم لنا بكل هذه الأصناف إلا ما أخبرت به نصوص القرآن والسنة¹، والجن كالإنس لهم قبائل وعشائر، وأحياء مشهورة، ولهم سادة ورؤساء وزعماء ذاعت شهرتهم حتى جاوزت مجتمعهم الجني إلى مجتمع الإنس، فمن قبائلهم المشهورة بنو الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً، وأشرفهم نسبا، وأقواهم شوكة، وفي اجتماع تلك الصفات فيهم ما جعل الشعراء يتخيرونهم للصحبة والإعانة يقول حسان بن ثابت:

ولي صاحبٌ من بني الشَّيْصَبَانِ * * فَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هُوَّةٌ².

وللنساء بالمجال الصحراوي اعتقادات معينة عن الجن، كون الجنيات يعملن على استبدال أطفالهن بأطفال من سلالة الجن، في المراحل الأولى من ولادة الرضيع، وبأن الطفل المستبدل تظهر عليه علامات وأعراض تنبئ أهله بتبديله وتغييره من طرف الجنية، ككثرة البكاء المتواصل وتغيير شكله وهيئته، بحيث يصير منفرا لا تستكين إليه النفس البشرية (ما تبغيه لخلاك ولا ثلاث تحن لو لكبد). ويشكل الحكى بالنسبة إلى النساء سرد لما هو منسوج في الذاكرة الشعبية الذي ورثه عبر التراث الشفهي اللامادي، الذي يحتفظ في الشق الشفهي على أن سيدة من نساء الصحراء، كان لها ولد لم يبلغ إلا بضعة شهور من عمره، اضطرتها الظروف لتركه وحيدا في الغرفة بسبب عدم وجود أحد معها في البيت يعتني به، وذهبت لقضاء اغراضها، وعندما عادت للبيت وجدت وليدها قد اختفي من مكانه، واستبدل بوليد من صنف الجان، وعندما رآته أصيبت بنوبة قلبيه ماتت على إثرها.

1 - نفسه، ص 44.

2 - نفسه، ص 85.

وهو ما يجعل النساء يحرصن على عدم ترك أطفالهن بمفردهن لاسيما تحديد مع صلاة المغرب والعشاء، بنوع من الحرص والوقاية ببعض التعاويذ والأحجية والحرز، او وضع سكين عند رأس الصبي ورشه مع صلاة المغرب بالملح مساء لدرء خطر الجن.

واستطاع الجن ان يفرض نفسه في عالم النساء، ويزرع فيهم الخوف والرعب لاسيما خلال دورة الحياة، وما لها من مكانة هامة في تصور ودهنيات أهل الصحراء، ولاسيما عندما يسود الاعتقاد في بقاء الجنين في بطن أمه لفترة طويلة تفوق المدة الطبيعية للولادة وهي تسعة أشهر، وهنا تحس المرأة وأمه بنوع من القلق اتجاه لحظة سميت ب«الطفل الموركد» أي بقاء الطفل النائم في بطن امه، وذلك نتيجة وقوعه نتيجة أعمال سحرية شيطانية أثرت على نموه في بطن أمه، مما أعاق نموه الطبيعي بعد إتمامه التسعة أشهر من الحمل، وعندما يتأكد الأهل من انه وقع ضحية عمل سحري يسمى (شايف الصرة). يتم الالتجاء إلى لمرباط /السيد/لحجاب، لفك العمل السحري ليعود الجنين لاستكمال نموه الطبيعي والمرور بشكل تدريجي لدورة الحياة.

ويعتقد كذلك ان بعض النساء يلجأن إلى القيام بعمل سحري على الأطفال الرضع، وهم يحملون معهم (الصرة)، وإدخالها عليهم للقيام بتجربة فيهم عن مدى فعالية العمل السحري (الصرة)، وحسب الموروث الشفهي بان الطفل الذي يشتم محتويات هذه الصرة سرعان ما تصيبه تغيرات فيزيولوجية تتمثل في عدم التئام عظام الراس، ويظهر أخدود في عظام رأس الطفل، أما على شكل عمودي من الأمام إلى الخلف أو عرض الرأس، وتعتقد الأمهات ان الأطفال ليس لديهم مناعة كافية ضد (الصرة)، وهو ما يعلق للأطفال بعض الأحجية والتمائم إلى ان تظهر أسنان الرضيع، عند إدن لم يعد للصرة أي تأثيرات عليه.

وتعتبر المرأة إحدى الثوابت الأساسية في المجتمع الحساني، فشكلت نقضة ارتكاز واهتمام الكثيرين، وفي شعر الغزل لدى شعراء اهتمام بالغ لما يخالج الشعراء

الحسانين اتجاه المرأة من حالات الفرح والأسى، وألم الفراق وشدة الحزن ... حتى طغت مواضيع المرأة في مساحات الشعر والأدب فشكلت المرأة مادة دسمة لها، وعنصرًا محوريًا في مادتها على امتداد خارطة التراث الشعبي الشفهي، لأن المرأة هي الحاضنة والمرضعة والمربية، وهي التي تعلم الرجل الخطوة الأولى في الوجود، وبذلك تكون العشيقة والسيدة في نفس الآن، والأم والمحبوبة، بل المهمة أحيانًا، فهي المسكن الذي يأوي إليه الرجل في حالات التعب والأسى، فأضحى وجودها وجوديًا بلغة سارتر. و«المرأة الصحراوية كانت في مجتمعها سيدة تأمر وتنهي، ويأخذ برأيها ومشورتها. كما يقول الشيخ محمد الإمام: «النساء عند أهل القطر كأنهن لم يخلقن إلا للتبجيل والإكرام والتودد»¹.

وخطاب الشيخ ماء العينين عن المرأة هو الكشف عن علو مكانتها عنده، بل ويزيد قائلاً: "والآن يا قرة عيني وثمره فؤادي (...) إن كان الأسد يقتل (...) فاللبؤة تقتل (...) وإن كان الرجال (...) يرحلن فالنساء ترحلن (...) وأنا لولا أني عالم بك والله الحمد في خيمي وتلاميذي ... لما سرت عنهم ولا جلست الآن وعلي بك والله الحمد في ظهري موسع خاطري في كثير من المسائل لا عدمتك فيها ..."². فالشيخ يضع المرأة في ميزان الرجل من حيث القدرة على القيام بأعباء ومسؤوليات البيت والقبيلة عموماً. وكان رضي الله عنه يحب المرأة ان تكون ذات قوة وأنفة وعزة³. غير أن الأمر ليس على هذه الشاكلة اليوم، بل تغيرت الشروط الذاتية والموضوعية في ظل ما نشهده من تحولات اجتماعية على امتداد جغرافية المجال، وحجم التحول الحاصل في الانتقال من زمن البداوة إلى زمن الاستقرار. فالوقت الذي نجد فيه المرأة الصحراوية

1 - عائشة خليل، جمال المرأة الصحراوية في المخيال الشعبي الحساني، نقلا عن: مجلة ثقافة الصحراء فصلية ثقافية متخصصة، تصدرها جمعية أصدقاء متحف الطنطان، المرأة في مجتمع البيضان سؤال الكينونة، العدد الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، خريف 2015، ص 25.

2 - العالية ماء العينين، مكانة المرأة عند لشيخ ماء العينين، نقلا عن: مجلة ثقافة الصحراء، فصلية ثقافية متخصصة تصدرها جمعية متحف الطنطان، المرأة في مجتمع البيضان سؤال الكينونة، العدد الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، خريف 2015، ص 21.

3 - نفسه، ص 21.

المغربية فارضة وجودها في المجتمع بحيائها ورزانتها، فكثيرا ما كنا نسمع بمجتمعات تتكلم عن ديمقراطية، وحقوق الإنسان وحق المرأة وتطالب بتلك الحقوق، فالصحراويون حققوا تلك الحقوق منذ زمن بعيد.

ومعاملة الرجل للمرأة نابعة من نفسه التي لا تقبل أي شيء مدنس اتجاهها للحفاظ على تلك العلاقة المقدسة بينهما، فلطالما يحاول الرجل ان يقرأ تقاسيم وجه المرأة التي تحاول أن توقعه في الأسر، ليكون أسيرا تحت قدمها بلغة شيء اسمه «البغي المتين منو»، لأنها متحولة المشاعر والأحاسيس التي تتمدد بين خطي المد والجزر النفسي، في لحظات يطبعها المنع والانجذاب في جو من التناقضات المشاعرية لعالم النساء الذي يبعث على الغرابة، بحيث تحب المرأة الصحراوية مواصفات معينة تستشف من عالم البادية، أن يكون «عوده مشتدا ولحمه على عظمه، أهجفا قويا جلدا شديد التحمل مقداما، كلما كان مقبولا عند الأنثى»¹. وأما جمال المرأة بالنسبة للرجل الصحراوي، تلك «المرأة المكتنزة الممتلئة بضة هيفاء، أسرة لها حديث أخذ تعرف متى تتحدث ومتى تصمت، ومتى تسمح عن جبين حبيبها هموم الترحال وتعب الصيد ووعثاء القتال، تلك هي التي يسعى إليها الرجل حتى ولو غزا من أجلها مجتمعا بأسره»².

والبدانة في نساء الصحراء إحدى أهم المعايير التي يفرضها الدور الوظيفي للمرأة من زواج وإنجاب في المجتمع الصحراوي. حيث يتم إعدادها في سن مبكرة لهذه الوظيفة الطبيعية والمسماة بعملية «لبلوح»، بدءا من سن التاسعة، حيث تتكلف لها أم صارمة ومختصة من نساء القبيلة التي تخضعها لنظام غذائي صارم (لبن الإبل)، حيث تستغرق عملية البلوح أشهرا حتى يتفتق جسم الفتاة، فتبدو الأرداف ممتلئة والخاسرة رقيقة والبشرة ناصعي البياض. فيتفتق جسدها نعومة، يتخذ بشكل منتظم في أنحاء من جسدها، يصفه الحسانيون ب«لبطط» كنوع من

1 - العالية ماء العينين، مكانة المرأة عند لشيخ ماء العينين، نقلا عن: مجلة ثقافة الصحراء، مرجع سابق، ص 27.

2 - نفسه، ص 27.

الوشم الذي يبرز على جسد الفتاة الصحراوية خصوصاً في المواضيع التي تكون مكتنزة كزنديها وساقها بعد ان توقفت عملية البلوغ وأصبحت الفتاة مكتملة بارزة المفاتن، ملهمة للناظرين من الخطاب لطلب يدها، وتهافت «إيكاون» على التغني بمفاتن جمالها.

وكانت صورة البدانة هي الصفة الغالبة على صورة جمال المرأة بالمجتمع الصحراوي لما ترمز إليه من الخصوبة والاستمرارية حيث يرمز للبياض كرمز للترف والنعمة. لتظهر صورة استحضار شعر الأدب الحساني الذي يحمل نوعاً من الرمزية «لإبليس اللعين» الخبير في لعبة قلب الطاولة بعالم النساء، والقدرة على الإغراء والمرادة، فهو رمز للفتنة والغواية. خاصة ان الاعتقاد يحوم حول ان إبليس هو سبب الخطيئة أي خطيئة آدم وحواء وخروجهما من الجنة، بحيث استعمل وسيلته في ذلك هي المرأة، وقد قيل بان النساء حبال الشيطان.

3- المرأة البيضانية وتبليس في لغة الشعر الحساني

بدأت تلك العلاقة الرمزية التي تبعث على الاحتكاك بين إبليس والمرأة، فهو يزين صورة النساء في أعين الرجال، الصورة التي ترسخت في المخيال الشعبي الحساني فيما يخص علاقة المرأة بالرجل. وذكر إبليس في الموروث الشفهي الحساني لا يعتقد به واقعة طرد إبليس من الجنة، لأن ذكر إبليس في ثقافة الشعبية الحسانية هو لصيق بالمرأة وما يتصل بها من قوة جمالية جذابة تشبه بقوة مغناطيسية نظراً لأنوثتها التي لا تقاوم والتي دفعت شعراء بني حسان إلى كتابة الشعر عنها «أضلع»، وما يتنفسه هذا الشعر من مفردات أنثوية تبعث على وجود امرأة فاتنة حسناء يتجدد ظهور إبليس مه ظهور جمالها الذي يبعث على إزاحة العقل من مكانه باستبدال بالجنون. و"الشعر عند الجن كما هو عند الإنس باب من أبواب تقييد المكارم، وتربية النفوس وتزكيتها"¹، ولما كانت عاطفة الحب من أبرز المشاعر التي اهتم بها الشاعر العربي

1- فائزة رداد عزيز العتيبي، *الجن في الشعر العربي إلى آخر العصر العباسي*، دار الانتشار العربي، النادي الأدبي في منطقة الباحة، ط 1، المملكة العربية السعودية، 2017، ص 117.

وسجلها في نتاجه الشعري، فهو كذلك يبحث عنها في عالم الجن ويسجلها حين رصده لسلوك الجن ليظهر مدى التشابه بين هذين العالمين، فالجنّي كالإنسي يحب ويعشق، ولقصاص العشق عندهم بدايات يصعب تحديدها يسير فيها اللاحق على درب السابق دونما مشابهة أو تقليد، وكأنما قصصهم في العشق تماثل قصص عشاق الإنس التي يذيع صيت بعضهم دونما تحديد لأول من عشق أو آخر من سيعشق، وفي هذا يقول الشاعر:

يا ذا الذي للحين يدعو الحمق ** خل عن الحسناء رسلا وانطلق

ما أنت في الجن بأول من عشق

فالشاعر العربي يسجل لهم في شعره أنهم كالإنس في كل مشاعرهم، فهم يعشقون وإن خفيت قصص عشقهم عن الأسماع والشهرة إلا أن إشارات الشعراء إليها توجيها مما جعل الشاعر العربي يوظف هذا المعنى في تصويره للمعاني التي قادته عاطفته المضطربة بلهيب الوجد والهيام إلى إشراك الجن في معاناته التي فاقت ما يلاقيه الجن والإنس من عواطف، فلو لم تكن الجن تشارك الإنس في إدراك هذه المشاعر لما كان في الجمع بينهما مزية يبتغيها الشاعر¹.

و"الكاهنات لوجود تابعهن الجني الملائم لهن هن المثل الأول في تصورهم لتعلق الجني بالإنسية، وعبر هؤلاء الكواهن عن هذه العلاقة ومن ذلك ما جاء في أخبار عفراء الكاهنة الحميرية أنها لما خطبها مرثد بن عبد كلال قالت له محذرة من تابعها الجني: إن تابعي غيور، ولأمري صبور، وناكحي مثبور، والكلف بي مثبور². وهو ما يترسخ في أذهان الشعراء من موروثات فكرية للعلاقات بين الجن والإنس، ومنها انجذاب رجال الجن إلى نساء الإنس بحيث يتصور ان علاقات الإعجاب والافتنان والعشق المتبادلة بين عالمي الجن والإنس. وهكذا يظهر الشيطان/ إبليس اللعين/ باختلاف أسمائه، يظل رمزا للجاذبية والفتنة والغواية، بل أصبح إبليس دلالة

1 - فائزة رداد عزيز العتيبي، الجن في الشعر العربي إلى آخر العصر العباسي، مرجع سابق، ص 119.

2 - نفسه، ص 222.

رمزية لجمال المرأة الصحراوية، «فلانة فيها شيطان لأحمر»، المرأة الساحرة الجذابة التي تسلب كل الحاضرين والناظرين حولها، وتبعث على زعزعة مشاعر الرجل ورضوخه للأمر الواقع الجمالي والاعتراف بجمالية المرأة التي يعتقد على إنه يسكن إبليس. في الوقت الذي يفسر البعض جمال وقبول المرأة في عالم الرجال، بارتباطه بصورة تراثية شعبية أخرى، يعتقد على أن المرأة المقبولة والجميلة تحمل معها ما يصطلح عليه بـ «الصرة» وهي تحويطة يحملها البعض من النساء لجذب وجلب الرجال، والتي تدخل في وسائل السحر الأبيض (الخير)، خاصة بالقبول في عالم الرجال بغية الزواج.

فإبليس اللعين يحاول قدر المستطاع محاكاة النساء الحسنات في كل حركاتهم وسكناتهم وتمثلاتهم، بدءاً بالابتسامات والنظرات والخطى ... وكان إبليس يمارس رياضته المعهودة الغواية ورسم ملامح صورة المرأة ساحرة في حركاتها وأفعالها المثيرة لجعلها تفتن قلوب الرجال، وهو ما يقوي تلك الصورة التي ترتبط بين جمال المرأة وإبليس في المخيال الشعبي الغني بالصور الجمالية للمرأة وبعض الجوانب المخفية الغامضة التي تتصيد الفرص للظهور على خشبة مسرح الحياة الخرافية والحكايات الشعبية (مُردّ) كفضاء سردي واسع يتسع لتجارب المجتمع الصحراوي ووقائع حياته الاجتماعية.

ووصف المرأة البيضانية "كاميل دولز": «كن ملتحفات في أثواب زرقاء يغطين بها أكتافهن، تاركات أئدائهن عارية. كانت لهن هيئة مهيبه، وكن على العموم ذوات بنية قوية، وعلى قدر من الجمال يعيونهن السوداء العجيبة التي أصب الشعراء العرب تشبيهاً بعيون الغزال، كانت أسنانهن غاية في الروعة. كما تشي هيئتهن في مجموعها عن جمال وحشي فتان¹. وتعتبر المعتقدات الاجتماعية موروثاً لا مادياً تنعكس آثاره على سلوكيات الأفراد في المجتمع، ويولي الباحثون في علم الاجتماع

1 - كاميل دولز، خمسة أشهر لدى البيضان في الصحراء، ترجمة وتقديم حسن الطالب، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط 1، الرباط، المغرب، 2015، ص 62.

والأنثروبولوجيا حيناً مهماً لهذا الجانب، لأن مجتمع الصحراء عند وقوفه على بعض المعتقدات يستحضر وجود المرأة في تفاصيل حيثيات تشكلها كموضوع الأجنحة (التركة) والفأل والحظ الحسن وقوة تماسك الأسرة... تكون فيها المرأة حاضرة بقوة من خلال تركيز هذه المعتقدات عليها بشكل خاص. في جوانب عديدة منها مراحل الإنجاب والحمل وطقوس الاعتقاد في جنس المولود. فالمعتقد الصحراوي القديم كان يُحمّل المرأة، على عكس ما يقوله العلم، مسؤولية هل الجنس ذكر أو أنثى. لأن أول ما تطمح إليه الأسرة في أي مجتمع بدوي هو إنجاب أكثر عدد من الذكور ليعينوا العائلة على مقاومة ظروف العيش القاسية كالصحراء وأحوازها والقيام بأعبائها الكثيرة.

وبتعبير آخر كان الصحراويون خاصة الرجال، يفضلون المرأة التي تنجب الأولاد الذكور على تلك التي تنجب الإناث. وحتى تنجب الأسرة من الذكور أكثر منه من الإناث كانت المعتقدات الشعبية الصحراوية تركز على المرأة في هذا المجال وتهمل الرجل. فمثلاً حتى لا تنجب المرأة عدداً كبيراً من الإناث، كان الصحراويون يحثون المتزوجة حديثاً على أن تقوم بأول زيارة لها إلى امرأة تنجب الذكور فقط؛ وبالعكس، لا يجب أن تزورها في المرأة الأولى امرأة تنجب الإناث. أكثر من ذلك، يعتقد على إنها تشكل تفاعل حسن، ولا يجب أن تزورها مطلقة ولا ضرة ولا أرملة. وكمبالغة في الحيلة يصل الاعتقاد الشعبي الحساني إلى منع المتزوجة حديثاً من لبس لباس النساء المطلقات والضررات واللاتي ينجن الإناث فقط أو ترك إحداهن تخطي لها لباسها قبل مضي أربعين يوماً على الزواج.

ويقول الصحراويون "إذا كان السبع يكتل فإن السبعة تكتل «إذا كان السبع يصطاد فإن السبعة الأنثى تصطاد أيضاً» أي أنها تشارك في العمل الحطب جلب الماء والرعي، ويقولون أيضاً: "رزقُ المرأ تَحْت رَكْبَتِهَا أَوْ تَحْت صَفْتِهَا"; أي إن رزق المرأة سيأتيها في خيمتها ولا داعي أن تذهب للبحث عنه، يقولون أيضاً: "المرأ مَا يَزْفَدَهَا مَا هُو دَمٌ عَرْكُوْهَا"، ودم عرقوبها يقصدون به الأبناء الذين تنجب، فهم الذين، في النهاية،

سيتكفلون بها ويخدمونها حين تصبح كبيرة وفي سن متقدمة. وباستحضار إبليس، وسلطة الغواية في اللهجة الحسانية كون المرأة تنقصها «الشعرة» و«إبليس». والمثل الثاني يقول: «فلانة خير عزريها من ضيفه»، أي ان هذه المرأة فيها مسحة من الجمال ليست بالجميلة الجذابة والاسرة عند اللحظة الأولى، ولكن حينما يجالسها المرء ويمكث معها هنيئة، فإنه لن يستطيع الذهاب عنها الا ليعود إليها من جديد، لأن هذه المرأة بالتعبير الحساني «مبلوسة»، أي فيها «إبليس» أو فيها «الشيطان». وإبليس يرمز في المتخيل الشعبي الحساني الى الجمال والقدرة على الاغراء والمراودة، ليرمز للفتنة والغواية¹، وإبليس هو سبب الخطيئة، خطيئة آدم وحواء وخروجهما من الجنة الذي كانت وسيلته في ذلك المرأة، ولذلك قيل النساء حباثل الشيطان، ومن هنا تبدأ علاقة إبليس بالمرأة، فهو يزين النساء في أعين الرجال.

4- المرأة وطقس الإنجاب في المعتقد الشعبي الصحراوي المغربي

وعندما «تحمل المرأة يصير لزاما عليها التزام بعض الاحتياطات من أجل سلامة جنينها، وأهم هذه الاحتياطات من وجهة نظر المعتقد الشعبي هي: تجنب الاحتكاك بأماكن تواجد المواد السحرية كمحلات العطاراة أو الاحتكاك بالنساء الاتي يتعاطنا للسحر، لأن الجنين قد يتأثر سلبا بذلك ويتعرض لتشوهات خلقية أو للموت حتى. وخلال فترة الحمل دائما، ينبغي على الأم ألا تطيل النظر إلى كل ما له هيئة غير جميلة، كالأشخاص ذوي الخلقة الذميمة أو الحيوانات (القردة على الخصوص)، والسبب في ذلك أن الجنين الذي يتشكل في رحمها سوف يأخذ الصفات القبيحة الظاهرة لما شاهده². وإن كانت المرأة لا تلد سوى البنات، فإن ذلك يعني مرة أخرى أنها واقعة تحت تأثير عمل سحري، ينبغي لها أن تتخلص منه، والمعروف انه هناك وصفات ينتج عنها، حسب العامة، إنجاب المرأة للفتيات فقط. وتلجأ إليها قريبات

¹ - عائشة خليل، جمال المرأة الصحراوية في المخيال الشعبي الحساني، مرجع سابق، ص 29.

² - مصطفى وأعراب، المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، يناير 2007، ص 172.

الزوج كي يدفعن به إلى تطليق زوجته انتقاما منها. ولأجل تحقيق ذلك يقمن – مثلا- بإحدى الوصفتين التاليتين"¹:

- تؤخذ أفعى أنثى ولدت لتوها، وتقطع إلى أجزاء يمثل كل منها عدد للبنات التي يرغب في أن تنجبها المرأة، تطبخ ثم تقدم للمطلوبة لتأكلها.
- تؤخذ شعرة من رأس المطلوبة، وتعقد عددا من المرات يماثل عدد البنات المراد أن تحصل عليه، ثم توضع الشعرة في خبز وتقدم إليها لتأكلها من دون أن تدري.

ولكي تلد المرأة مواليدا ذكورا فإن الوصفات السحرية كثيرة كذلك، بدءا من أن تأكل المعنية من يد طفل لا تلد أمه سوى الأولاد الذكور، أو ان تذيب ثعبانا ذكرا ولد لتوه، ثم تقطعه عددا من الأجزاء مماثلا لعدد الأولاد المرغوب في إنجابهم، وتطبخه لتأكله. وإن عدم إنجاب الذكور يكون في كثير من الأحيان مبررا لتسويغ طلاق الرجل لزوجته في المجتمع المغربي. ويبذو تفضيل المواليد الذكور على الإناث اجترار لعقلية هي من بقايا تفكير إنسان المجتمعات الزراعية والرعية². ولما تختص المرأة بشؤون البيت الداخلية (الكنس وتنظيف والطبخ وحلب الغنم)، يتكلف الرجل بأعمال مثلا التجارة والحرث بمعني الأعمال التي تتطلب مجهودا ومشقة بدنية عالية، ومشددين الأهالي على حظر النساء على الحضور إلى مجالس الرجال خاصة ان تعلق الأمر بعقود البيع والشراء أو الزواج والطلاق، فالرجال هم الذين يتكلفون بإبرام تلك العقود أو إلغائها، والمرأة لا تبدي رأيها في المسائل الهامة التي يقف عليها مستقبل الأسرة عموما. والبدو كما هو معروف من خلال الموروث الشفهي يظهر أنهم ورثوا شي اسمه العصبية العربية للجنس الذكوري منذ أيام زمن الجاهلية، كون الرجل حسب هذا الاعتقاد هو الأقوى والأذكى، وان المرأة ناقصة عقل ودين، وقل ذكاء من الرجل، لذا لا يجب الاعتماد على آرائها وأخذ لوالها على محمل الجد (الأهالي

¹ - مصطفى وأعراب، *المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب*، مرجع سابق، ص 172.

² - نفسه، ص ص 172-173.

يحتقرون الرجل الذي يخضع لرأي المرأة ويصفون رأيه بأنه رأي أمراه. (فلان أرابو الا اراي امرا).

ولذلك ينبغي على المرأة ألا تبدي أي رأي وتترك المجال للرجال فيما يخص القضايا التي تلتزم نوع من الفطنة والحكمة وذكاء. تماشيا مع المثل الذي يقول «شاوروهن وخالفهن»، كون الاعتقاد في رأي المشورة بالنسبة للرأي الذي تبديه المرأة يجعل الرجل يحكم على نفسه بالهلاك حسب المثل لي يقول «أزين أرايهم يلوح لصدرة فيها لفعى»، كون المرأة في التصور الشعبي لأهل الصحراء هي تتميز بالحيلة والمكر والدهاء أكثر من اعتمادها علي الفطنة والعقل كون الصفة التي تتصف بها «الشيطان» كون كل الماسي التي حلت بالبشرية وبسبب حواء التي أغوت آدم بتواطؤ مع إبليس وعندما تقع أي مشكلة من لمشاكل تنسب إلي المرأة ويضعون عليها اللوم، حسب المثل القائل: «ما كاينه بليه ماسيتها وليه»، أي أن «وجود أي مصيبة هو سببها المرأة»، بالإضافة إلي تشاؤم من رؤية المرأة أيضا صباحا، ويستعبد مشاركتها في كل ما يتعلق بالرزق والبركة، إلا ان كانت كبيرة في سن ومعروفة ببركتها وصدق الأمانة، وارتباط حالة الزوج المادية ان كانت مستحسنة وفقره وقله الصحة بزوجته كفال شؤم أو خير عليه، حيث هذا التطير يتعدى المرأة إلي فئات أخرى بالمجتمع الصحراوي هي الأخرى تنذر بالشؤم والنحس إلي فئة «العبيد والصناع – الحرفيين»، لأن بعض الناس يحسون بتشاؤم من رؤية الحداد صباحا ويفضلون رؤية العبد الأسود، وفي المساء تنقلب الأمور بحيث يتطرون من رؤية العبد ويستبشرون خيرا في رؤية الصناع.

والأسر الصحراوية يفضلون الأطفال الذكور من حيث الاهتمام أكثر مما يحظى به ميلاد الإناث، فالأب الذي يبشرون بميلاد الأنثى يسخر منه أصدقائه، بل يحاولون أن يشدو من أزره بعد هذه المسؤولية التي ألقيت على عاتقه، حيث يقال له (طاحت عليه نواله) والنواله هي سور من الحجارة ومجموعة من الأشجار تخصص للطبخ، أما أن بشر بمولود ذكر فهم يبادرون إلى تهنئته ويقولون انه (زادت عندو

خيمة)، ويعتقد البعض من الأهالي. ان دعاء الأطفال الصغار يستجاب له أكثر من الكبار، وأن ذوي العاهات كالضربير والأخرس يعوضهم الله بالخير والبركة مقارنة مع الناس العاديين، بالإضافة إلى اعتقاد بعض الأهالي ان الطفل الذي يزداد بزيادات في جسمه مثلاً له ستة أسابيع عوض خمسة يكون مباركا، أما الذي يولد وينقصه أحد الأعضاء في جسده كأن يكون «أعور أو مبتور اليد أو الرجل فيعتقدون أنه فأل شؤم. ناهيك عن مسألة تخطي الشخص لأحدهم وهو نائم أو مستيقظ مخافة أن يكون واضعا «حجاب» أو «كتاب يحمل أسماء الله الحسنى»، ما كره تمرير الحليب من فوق جسد الشخص المستلقي، ولا يجذب أيضا ضرب الشخص على كتفه اعتقادا منهم أن ذلك يضر بأخيه الذي يليه ويؤثر عليه.

وختاما، تبقى هذه السطور ماهي إلا محاولة يتيمة منا كغيورين للحفر بعمق في الفرشة الذهنية للإنسان الحساني، وأهمية حضور المرأة في الموروث الثقافي الشفهي. والذي يلامس موضوع الأنثروبولوجيا الثقافية والتي تعالج قضايا راهنيه منها قضية المرأة التي تدخل في صلب الاهتمام بالتنمية والثقافة والتراث. في خضم اهم التطورات والتحولات الحديثة والسريعة التي مست ثقافة مجتمع البيضان، المجتمع الذي كانت ولا زالت تشكل فيه المرأة محور اهتمام ودراسة خاصة في ظل دخولها مع الرجل معترك الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. في الوقت الذي يتفق الكثيرون على أن الثقافة الحسانية في الصحراء المغربية يغلب عليها الطابع الشفاهي ما يعرضها للضياع والاندثار. وهو ما ينبغي تجاوز النظرة الفولكلورية والبحث عن العطاء العلمي والدين والفكري والأدبي لأهل الجنوب. وهل هناك في المستقبل القريب اقتراحات عملية لصون هذه الثقافة وجعلها حاضرة باستمرار في الحياة اليومية بالمنطقة؟ سؤال يظل مطروحا للأجيال القادمة.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- الإمام محمد الشيخ بن الشيخ ماء العينين، الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة في مركب وبسيط، دار الفرقان، الدار البيضاء، 1985.
- رجال بوبريك، دراسات صحراوية المجتمع والسلطة والدين، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط 2 الرباط المغرب، 2008.
- شيخ محمد الامام، الجأش الربيط في الدفاع عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، تحقيق محمد الظريف، تقديم ماء العينين ماء العينين، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، 2013.
- الغربي محمد، الساقية الحمراء ووادي الذهب، دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون سنة.
- فائزة رداد عزيز العتيبي، الجن في الشعر العربي إلى آخر العصر العباسي، دار الانتشار العربي، النادي الأدبي في منطقة الباحة، ط 1، المملكة العربية السعودية، 2017.
- كاميل دولز، خمسة أشهر لدى البيضان في الصحراء، ترجمة وتقديم حسن الطالب، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط 1، الرباط، المغرب، 2015.
- مصطفى وأعراب، المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، يناير 2007.
- ولد عبد الله العتيق أحمد بابا، تاريخ حياة الشرفاء أهل باركله أخلاقهم وعاداتهم، الطبعة الثانية، نواكشوط، موريتانيا، 2008.

المجلات والمنشورات العلمية:

- مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 13-14، السنة الخامسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
- مجلة ثقافة الصحراء، فصلية ثقافية متخصصة تصدرها جمعية متحف الطانطان، المرأة في مجتمع البيضان سؤال الكينونة، العدد الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، خريف 2015.
- مجلة دعوة الحق، المرأة في حضارة الغرب الإسلامي، القسم الثاني مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، السنة الثالثة والخمسون، العدد 399 ربيع الأول 1432، مارس 2011.

باللغة الأجنبية:

- Strauss Claude (levi) « **les structures élémentaires de la parenté** », Mouton et Co, Paris, 1967, p, 527.

فرص تدريس التاريخ في التعليم الثانوي بالمغرب عبر الألعاب الإلكترونية: نموذج لعبة Assassin's Creed

مراد الزكراوي

طالب باحث في سلك الدكتوراه
مختبر تاريخ، لغات، تراث وعمارة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المغرب.



ملخص

تأثرت المدرسة المغربية منذ بداية القرن الواحد والعشرين بالمد الرقمي الذي عرفته البلاد شأن باقي بلاد المعمور، خاصة في السنوات الأخيرة، مع انخفاض تكلفة الأجهزة الرقمية وانتشار استعمال الانترنت المحمول، وأيضاً بما فرضته جائحة كورونا من ضرورة اللجوء إلى الرقمنة في جميع مجالات الحياة اليومية. وبذلك أصبحت المدرسة في مواجهة مباشرة مع الحاجيات المتزايدة للمتعلمين، الذين تعودوا على وفرة المعلومات وسهولة الوصول إليها، وكذا التعامل مع برامج وتطبيقات تتفاعل معهم وتساهم في رغبتهم. من هذا المنطلق اجتهد البيداغوجيون للبحث عن طرق تدريس وتعلم أكثر فاعلية وإنتاجية، ومنها على سبيل المثال التعلم النشط والتعلم المقلوب، مع استثمار كل ما يمكن أن تقدمه التكنولوجيات الحديثة من مصادر للتعلم ومكتبات وتطبيقات وبرامج تعليمية، بل وحتى الألعاب الإلكترونية. إن الحديث عن تطبيقات وبرامج الهواتف الذكية واللوحات المسسية يدفعنا للتفكير في موضوع الألعاب الإلكترونية، التي يقضي معها الأطفال والمراهقون أوقات طويلة دون ملل. في مقابل ذلك يعاني الآباء والأمهات مع هذا الوضع الذي قد يصل إلى الإدمان، وما قد يظهر معها من أعراض جانبية صحية أو نفسية.

كلمات مفتاحية: التربية، التعلم الرقمي، الألعاب الإلكترونية، لعبة Assassin's Creed

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الزكراوي، مراد. (2024، أبريل). فرص تدريس التاريخ في التعليم الثانوي بالمغرب عبر الألعاب الإلكترونية: نموذج لعبة Assassin's Creed. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 289-305.

Abstract

The Moroccan educational system has been influenced by the digital wave since the beginning of the 21st century, reflecting the global trend experienced by other countries. This impact has become particularly pronounced in recent years due to the decreasing cost of digital devices and the widespread use of mobile internet. The COVID-19 pandemic has further emphasized the necessity of digitization in various aspects of daily life, including education. Consequently, schools find themselves directly confronting the increasing needs of learners who are accustomed to the abundance of information and easy access to it, as well as interacting with programs and applications that align with their preferences. In response to these challenges, educators have diligently sought more effective and productive teaching and learning methods. Examples include active learning and flipped classrooms, leveraging the resources offered by modern technologies such as learning libraries, educational applications, and even electronic games. The discussion of smartphone and tablet applications leads us to consider the topic of electronic games, where children and teenagers spend extended periods without boredom. However, parents face challenges as this behavior can lead to addiction and potential health or psychological side effects.

Keywords : Education, Self-directed Learning, Electronic Games, Assassin's Creed game

تقديم

تأثرت المدرسة المغربية منذ بداية القرن الواحد والعشرين بالمد الرقعي الذي عرفته كل بلاد المعمور، خاصة في السنوات الأخيرة، مع انخفاض تكلفة الأجهزة الرقمية، وانتشار استعمال الأنترنت، وأيضا بما فرضته جائحة كورونا من ضرورة اللجوء إلى الرقمنة في جميع مجالات الحياة اليومية. وبذلك أصبحت المدرسة في مواجهة مباشرة مع الحاجات المتزايدة للمتعلمين، الذين تعودوا على وفرة المعلومات، وسهولة الوصول إليها، وكذا التعامل مع برامج وتطبيقات تتفاعل معهم وتسائر رغباتهم. من جهة أخرى، ارتفع ارتباط المتعلمين بتطبيقات من جيل جديد، ومنها مواقع التواصل الاجتماعي، وبدرجة أكبر الألعاب الإلكترونية بجميع أنواعها.

من هذا المنطلق اجتمع المنظرون، والباحثون التربويون، من أجل إيجاد طرق تدريس وتعلم أكثر فعالية وإنتاجية، ومنها على سبيل المثال التعلم النشط، والتعلم المقلوب، مع استثمار كل ما يمكن أن تقدمه التكنولوجيات الحديثة من مصادر للتعلم، ومكتبات وتطبيقات، وبرامج تعليمية، بل حتى الألعاب الإلكترونية.

إن الحديث عن تطبيقات وبرامج الهواتف الذكية، واللوحات اللمسية، يدفعنا للتفكير في موضوع الألعاب الإلكترونية، التي يقضي معها الأطفال، والمراهقون، أوقات طويلة دون ملل. في مقابل ذلك يعاني الآباء والأمهات مع هذا الوضع الذي قد يصل إلى الإدمان، وما قد يظهر معها من أعراض جانبية صحية أو نفسية¹.

أمام هذا الوضع، لا تزال المدرسة المغربية بمناهجها وبرامجها تقدم للمتعلمين من الجيل الرقعي الحالي، دروسا وأنشطة تربوية عبر الكتاب الورقي، ودعامات

¹ واجهت الألعاب الإلكترونية مجموعة من الانتقادات في علاقتها بالتعليم، لكن دون دراسات علمية دقيقة، أنظر: FOURMY, Elise. L'impact des jeux vidéo utilisés en tant qu'objet documentaire sur la motivation des apprenants. Mémoire de master, université de Toulouse, 2017. P 7

بيداغوجية تقليدية، ومناهج وبرامج لم تحين منذ سنوات طويلة. ومنها مادة التاريخ بالتعليم الثانوي؛ حيث تزداد الحاجة الى هذه الوسائط والتقنيات، من أجل تجاوز إكراهات التموّج في الزمن، أو لإضفاء طابع المتعة، والتشويق لمجموعة من الدروس، والمحاوّر التي قد تكون مملة ومنفرة.

الإشكالية:

في ظلّ تخوف الآباء، والأمهات، والمربين من سلبيات الألعاب الإلكترونية، وأمام الفوارق التي يعيشها المتعلمون بين الإمكانيات المغرية التي توفرها الأجهزة الذكية، مقابل جمود الكتاب الورقي والسبورة. يمكن التساؤل حول إمكانية استثمار الجانب الإيجابي للألعاب الإلكترونية من أجل دعم التعليم، والتعلم الذاتي خاصة، في مادة التاريخ في التعليم الثانوي بسلكيه الإعدادي والتأهيلي.

منهج وأدوات البحث:

تم إنجاز هذا البحث باعتماد المنهج الوصفي، والاستعانة بالاستمارة لجمع معطيات إحصائية تهتم الفئة المستهدفة، وهم تلاميذ مستوى الثانوي بسلكيه، وذلك عبر عينة عشوائية من تلاميذ مستوى الثانية ثانوي إعدادي (90 تلميذ وتلميذة)، وتلاميذ مستوى أولى بكالوريا (90 تلميذ وتلميذة) من ثلاث مؤسسات للتعليم الثانوي الإعدادي، وثلاث مؤسسات للتعليم الثانوي التأهيلي، تابعة للمديرية الإقليمية بفاس، إضافة إلى استمارة تم توزيعها على آباء وأمهات التلاميذ (120 أب، وأم، لتلاميذ مستوى الثانية ثانوي إعدادي بمديرية فاس). بالإضافة إلى هذه الأدوات، قمنا بتجريب لعبة إلكترونية، وتحليل مضمونها مع الاستعانة بمقالات علمية حول اللعبة الإلكترونية نفسها.

1. الإطار المفاهيمي:

1.1- الألعاب الإلكترونية:

إن ظهور الألعاب الإلكترونية حسب Alain LE DIBERDER كان في سبعينيات القرن العشرين. ومنذ تلك الفترة إلى الآن، عرفت هذه الألعاب تطوراً عبر مراحل؛ حيث انطلقت بألعاب بسيطة تمارس عبر جهاز بسيط، وجهاز عرض، وهو التلفاز (مثل لعبة PONG). ثم ظهور جهاز "ATARI" ومعه لعبة "PAC MAN" لشركة NAMCO اليابانية. فيما تميزت المرحلة الموالية بدخول جيل جديد من الألعاب مع شركة "SONY"، وهو جهاز "Play Station"¹. ثم بعد ذلك جاءت مرحلة اللعب الجماعي عبر شبكة الأنترنت، ومنها تفرعت أنواع جديدة من الألعاب، خاصة بعد طرحها على منصات التحميل المجاني بالهواتف الذكية، واللوحات اللمسية.

فطرياً يميل الأطفال والمراهقون إلى اللعب، الذي من خلاله يتم اكتساب مجموعة من المهارات والمعارف التي تسهم في بناء الشخصية، وتطور المستوى الإدراكي والعلمي لدى هاته الفئة العمرية. وهو ما أكدته العديد من النظريات حول اللعب، منها النظريات التقليدية، ونذكر هنا نظرية الطاقة الزائدة لـ "فريدريك سيلبر"، و"فان شيلر"، التي تقول بأن للطفل طاقة زائدة يجب تفريغها في عدة أشكال منها اللعب. ونظرية التدريب على المهارات لـ "كارل غروس" الذي يعتبر اللعب غريزة طبيعية تسمح للطفل بالتمرن، والتثبيت من أجل الإعداد للحياة الناضجة.²

في حين تذهب النظريات المعاصرة للعب، ومنها نظرية التحليل النفسي لـ "سيكموند فرويد"، التي توصلت إلى أن الاضطراب لدى الأفراد يعود لتأثير الخبرات

¹ LE DIBERDER Alain, « Le modèle économique des jeux vidéo, un colosse en péril », *Hermès, La Revue*, 2012/1 (n° 62), p. 136-143

² عدنان عارف مصبح، التربية في رياض الأطفال، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن 1990 ص 48

المبكرة التي تعرض لها الأفراد في بداية حياتهم، وللعب في هذا السياق وظيفة نفسية لتخفيف ما يعانيه من صراعات داخلية، وقلق نفسي وتوتر يومي.¹

هذه الألعاب التي تحدثت عنها هذه النظريات، تدفعنا للتساؤل عن موقع الألعاب الإلكترونية منها؟

سنستند هنا إلى نظريات "جون بياجي" الذي يعتبر اللعب عنصراً أساسياً في نمو الطفل، حيث ينطلق من الألعاب الحسية الحركية، التي تتضمن احتكاكا مع الأجسام. لينتقل بعد ذلك إلى استعمال اللغة، ثم في مرحلة موانية يتفاعل مع الألعاب الرمزية التجريدية. وفي مراحل لاحقة من التطور، يكتسب الطفل المهارات الاجتماعية المتعلقة باللعب (التعاون، وفهم قواعد اللعبة، وتبادل الأدوار، وإدارة العواطف والتحكم فيها) ثم لاحقاً، فهم المفاهيم، والقواعد المرتبطة باللعبة، الأمر الذي يتطلب مستويات أعلى للتجريد والتعميم.² انطلاقاً إذا من نظريات "بياجي"، في أي تصنيف يمكن أن نضع الألعاب الإلكترونية؟

إن هذا النوع من الألعاب، لا يستخدم كائنات أو أشياء ملموسة، بل مجموعة من الصور والأصوات وأحياناً بعض النصوص. هذه الصور، والألوان، والأصوات، والحركات، هي إذا علامات ذات معنى سيميائي، بمعنى أنها تمثل أشياء أخرى غير الذي جاءت به. هنا يأتي دور الأطفال في استعمال هاته العلامات من أجل تقمص الأدوار، أو إنجاز مهام عبر تحريك خيالهم الواسع، كما تمكنهم على المستوى النفسي من أخذ القرارات وتجاوز وضعيات صعبة، وإظهار مشاعرهم نحو الآخر، عبر شخصيات خيالية توجد باللعبة الإلكترونية.

¹ ليلي يوسف، سيكولوجية اللعب والتربية الرياضية، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو-مصرية، مصر 1962، ص 30-31

² Quinche, F. Enseigner et apprendre avec les jeux vidéo dans une haute école pédagogique ? Journal de l'Association Comenius / Journal of the Comenius Association, 28, 2019. P 12

2.1- التلعيب:

ظهر مصطلح التلعيب (Gamification) سنة 2008، ولم ينتشر بشكل موسع إلا في العشرية الثانية للقرن الحالي، وبلغ أوجه متصدرا المشهد التعليمي ابتداء من سنة 2017.¹

ينبغي التأكيد في البداية أن التلعيب ليس هو اللعب، بل هو استعمال لعناصر اللعب لغرض التحفيز، والمشاركة الفعالة لإنجاز عمل ما². كما أن التلعيب ليس هو اللعب الجاد، الذي لا يستعمل إلا ألعاب التعلم. إن التلعيب باختصار هو استعمال عناصر، وتقنيات اللعب، في بيئة تعليمية مواكبة للطفرة الرقمية، مثل المكافأة، والسيناريو، وحبكة القصة، والتغذية الراجعة، والعمل في الفريق.

ويهدف التلعيب للرفع من منسوب المتعة، والشغف، والتركيز لدى المتعلم، وهو ما يفقد لحد كبير في الطرق التقليدية للتعليم. ويولد له نفس الانخراط، والانغمار الذي يعيشه أثناء اللعب، عندما يطلب منه أداء مهمة معينة.

إن مقارنة التلعيب أصبحت تفرض نفسها في الوسط التعليمي لأن جيل المتعلمين الحالي اعتاد عليها عبر التطبيقات، والبرامج المعلوماتية³، كما أنها تمكن من تحويل التدريس من لحظات عمل وجد إلى متعة، وهذا ما قد نحتاجه بشدة في دروس التاريخ للفئة العمرية التي تتكون من الأطفال والمراهقين.

لا يرتبط التلعيب بالضرورة بالأجهزة الرقمية ولا التكنولوجيات الحديثة، حيث يمكن اعتماده حتى داخل الفصول الدراسية دون حواسيب ولا لوحات لمسية. غير أنه يحقق نتائج أفضل عبر التطبيقات والبرامج المعلوماتية، وذلك بتوظيف

¹ ورد ب "دليل التلعيب" ضمن الحقيبة التكوينية لمشروع APT2C ص 12

² BRASSIER Pascal, RALET Patrick, « La gamification pour apprendre : perceptions des acteurs et pistes de développement », @GRH, 2021/2 (N° 39), p. 29

³ BRASSIER Pascal, RALET Patrick, op. cit, p. 33

المكافآت، وتحقيق مستويات التعلم، وشارات التميز (les badges) وملاحظة الترتيب (les classements)، وإنجاز التحديات.

يمكن استعمال أساسيات التعليب لمختلف المستويات الدراسية، من التعليم الأولي والابتدائي حتى الجامعي. كما يمكن أن يحقق النتائج نفسها على جميع المواد الدراسية، بما فيها الرياضيات والفيزياء، والتاريخ والجغرافيا.

2. أنواع الألعاب الالكترونية وعلاقتها بالتعليم:

في دراسة لـ "سيتزمان تريسي" تم مقارنة التعليم القائم على الألعاب، مع التعليم التقليدي¹، وقد خلصت هاته الدراسة إلى أن "التعليم القائم على الألعاب، يزيد من ثقة المتعلم بنفسه بنسبة 20% تقريبا، ويغني المعارف المفاهيمية بنسبة 11%، ويتيح نجاعة تصل إلى 300% من المهام المنجزة". هذا ما يؤكد أن هناك جوانب إيجابية للألعاب الإلكترونية في علاقتها بالتعليم، سواء كنشاط صفي، أو تقنيات داعمة، أو من أجل التعلم الذاتي. وبذلك يمكن استثمار هاته الفرص ضمن ممارسة المتعلمين لهوايتهم المفضلة خارج المؤسسة، أو حتى داخل الفصل الدراسي تحت إشراف المدرس.

فنتائج الاستمارة² التي وزعت على المتعلمين بمجموعة من المؤسسات التعليمية بفاس، ذهبت إلى أن 95% من المتعلمين يواظبون على اللعب يوميا عبر الهواتف الذكية، واللوحات اللمسية وأجهزة اللعب (les consoles de jeux). هذا الاهتمام له مجموعة من الأسباب التي تفسره، حيث أفرزت الاستمارة نفسها النتائج الآتية:

¹ دراسة لـ "سيتزمان تريسي" وردت في دليل التعليب لوزارة التربية الوطنية:

Sitzmann, Traci. "A Meta-Analytic Examination of the Instructional Effectiveness of ComputerBased Simulation Games." Personnel Psychology, 64. 2011

² استمارة تم توزيعها على 120 أب وأم تلاميذ (مستوى الثانية ثانوي إعدادي)، بثلاث أحياء شعبية هامشية بمدينة فاس، إنجاز الباحث.

- جميع المنازل تتوفر على جهاز رقمي (هاتف ذكي واحد على الأقل)؛
- جميع المنازل تتوفر على ربط إنترنت (ولو متقطع)؛
- تكلفة الأجهزة الرقمية وربط الأنترنت في متناول الجميع ويدخل في الاهتمامات الأولى للأسر المغربية.

هاته بعض الشروط التي تسهم بشكل مباشر في انتشار استهلاك الألعاب الإلكترونية في الوسط المدرسي. وهو ما دفعنا للتساؤل حول أنواع هذه الألعاب، وعلاقتها بالتعليم. في هذا السياق، وبناء على أبحاث Van Eck¹، يمكن أن نصنف الألعاب الإلكترونية إلى ثلاثة أصناف رئيسية، وهي:

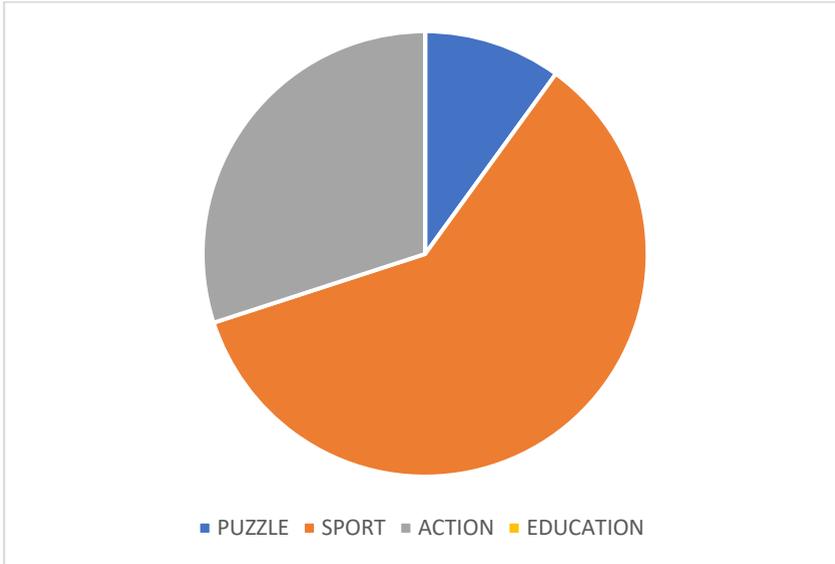
- (1) الألعاب الجادة التعليمية (Serious Game): وهي ألعاب ذات أهداف تعليمية صرفة، تستثمر الإمكانيات التقنية ومنتعة للعب لتحقيق أهداف تعليمية؛
- (2) الألعاب التجارية التي يمكن استثمارها في التعليم (Commercial Video Games): وهي ألعاب تجارية للتسلية، يمكن استثمارها لأهداف تعليمية. ومنها اللعبة الشهيرة "Minecraft"، وهي أكثر الألعاب استهلاكاً في العالم؛ حيث تم تجربتها لتدريس العديد من التخصصات، مثل الرياضيات، والفيزياء، والتاريخ، والجغرافيا؛

- (3) برامج تيسر برمجة الألعاب التعليمية، مثل البرنامج المجاني "Scratch". من جهة أخرى، يمكن تصنيف الألعاب وفق معايير متنوعة ومتعددة. سنعتمد التصنيف الذي تطرحه منصة تحميل الألعاب التي يلجأ إليها معظم تلاميذ التعليم الثانوي، لمعرفة أكثر الألعاب استهلاكاً لديهم. هذا التصنيف هو كالاتي:

¹ FOURMY, Elise op,cit. P8

- الألعاب التعليمية (Jeux éducatifs).
- ألعاب المغامرات (Jeux d'aventure).
- ألعاب الإثارة (Jeux d'Action).
- ألعاب التفكيك، والتركيب، والألغاز (Jeux de Puzzle).
- ألعاب محاكاة الحياة اليومية (Jeux de Simulation).

انطلاقاً مما سبق، نتساءل حول نوعية الألعاب التي يمارسها المتعلمون في الفئة العمرية التي تدرس بالتعليم الثانوي بسلكيه. وبناء على ذلك قمنا بتوزيع استمارة على مجموعة من المتعلمين¹، وكذا استثمار الاحصائيات التي تقدمها منصات تحميل الألعاب الإلكترونية²، فكانت النتائج على الشكل الآتي:

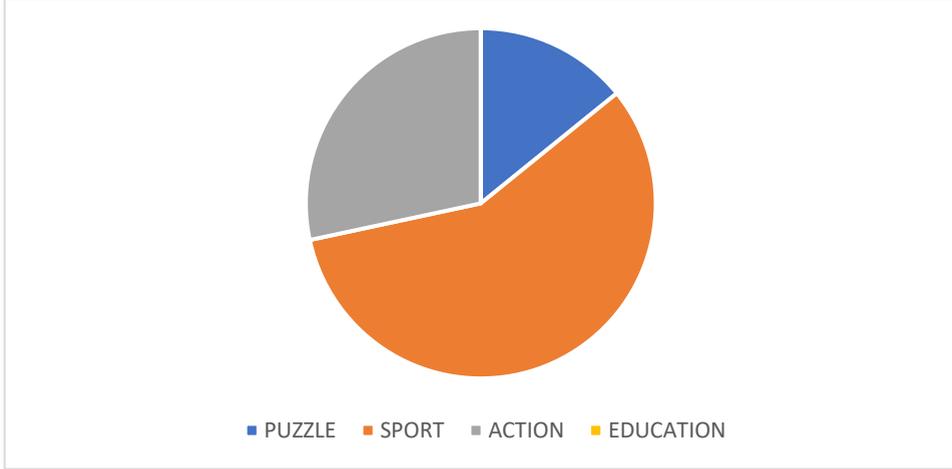


توزيع أنواع الألعاب الإلكترونية حسب العشرة الأكثر تحميلاً بالمغرب
(منصة PLAY STORE) مارس 2023

¹ تم توزيع استمارة على 90 تلميذ من مستوى الثانية ثانوي إعدادي، و90 تلميذ وتلميذة من مستوى أولى باكوريا.

² تم اعتماد احصائيات منصة PLAY STORE بتاريخ 14 مارس 2023.

يتضح من خلال هذا المبيان، أن أغلب المستهلكين يفضلون ألعاب الرياضة، والإثارة، والمغامرات، مقابل غياب تام للألعاب التعليمية. أما الفئة العمرية التي تدرس بمستويات التعليم الثانوي بسلكيه (الإعدادي والتأهيلي) فكانت النتائج على الشكل الآتي:



توزيع أنواع الألعاب الإلكترونية الأكثر استهلاكاً من طرف المتعلمين (الاستمارة)

من خلال نتائج هذه الاستمارة، نلخص إلى أن أغلب المتعلمين المستهلكين للألعاب الإلكترونية يفضلون الألعاب التنافسية الرياضية، أو ألعاب الإثارة، وفي درجة أقل ألعاب التفكيك، والتركيب، والألغاز. مع غياب تام للألعاب التعليمية. مع الإشارة هنا أنه يوجد اختلاف بين الذكور والإناث في نوعية الألعاب ومضمونها. وبذلك نستنتج غياب دور الأسرة، والمدرسة، في توجيه المتعلمين نحو الألعاب التعليمية.

في هذا السياق، لابد من الإشارة إلى أن وزارة التربية الوطنية بالمغرب لم تغفل أهمية دور الألعاب الإلكترونية في التعليم، حيث أصدرت دليل الألعاب سنة 2009. ثم انتقلت للاهتمام بالألعاب الإلكترونية عبر مشروع "Minecraft Education"

عندما وضعت له مجموعة من الأهداف¹، ومن بينها: اكتشاف طرق جديدة للتعلم من خلال اللعب، وإنشاء نواة مجتمع تعليمي خاص باللعب كوسيلة تعليمية فعالة، وتنظيم ورشات تكوينية لفائدة الأساتذة حول استخدام لعبة "Minecraft" لخدمة الأهداف التعليمية. كما عملت على تدريب الأساتذة من إنتاج دروس باستخدام ماينكرافت. وانخرطت في برنامج دولي لتعميم البرمجة للتلاميذ عبر "Scratch" ومنها تصميم الألعاب الإلكترونية.

هذا الاهتمام المتزايد بالألعاب الإلكترونية في صفوف الناشئة واكبه اهتمام حكومي أيضا؛ حيث تم تأسيس الجامعة الملكية المغربية للألعاب الإلكترونية سنة 2021 من أجل تشجيع، وتحسين ظروف ممارسة هذه الألعاب، وتنظيم مسابقات وطنية، لمسيرة التطور الذي يعرفه العالم في هذا المجال².

3. استثمار الألعاب الإلكترونية في تدريس التاريخ (نموذج Assassin's Creed):

صدرت لعبة "Assassin's Creed" لأول مرة سنة 2007، من طرف الشركة الفرنسية "UBISOFT". وبعد النجاح الذي حققته النسخة الأولى، تم إنتاج نسخ أخرى تتحدث عن أماكن وأحداث تاريخية متنوعة، باعتماد الخيال العلمي من جهة، وكذا المعطيات التاريخية الدقيقة من جهة أخرى³.

تناولت دراسة للباحث⁴ Romain Vincent نشرت سنة 2021، حول الفرص المتاحة لاستثمار لعبة Assassin's Creed دعامة ديدكتيكية لتدريس مادة التاريخ بالتعليم الثانوي الإعدادي في إحدى المؤسسات التعليمية في نواحي مدينة باريس.

¹ أنظر المذكرة الوزارية رقم 0900/21 الصادرة بتاريخ 06 أكتوبر 2021

² أنظر الموقع الرسمي للجامعة الملكية المغربية للألعاب الإلكترونية: frmje.ma

³ <https://www.ubisoft.com/fr-fr/game/assassins-creed>

⁴ VINCENT Romain, « Du jeu vidéo au document de travail : la scolarisation d'Assassin's Creed », *Le Temps des médias*, 2021/2 (n° 37), p. 183-199

موضوع الدرس التجريبي كان حول الثورة الفرنسية، وتم تقديم هاته اللعبة مباشرة بعد إنجاز الحصّة الدراسية داخل الفصل. الجزء الذي تناولته اللعبة كان حول لحظة اقتحام السجن الملكي "la Bastille"، وقد حققت اللعبة حسب الباحث نتائج مهمة من حيث فهم المضمون والتفاعل مع الأحداث، كما عبر المتعلمون عن متعة كبيرة أثناء إنجاز الدرس. الدراسة العلمية التي أنجزت حول هاته اللعبة، سلطت الضوء على أربعة جوانب، وهي: السرد، والحكاية، والإعلام (médiatique)، والبيداغوجيا، والمتعة والمرح (ludique).

إن اختيار هذا النوع من الألعاب التجارية الصرفة له ما يبرره، فهي توفر -مقارنة مع الألعاب الجادة serious game- إمكانات رسومية رقمية جد متطورة، من فيديوهات، وتحريك، وصور، وأصوات قريبة للواقع، مقارنة مع الألعاب التربوية التي تخصص لها إمكانات إنتاج متواضعة. ليكون الدور الرئيسي للمدرس في مثل هذا النوع من الألعاب هو التوجيه، أو تحويل تلك اللعبة لمجموعة من الوضعيات التعليمية وفق المستوى الدراسي للمتعلمين.¹ والنموذج هنا لعبة Assassin's Creed التي تنتقل بالمتعلمين إلى وضعية افتراضية تحاكي الأجواء التي عاشتها الإنسانية في عدة عصور وأمكنة، ومنها الحضارة المصرية القديمة، وعصر الحملة الصليبية الثالثة، والثورة الفرنسية، والثورة الأمريكية.

بالإضافة إلى الأدوار البيداغوجية التي يمكن أن تحققها الألعاب الإلكترونية من حجم Assassin's Creed في درس التاريخ، فإنها تحمل في طياتها قصصا وروايات تاريخية ينبغي التحقق منها. هذا ما قامت به مجموعة من الدراسات العلمية المنشورة، خاصة بعد ردود الأفعال التي خلفتها بعض أجزاء هاته اللعبة، فيما يخص الجانب الإيديولوجي منها.² في المقابل تبرر شركة UBISOFT المنتجة لهاته اللعبة، أن

¹ Quinche, F.op,cit, 28, p 14

² VINCENT Romain, « Du jeu vidéo au document de travail : la scolarisation d'Assassin's Creed », *Le Temps des médias*, 2021/2 (n° 37), p. 187

فريقا من الأساتذة الباحثين في التاريخ يسهر على تتبع مصداقية المعطيات التاريخية التي تقدمها اللعبة، هذا ما دفع أحد الباحثين لاستجواب مجموعة من المؤرخين الذين استشارتهم هذه الشركة فيما يخص المحتوى العلمي والتاريخي¹. ومما جاء في هذه الاستجوابات أن التدقيق التاريخي قدم منتوجا يمكن الثقة به، بل تجاوز السرد التقليدي، وتعمق في الحياة اليومية للمجتمع والذهنيات، بل حتى في الهندسة المعمارية للمباني في فترات دقيقة من التاريخ، ونوع اللباس، وشكل الأرزقة، وتفاصيل أخرى أثارت إعجاب المؤرخين أنفسهم.

للإشارة، فإن الشركة المالكة للعبة Assassin's Creed تقدم نسخة تعليمية منها، خالية من مشاهد العنف، وتتضمن زيارات افتراضية لعدة مدن ومناطق عاصرت أحداثا تاريخية مهمة، مثل الحضارة المصرية الفرعونية، أو مدينة باريس في عهد الثورة الفرنسية. في نفس السياق، يقدم بعض أساتذة التاريخ بالتعليم الثانوي بالمدارس الفرنسية، مقاطع فيديو ومشاهد من هاته اللعبة، في العديد من الدروس للمتعلمين².

إن استثمار لعبة بهذه الإمكانيات الرقمية الهائلة تعوقه مجموعة من المشاكل، من أهمها:

- هذه اللعبة غير مجانية، وتطرح للبيع بأسعار مرتفعة (حوالي 500 درهم).
- تشترط النسخة الرسمية تجاوز المستعمل 18 سنة.
- يتطلب اللعب فيها تخصيص أوقات طويلة تتجاوز المدة المخصصة لتدريس حصص للتاريخ.

¹ Éthier, M.-A. & Lefrançois, D. QUELLE LECTURE LES HISTORIENS D'ASSASSIN'S CREED FONT-ILS DE CE JEU VIDÉO D'HISTOIRE ? Revue de recherches en littérature médiatique multimodale, 7. Mai 2018

² ibid p. 191

- تتضمن أغلب لحظات اللعبة مشاهد العنف والقتال.
- تقدم اللعبة حقائق تاريخية جاهزة، ولا تمنح للمتعلمين فرصة بنائها عبر وثائق ونصوص، أو حتى نقدها والتعليق عليها.

خلاصة وتوصيات:

تؤكد نظريات علم النفس، وعلوم التربية، أهمية اللعب في بناء شخصية الطفل والمراهق. كما تبرز الأرقام الصادرة عن الهيئات الدولية والوطنية، وكذا الاحصائيات التي استقيناها من المؤسسات التعليمية، ارتفاع عدد المستهلكين للألعاب الإلكترونية، لما تحققه من إشباع للحاجات الطبيعية للعب، وكذا المتعة، والتشويق التي تحتويه هذا النوع من الألعاب، خاصة في المواد الدراسية التي تحقق بعض الملل والنفور، مثل التاريخ. وبذلك أصبح من اللازم البحث عن صيغ لإدماج محتويات هذه الألعاب الإلكترونية في الأنشطة الصفية، والواجبات المنزلية، والحياة المدرسية، خاصة الألعاب التربوية والمتوفرة مجاناً عبر منصات تحميل الألعاب. مع تتبع وتوجيه دائم من طرف الأسر والمدرسين.

ولتجاوز الإشكالات التي قد يطرحها الانفتاح على الألعاب الإلكترونية - خاصة الألعاب التجارية- وتماشياً مع الإمكانيات التي تتوفر عليها المؤسسات التعليمية، وأسر المتعلمين، وبالنظر للنتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث. اقترح التوصيات الآتية:

- التحسيس بأهمية استثمار الألعاب الإلكترونية بجميع أنواعها في التدريس، ومنها تدريس مادة التاريخ؛
- تنظيم ندوات، ولقاءات علمية، للنقاش حول استثمار الألعاب الإلكترونية في التدريس؛

- تأسيس مختبرات، بالجامعات المغربية، وبكليات علوم التربية، ومراكز تكوين الأطر التربوية، لتحليل الألعاب الإلكترونية، والحسم في مدى ملاءمتها في العمل التربوي؛
 - إعداد دليل مرجعي للألعاب الإلكترونية التي تلائم كل مستوى دراسي، وفق البرامج والمناهج المغربية؛
 - إنتاج وتطوير ألعاب إلكترونية مغربية، على شكل سلسلة، كل حلقة تتمحور حول فترة زمنية للدولة المغربية عبر التاريخ (المرابطين، الموحدون، العلويين...) على شاكلة فكرة لعبة "ASSASIN'S CREED"؛
 - تشجيع البحث العلمي الوطني في موضوع الألعاب الإلكترونية التربوية؛
 - التفكير في عقد شراكة بين الجامعة الملكية للألعاب الإلكترونية، ووزارة التربية الوطنية.
- تنظيم لقاءات علمية منتظمة تناقش الأهمية العلمية للعبة إلكترونية تجارية معينة، ومدى استثمارها في تدريس التاريخ بالتعليم الثانوي، من طرف الأساتذة بمراكز التكوين، والمفتشين التربويين.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- عدنان عارف مصحح، التربية في رياض الأطفال، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن 1990؛
- ليلى يوسف، سيكولوجية اللعب والتربية الرياضية، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو-مصرية، مصر الطبعة الثانية، 1962؛
- وزارة التربية الوطنية، دليل التلعيب، 2021؛
- وزارة التربية الوطنية، المذكرة الوزارية رقم 0900/21 الصادرة بتاريخ 06 أكتوبر 2021؛

المراجع باللغات الأجنبية:

- FOURMY, Elise. L'impact des jeux vidéo utilisés en tant qu'objet documentaire sur la motivation des apprenants. Mémoire de master, université de Toulouse, 2017;
- LE DIBERDER Alain, « Le modèle économique des jeux vidéo, un colosse en péril », Hermès, La Revue, 2012/1 (n° 62) ;
- Quinche, F. Enseigner et apprendre avec les jeux vidéo dans une haute école pédagogique ? Journal de l'Association Comenius / Journal of the Comenius Association, 28, 2019;
- Gabe Zichermann, Gamification by Design: Implementing Game Mechanics in Web and Mobile Apps;
- BRASSIER Pascal, RALET Patrick, « La gamification pour apprendre : perceptions des acteurs et pistes de développement », @GRH, 2021/2 (N° 39);
- VINCENT Romain, « Du jeu vidéo au document de travail : la scolarisation d'Assassin's Creed », Le Temps des médias, 2021/2 (n° 37) ;

- Éthier, M.-A. & Lefrançois, D. QUELLE LECTURE LES HISTORIENS D'ASSASSINS' CREED FONT-ILS DE CE JEU VIDÉO D'HISTOIRE ? Revue de recherches en littératie médiatique multimodale, 7. Mai 2018;

مواقع الأنترنت:

- الموقع الرسمي للجامعة الملكية المغربية للألعاب الإلكترونية: frmje.ma
- الموقع الرسمي لشركة UBISOFT: ubisoft.com

تحولات قيم الثقافة الشعبية

بين المحلية والعالمية

يوسف شملال

طالب باحث بسلك الدكتوراه

مختبر التراث الثقافي والتنمية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المغرب.



د. عبد المجيد بوفرعة

باحث في اللغة العربية وأدائها

الأكاديمية الجبوية للتربية والتكوين لجهة الشرق

وجدة، المغرب.

ملخص

يُعرف الإنسان بارتباطه بثقافته الأم التي تمي شخصيته وتشكل ملكته الفكرية والوجدانية. كذلك، تعتبر الثقافة المحدد الأساس الذي يستند إليه للتمييز بين الأفراد والجماعات وتصنيفهم، وتحكيم اتماهم لمجموعة بشرية محددة. فالثقافة تتأثر بالتطورات العلمية والتكنولوجية التي شهدها العالم، ما ينعكس على شكلها المادي واللامادي على حد سواء. ومن بين العناصر الأساسية التي تشكل التراث اللامادي للثقافة هي القيم، التي تأتي من مصادر متعددة ومتنوعة، وتساهم في صقل قيم الفرد والمجتمع. تُنقل القيم من جيل إلى آخر، لكنها تتطور مع تقدم الإنسان وتفاعله مع بيئته وثقافات أخرى. وتعتبر قيم الثقافة الشعبية نظامًا يحدد وضع الفرد في مجتمعه، ويشكل أساس العلاقات والروابط بين أفراد المجتمع.

كلمات مفتاحية: الثقافة الشعبية - القيم - الثقافة المحلية - الثقافة العالمية - التراث اللامادي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بوفرعة، عبد المجيد. شملال، يوسف. (2024، أبريل). تحولات قيم الثقافة الشعبية بين المحلية والعالمية. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 306-327.

Abstract

The individual is defined by their connection to their native culture, which shapes their personality and intellectual and emotional world. Similarly, culture serves as the fundamental criterion upon which individuals and groups are distinguished, classified, and their affiliation to a specific human group is adjudicated. Culture is influenced by the scientific and technological advancements witnessed by the world, which is reflected in both its material and immaterial forms. Among the fundamental elements that constitute the intangible heritage of culture are values, which originate from diverse and varied sources and contribute to shaping the values of both the individual and society. Values are passed down from generation to generation, but they evolve with human progress and interaction with their environment and other cultures. The values of popular culture are considered a system that determines an individual's status within their society and forms the basis of relationships and connections among members of the community.

Keywords : Popular culture - Values - Local culture - Global culture - Intangible heritage.

"إن التغيير قانون الوجود، والاستقرار موت وعدم"
الفيلسوف اليوناني هيرقليطس

مقدمة

يُعرفُ الإنسان بالاقتران بثقافته الأم التي صبقت شخصيته وكونت ملكته الفكرية والوجدانية. كما تعتبر الثقافة هي المحدد أو المعيار الأساس الذي نحتكم إليه للتمييز بين الأفراد والجماعات لتصنيفهم والحكم على انتمائهم لمجموعة بشرية معينة دون غيرها. يذهب مجموعة من الباحثين والدارسين لحقل الثقافة إلى اعتبار هذه الأخيرة، أنها نتاج لتراكم التجارب والخبرات التي اكتسبها البشر وتناقلها من جيل إلى جيل، تأثر بها وأثر فيها. فتطور الإنسان ينعكس بشكل أو بآخر على ثقافته، واليوم ندرك سرعة التطور والتحول الذي يعرفه العالم والثقافة بصفة خاصة، بحيث أصبحنا شهود على زمن الصناعات الثقافية. وهذا يحيلنا على القول بأن الثقافة لم تسلم من حركية التطور العلمي والتكنولوجي الذي عرفه العالم؛ وهذا التطور انعكس على الثقافة في شكلها المادي واللامادي على حد سواء. والقيم تعد من بين الأساسيات التي يتشكل منها التراث اللامادي للثقافة. قبل الشروع في تناول موضوع القيم بالدرس والتحليل، لزاما علينا أن نطرح بعض التساؤلات، من قبيل: ما هي القيم؟ كيف تتشكل؟ ما مصادرها؟ ما مكوناتها؟ وما علاقتها بالثقافة؟ هذه الجملة من الأسئلة وغيرها سنحاول أن نَصُوعَ منها الإشكالية التي سنتناول بها هذا الموضوع.

1. التحديد المفاهيمي:

مفهوم القيمة لغة: أشار ابن منظور في لسان العرب، أنها ترجع إلى الفعل قوم وأدرجها على النحو التالي: نقيض الجلوس: وفعلها قوم من القيام وهو نقيض

الجلوس، فهو مأخوذ من قام يقوم قوما وقياماً وقومة وقامة، والقومة المرة الواحدة، ورجل قائم من رجال، قوم وقيم وقيام، ونساء قيم وقائمت¹.

اصطلاحاً: نموذج ذهني نسبي من المعتقدات والتصورات – الإيجابية أو السلبية- منسوجة حول شيء، أو معنى، أو نمط سلوكي، يتحكم في سلوك الناس، وطرائق تفكيرهم، وأحكامهم، واختياراتهم، ومواقفهم، وتصرفاتهم، وذلك بصفة مستمرة نسبياً². ويعرفها ج. دولا نشير على أنها: تعبير عن معايير لأحكام أخلاقية إلزامية، أو تفضيلية، توضح النماذج السلوكية واتجاهات الأفراد نحو أمور الحياة المختلفة³. القيم هي مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس، يتفوق عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم، ويحكمون به تصرفاتهم المادية والمعنوية⁴.

من جانب الدين الإسلامي عرف الشحات القيم الإسلامية بأنها: حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك⁵. في دراسة فولسوم Folsom للثقافة يولي اهتماماً للأنماط والقواعد العامة للتكامل حيث يقول: سوف ننظر للقيمة على أنها نمط أو موقف أو جانب من السلوك الإنساني، أو مجتمع، أو ثقافة، أو بيئة طبيعية، أو العلاقات المتبادلة التي تمارس من شخص أو أكثر، كما لو كانت غاية في حد ذاتها، إنها شيء يحاول الناس حمايتها والاستزادة منها والحصول عليها، ويشعرون

1 ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الكتاب العلمية، مجلد 12، ط 1، 2005، ص: 496.

2 عبد الله العفيفي، نقد القيم مقاربات تخطيطية لمنهاج علي جديد، مؤسسة الانتشار العربي، ط 1، بيروت لبنان، 2006، ص: 21.

3 G. De Landshere : Introduction à la recherche en éducation, Armand-Colin 4^{ème} Ed Paris 1976. P: 182.

نقلاً عن: بوعازي الطاهر، أثر القيم الثقافية الخارجية على قيم الأسرة، مجلة علوم التربية، العدد 57، ص: 34.

4 محمد ابراهيم الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، مكتبة النهضة، ط 1، القاهرة، 1971، ص: 375.

5 أحمد الشحات، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988، ص: 20.

بالسعادة ظاهريا عندما ينجحون في ذلك¹. ويرى سميث أن القيمة تطلق على كل ما هو جدير باهتمام الفرد لاعتبارات مادية، أو معنوية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو دينية، أو جمالية².

يؤكد "غي روشيه" Guy Rocher أن القيم مخصوصة بكل مجتمع، بمعنى أن كل مجتمع يتخذ مُثُلَهُ ومعاييرَه الخاصة به، وهذه القيم ترتبط بشروط تاريخية معينة؛ لأن القيم تتغير بتغيُّر الزمان وتتغير من مجتمع لآخر، بمعنى أن "غي روشيه" يعتقد بأن القيم نسبية، وهي تتضمن -بالإضافة إلى ذلك- شحنة انفعالية، وتستدعي انتماءً عاطفياً وأحاسيس قوية، وهذه الشحنة العاطفية هي التي تفسر الثبات النسبي للقيم عبر الزمن، وهي التي تفسر أيضا المقاومة التي يلقاها عموماً تغيُّر القيم وتبدُّلها داخل أي مجتمع من المجتمعات³.

من خلال هذه التعاريف، يمكننا القول إن تحديد مفهوم القيم يقتصر على تصورين أساسيين يعكسان اختلافاً في المرجعيات. فإما ننظر إلى القيم كمفاهيم مثالية ومبادئ مفارقة ومجردة، وهذا يعبر عن تصوّر فلسفي مثالي، أو نقول إنها تفضيلات تعبر عن رغبات الإنسان في لحظة معينة وفقاً لدوافع معينة، وهذا التعريف يأتي من منظور وضعي أو من منظور العلوم الاجتماعية. ويعني ذلك أننا ننظر إلى القيم على أنها مفارقة للواقع أو تكيف للواقع. وكلا التعريفين في نظرنا لا يستوفي أوجه القيم كما هي، لأن النظر إليها بشكل مفارق سيجعلنا نغفل عن واقع أن القيم تنزل في الحياة الاجتماعية وتتلبس بها وتأخذ أوجهها وأشكالاً مختلفة وهذا يعطينا بعداً إجرائياً وفعالياً، لكن في نفس الوقت حينما نقبل أن نجعل القيم مجرد

1 علي عبد الرزاق جبلي، 2000، ص: 142. نقلا عن: سهام صوكو، واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية، مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري - قسنطينة، 2009، ص: 18.

2 خليل عبد الرحمان المعايطة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، عمان، 2000، ص: 185.

3 عبد الغاني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة، ط 1، فبراير 2006، مركز دراسات الوحدة العربية، ص: 140-141.

إنتاج لواقع إنساني نزرع منها ذلك التجريد، فتصبح مجرد مواقف جزئية يمكن أن تتغير بين لحظة وأخرى.

هناك خط واصل ما بين القيم في مستواها العالي المجرد وبين تنزيلها في الواقع. أي أن القيم هي مبادئ ومعايير نحتكم إليها لنصدر حكماً على شيء، بمعنى أن هناك معيار خارجي وفعل. ومنه يمكننا القول إن القيم يجب أن نعرفها بين المثالية والوضعية إن جاز هذا التعبير.

2. مصادر القيم:

للقيم مصادر متعددة ومتنوعة، نذكر منها ما يلي:

- **الدين:** يعد الدين محددًا ومرجعًا أساسيًا للسلوك الإنساني، فالدين مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية يعمل عن طريق مؤسساته المختلفة على تلقين الأفراد مختلف القيم والمبادئ المتعلقة بهذا الدين ويعتبر كذلك جوهر القيم الخلقية، وكل ديانة لديها مبادئها أو نسقها القيمي الخاص بها إن صح قول ذلك، وتعرض الكثير من العلماء إلى علاقة الدين بالظواهر الاجتماعية الأخرى بصفة عامة وكذا علاقته بسلوكيات وتصرفات الأفراد على غرار "دوركايم" و "فيبر"¹.

- **الأسرة:** تعتبر الأسرة وسيلة اتصالية تربط بين جيلين متتاليين عن طريق تنشئة أطفال كل جيل على القيم والمبادئ والمعايير والسنن الاجتماعية للجيل السابق، فالأسرة تقوم بنقل التراث من جيل إلى جيل، ومن أجل تكوين شخصية الفرد وتربيته جسدياً وعقلياً وروحياً، وهي تقوم بترسيب في أعماق الصغار ما تريد ترسيبه من معتقدات وقيم، ومنه يمكن التأكيد على دور الأسرة كوسيط هام

1 بلمادي أحلام، سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، العدد 7، 30 يونيو 2016، ص: 109.

وأساسي بين الثقافة والفرد من خلاله يتحقق غرس القيم أو تغييرها في نفوس الأبناء¹.

- **التعليم:** يساهم التعليم بصورة كبيرة في نشر قدر من الوعي لدى الأجيال المتلاحقة لأجل بناء مجتمع قوي ومتماسك، وتبقى الأمية من المشاكل التي تعاني منها دول العالم الثالث وتعد عائقا من عوائق التقدم الاقتصادي وفي هذا الصدد يقول "محمد إقبال": إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض أشد قوة وتأثير من أي مادة كيميائية فهو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة من تراب².

ويلعب التعليم هنا دورا هاما في عملية ترسيخ القيم الإيجابية في الإنسان حتى يصبح الإنسان متعلما، ومثقف، ومؤهل مهنيا، ومحترم للقانون، ومنضبط في الوقت المقدر للعمل، والمتفاني في خدمة وطنه. ويعتبر مستوى التعليم متغيرا حاسما وذا أهمية، فهناك فجوة في القيم بين المرتفعين والمخفضين في مستوى التعليم³.

- **الإعلام:** تلعب وسائل الإعلام التي يحتك بها أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم أطفالا وشبابا دورا كبيرا في عملية التنشئة الاجتماعية وفي خلق الوعي الاجتماعي، وهذه الوسائل متعددة ومتنوعة، تشمل الإذاعة والتلفزيون والسينما والصحف والمجلات... وتلعب وسائل الإعلام دورا حيويا في تنشئة أفراد المجتمع وتكوين شخصيتهم وتزويدهم بالخبرة والمعرفة، ويتوقف تأثير كل وسيلة من هذه الوسائل على مدى فعاليتها ونوعية مضمونها ومحتواها من جهة. وجميع الوسائل تشارك في هدف وهو توصيل رسالة أو فكرة أو معلومة إما مسموعة، أو مرئية، أو مقروءة⁴.

1 ماجد الزبود، الشباب والقيم في عالم متغير، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص: 25-26.

2 زكرياء عبد العزيز، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين، مركز الإسكندرية، القاهرة، 2002، ص: 39.

3 رابع تركي، دراسات في التربية الإسلامية، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص: 204. بتصرف

4 بلمادي أحلام، مرجع سابق، ص: 110.

- **الثقافة:** تعتبر القيم إحدى المكونات الأساسية للثقافة، حيث أن الثقافة حسب تاييلور عبارة عن إناء يحمل كل ما هو مادي وروحي، إضافة إلى أنه يشمل المعرفة بكل سعتها ومجالاتها، إذن فالثقافة مصدر مهم للقيم، ويؤكد "حليم بركات" بأن القيم من المكونات الأساسية للثقافة في قوله: "يتميز كل مجتمع بثقافته الخاصة التي تتضمن طرق وأساليب حياته المشتملة على ثلاث مكونات متداخلة فيما يلي:

- القيم والرموز والأخلاق والسجيا والمعتقدات والمفاهيم والأمثال والمعايير والتقاليد والأعراف والعادات والوسائل والمهارات التي يستخدمها الفرد في التعامل مع بيئته؛
- الإبداعات والتغييرات الفنية من أدب وموسيقى وفن؛
- الفكر من علوم وفلسفة ومذاهب وعقائد ونظريات¹.

3. الخصائص العامة للقيم:

يبدو أن هناك كما هائلا من الآراء المتعددة ووجهات النظر المتنوعة التي تصب في منحنى تحديد خصائص القيم، والنتائج التي توصل إليها الباحثين تعرف اختلافا وتباينا، لهذا ارتأينا أن نقدم بعض الخصائص العامة للقيم، التي تصبوا في الاتجاه العام تفاديا منا الدخول في المتاهات التي تفرضها المتون على الباحث بفعل اختلاف المناهج التي تناول بها الباحثون هذا الموضوع. هذه الخصائص تصب في منحنى كون القيم إنسانية، نسبية، تترتب ترتيبا هرميا، تتضمن نوع من الرأي أو الحكم، أنها تقبل الثنائية الضدية، تعد مقياسا يقاس عليها السلوك، يكتسبها الانسان طوال حياته، كما أنها قابلة للتغيير.

1 حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 6، لبنان، 1998، ص: 321. نقلا عن: عايد كمال، تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر-بلقايد-تلمسان، 2017، ص: 129.

- القيم إنسانية؛ بمعنى أنها تختص بالبشر دون غيرهم، وهذا ما يميزها عن الحاجات التي تخص البشر وغيره من الكائنات.
- أنها مرتبطة بزمان معين؛ فالقيم إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل وهي بهذا المعنى تبتعد عن معنى الرغبات أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط.
- أنها تمتلك صفة الضدية؛ فلكل قيمة ضدها، مما يجعل لها قطبا إيجابيا وقطبا سلبيا والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة في حين يمثل القطب السلبي ما يمكن أن نسميه "ضد القيمة" أو "عكس القيمة".
- المعيارية؛ بمعنى أن القيم بمثابة معيار لإصدار الأحكام تقيس وتُقَيِّم وتُفَسِّر ويُعَلِّل من خلالها السلوك الإنساني.
- تتصف القيم بأنها نسبية؛ من حيث الزمان والمكان، فما يُعتبر مقبولا في عصر من العصور، لا يُعتبر كذلك في عصر آخر، وما يُعتبر مناسبا في مكان ما لا يكون كذلك في مكان آخر.
- تنسم القيم بالهرمية؛ إذ أنها تُرتَّب عند كل شيء ترتيبا متدرجا في الأهمية، وبحسب الأهمية والتفضيل لكل فرد، وعلى هذا يمكننا القول إن لدى كل فرد نظاما للقيم يمثل جزءا من تكوينه النفسي الموجه لسلوكه.
- تتصف بالقابلية للتغيير؛ بالرغم من أن القيم تتصف بالثبات النسبي، إلا أنها قابلة للتغيير بتغير الظروف الاجتماعية لأنها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية ونتاج لها.
- القيمة ذات قطبين؛ فهي إما هذا الوجود أو ذاك، أي أنها حق أو باطل، خير أو شر¹.

1 صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة، ط 1، دار المسيرة، 1998، ص: 208. نقلا عن: سهام صوكو، مرجع سابق، ص: 44-45.

- تهتم القيم بالأهداف البعيدة التي يضعها الإنسان بنفسه لا بالأهداف الفرعية¹.
- الدينامية؛ فالقيم تتغير بتغير محور الاهتمام لدى الفرد وفقا للتفضيلات والاهتمامات الإنسانية.
- تساعد بعضها البعض؛ فهي ليست وحدات منفصلة، وغالبا ما تتفاعل معا وتتداخل، على نحو يزيدا قوة.
- إمكانية قياسها ودراستها من خلال أساليب عامة للقياس؛ تستخدم في قياس الميول والاتجاهات الملاحظة الميدانية والموقفية والاستبيانات المقننة².
- 4. القيم وعلاقتها بالثقافة:

الثقافة هي مركب معقد لمزيج متفاعل يضم تقاليد المجتمع ومعتقداته وعاداته وقيمه المختلفة، أما القيم فهي من الوسائل المميزة لأنماط الحياة الاجتماعية، وهي محدد جوهري من محددات السلوك الإنساني إذ تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها³. كما يجوز القول في هذا الصدد أن القيم هي الأمور المادية والمعنوية التي تكون موضع طموح أبناء المجتمع وتقديرهم، وتتجلى عادة في تبني الافراد مفاهيم معينة، أو تتمثل في ولاءات توجه أنشطتهم، وتجعل من هذه الانشطة مصادر للرضا في حياتهم.

1 محمود السيد أبو النبل، علم النفس الاجتماعي دراسات عربية وعالمية، الجزء الأول، ط 3، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة، 1984، ص: 141.

2 منى كشيك، القيم الغائبة في الإعلام، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، 2003، ص: 66. نقلا عن: سهام صوكو، مرجع سابق، ص: 45.

3 سمية أوثن، الدولة المعاصرة والعمولة الثقافية: بين توطين قيم الثقافة العالمية وعمولة قيم الثقافة المحلية، اطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1-الحاج لخضر كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، 2019، ص: 222.

تعد القيم قاعدة مشتركة تضمن وحدة الثقافة واستمرارها، بالرغم من التنوع والتغيير الذين يرتبطان بعوامل أو متغيرات متعددة أهمها: الجنس والعمر ومنطقة السكن والطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها.

أما على صعيد الثقافة الإنسانية فقد أدى التقدم الذي أحرزته البلدان الغربية في ميادين العلم والتقنية والصناعة والإعلام والاتصال... إلى ظهور اتجاه يدعي لتلك البلدان التفوق الثقافي في جميع الميادين وعبر جميع العصور، نظراً لتمتع شعوبها بقدرات متميزة¹. كما أدى التسلط الثقافي الذي مارسه تلك الأقطار من خلال وسائل النقل والاتصال الحديثة التي طورتها، إلى تخوف الشعوب الأخرى على ثقافتها وبالخصوص ثقافتها الشعبية وبالتالي خوفها على استقلالها الذاتي.

لزاماً علينا أن نشير في هذا السياق إلى أن القول بتفاوت الشعوب وتمييزها من حيث قدرتها على صنع الحضارات لا يلقي قبولا في الوقت الحاضر، ويفضل عليه القول بتنوع وتعدد الثقافات -سواء على المستوى العالمي أو داخل الوطن الواحد- وتمتع كل منها بشخصية متميزة حاضنة لخصوصياتها القيمة، والفنية، والجمالية، والإبداعية... لكن في المقابل، هذا لا ينفي وجود الغزو الثقافي، لكن بفضل القيم والوعي بهذا الغزو يمكن مواجهته بشكل كبير، والثقافة الإنسانية الحقة هي التي تؤمن وتسهم في الحفاظ على استقلال الثقافات وأصالتها من جهة، وتشجع تفاعل وتلاقح الثقافات بعضها مع بعض من جهة أخرى، في إطار الحدود التي ترسمها القيم لتحيط بثقافتها.

لذلك يعد الاشتراك في القيم الأساسية بين الفرد والفئات التي يتكون منها المجتمع أو الاختلاف فيها دليلاً على تجانس هذا المجتمع أو تمزقه، كما يعد تماثل القيم أو اختلافها بين الأجيال -القديمة والجديدة- دليلاً على ركود المجتمع أو تغيره².

1 ملكة أبيض، الثقافة وقيم الشباب، المجلة العربية للثقافة، السنة الخامسة، العدد 9، سبتمبر 1985، ص: 108.

2 ملكة أبيض، مرجع سابق، ص: 109.

أي أن بين القيم والثقافة علاقة قياسية بحيث نجد أن اشتراك أفراد المجتمع في القيم دليل قاطع على ترابط وتجانس المجتمع وانتمائهم إلى نفس الثقافة، بمعنى أن القيم يمكن اعتبارها إحدى محددات الحدود الثقافية. واختلاف القيم بين ثقافتين يبرز بشكل واضح التباين بين هاتين الثقافتين. لكن لا يجب أن نتغاضى عن حقيقة أنه يمكن لثقافتين أن تشتركا في بعض القيم.

وفي ختام هذا المحور يمكننا أن نضم صوتنا إلى رأي عالم المستقبلات المغربي المهدي المنجرة عندما قال: "لا توجد ثقافة بدون منظومة القيم"¹. وأن القيم هي التي تحافظ وتصور الثقافة، فكلما كانت منظومة القيم الثقافية مستقرة ومشاركة بين الأفراد كلما كان المجتمع أكثر استقرارا وتوازنا. وإذا تعرضت منظومة القيم إلى هزات غير مرغوب فيها نتيجة عوامل وظروف محددة، تتدهور أحوال البشر ويعم الفساد في الأرض².

5. تحولات قيم الثقافة الشعبية بين المحلية والعالمية:

انطلاقا من تعريف "غي روشيه" Guy Rocher للقيم الذي أشرنا إليه في التحديد الاصطلاحي لمفهوم القيم، نستشف أن غي روشيه لا يعتبر القيم ثابتة بل هي في ديناميكية دائمة وهذا بالاستناد إلى أن القيم لها ارتباط وثيق بالظروف الاجتماعية وتتداخل في عدة أنساق منها السياسية، الاقتصادية، الثقافية والدينية. كما تتعدد وتنوع مصادر القيم، فبمجرد حدوث تغير بسيط في أحد العناصر سيترتب عنه انعكاس هذا التغير على منظومة القيم، وسيسهم لا محالة في تحولات القيم السائدة في المجتمع وقد نحصل على نتائج غير متوقعة وهذا ما تؤكدته نظرية

1 المهدي المنجرة، قيمة القيم، ط 2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص: 173.

2 ميلاد أبو راوي خليل، القيم الثقافية والحضارية ودورها في التنمية، المؤتمر الاقتصادي الأول للاستثمار والتنمية في منطقة الخمس، 25-27 ديسمبر 2017، ص: 6.

أثر الفراشة* التي تفيد أن حدثاً أولياً مهماً كان بسيطاً قد يولّد سلسلة من الأحداث المتواترة والمتفاعلة في ظروف مساعدة، تنجم عنها نتائج غير متوقعة وتتجاوز الحدث الأول بمراحل¹. هذه النظرية تشير لما يترتب من نتائج مهولة بفعل تغيير بسيط، فما بالكم عن النتائج التي سنحصل عليها في ظل هذه التطورات والتغيرات التي يعرفها العالم، ومدى انعكاسها على تحولات قيم الثقافة؟

يقول الباحث المغربي محمد سبيلا في هذا الصدد: "التحولات المهولة في عالم القيم - والتي تثير استغرابنا ودهشتنا، والتي تعكس بشكل واضح الفجوة السلوكية والذهنية التي تفصل بين الأجيال - ليست نزوات فردية أو جموحات شخصية بقدر ما هي انعكاس للتحولات التي داهمت المجتمع؛ أي للشروط الجديدة التي يجد الأفراد أنفسهم ضمنها. ومن ثمة فإن أي تناول دقيق لتحولات القيم في المجتمع هو طور الانتقال العنيف والمتسارع نحو "الحدثة"²؛ يتعين أن ينطلق من فهم التحولات البنيوية الكبرى، ودورها في تشريط وتكبيف السلوكات والتصورات والقيم².

ليس هناك شك أن المجتمعات التقليدية ما زالت محتفظة بنظامها القيمي الذي يوجه السلوك الفردي والجماعي ككل. لكن بالمقابل هناك تحولات عالمية ونجد لها مستتبعات محلية تُستنبت في المجتمع، ونجد لها بعض الدعاوي على أساس أن القيم الكونية والعالمية هي الأساس والموجه، والتي تريد فك الارتباط بالمنظومات التقليدية وهذا ما نجد تعبيره في مقولات "ما بعد الحدثة"، وهي التي تتحدد بكونها ثقافة عالمية تتخطى كل أبعاد الزمان والمكان. إنها ثقافة "القرية العالمية": حيث يتلاقى المحلي والعالمي وهو تلاقي لا يخلو بالطبع من هزات عنيفة، ولكن رغم ذلك تولّد

* ظهرت هذه النظرية أول مرة مع الرياضي وعالم الأرصاد إدوارد لورنتز Edward Lorenz سنة 1993، حيث قام من خلال تعديله لبرنامج معين بإدخال رقم إضافي ضناً منه أن الفرق صغير جداً ولا يؤثر في النتيجة، لكنه في النهاية تفاجأ بوجود فرق هائل غير متوقع، وخلص إلى أن التغيرات البسيطة تؤدي إلى ظروف ونتائج غير متوقعة، وتوسعت بعد ذلك تطبيقات هذه النظرية في مختلف العلوم الأخرى.

1 سمية أوشن، مرجع سابق، ص: 93.

2 محمد سبيلا، في تحولات المجتمع المغربي، در توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2010، ص: 101.

عنه في المجتمعات الغربية الاعتراف والإقرار بخصوصيات الثقافات المحلية وبالأذواق المتباينة¹.

كما أحدثت التحولات في ميدان الإعلام والاتصال –بفعل الثورة الرقمية التي عرفها العالم- إعادة تحوير مفهوم المحلية، بحيث يمكن نعتها بالجذرية. إذ غدت الحدود الجيو-سياسية مختزقة، وأضحى التفريق بين المحلي والعلمي صعباً نتيجة تماهي الفروق بين المفاهيم، ولا سيما في العقود الأخيرة. فقد عملت هذه التكنولوجيات على اختراق حدود القومية، وعلى التقريب بين الشعوب والأمم، ويسرت التواصل بين الأفراد والجماعات، وسهلت الاحتكاك بين الثقافات فأصبح الحديث عن الثقافة الكونية². لكننا لا نتبجح بكونية الثقافة كما لا نبخص منها، بل يجب علينا أن نتعامل معها بحذر شديد نظراً لما تحمل في ثناياها من خبايا مدسوسة بإحكام، ولعل أهمها هو استبدال قيم مجتمع ما بقيم كونية أو بقيم المهيمن ثقافياً، وإعلامياً، واقتصادياً، وسياسياً...

كما أشرنا سابقاً خلال أطوار هذه المقالة إلى العلاقة الوطيدة بين القيم والثقافة الشعبية، وتحولات القيم ستؤدي لا محال إلى تحولات على مستوى الثقافة الشعبية. ولعل تحولات قيم الثقافة الشعبية المغربية راجع إلى عدة أسباب، نذكر منها:

- الهجرات الداخلية التي عرفها المجتمع المغربي مباشرة بعد الاستقلال من القرى نحو المدن.

1 خالد ميار الإدريسي، نقد قيم ما بعد الحداثة نحو ترميم الذات الإنسانية، إسهام ورد في مؤلف جماعي (سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر)، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، مايو 2011، سلسلة ندوات علمية 4، دار أبي رقرق، الرباط، 2012، ص: 326.

1 محمد خاين، الإشهار الدولي والترجمة إلى العربية رهانات الاحتواء وإكراهات اللغة والثقافة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط1، بيروت، أبريل 2015، ص: 59.

- ارتفاع عدد الولادات مقابل انخفاض في عدد الوفيات وخاصة لدى الأطفال حديثي الولاد، وهذا راجع إلى التحسن النسبي في شروط الرعاية الصحية، مما أسهم بشكل كبير في النمو الديموغرافي.
- انخفاض نسبي في نسبة الأمية لدى عامة الشعب، وارتفاع نسبة التمدرس لدى الذكور وبالخصوص لدى الإناث.
- التطور الصناعي والتكنولوجي الذي عرفه العالم بصفة عامة، وبداية تنامي بواده في المغرب بصفة خاصة.
- انتشار وسائل الإعلام والاتصال بشكل كبير في الآونة الأخيرة.

الحقيقة أن الاهتزاز الأول لخزّان القيم حدث مع صدمت الاستعمار، واتسعت دائرته مع سيرورة البناء الوطني بعد الاستقلال، كما تزايدت وتيرته مع حركية العولمة خلال العقدين الأخيرين¹. واليوم لم يعد الشباب دون سن الثلاثين يجتر سلوكيات الآباء، ويعيد إنتاج التقليد مثلهم، وهذا ما يفسر تراجع بعض القيم التقليدية ذات المضمون الأخلاقي من قبيل "النية" و"الإيمان والثقة" و"الكلمة" و"الشرف" و"البركة"، لصالح القيم ذات الطابع العقلاني، التي من شأنها تعزيز مكانة الفرد بوصفه فاعلا مستقلا، وتطوير فرص اندماجه في المجموعة، وتغيير شروط حياته المعنوية والمادية، ولعل هذا ما يسّر من خلال العقدين الأخيرين بروز قيم حقوق الإنسان، المساواة بين الجنسين، وحق الأطفال، والمواطنة، ودولة القانون، والعدالة الاجتماعية والاستحقاق². كما تجدر الإشارة إلى أن هذه التحولات التي تعرفها القيم لا تكون دائما معلن عنها، وإنما قد تكون تحولات هادئة وصامتة في بعض الأحيان.

1 امحمد مايكي، الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب الكبير، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية 30-31 مارس 2013، ص: 29.

2 المرجع نفسه، ص: 30.

أما بخصوص بعض التحولات القيمة التي عرفتها الثقافة الشعبية المغربية، فالمغرب كغيره من المجتمعات عرف تحولات عميقة ودالة في مجال القيم*، ولا نقول أن هذه التحولات قد قطعت مع ما كان سائدا في الماضي، بل يمكن حصر هذه التحولات في أربعة أشكال:

1. قيم كانت سائدة وما زالت سائدة في المجتمع، لكن شكلها تغير.
2. بروز قيم جديدة عوضت قيم قديمة.
3. موت قيم قديمة دون أن يتم تعويضها بقيم أخرى جديدة.
4. ظهور قيم جديدة لم تكن معروفة¹.

سنحاول أن نقدم بعض الأمثلة لنلامس بشكل تقريبي هذه التحولات القيمة التي عرفتها الثقافة الشعبية المغربية؛ سنقتصر في هذه الأمثلة على ذكر بعض القيم دون غيرها، وسنشير بشكل أو بآخر إلى بعض التحولات التي طرأت عليها، ومن بين هذه القيم:

• قيمة التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع:

نجد أن المجتمع المغربي التقليدي بصفة عامة والأمازيغي بصفة خاصة، حرص على قيمة التضامن وتقديم يد العون لبعضهم البعض، لمواجهة قساوة الحياة

* كملحوظة: تختلف تحولات القيم من منطقة إلى أخرى. فمثلا القيم الموجودة في قبيلة تقليدية في جبال الأطلس ليست مثل القيم التي سنجدها في الدار البيضاء كمدينة اقتصادية أو كطنجة بصفها بوابة أوروبا، وتحولات القيم لن يكون بنفس الوتيرة.

1<https://www.hespress.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9-121453.html>

تم استرجاعه بتاريخ: 2024/02/13، بتصرف.

والزمن. ولا تزال بعض القبائل الأمازيغية التقليدية تحافظ على هذه القيمة النبيلة؛ وأطلق عليها الأمازيغ تسمية "تُويْزًا" * (ⵝⵓⵢⵣⴰ) + تُقام لما يَصْبُ في المنفعة العامة للقبيلة كبناء المسجد، ترميم الطرقات، جمع التبرعات... وكذلك تقام بالخصوص لمساعدة الأفراد في أعمالهم التي تحتاج لجهد عضلي كالبناء، الحرق، الحصاد... ما على المحتاج للمساعدة إلا إخبار أفراد الجماعة على العمل الذي يُقْبَلُ عليه، ثم تتفقد الجماعة على اليوم للشرع في العمل. هذا النوع من المساعدة في الزمن الحالي أصبح شبه منعدم بطريقته التقليدية، ويمكن أن نقول عنه أنه تحول بشكل يساير التحولات التي عرفتها الثقافة الشعبية المغربية.

أخذ هذا النوع من التضامن صبغة عالمية في الآونة الأخيرة، بحيث أصبحنا نلاحظ أن بعض الجمعيات تقوم بأوراش لتنظيف، وتزيين، وصباعة، الأحياء والمدن؛ وتتعداها إلى ترميم بعض المؤسسات التعليمية والخيرية والمساجد... هذا بالإضافة إلى جمع التبرعات والمساعدات للأسر المعوزة، وهذه الظاهرة تنامت بشكل واضح خلال هذه الفترة الأخيرة التي عرف فيها العالم بأسره هذا الوباء الفتاك، إذ نجد العديد من الجمعيات ساهمت في جمع التبرعات والأدهى من هذا أنه تم استعمال وسائل الاتصال الإلكتروني أي ما يعرف بـ Live وساهمت الجالية بشكل كبير في هذه المبادرة الإنسانية.

• قيم الحياء، العفة، الممنوع:

هذه القيم عرفت تحولات في عدة مجالات؛ إذ نجد أنه في الماضي القريب كانت الثقافة الشعبية تمنع أن يلتقي الخطيب بخطيبته قبل عقد القران، وكانت قيم الثقافة الشعبية تحرم هذا الفعل، لكن اليوم أصبحنا نلاحظ أن الشباب يتواعدون حتى وقبل أن يذهب الشاب لبيت خليلته لخطبتها. من خلال هذا يمكننا القول أن

* تعتبر من بين القيم الأصيلة لدى المجتمع الأمازيغي وهي قديمة قدم وجود الإنسان الأمازيغي، وهذه القيمة مضمونها تقديم المساعدة ومد يد العون لأحد أفراد العشيرة، وبشارك فيها كل من استطاع مقابل وليمة ينظمها صاحب العمل إن كان ميسور الحال وإن كان عكس ذلك يرفع عنه هذا التكليف.

قيمة العفة والحياء والممنوع بدأ يتجاوزها المجتمع إن لم نقل تجاوزها، وهذا في نظرنا راجع بالدرجة الأولى إلى الغزو الذي شنته المسلسلات المكسيكية في زمن معين على البيوت المغربية أو الهندية والتركية في الزمن الحاضر. التي تختلف ثقافة منتجها بشكل كبير عن قيم الثقافة الشعبية المغربية.

كما أن قيمة الحياء بدأت تعرف تراجعاً كبيراً بالخصوص في الجانب التربوي إذ نلاحظ أن قيمة الحياء التي كان يكنها العامة للأستاذ بدأت تنقرض، وأصبحنا نعيش في زمن يُضرب فيه الأستاذ من تلميذه، وهذا ما جعل من الأستاذ يفقد مكانته المرموقة في المجتمع وهبته، ويشهد على زمن تراجع قيمة الحياء والاحترام والانضباط... أما الحديث عن قيمة العفة فنكتفي بالإشارة إلى اللباس الذي أصبحنا نراه في الشارع العام، فهو يمثل دليلاً واضحاً على التحولات التي عرفت هذه القيمة.

• قيمة الاحترام:

لم تسلم كذلك قيمة الاحترام في الثقافة الشعبية من التحولات، إذ نجد أن الاحترام كان مبني على سلم هرمي داخل العائلة بصفتها المجتمع الصغير وكذلك في العشيرة. اليوم أصبحنا نلاحظ أن المجتمع يحث على أن تعتبر ابنتك بمثابة الصديق، وهذا لم يكن له وجود في الثقافة الشعبية. إنما انسل إليها عن طريق شركة هوليدو بالدرجة الأولى، كما أنه حتى الإخوة لم تعد بينهم تلك التراتبية، بل أصبحوا سواسية أمام بعضهم البعض.

وفي جانب آخر من المحيط العام الذي يعيش فيه الفرد بصفته منتمي للمجتمع، فقدنا نوعاً من الاحترام الذي كان مبني على عامل "السن" وأصبح الإنسان يُحترمُ لمكانته في المجتمع - وهذا لا حرج فيه - ومكانته المادية بشكل كبير، وهذا ما جعل من الثقافة الشعبية تعرف تحولاتاً قيمياً فيما يخص الترتيب الهرمي للاحترام.

خاتمة

لقد توصلنا من خلال الاشتغال حول موضوع تحولات القيم في الثقافة الشعبية بين المحلية والعالمية إلى مجموعة من الاستنتاجات:

- مصادر القيم متعددة ومتنوعة وكلها تساهم من جهتها في صقل قيم الفرد والمجتمع؛

- القيم تنتقل من جيل إلى آخر، لكنها ليست ثابتة بل تتطور مع تطور الإنسان، أي أن طوال حياته يكتسب قيم جديدة حسب انفتاحاته الفكرية والعلمية وبفعل البيئة التي عاش فيها بالإضافة إلى انفتاحه على الثقافات الأخرى؛

- بما أن القيم نسبية ومكتسبة من المهد إلى اللحد وقابلة للتغيير، فإن هذا ما يجعلها قابلة للتحويل بوتيرة سريعة في الزمن الراهن بفعل التطور التكنولوجي والمعرفي. وبما أن بين القيم والثقافة الشعبية علاقة وطيدة فكل تغيير يطرأ على هذه الأخيرة ينعكس على القيم. وكذلك هذا الارتباط لا يسمح لنا بالحديث عن قيم عالمية كونية موحدة، لأن العالم يعرف تعدد وتنوع في الثقافات. وهذا ما ذهب إليه الباحث المغربي إدريس الخطاب، إذ يقول: "بما أن القيم مرتبطة بالثقافات، فإن الحديث عن قيم كونية شمولية يعتبر وهماً وأمرأً خطيراً على الإنسانية"¹؛

- قيم الثقافة الشعبية هي منظومة تحدد وضعية الفرد المعيارية في وسطه الاجتماعي؛ كما يمكننا القول أن هذه المنظومة، تتأسس عليها الروابط والعلاقات بين مكونات المجتمع؛

- بما أن القيم في تحولات دائمة - وإن اختلفت وتيرة هذه التحولات بفعل عاملي الزمان والمكان - فلا يمكن أن نقول عن هذا الموضوع أنه موضوع مستهلك، نظراً للكثافة الهائلة من الدراسات التي أنجزت في هذا الحقل، بل هو مجال يتجدد

1 إدريس الخطاب، علوم الثقافة، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2017، ص: 293.

بفعل التحولات ويجعل من النتائج التي توصل إليها الباحثين كشواهد على فترة إنجاز الدراسة فقط. ويجب الخوض الدائم في هذا الحقل والبحث فيه لرصد التحولات التي يعرفها المجتمع للاستعداد لها مستقبلا والعمل على تقديم حلول لتقويمها عن طريق الأسرة والمدرسة وكل مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

لائحة المصادر والمراجع

- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الكتاب العلمية، مجلد 12، ط 1، 2005.
- أحمد الشحات، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988.
- إدريس الخطاب، علوم الثقافة، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2017.
- المهدي المنجرة، قيمة القيم، ط 2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007.
- امحمد مايكي، الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب الكبير، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية 30-31 مارس 2013.
- بلمادي أحلام، سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، العدد 7، 30 يونيو 2016.
- بوغازي الطاهر، أثر القيم الثقافية الخارجية على قيم الأسرة، مجلة علوم التربية، العدد 57.
- خالد ميار الإدريسي، نقد قيم ما بعد الحداثة نحو ترميم الذات الإنسانية، إسهام ورد في مؤلف جماعي (سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر)، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، مايو 2011، سلسلة ندوات علمية 4، دار أبي رقراق، الرباط، 2012.
- خليل عبد الرحمان المعايطة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، عمان، 2000.
- رابح تركي، دراسات في التربية الإسلامية، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987.
- زكرياء عبد العزيز، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين، مركز الإسكندرية، القاهرة، 2002.

- سمية أوثن، الدولة المعاصرة والعمولة الثقافية: بين توطين قيم الثقافة العالمية وعمولة قيم الثقافة المحلية، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، 2019.
- سهام صوكو، و اقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة منتوري-قسنطينة، 2009.
- عايد كمال، تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراة، جامعة أبي بكر-بلقايد-تلمسان، 2017.
- عبد الغاني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العمولة، ط 1، فبراير 2006، مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الله العفيفي، نقد القيم مقاربات تخطيطية لمنهج علمي جديد، مؤسسة الانتشار العربي، ط 1، بيروت لبنان، 2006.
- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
- محمد ابراهيم الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، مكتبة النهضة، ط 1، القاهرة، 1971.
- محمد خاين، الإشهار الدولي والترجمة إلى العربية رهانات الاحتواء وإكراهات اللغة والثقافة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط 1، بيروت، أبريل 2015.
- محمد سبيلا، في تحولات المجتمع المغربي، در توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2010.
- محمود السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي دراسات عربية وعالمية، الجزء الأول، ط 3، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة، 1984.

- ملكة أبيض، الثقافة وقيم الشباب، المجلة العربية للثقافة، السنة الخامسة، العدد 9، سبتمبر 1985.
- ميلاد أبو راوي خليل، القيم الثقافية والحضارية ودورها في التنمية، المؤتمر الاقتصادي الاول للاستثمار والتنمية في منطقة الخمس، 25-27 ديسمبر 2017.
- الموقع الإلكتروني هسبريس: <https://www.hespress.com>

المؤهلات السياحية والإيواء السياحي بمدينة فاس

محمد شعبان

طالب باحث بسلك الدكتوراه

مختبر: التراث، البيئة والتنمية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة، المغرب



محمد الكريمي

طالب باحث بسلك الدكتوراه

مختبر: التراث، البيئة والتنمية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة، المغرب

ملخص

تعتبر مدينة فاس ذات مكانة سياحية مهمة ضمن الوجهات المتعددة بحكم مؤهلاتها البشرية الغنية والمتنوعة التي جعلت منها وجهة سياحية ثقافية بامتياز تستقطب أعدادا لا يستهان بها من السياح، وقد وفرت لهم هذه الوجهة بنية إيوائية سياحية متنوعة بدءا من الفنادق بمختلف أصنافها، فكانت الفنادق من فئة أربع وثلاث نجوم هي الأكثر انتشارا، وشكلت دور الضيافة إضافة نوعية مهمة ساهمت في تقليص النقص الحاصل على مستوى الطاقة الإيوائية بالمدينة ولعبت أدوارا مهمة في جلب السياح نظرا لبعدها التاريخي وشكلها المعماري الأصيل وتواجدها في مجال انتشار أهم المؤهلات السياحية بالمدينة العتيقة. لقد شكلت السياحة العائلية أهم أشكال الإيواء السياحي الحديث العهد بالمدينة، تعددت أهدافها وأدوارها لتحافظ على الشكل العتيق للمدينة القديمة ولتساهم في تحسين الدخل اليومي للأسر المستفيدة من هذا النوع من الإيواء. من هذا المنطلق سنحاول في هذا المقال في المحور الأول تشخيص ودراسة مؤهلات الجذب السياحي لمدينة فاس، من خلال جرد المؤهلات، البشرية، والطبيعية، ثم إبراز دورها وأهميتها في الجذب السياحي. على أن نخصص المحور الثاني لتشخيص ودراسة بنية وخصائص الإيواء السياحي بالمدينة، المتمثلة في الفنادق المصنفة وغير المصنفة، دور الضيافة المصنفة وغير المصنفة، ثم الإيواء لدى الأسرة.

كلمات مفتاحية: المؤهلات السياحية، الإيواء السياحي، الجذب السياحي، البعد السياحي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الكريمي، محمد، شعبان، محمد. (2024، أبريل). المؤهلات السياحية والإيواء السياحي بمدينة فاس. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 328-350.

Abstract

Fez city is considered as an important touristic location among the multiple destinations due to its rich and varied human qualifications, which made it a culturally rich touristic destination par excellence, which attracts significant numbers of tourists. This destination provided tourists with a diverse touristic structure, including variety of hotels of all kinds. The most widespread hotels were of four and three stars. Additionally, guest houses constituted an important qualitative addition that contributed to reducing the shortage of accommodation capacity in the city and played important roles in attracting tourists due to its historical dimension, its original architectural form and its presence in the field of the spread of the most important touristic qualifications in the ancient city. Family tourism has constituted the most important form of modern touristic accommodation in the city. Its objectives and roles have varied to preserve the ancient form of the old city and to contribute to improving the daily income of families benefiting from this type of accommodation. From this point of view, we will try in this article, in the first section, to diagnose and study the qualifications of the touristic side of Fez city, through an inventory of the qualifications, human and natural, and then highlight its role and importance in the touristic side. The second section specializes in the diagnosis and study of the structure and characteristics of the touristic accommodation in the city, represented by: Classified and unclassified hotels, classified and unclassified guest houses, then family accommodation.

Keywords:

tourist qualifications, tourist accommodation, tourist side, tourist dimension

مقدمة

إن أول ما يآثر في اختيار السائح لوجهته السياحية يتمثل في مؤهلات هذه الوجهة وهل ستوفر هذه الأخير سبل الراحة والاستمتاع التي يبحث عنها السائح، هنا نتحدث عن مؤهلات الجذب السياحي المختلفة والتي تختلف وتتنوع من مكان لآخر حسب مميزات هذا المكان منها البشرية والطبيعية والتي تشكل في نفس الوقت مؤهلات جذب سياحي أحدثت خصيصا لخدمة هذا القطاع أو خضعت للثمين والتطوير حتى تكون في مستوى العرض السياحي، في الوقت الذي تتنافس فيه مختلف الوجهات السياحية في توفير مؤهلات الجذب السياحي بجودة عالية ومتنوعة قادرة على جلب أكبر عدد من السياح مما ينعكس بشكل مباشر على القطاع السياحي وعلى مختلف الأنشطة المرتبطة به.

وتعد المؤسسات الفندقية واحدة من أهم عوامل الجذب السياحي، التي أصبحت تستقطب العديد من الاستثمارات في مختلف دول العالم، مما يعني أن قضية المنافسة تحظى بأهمية بالغة من قبل القائمين على هذا القطاع، على اعتبار أن الخدمة الفندقية ذات النوعية العالية ومنافذ الترويج المناسبة تشكل عاملا أساسيا في امتلاك الميزة التنافسية واستقطاب أعداد مهمة من السياح. وتتمثل مؤسسات الإيواء السياحي في كل مكان يوفر خدمة المبيت بصورة رئيسية للسياح مقابل أجر، سواء كان هذا المكان فندقا أو أية وحدة إيوائية أخرى تؤدي نفس الخدمة. فهو القادر على استقطاب السياح وتحقيق مختلف رغباتهم، كما يستفيد من عائدات مالية مهمة تنعكس بشكل ايجابي على الوحدة الإيوائية ومختلف القطاعات المرتبطة بها.

إشكالية الدراسة

انطلاقا من هذا المقال سنحاول في المحور الأول تشخيص ودراسة مؤهلات الجذب السياحي لمدينة فاس، من خلال جرد المؤهلات، البشرية، والطبيعية، ثم

أبرز دورها وأهميتها في الجذب السياحي. وفي المحور الثاني سوف نعرض على تشخيص ودراسة بنية وخصائص الإيواء السياحي بالمدينة، متمثلة في الفنادق المصنفة وغير المصنفة، دور الضيافة المصنفة وغير المصنفة، ثم الإيواء لدى الأسرة. وذلك لما لهذا الإيواء من دور في توفير الراحة للنزلاء ممن استهوتهم مؤهلات المدينة لزيارتها، مما يفرض توفر بيئة إيوائية متنوعة وفي متناول مختلف الفئات الاجتماعية، لتساهم بدورها كمؤهل سياحي ذو بعد استراتيجي. ومن أجل تحديد مدى دور هذه المؤهلات وهذا الإيواء في التنمية السياحية بالمدينة، كإشكالية للدراسة، ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية سوف نقوم بالإجابة على السؤالين التاليين:

إذن فما هي بنية وخصائص المؤهلات السياحية لمدينة فاس؟

وما هي بنية وخصائص الواقع الحالي لمراكز الإيواء السياحي بالمدينة؟

المنهج المتبع

تم الاعتماد في هذا المقال على المنهج الوصفي، من خلال القيام بدراسات تشخيصية وصفية للمؤهلات السياحية بمدينة فاس وكذا لبنية وواقع حال الوحدات الإيوائية السياحية بالمدينة، فدراسة هذا الموضوع ستوجب وصف بنية وحجم وتباين وتنوع المؤهلات السياحية بالمدينة وأهميتها، ثم وصف تنوع وحجم الوحدات الإيوائية وتباين خدماتها حسب اصنافها، بغية خدمة القطاع السياحي ككل.

1. تنوع مؤهلات الجذب السياحي بمدينة فاس

تعتبر عناصر الجذب السياحي المتوفرة بمدينة فاس سواء منها العناصر الطبيعية أو عناصر الجذب البشرية أهم المؤهلات المتوفرة والتي يرجع إليها الفضل في استقطاب أعداد من السياح. ولعل المؤهلات البشرية المتمثلة في عناصر الجذب الثقافية من أهم ما تتوفر عليه مدينة فاس بحكم إشعاعها التاريخي العريق الذي يعود إلى 12 قرناً خلت وهي ما يعرف بالسياحة التراثية والأثرية التي تقوم على زيارة

مثل هذه المناطق من أجل الاطلاع على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى، ويمثل هذا النوع من السياحة ما نسبته 20 % من حجم الحركة السياحية العالمية¹ ويتميز بجذب السياح من الفئات العمرية المتقدمة نسبياً وذوي مستوى عالي من الثقافة والتعليم، كما يتطلب خدمات سياحية ذات مستوى مرتفع وغالباً ما ينظم السياح هنا على شكل مجموعات بالإضافة إلى أن مدة الإقامة بالنسبة لهذا النوع من السياحة تكون قصيرة.

1. مؤهلات بشرية غنية ومتنوعة

تعتبر المؤهلات البشرية بصفة عامة ومنها المؤهلات الثقافية بصفة خاصة من أهم مقومات الجذب السياحي لمدينة فاس، وتتمثل هذه المؤهلات الثقافية في جميع مظاهر الثقافة الإنسانية الملموسة وغير الملموسة والموجودة بشكل كبير بالمدينة، وتعكس المباني والمصنوعات اليدوية القيم والمعاني الثقافية لمجموع الساكنة المحلية، أما الأشكال الثقافية غير الملموسة مثل المهرجانات والموسيقى والعادات فتعكس أسلوب الحياة السائد بالمجال.

أ. تنوع المآثر التاريخية يعكس العمق الحضاري للمدينة

الكبرياء والبساطة يمتزجان في مدينة فاس الأثرية القديمة² التي راكمت منذ تأسيسها وعبر قرون خلت مجموعة من المآثر التاريخية المهمة فلم يكن تصنيفها من طرف منظمة اليونسكو تراثاً إنسانياً سنة 1981 إلا اعترافاً منها لما تمثله المدينة من تاريخ وحضارة ضاربة في القدم، فهي ومن خلال مدينتها القديمة توفر للسائح مآثر كثيرة ومتنوعة أبرزها الأبواب والمدارس القديمة والمساجد، والزوايا والمتاحف والأسواق.

1 أكرم عاطف رواشدة 2009. السياحة البيئية الأسس والمرتكزات، دار الراية للنشر والتوزيع عمان 35.

2 زيد منير عبوي 2008. السياحة بالوطن العربي. دار الراية للنشر والتوزيع الأردن ص 258.

✓ الأبواب والمدارس العتيقة

من أهم ما يميز فاس توفرها على أبواب قل نظيرها في العديد من الجهات السياحية الأخرى ومن أشهرها نذكر:

باب بوجلود: تم بناؤه من طرف الموحدين في القرن 12م ويعتبر من بين أجمل أبواب مدينة فاس وأشهرها بفضل فسيفساءه الزرقاء والخضراء ونوعية خشبه ومنحوتاته، وبالقرب منه تنتشر مجموعة من الفنادق القديمة والقصور ودور الضيافة التي تأوي السياح الوافدين وهو ما يجعل من هذا الباب يتميز بموقع استراتيجي وفي نقطة التقاء السياح.

باب فتوح: تم بناءه من طرف الابن الثاني للأمير الزناتي دوناس في مكان الباب الأكثر قدما في تاريخ المغرب وقد تم إعادة بناء باب فتوح تحت حكم سيدي محمد بن عبد الله في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي¹.

باب القصر الملكي: تتميز هذه المعلمة الملكية بكثرة أبوابها وتنوع أقواسها التي أقيمت بشكل متناظر ومتناسق وهي تحتوي على عناصر غنية وأشكال زخرفية بديعة مستلهمة من الإرث الأندلسي، وبفضل موقعه الإستراتيجي المطل على ساحة فسيحة يشكل النقطة الأمثل لبدء الزيارات السياحية للمدينة العتيقة².

تعتبر المدارس العتيقة بمدينة فاس ذات أهمية علمية وفكرية كبيرة منذ تأسيسها وإلى يومنا هذا ويعود أغلبها إلى القرن الرابع عشر خاصة في ظل الحكم المريني.

جامع القرويين: هي من أقدم الجامعات في العالم وقد استقطبت الكثير من أهل العلم والأدب على مر العصور، يعود الفضل في تأسيسها إلى إحدى فضليات

1 الدليل السياحي لفاس. 2005، المجلس الجهوي للسياحة فاس بولمان، بريكوم للنشر ص 12.

2 نجوى فراح، قطاع السياحة بمدينة فاس مؤهلات متنوعة آكراهات متعددة ومخططات واعدة بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافية كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس 2013-2014، ص 49.

النساء الثريات اللاتي جئن من مدينة القيروان عام 859م وهي فاطمة الفهرية¹ ومنذ القرن العاشر الميلادي أصبحت مكتبة تضم أكثر من 3000 نسخة كما تحتوي على قرآن مكتوب في القرن التاسع الميلادي ومخطوط ابن رشد يعود تاريخه إلى 1320م ومخطوط آخر لمقدمة ابن خلدون التي أهداها هذا المفكر شخصيا لمكتبة القرويين².

المدرسة البوعنانية: تعتبر من أكثر المدارس الدينية زيارة بمدينة فاس تم بناؤها في القرن 14م من طرف السلطان ابن عنان المريني وفي مقابل المدرسة يمكن رؤية الساعة الشمسية البوعنانية التي يعود تاريخها إلى سنة 1357م³.

مدرسة الصفارين: تم تشيد هذه المدرسة بأسلوب معماري أندلسي تقليدي سنة 1280م على ضفاف واد فاس في عهد السلطان المريني أبو يوسف ويوجد بجوار المدرسة فندق التسيطاوي للتطوانيين والذي يعود إلى القرن 14م⁴.

بالإضافة إلى هذه المدارس الشاهدة على التاريخ العريق لمدينة فاس هناك مدارس أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها كمدرسة الشراطين التي تم بناؤها سنة 1670م في عهد السلطان العلوي مولاي رشيد، ومدرسة العطارين التي تقع أمام جامع القرويين وبجوار سوق العطارين تم بناءها في القرن 14م من قبل المرنيين ثم مدرسة الصهريج في حي الأندلسيين والتي بنيت ما بين 1321م و1323م في ظل حكم المرنيين⁵.

1 زيد منير عبوي 2008. مرجع سابق. ص 258.

2 الدليل السياحي لفاس. 2005. مرجع سابق ص 13.

3 نفسه، ص 13.

4 نفسه، ص 15.

5 نفسه.

✓ المساجد والزوايا العتيقة:

جامعة القرويين: تم بناءها في عهد الأدارسة من طرف فاطمة الفهرية سنة 857م في حي القرويين الذي كان يسكنه في ذلك الوقت اللاجئون القرويون القادمون من تونس.

مسجد الأندلسيين: تم بناءه ما بين 859م و860م في حي الأندلسيين من طرف مريم الفهرية أخت فاطمة الفهرية وبعد سنة 933م أصبح أكبر مسجد في المدينة¹.

مسجد الشرابيين: يعتبر هذا المسجد نقطة أخرى مضيئة في تاريخ العصر المريني ومعلمة تحسب لسلطين هذه الدولة حيث تم تشييده في القرن 13م وفي الوقت الحاضر فإن هذا المسجد مغلق بالنظر إلى أشغال الصيانة به².

زاوية مولاي إدريس: هو أقدم مكان ديني بفاس يضم قبر إدريس الثاني مؤسس المدينة ودولة الأدارسة ينظم فيها في شهر شتنبر من كل عام موسم ديني وقد اكتسب هذا المجمع صفة الحرم فأضحى مكانا خاصا بالمسلمين ومن دخله أو لجأ إليه يحظى بالحماية وتحرم معاقبته³.

زاوية سيدي أحمد التيجاني: تم إنشاء هذه الزاوية من طرف الشيخ الصوفي سيدي أحمد التيجاني سنة 1737م وتعد من بين أشهر الطرق الصوفية في إفريقية والمغرب العربي حيث يلتقي أتباع هذه الطريقة والقادمون من حوالي 40 دولة كل سنة من 27 إلى 30 من يونيو من كل عام في منتدى تنظمه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية⁴.

1 نفس المرجع السابق، ص 16.

2 نفس المرجع السابق، ص 18.

3 نجوى فراح 2013/2014. مرجع سابق، ص 52.

4 الدليل السياحي لفاس، 2005، مرجع سابق، ص 17.

✓ المتاحف والأسواق.

متحف البطحاء: يعتبر من الأماكن الأثرية المهمة بمدينة فاس يحتوي هذا المتحف على مجموعة من الكنوز التراثية كالفسيفساء والزليج المصنوعة حسب الطريقة التقليدية الفاسية كما يتوفر كذلك على مجموعة من العملات المغربية العتيقة والزرايبي ومجوهرات الأطلس المتوسط وتحف اركولوجية من القرن التاسع الميلادي¹.

متحف بلغازي: هو في الأصل رياض كبير بني في القرن 17م وتم تحويله إلى متحف من طرف عائلة بلغازي وهو أول متحف خاص معترف به في المغرب يحتوي على مجموعة من التحف الثمينة من الذهب وملابس تقليدية وفسيفساء من القرن 18م وآلات موسيقية أندلسية وبربرية وأسلحة وزرايبي².

متحف الأسلحة: يوجد بالبرج الشمالي الذي شيد سنة 1582م بأمر من السلطان السعدي المنصور الذهبي، وفي سنة 1963م تم ترميم البرج لأول مرة ليحتضن متحفا متخصصا في مجال الأسلحة وهو الذي يعنى برصد تاريخ الأسلحة في العالم عامة وفي المغرب خاصة وذلك بداية من عصور ما قبل التاريخ إلى بداية القرن العشرين وتمثل قطعه المتحفية 35 دولة بالإضافة إلى المغرب³.

متحف النجارين: يعتبر هذا المتحف أول متحف في فنون الخشب بالمغرب وتحتضنه معلمة تاريخية المعروفة بفندق النجارين الذي بنى في عهد السلطان المولى إسماعيل سنة 1711م وقد كان هذا الفندق يشغل وظيفة مخزن للسلع ومكان للعمليات التجارية قبل أن يتحول إلى متحف للفنون الخشبية⁴.

1 الدليل السياحي لفاس، 2005، مرجع سابق، ص 20.

2 نفسه.

3 نجوى فراح 2013/2014. مرجع سابق، ص 57.

4 نفسه.

ويحتوي عالم الأسواق على أنواع مختلفة من التجارة والحرف يمكن الولوج إليها انطلاقاً من الطالعة الكبيرة مروراً بالأزقة التي يتواجد بها العديد من الفنادق القديمة من خلال هذا المكان يمكن اكتشاف سوق العطارين الذي هو من أشهر الأسواق بالمدينة وسوق النجارين الذي تتواجد به أورش كثيرة تزينها نافورة تعتبر من بين التحف الفنية، وسوق الملاح الذي يشتهر بتجارة الذهب والفضة على مستوى المدينة ككل.

ب. المهرجانات والمواسم فرصة للتواصل والتعايش الثقافي

تحتضن مدينة فاس وعلى طول السنة عددا كبيرا من المهرجانات والمواسم التي تستقبل أعدادا لا يستهان بها من السياح ولعل أشهر هذه المهرجانات والمواسم نجد:

- المهرجان الوطني للموسيقى الأندلسية الذي يرتبط بالتراث المغربي الأصيل مما يجعله من أهم المناسبات الفنية على المستوى الوطني.
- مهرجان موسيقى الملحنون: يعطي هذا المهرجان فرصة لهواة الملحنون من أجل اكتشاف أكبر ممثلي هذا التراث وتمكن كذلك من الإنصات إلى جميع أنواع القصائد والزجل المغربي كما يتميز بتنوع مواضيعه¹.
- مهرجان فاس للموسيقى الروحية: ينظم كل سنة في شهر يونيو ويرسخ المهرجان لفكرة تسامح الأديان وتمازج الثقافات كما يعزز كل سنة مكانته المتميزة وسط هذا النوع من المهرجانات عبر العالم ويستقطب مجموعة من المهتمين والفاعلين².
- مهرجان فاس للثقافة الصوفية: يهدف هذا المهرجان إلى إبراز المخزون الحضاري المهم لهذا النوع من الموسيقى وكذا إغناء النقاش الدائر حول

1 الدليل السياحي لفاس 2005، مرجع سابق، ص 52.

2 نفس المرجع، ص 54.

الفكر الصوفي كما يعتمد على مبادئ كبرى للتسامح والبعد الروحي للإسلام¹.

مهرجان فاس لموسيقى "جاز إن رياض": تعيش رياضات مدينة فاس على إيقاعات الجاز الدولي حيث يقوم مجموعة من الفنانين بجولات عبر أزقة المدينة وإضفاء جو آخر على المدينة العلمية، استطاع هذا المهرجان أن يكسب شهرة واسعة على المستوى الدولي كما يتميز بإقامة مجموعة من الموائد المستديرة والندوات حول هذا النوع الذي يتوفر على شعبية واسعة².

وبالإضافة إلى مجموع هذه المهرجانات الغنية والمتنوعة نجد كذلك مهرجان فاس لفنون الطبخ ومهرجان مولاي إدريس ومهرجان السماع والمديح كلها مواسم ومهرجانات تعبر عن غنى الموروث الثقافي الذي تمتاز به مدينة فاس مما يجعلها قبلة متميزة لعشاق الموسيقى والمواسم الدينية.

ت. الصناعة التقليدية الفاسية تاريخ وحضارة

تتمحور مجمل الحياة الاقتصادية للمدينة حول الصناعة التقليدية والتي هي جزء لا يتجزأ من تاريخ فاس العريق فالمهن المرتبطة بهذه الحرف منظمة منذ وقت طويل سواء في الأحياء المخصصة لكل حرفة أو في حي الدباغين والنجارين والصفارين وتبقى الحلي والفسيفساء والزرابي والمفروشات واللباس التقليدي والزليج الفاسي من أهم منتوجات الصناعة التقليدية وهو ما يجعل المدينة من أهم أقطاب الصناعة التقليدية بالمغرب.

ث. الأنشطة الرياضية إضافة نوعية للمنتوج السياحي

يعتبر الكولف الملكي من أهم وأشهر المنشآت الرياضية بالمدينة وكذا أجملها على المستوى الوطني حيث تقع وسط أشجار الزيتون، وبعد الرفع إلى 18 حفرة أصبح

1 نفس المرجع السابق، ص 54.

2 نفس المرجع السابق، ص 56.

الكولف الملكي لفاس من أهم المسالك بالمغرب مما مكنه من احتضان مجموعة من المسابقات الدولية، يتميز بتوفره كذلك على "كلوبهاوس" ومطعم ومجموعة من المرافق الأخرى التي يحتاج إليها الزائرون.

وتتميز كل الفنادق التي هي من فئة خمسة نجوم بتوفرها على ملاعب لكرة المضرب توفر مدربين ولاعبين يقدمون لهواة هذه الرياضة جميع النصائح الخاصة بالللاعبين المبتدئين¹.

2. مؤهلات طبيعية تحتاج إلى حسن استغلالها

تتميز مدينة فاس بضعف مؤهلاتها الطبيعية وبالتالي فهي تستفيد فقط من المؤهلات الغنية المتوفرة بالجهة ككل مما يجعلها نقط عبور مهمة نحو جميع الاتجاهات ونقطة جذب مهمة بحكم توفرها على كل البنيات والتجهيزات السياحية.

أ. موقع استراتيجي متميز بوظائف متعددة

تقع مدينة فاس في الجزء الشرقي من هضبة سايس مما يجعلها منطقة انتقالية بين جبال الأطلس المتوسط ومقدمة جبال الريف وبالتالي فهي تتموقع في ملتقى الشبكة الطرقية الرابطة بين الشرق والغرب وشمال وجنوب البلاد وفي مختلف الاتجاهات، وهو ما يسهل عملية تنقل السياح من وإلى فاس، كما تحضى المدينة بتواجدها بالقرب من مجموعة من المدن والمواقع السياحية المهمة سواء منها المتميزة بمؤهلات طبيعية كمدينة إفران وإيموزار كندر أو تلك الغنية بتراثها الثقافي الضارب في القدم كمدينة ويلي ومولاي إدريس زرهون ومكناس ولعل هذا الموقع الإستراتيجي وسط مجموع هذه المدن هو الذي جعل من مدينة فاس مجال عبور سياحي.

1 نفس المرجع، ص 66.

ب. القرب من الحمامات المعدنية فرصة الاستفادة من مؤهلات المناطق المجاورة تتميز الحمامات المعدنية بخصائص علاجية مهمة تستقطب أعداد كبيرة من الزوار للاستمتاع والاستشفاء بهذه المياه الطبيعية نظرا لقيمتها العلاجية التي ذاع صيتها وطنيا ودوليا.

• **حامة مولاي عقوب:** توجد هذه الحامة على بعد 22 كلم من فاس تتميز بصبيب عالي للعين الساخنة التي تنبع فيها وكذلك بوظائفها العلاجية الهامة للعديد من أمراض الجلد والروماتيزم، كما يوجد بالقرب منها العديد من المطاعم وأماكن الإيواء للسياح¹.

• **حامة سيدي حرازم:** توجد على بعد 15 كلم شرق مدينة فاس وهي معروفة منذ زمن الجيوجغرافي العربي حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي تشتهر هذه العين بوظائفها الصحية المهمة والتي تساعد إلى التخفيف من عدة أمراض كالكبد والكلي²، وهي التي كانت فيما قبل وجهة متميزة للبورجوازية الفاسية من أجل الراحة والترفيه وتطوير اللياقة البدنية³ مما جعلها تكتسي أهمية كبيرة على الصعيد الوطني بفضل إمكانيتها الطبيعية والعلاجية.

• **حامة عين الله:** تتموقع على بعد حوالي 13 كلم من فاس في اتجاه مكناس تتميز بمياهها الحارة والكثيفة البخار تساعد على انخفاض الوزن ولمسامات الجسم وهو ما يجعلها مركزا استشفائيا وسياحيا⁴ مهما يحضى باهتمام كبير رغم افتقاره إلى المرافق الضرورية المتمثلة في الإقامات السياحية ودور الاصطياف التي تستجيب لمطالبات الزوار وهو ما يؤثر سلبيا على الحامة ومحيطها ككل.

1 نفس المرجع السابق، ص 72.

2 نفسه

3 Mohamed Berriane, 1989, Tourisme national et migrations de loisirs au Maroc, (Etude géographique), université François Rabelais tours, Thèses et mémoires, page 160.

4 نجوى فراح 2013/2014. مرجع سابق، ص 45.

II. تنوع بنية الإيواء السياحي بمدينة فاس

قد يكون المسافر متخوفا من البعد عن مسكنه الاعتيادي والدائم نظرا للتعود الطويل على أنماط معيشية وعلى أنواع غذائية معينة وضمن الأوساط العائلية الخاصة حيث الاستقرار النفسي والاجتماعي والسكن مع جماعات غير معروفة والأعباء الإضافية المترتبة عن السفر¹، لكن استطاعت وسائل الإيواء الحديثة التغلب على هذه الأمور وجعلت من الفنادق مثلا يستطيع لوحده توفير الخدمات التي يحتاجها السياح، ونظرا للأهمية البالغة لمراكز الإيواء السياحي في جذب السياح وإيوائهم نجد أن مدينة فاس تتميز بتنوع وحداتها الإيوائية لتوفر للسائح اختيارات متعددة كالفنادق المتواجدة بمختلف أصنافها وبخدمات متنوعة وبجودة عالية بالإضافة إلى دور الضيافة أو الرياضات التي هي من أهم مقومات التراث المعماري الأصيل لمدينة فاس.

1. الفنادق بمدينة فاس أصناف متعددة بخدمات مختلفة

الفندق كلمة تتداول في بلدان الغرب الإسلامي، تقابلها كلمة الخان في بلدان المشرق العربي، وقد شكلت الفنادق القديمة جزءا مهما من التشكيل العمراني والمعماري لأغلب الحواضر الإسلامية الكبرى ومن بينها مدينة فاس العتيقة. فحسب بعض الإخباريين المغاربة كابن أبي زرع والجزنائي فإن تاريخ بناء بعض هذه الفنادق يرجع إلى العهود الأولى لبناء مدينة فاس، وقد تطورت أعدادها بشكل كبير تماشيا مع الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي أخذت تلعبها المدينة كعاصمة سياسية للدولة المغربية، وكانت الفنادق تنقسم حسب طبيعة الوظائف التي تقوم بها إلى قسمين:

1 خلود الخطيب 2000. علم إدارة الضيافة، سلسلة علوم الفنادق الجزء الأول، هلا للنشر والتوزيع. ص 20.

• "فنادق" تخصص لخبزن السلع والإقامة المحدودة للتجار الغرباء الذين يفدون على مدينة فاس، حيث تخزن السلع في الطبقة السفلى وينام أصحابها في الطبقة العليا.

• "فنادق" تخصص لسكن بعض الأفراد المغاربة مكونة من التجار والصناع التقليديين حيث يقيمون في الطابق العلوي أما الطابق السفلي فكان يخصص لإيواء المهائم والدواب.

وكانت "لفنادق" القديمة بالمدينة تختلف أيضا من حيث موقعها وحجم مساحتها، حيث أن أغلبها يتواجد عند المحاور التجارية الرئيسية وقرب الأبواب الكبرى التي يفد منها التجار، كباب فتوح وباب لجيسة وباب بوجلود، كما كانت تتموقع تبعا لمستواها حيث أن تلك المتواجدة بالمراكز التجارية قرب القرويين كانت راقية ونظيفة أكثر من غيرها مثل الشماعين والسطاوينين والنجارين يقصدها التجار من الطبقة الراقية إضافة إلى بعض الشخصيات الفكرية والاجتماعية المهمة، وبجانب "لفنادق" المغربية كانت مدينة فاس تتوفر كذلك على فنادق تقطن فيها الجاليات الأوروبية التي كانت تقيم بالمغرب والتي كانت تشكل مجتمعا متكاملا وعالما مستقلا وسط البيئة الحضارية الإسلامية تعيش على النمط الأوربي وعاداته الاجتماعية وقوانينه الداخلية وممارساته الدينية.

لقد تراجعت أعداد "لفنادق" القديمة بمدينة فاس بشكل كبير خلال السنين الأخيرة ولعل الوضعية المأساوية التي أصبحت عليها هذه المؤسسات التي لعبت في الماضي دورا مهما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكانت حلقة مهمة في النسيج العمراني لمدينة فاس، تفرض إعادة الاعتبار إليها وذلك من خلال ترميمها وإعادة بناء المهتم منها واستغلال المساحات الأرضية التي كانت تتواجد فوقها، كما يستحسن المحافظة على طبيعة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تقوم بها هذه الفنادق في الماضي كمراكز للإيواء والإقامة القصيرة، وأن تسترد هذا الدور كاملا

باعتباره يحيل على بنية حضارية واجتماعية خاصة وبالتالي المساهمة في تنشيط الحركة السياحية على مستوى المدينة العتيقة¹، حيث أنه ومع توالي السنوات لم تعد "الفنادق" القديمة ذات وظيفة إيوائية وإنما أصبحت تخصص بالدرجة الأولى للصناعة التقليدية كما أن عددا كبيرا منها تعرض للانهيار، فكان من الضروري توفير فنادق جديدة بوظيفة إيوائية تسير التطورات المتسارعة في هذا المجال.

حاليا توجد بمدينة فاس فنادق حديثة ونشيطة تشمل ما مجموعه 38 فندقا مصنفا، وتوزع بشكل متباين داخل المجال حسب أصنافها.
جدول(1): توزيع الفنادق حسب أصنافها بمدينة فاس.

أصناف الفنادق	عدد الفنادق	مجموع الغرف	مجموع الأسرة
5 نجوم	7	1304	2558
4 نجوم	9	1126	2133
3 نجوم	11	786	1577
2 نجوم	7	318	577
1 نجوم	4	122	256
المجموع	38	3656	7101

المصدر: إحصائيات المندوبية الجهوية للسياحة فاس مكناس 2021.

تتميز مدينة فاس بتوفرها على جميع أصناف الفنادق وبأعداد متباينة فيما تحضى الفنادق من فئة 3 نجوم و4 نجوم بأكبر عدد، أما على مستوى مجموع الغرف تحتل فنادق 5 نجوم المرتبة الأولى بـ 1304 غرفة تضم 2558 سرير تأتي بعدها فنادق 4 نجوم بـ 1126 غرفة تضم 2133 سرير، وهذا ما يوضح أن هذين الصنفين يحتكران أكبر عدد من الغرف بمجموع 2430 غرفة من مجموع 3656 غرفة، وبمجموع 4691 سرير من مجموع 7101 سرير.

1 أحمد الهشيموي، الفنادق القديمة بمدينة فاس، المندوبية الجهوية للسياحة فاس بولمان 2014.

هذا وتنتشر بالمدينة مجموعة من الفنادق غير المصنفة وحسب المندوبية الجهوية للسياحة والمجلس الجهوي للسياحة فاس مكناس فإن المدينة تتوفر على 6 فنادق غير مصنفة بمجموع غرف يصل إلى 74 غرفة بمجموع أسرة يبقى في حدود 190 سرير، وتشكل هذه الفنادق إضافة نوعية لبينية الإيواء السياحي بالمدينة، في الوقت الذي تبقى الفنادق المصنفة هي التي تحظى بالأهمية نظرا لجودة خدماتها التي تسمح لها باستقطاب أعداد مهمة من السياح وتعطي اشعاع إضافي لتنوع المؤهلات السياحية للمدينة.

2. دور الضيافة إضافة نوعية لمراكز الإيواء السياحي

إن تسمية "دار الضيافة" "MAISON D'HOTES" أو "HOTEL DE CHARME" هو مصطلح غربي أصيل عرفته الأدبيات السياحية ببعض الدول الأوروبية كفرنسا واسبانيا وإيطاليا، وهي في الواقع تطور لظاهرة اجتماعية عرفتها المجتمعات الأوروبية في القرون الوسطى حيث كان أصحاب الإقطاعات من النبلاء يستقبلون ضيوفهم في اقامات وقصور منعزلة، ونتيجة للإمكانيات السياحية التي يمكن أن تقدمها هذه الإقامات الراقية فقد أخذت تلعب من جديد أدوار سياحية مهمة ببعض الدول الأوروبية.

وقد انتقلت هذه الظاهرة إلى بلادنا أيضا حيث عرفت الأوساط السياحية المغربية ظهور نماذج لهذه الدور وكان تطورها في البداية يستجيب لإظهار غنى التراث المغربي في مجال المعمار والصناعة التقليدية وأصبحت تشكل مع مرور الوقت موجة جديدة في مجال الإيواء السياحي ومنتوجا سياحيا قائما بذاته، وهكذا عرفت مدينة الصويرة إنشاء أول دار للضيافة "VILLA MAROC" سنة 1987م ثم انتقلت هذه الظاهرة إلى مدينة مراكش، ووصلت إلى مدينة فاس سنة 1997م (دار الزرقاء) امتدادا لتطورها في المدينتين السابقتين، وقد ساهمت في تحريك الآليات الاقتصادية لهذه المدن، وأصبح إقبال الزوار على هذه المؤسسات يتزايد باستمرار نظرا لتميزها المعماري ونوعية الخدمات التي تقدمها إضافة إلى الخصوصيات المرتبطة بموقعها

وشكلها الداخلي، وقد كون هذا الرصيد العقاري المهم من الدور والرياضات ذات الطابع المعماري التقليدي الأصيل العنصر الرئيسي الذي شجع المستثمرين المغاربة والأجانب على الإقبال على إنشاء دور للضيافة وذلك بتحويل شكل هذه الدور وتغيير وظيفتها الاجتماعية والعائلية الأصيلة إلى وظيفة سياحية إيوائية ومؤسسات إنتاجية في مجال الخدمات¹.

➤ تعددت أسباب وعوامل تطور دور الضيافة بمدينة فاس

لقد ساعدت مجموعة من العوامل على تطور هذه الظاهرة ولعل أبرزها هو قابلية الشكل المعماري التقليدي للرياضات والدور القديمة للتحويل إلى دور للضيافة وذلك اعتمادا فقط على عمليات الترميم والإصلاح التي تخضع لها هذه الدور دون الحاجة إلى بنائها ككل حيث أن 70 % إلى 80 % من هيكل المشروع موجودة بعين المكان وهذا ما يوفر للمستثمر الكثير من الوقت والجهد الذي يتطلبه إيجاد المساحة العقارية وتشييد البناية، إضافة إلى أن أغلب هذه الدور تتواجد في عمق الوسط الثقافي النموذجي للإرث الحضاري للمدن العتيقة مما يجعل منها تحفا أثرية وثقافية بامتياز، بحكم احترامها للنمط المعماري التقليدي المغربي من نقش على الجبس والخشب وفسيفساء وزخارف محلية وعادات استقبال مغربية أصيلة، إضافة إلى تموقعها بشكل جيد داخل الأوساط الشعبية للمدن العتيقة حيث تتقاطع العادات الاجتماعية وأنظمة الحياة المغربية التقليدية مما يجعل رواد هذه الدور يعيشون بعمق أشكال الحياة الماضية للسكان ويلمسون عن قرب التقاليد والعادات الاجتماعية من الأكل واللباس ووسائل النقل التقليدية وسكون الأجواء حيث الغياب التام لضوضاء الحياة العصرية ولعل هذه الخاصية هي التي تجلب السياح أكثر وتعزز فرص الإقبال عليها².

➤ أهمية دور الضيافة: هيمنة البعد السياحي والمحافظة على الشكل المعماري العتيق

1 احمد الهشيموي، دور الضيافة بمدينة فاس قراءة في الأوليات والممارسة، المندوبية الجهوية للسياحة فاس بولمان 2014.

2 أحمد الهشيموي، نفس المرجع.

لقد جاء إنشاء دور الضيافة ليعطي دفعة أخرى للسياحة الثقافية ويضيف حلقة أخرى إلى المشهد السياحي الوطني هذا دون أن ننسى الدور المهم الذي يقوم به هذا النوع من الاستثمار السياحي في إعادة ترميم بعض الدور الكبيرة وإصلاحها و إنقاذها من الضياع والخراب الذي قد يصيب العشرات من مثيلاتها ويعزز بالتالي هيكل البنايات القديمة داخل المدن ويظهر الفنون المعمارية والجماليات التي كانت تتوفر عليها هذه الدور التقليدية، ويجعلها تبدو من جديد كمفخرة وشاهد على المستوى العالي لفن العمارة الإسلامية، ومن هذه الزاوية يمكن القول أن الاستثمار في مجال دور الضيافة هو في الحقيقة مساهمة أيضا في انقاذ المدينة العتيقة وتغطية لجزء مهم من المجهودات التي تنجز في هذا المجال وتكملة للأدوار التي تقوم بها بعض المؤسسات العمومية والمنظمات والخواص الذين ينشطون في عمليات الإنقاذ¹.

لقد اخدت دور الضيافة ابتداء من سنة 1997 تلعب دورا مهما في إنعاش الحركة السياحية والاقتصادية بمدينة فاس ويرجع هذا الدور إلى الإقبال المتزايد للسياح الأجانب على ارتياد هذا النوع من المؤسسات السياحية والذي يشكل في الواقع نموذجا جديدا في مجال الإيواء والخدمات السياحية، إضافة إلى كونه يخرج عن الإطار السياحي العادي للمؤسسات الفندقية وأشكال الإيواء الأخرى. فالمدينة تتوفر اليوم على عدد مهم من هذه الدور والتي يبلغ عددها 135 وحدة مصنفة² وجميع هذه الوحدات تستجيب إلى القانون المنضم لها ولشروط التصنيف التي تخضع لها هذه الدور ومن بين أهم هذه الشروط ضرورة توفر الوحدة على 5 غرف على الأقل، وبالتالي فإن مجموع هذه الدور يمثل إضافة نوعية ودفعة قوية لمراكز الإيواء بالمدينة كما يساهم في تنوع المنتج السياحي بالمدينة.

1 أحمد الهشميوي، نفس المرجع السابق.

2 إحصائيات المندوبية الجهوية للسياحة فاس مكناس 2021.

3. الإيواء لدى الأسر شكل جديد بأهداف مختلفة يقوي التبادل الثقافي المباشر

يعتبر الإيواء لدى الأسر ظاهرة حديثة بمدينة فاس وتمثل إضافة نوعية مهمة لباقي مؤسسات الإيواء السياحي بالمدينة وقد جاء هذه النوع من الإيواء في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بشراكة مع مجموعة من المؤسسات، بهدف محاربة الإقصاء الاجتماعي لدى العائلات الهشة والفقيرة والأسر ذات الدخل المحدود باعتباره مشروعاً مدراً للدخل إضافة إلى مساهمته في المحافظة على النسيج العتيق للمدينة القديمة والحيلولة دون انهياره.

تعتبر سنة 2007 الانطلاقة الأولى لهذا المشروع والذي تميز بمرحلتين الأولى خصصت لتأهيل وتهيئة هذه الدور لتكون قابلة لاستقطاب السياح، وفي هذا الإطار تشكلت جمعية لأرباب دور السياحة العائلية تضمنت 40 أسرة بناء على طلبات منها ما تم الموافقة عليه ومنها ما تم رفضه، كما تميزت هذه المرحلة بإخضاع هذه العائلات إلى تكوين سياحي شامل من تاريخ مدينة فاس وحضارتها وكيفية الاستقبال والتعامل مع السياح إضافة إلى فن الطبخ، وفي المرحلة الثانية سنة 2008 كان تفعيل المشروع واستقبال السياح بهذه المنازل مع تسليم شارات الاستغلال للمستفيدين.

وفي ظل النجاح الذي عرفه هذا المشروع إرتت اللجنة المحلية لهذه المبادرة برمجة شطر ثاني خلال سنة 2011 ضم حوالي 15 أسرة مما جعل عدد الأسر المستفيدة يرتفع ما بين الشطر الأول والثاني إلى 55 أسرة، غير أن البعض منهم ونظراً لارتكابهم مجموعة من المخلفات فقد حرموا من الاستفادة ليتقلص هذا العدد إلى 40¹ أسرة فقط ومنهم من انسحب أيضاً نظراً للتطور الذي عرفته وحدتهم الإيوائية لتتحول إلى دار للضيافة، علماً أنه وفي إطار هذا النوع من الإيواء يشترط فقط غرفتين لكل عائلة كما أنه يستفيد من الإعفاء الضريبي لكونه موجه إلى الطبقات الفقيرة ويهدف المحافظة على الشكل العتيق للمدينة القديمة ومحاربة انهيار بناياتها

1 إحصائيات مقاطعة فاس المدينة.

التي هي في ملكية أسر ذات الدخل المحدود، وبفضل هذه المبادرة تمكنت مجموعة من الأسر تحسين مستوى عيشها مما جعلها تتكف بإعادة تأهيل وتطوير هذه الدور التقليدية لتحافظ على الشكل المعماري الأصيل وتساهم في تنشيط الحركة السياحية بالمدينة، وبالتالي أصبحت مدينة فاس تتوفر على 40 وحدة إيوائية عائلية تنتشر بشكل كبير بالمدينة القديمة.

خاتمة

تعتبر السياحة ظاهرة إنسانية قديمة تعددت مفاهيمها وخصائصها وأسباب نشأتها، فقد كان لأوقات الفراغ والعطل الدور المهم في تطور هذه الظاهرة التي استفادت من مختلف التحولات البشرية والتكنولوجية الحديثة، وجعلت منها صناعة منافسة وموردا أساسيا للعديد من الدول. هذا التطور السريع رافقه تطور آخر على مستوى النشاط الفندقى الذي يعتبر من الدعامات الأساسية للسياحة وجزءا لا يتجزأ منها إذ تطورت الفنادق ومختلف مراكز الإيواء سواء من حيث الكم أو النوع أو من حيث الخدمات المقدمة.

لقد كان المغرب من البلدان الرائدة في هذا المجال بفضل الأولوية التي خص بها القطاع السياحي من تطوير للمؤهلات وتنويعها ثم أحداث ودعم الاستثمارات الفندقية، حيث تعتبر مدينة فاس ذات مكانة سياحية مهمة ضمن الوجهات المتعددة بحكم مؤهلاتها البشرية والطبيعية الغنية والمتنوعة التي جعلت منها وجهة سياحية ذات إشعاع كبير مكنها من استقطاب أعدادا مهمة من السياح، حيث وفرت لهم بنية إيوائية سياحية متنوعة من مختلف الأصناف الفنادق بصنفها، مثلت فيها الفنادق من فئة أربع وثلاث نجوم العدد الأكبر، فيما أعطت دور الضيافة إضافة نوعية مهمة ساهمت في الرفع من الطاقة الإيوائية بالمدينة ولعبت أدوارا مهمة في جلب السياح نظرا لإشعاعها التاريخي وشكلها المعماري الضارب في القدم، وتواجدها حيث تواجدت المؤهلات السياحية بالمدينة العتيقة. فيما شكلت السياحة العائلية أو ما يعرف بالإيواء لدى الأسر شكلا جديدا من الإيواء السياحي الحديث العهد بالمدينة بأهداف وأدوار متعددة.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- أكرم عاطف رواشدة 2009، السياحة البيئية الأسس والمرتكزات، دار الراجية للنشر والتوزيع، عمان.
- خلود الخطيب 2000، علم إدارة الضيافة، سلسلة علوم الفنادق، هلا للنشر والتوزيع، الجزء الأول الطبعة الأولى.
- زيد منير عبوي 2008، السياحة بالوطن العربي، دار الراجية للنشر والتوزيع، الأردن.
- المجلس الجهوي للسياحة فاس بولمان 2005، الدليل السياحي لفاس، بريكوم للنشر والتوزيع.

البحوث الجامعية والمحاضرات

- نجوى فراح 2014/2013، قطاع السياحة بمدينة فاس مؤهلات متنوعة اكرهات متعددة ومخططات واعدة، بحث لنيل شهادة الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس.

المقالات والمواقع الالكترونية

- أحمد الهشميوي، الفنادق القديمة بمدينة فاس، المندوبية الجهوية للسياحة فاس-بولمان 2014.
- أحمد الهشميوي، دور الضيافة بمدينة فاس قراءة في الأولويات والممارسة، المندوبية الجهوية للسياحة فاس-بولمان 2014.

المصادر الإدارية

- المديرية الجهوية للسياحة فاس-بولمان.
- المجلس الجهوي للسياحة فاس-بولمان.

● مقاطعة فاس المدينة.

باللغة الفرنسية

- Mohamed BERRIANE 1989, Tourisme national et migration de loisir au Maroc, (Etude Géographique), Université François Rabelais Tours, Thèses et mémoires.
- Statistiques sur le tourisme au Maroc pour le mois de Novembre 2014, Publication de la Conseil Régional de tourisme Fès Boulemane.

فن الصناعة المعجمية الأمازيغية من الورقي إلى المحوسب

د. نور الدين أمهاوي

أستاذ محاضر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق
جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب.



ملخص

تحاول هذه الورقة البحثية أن تستعرض الفكر المعجمي الأمازيغي في جانبه الورقي والمحوسب، وتبين أن اللغة الأمازيغية تزخر بمؤلفات علمية عديدة وفي صدارتها القواميس والمعاجم والمسارد التي تراوحت بين العام والخاص والعلمي والأكاديمي وأيضاً بين الأحادي اللغة الذي لازال في بدايته والثنائي والثلاثي. لذلك، ركزت في هذه الدراسة على مجموعة من النقاط المتعلقة بالصناعة المعجمية الأمازيغية، بدءاً بالوقوف على مفهوم المعجم الورقي والمحوسب والفرق بينها، ومروراً بالأعمال المعجمية الأمازيغية الورقية وأهم ما تم إنتاجه في هذا المجال، وانتهاءً بإلقاء الضوء على الإنتاج المعجمي الأمازيغي المحوسب وأهم ما تم تطويره من مواقع وتطبيقات محوسبة.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أمهاوي، نور الدين. (2024، أبريل). فن الصناعة المعجمية الأمازيغية من الورقي إلى المحوسب. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 351-376.

Abstract

This research paper attempts to review the Amazigh lexical thought in both of its paper and computerized aspects, and shows that the Amazigh language abounds in many scientific books, at the forefront of which are dictionaries, lexicons, and glossaries, which ranged between general, private, scientific, and academic, as well as between the monolingual, which is still in its beginning, and the bilingual and trilingual. Therefore, in this study, I focused on a set of points related to the Amazigh lexicography, starting with examination on the concept of paper and computerized dictionary and the difference between them, passing through the paper Amazigh lexical works and the most important productions in this field, and ending with shedding light on computerized Amazigh lexical production and the most important that has been developed of computerized websites and applications.

مقدمة

لم تكن يوما اللغة الأمازيغية لغة ميتة حتى نبادر لإحيائها، وإنما هي لغة حية منذ أن كتب الله لها أن تتداول على لسان أبنائها، ولعل ما يؤكد ذلك تراثها وحضارتها الضاربة في التاريخ، والتي عاصرت حضارات كان لها شأن كبير فيما مضى بينما الآن لا تذكر إلا في الكتب، إلى جانب أجناسها الأدبية المتنوعة من أمثال وحكم وألغاز وحكايات مازالت متداولة بين أبنائها. لكن مشكلتها أنها ظلت لعهد طويل لغة شفوية مما أخرجها عن أن تكون لغة علم ومعرفة، على الرغم من وجود أبحاث ودراسات خاصة في مجالات متعددة منها مجال المعجم الذي نحن بصدد.

عرفت الصناعة المعجمية الأمازيغية ومازالت تعرف تحولات عميقة منذ عهدنا بهذا المجال المعرفي، الذي يسعى من خلاله العلماء والمتخصصون إلى تطويره وتكيفه مع متطلبات هذا العصر، وخاصة مع بروز عالم التقنية والحوسبة الذي أحدث تغييرات جذرية في عدة ميادين وبالخصوص ميدان اللغة، فالمعجم سواء كان أحاديا أم ثنائيا، عاما أم خاصا، عرف تطورا ملحوظا سواء في الطريقة التي يتم بها صنع المعاجم أو في طريقة استشارتها.

لقد أضحت الخزانة الأمازيغية متوفرة على عدد غير يسير من المعاجم التي تعد كنزا من الكنوز اللغوية هدفها جمع اللغة ووضعها والحفاظ على الثروة اللفظية، ولولا هذه المعاجم لضاعت هذه الثروة وانقرضت، لأن الإنسان مهما بلغت معرفته وعلمه وقوة ذاكرته وسعة مخيلته لن يستطيع الإحاطة بكل الثروة اللفظية للغة. وعليه يمكن طرح الإشكال التالي: ما أهم الفروقات الكائنة بين المؤلفات المعجمية الورقية والمحوسبة؟ وماهي الأعمال المعجمية التي تم إنتاجها في كلا الجانبين؟ وهل يمكن القول بأن الصناعة المعجمية الأمازيغية قد استطاعت أن تلج ميدان التقنية من خلال ما تم تطويره من معاجم محوسبة في هذا المجال؟

1. مفهوم المعجم

يميل القراء إلى استشارة المعجم أو عدة معاجم للبحث عن معلومة حول شيء يجهلونه أو تعريف كلمة غامضة، فاستشارته تسمح بالاستزادة في المعارف حول العالم وتحسين إتقان اللغة الأم أو أي لغة أجنبية. وهدف المعاجم بيداغوجي ديداكتيكي فهي تتحدث عن اللغة باللغة¹. وقد قدمت للمعجم مجموعة من التعريفات من بينها نذكر:

ما أورده اللساني جون ديبيوا وآخرون في كتابهم "قاموس اللسانيات" إذ أعطوا لكلمة معجم مفهومان، أحدهما خاص ويعني كتابا يضم قائمة من الوحدات المعجمية المستعملة من قبل كاتب ما، أو علم ما، أو تقنية ما، أو قاموسا ثنائي اللغة يجمع الوحدات المعجمية للفتين متقابلتين وضعتا وضعية متوازية. وفي هذا السياق، المعجم يرادف القاموس. بينما المفهوم العام، يعتبر فيه المعجم عبارة عن مجموعة من الوحدات التي تشكل الرصيد اللغوي لمجتمع لغوي معين، أو نشاط إنساني، أو متكلم ما، إلخ².

ونجد الباحث عبد القادر عبد الجليل يعرفه بقوله: "المعجم مرجع يشتمل على ضروب ثلاثة:

الأول: وحدات اللغة مفردة أو مركبة.

الثاني: النظام التبويبي.

الثالث: الشرح الدلالي.

وعلى هذه المرتكزات الثلاثة يقوم المعجم بشكله العام من حيث كونه وعاء يحفظ متن اللغة، وليس نظاما من أنظمتها، ذلك لأن المعنى المعجمي

1Hamek, B. (2012), Introduction à la réalisation d'un dictionnaire Amazigh-Amazigh à base Kabyle, Thèse de Doctorat, Faculté des Lettres et Sciences Humains, Tizi-Ouzou, Algérie, p 176.

2 Dubois, J et Al. (1989), Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, p 297.

Lexical Meaning هو جزء من النظام الدلالي العام للغة، والمرجع في التزود وإغناء الذهن الإنساني حينما تستجد الحاجة وتمليها متطلبات الفكر [...] وتبقى الوحدة المعجمية، محور المعجم، ونشاطه وهمته تدوران حولها، اشتقاقا، واستخداما، وتدرجا زمنيا¹. ويعرفه أحمد بن عبد الله الباتلي بقوله: "كتاب يضم عددا كبيرا من المفردات اللغوية مقرونة بشرحها، وتكون موادها مرتبة ترتيبا خاصا بحسب طريقة كل مؤلف"².

إذن، فالمعجم هو كتاب يتضمن مفردات اللغة مع شرح معانيها. وهو أنواع كثيرة، منها:

- الموحد الذي يكتفي بمفردات لغة واحدة فيذكرها كلها أو معظمها؛
- مزدوج اللغة أو متعدد اللغات الذي يذكر اللفظة في إحدى اللغات وما يقابلها في لغة أو لغات أخرى؛
- العام الذي يشمل كل مواد اللغة، قديمها وحديثها، حتى غير المستعمل منها والذي تقادم عليه الزمن؛
- الاختصاصي الذي يقتصر على مفردات معينة تتعلق بعلم من العلوم أو فن من الفنون أو جماعة تقنية³.

وقد عرفه الباحث علي القاسمي بأنه "كتاب مطبوع أو محوسب يحتوي على كلمات منتقاة، ترتب وفق نظام معين من معلومات ذات علاقة بها سواء أعطيت تلك المعلومات باللغة ذاتها أو بلغة أخرى"⁴. فالباحث القاسمي جمع في هذا التعريف بين

1 عبد الجليل عبد القادر، (2014)، المدارس المعجمية، دراسة في البنية التركيبية، الطبعة الثانية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص 33-34.

2 الباتلي أحمد بن عبد الله، (1992)، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، الطبعة الأولى، دار الرياء، الرياض، ص 13.

3 جبور عبد النور، (1984)، المعجم الأدبي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 256-257.

4 عبد الحي مصطفى يوسف، (2014)، المواد والمداخل في المعجم اللغوي التاريخي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ص 36.

المعاجم الورقية والمحوسبة، الأحادية اللغة أو المتعددة اللغات، المرتبة حسب أنماط الترتيب المختلفة.

ولهذا، فالمعجم هو ذلك الكتاب الذي يضم مجموعة من المداخل المعجمية المرتبة ترتيباً معيناً، ومرفوقة بمعلومات أساسية في لغة القارئ من شرح ومعنى الكلمات وطريقة نطقها، وإملائها، ومعلوماتها النحوية، والصرفية. فالغاية التي من أجلها وضع المعجم هي شرح المعنى وإزالة الغموض الذي يكتنف الوحدات المعجمية. وبالتالي فإن المعجم مشروع مفتوح يستدرك عليه باستمرار ليوفر للقارئ والباحث ما يحتاج إليه من معلومات عن اللغة في الماضي والحاضر والمستقبل ساعياً إلى المرور من محطات الموجود بالفعل إلى محطات الموجود بالقوة التي لا نهاية لها باعتبار أن المعارف التي تتناقلها الأصوات والألفاظ والمعاني لا تنتهي مادامت همّة الإنسان، خليفة الله في أرضه، متعلقة ببلوغ العرش وآياته¹.

2. تعريف المعجم المحوسب

في الوقت الحالي تضاعف الاهتمام بإنتاج القواميس والمعاجم الورقية التقليدية وحل محله الاهتمام المتزايد بتطوير معاجم حديثة معتمدة على ما يسمى بعلم الحاسوب، مما أنتج لنا معاجم محوسبة وممكنة تخزين على شكل شرائح إلكترونية أو وسائط ممغنطة كالأقراص الممغنطة أو الضوئية، وذلك لاستخدامها في أغراض الترجمة الآلية والتعليم واكتشاف الأخطاء الإملائية علاوة على أغراض المعالجة الآلية الأخرى². وغالبا ما تكون أحادية أو ثنائية اللغة، وتقدم للمترجم جميع المقابلات المخزنة في ذاكرة الحاسوب، كما تعفيه من عناء البحث في المعاجم الورقية

1 الحمزاوي محمد رشاد، (1986)، "معجم المصطلحات المعجمية العربية، مقارنة تاريخية واجتماعية ولسانية"، مجلة المعجمية، العدد 2، تونس، ص 12.

2منعم سناء، (2015)، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، بعض الثوابت النظرية والإجرائية، ط1، منشورات مختبر العلوم المعرفية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 102.

العادية. فأغلب تطبيقات المعالجة الآلية للغة تعتمد على هذه المعاجم المحوسبة باعتبارها حجر الزاوية بالنسبة لها.

أحدث علم المعجم ثورة من خلال تداخله وتكامله مع علم الحاسوب أدى إلى ظهور المعجم الإلكتروني الذي هو نتاج تطبيق علوم الحاسوب في ميدان الصناعة المعجمية وذلك بتخزين المفردات اللغوية والمعلومات المرتبطة بها في نظام أو ذاكرة ذات سعة تخزين كبيرة، والقيام بتدبير هذه المعطيات ومعالجتها آلياً. فهو معجم آلي غير ورقي خاضع للبرمجة الحاسوبية يدمج مع كثير من النظم اللغوية الآلية، مثل: المعالجات الصرفية والنحوية، ونظم الفهم الأوتوماتي، ونظم التخاطب مع قواعد البيانات، والنظم الخبيرة، والترجمة الآلية، واسترجاع المعلومات، والفهرسة الآلية، والمصححات الإملائية والنحوية، وبرامج تعليم اللغات، وألعاب الكلمات¹.

ومنهجياً، يمكن أن نميز بين أصناف مختلفة من المعاجم المحوسبة، اعتماداً على معايير محددة وهي:

- معيار اللغة: يمكن أن نميز بين معاجم محوسبة أحادية اللغة، ومعاجم محوسبة ثنائية اللغة، وأخرى متعددة اللغات.
- معيار تقني آلي: يمكن الوقوف عند المعاجم الواردة في شكل أقراص مدمجة، والمعاجم الإلكترونية الواردة على صفحات الويب.
- معيار المحتوى المعرفي: يمكن التمييز فيه بين المعاجم المحوسبة العامة والتي تتضمن مفردات لغوية تنتهي إلى مجالات معرفية متعددة ومختلفة، ومعاجم محوسبة خاصة تحتوي على المفردات المستعملة لعلم أو فن مثل: المعجم المحوسب لمصطلحات الرياضيات، المعجم المحوسب لمصطلحات الاقتصاد إلى غير ذلك من المعاجم الخاصة الكثيرة والمتنوعة.

¹ علي نبيل، (1988)، اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، دار نشر تعريب، القاهرة، ص 492.

والمعجم الآلي حسب محمد الحناش نقلا عن مقال السامرائي موجه بالأساس للاستعمالات المعلوماتية، ويتخذ شكل أجروميات تعالج المعطيات الصورية التي تحدد على وفق نظرية لسانية، تسمح بمعالجتها برامج معلوماتية ذات طبائع مختلفة غير منقوصة، حتى لا يفشل الحاسوب في عملية البحث التي يقوم بها عن ظاهرة من الظواهر¹.

إذن، فالمعجم المحوسب يقصد به المعجم المبني على أسس مفاهيمية حاسوبية تتعدى مجرد استخدام الأدوات الحاسوبية في التحليل أو التخزين أو تيسير الاستدعاء. فنقل معاجم تقليدية وتخزينها حاسوبيا لا ينتج معجما حاسوبيا حقيقيا، ولكنه ينتج معجما تقليديا مرتديا الثوب الحاسوبي².

3. الفرق بين المعجم الورقي والمعجم المحوسب

سيقول البعض أن لا شيء يحل محل أي محب للكتب، متعة اللمس، ومشاهدة الورق، والتجليد، ورائحة الغراء، والعناوين المتناسقة على ظهورها السمكية مرتبة جنبا إلى جنب على الرف، نتصفحها باهتمام أو بسرعة حسب الاختيار، لاسيما الشروح الهامشية التي نجدها بعد سنوات والتي تجعلنا بطريقة ما نستوعب نص القاموس. يتم الرد على كل هذا من قبل محترفي الإلكترونيات أنه لا يوجد ما يساوي متعة اللعب مع هذا الجهاز الرائع ألا وهو الحاسوب. المبارزة اللفظية حيث لا أحد سيقنع الآخر³.

1 السامرائي أحمد هاشم أحمد، (2013)، "حوسبة المعجم العربي والقضايا المعاصرة"، مجلة سر من رأى، المجلد 9، العدد 34، العراق، ص 11.

2 رشوان محمد وآخرون، (2019)، الموارد اللغوية الحاسوبية، الطبعة الأولى، مباحث لغوية 56، مركز عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، ص 26.

3 Béjoint, H. (2007), "Informatique et lexicographie de corpus : les nouveaux dictionnaires", Revue française de linguistique appliquée, Vol. XII-1, p 10.

شهدت صناعة المعجم تقدما كبيرا مع الانتقال من المعاجم الورقية إلى المعاجم المحوسبة، إذ أحدث هذا التحول تغييرات إيجابية في هذا المجال من خلال تسخير التكنولوجيا في خدمة مجموعة من المجالات التطبيقية. ويتضح الفرق بين المعجم الورقي والمعجم المحوسب في طريقة الاستعمال، وكيفية عرض المعلومات، والاطلاع على المحتوى والتي تتم بصفة خطية في المعجم الورقي. إذ يعمل مستعمل المعجم على البحث عن الكلمة المراد شرحها بالاعتماد على قائمة المفردات بينما في المعجم المحوسب يمكن القيام بأنواع مختلفة من البحث. وهنا يمكن القول بأن التقنية تعمل على تحسين وتيسير عملية التصفح، فعندما يتعلق الأمر بالبحث عن كلمة ما في المعجم الحاسوبي تتم هذه العملية بشكل أسرع، وذلك بفضل محركات البحث التي يتميز بها هذا النوع من المعاجم عكس الباحث في المعجم الورقي الذي يتعين عليه مسح هذا الأخير للوصول إلى الكلمة المعلومة، وعلى الرغم من كون المحتوى نفسه في هذين النوعين من المعاجم إلا أن المعجم المحوسب يختلف عن المعجم الورقي بخاصية تعدد الوسائط من خلال دعم شرح وتفسير الكلمات بمقاطع الصوت أو الفيديو والصور الثابتة والمتحركة. إذ توفر المعاجم المعتمدة على الحاسوب للمستخدم ميزات لا يمكن إنكارها، بغض النظر عن الشكل المعتمد. فالأكثر وضوحا هي المعاجم المحمولة على سبيل المثال: معجم أكسفورد الإنجليزي في طبعته الثانية، 20 مجلدا، وضع في قرص مدمج واحد. هناك أيضا حقيقة مفادها أنه يمكن للمستخدم الحصول على صور متحركة وأصوات تكون مفيدة جدا لتعريفات معينة: على سبيل المثال، أصوات الحيوانات، الصور المتحركة لأفعال الحركة أو الضوء، إلخ¹.

وما يميز المعجم المحوسب عن نظيره التقليدي هو قدرته على التعامل مع البيانات والمعلومات ومعالجتها أليا، فمستخدم هذا المعجم لا يتمتع بالقدرة على استخراج المعلومات الصرفية والنحوية المتعلقة بالكلمة فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى

1 Béjoint, H. Op. cit, p 9.

الوقوف على معانيها ودلالاتها المختلفة التي تتراوح بين ما هو حقيقي وما هو مجازي، إلى جانب الأمثلة المصاحبة والشواهد.

وعلى الرغم من امتلاك الإنسان للغة التي يتكلم بها أو يكتب بها، وقدرة عقله على التذكر والاستنتاج والاستقراء، إلا أنه يلجأ في بعض الأحيان إلى استشارة المعجم الورقي واستغلاله عند الحاجة إليه لأنه يتوفر على شروحات كثيرة تفيده في معرفة ما يلتبس عليه. لكن هذا النوع من الكتب يصعب استشارته والاستفادة منه بسبب المعلومات الكثيرة المتضمنة فيه، على عكس المعجم المحوسب الإلكتروني الذي يختلف عن المعجم الورقي بكونه يقدم مساعدة آلية لإنجاز مهام بحثية تستغرق حيزاً زمنياً طويلاً.

ولذلك، يمكن القول أن المعاجم المحوسبة أصبحت تحظى بأهمية بالغة في هذا الوقت، نظراً لاعتمادها على الحاسوب وقدراته. فهذه الآلة الصماء بفضل قدرتها التخزينية الهائلة ومعالجتها للمعلومات واسترجاعها وغيرها من المميزات التي تتيحها مكنت من إنجاز وبناء معاجم آلية سهلت على الإنسان مأمورية البحث عن المعلومات في وقت وجيز وبأقل تكلفة، وجعلته يؤمن بفكرة مفادها أنه من غير المفيد الآن الاقتصار على المعاجم التقليدية.

4. الإنتاج المعجمي الأمازيغي الورقي

لقد عرفت الصناعة المعجمية الأمازيغية إنجاز مجموعة من الدراسات سواء من طرف أبناء هاته اللغة أو من طرف المستمزين، حيث تم إنتاج العديد من المعاجم والقواميس، والمسارد التي كانت تذييل بها الكتب والنصوص الأمازيغية. غير أن نوع الدراسات المعجمية التي هيمنت منذ بداية التأليف المعجمي هي المعاجم الثنائية وأحياناً الثلاثية، لأن النزعة السائدة بالنسبة لجميع مؤلفي المعاجم الأمازيغية في بداية التأليف المعجمي الأمازيغي كانت تميل إلى اختيار اللغة الأمازيغية لغة انطلاقاً (اللغة المصدر) في المعجم، بينما كانت لغة الوصول (اللغة المستهدفة)

هي اللغة الفرنسية أو اللغة العربية أو اللغة الإسبانية، فأول معجم ثنائي أمازيغي-فرنسي تم إصداره سنة 1844م من طرف Venture de Paradis الموسوم بـ"Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère"، ثم توالى بعد ذلك الدراسات في هذا المجال ومن بينها نجد:

- Cid Kaoui 1900 "*Dictionnaire pratique tamahaq– français*".
- Huyghe 1901 "*Dictionnaire Kabyle–français*".
- Huyghe 1907 "*Dictionnaire Chaouia – arabe – kabyle– français*".
- Foucauld 1918 "*Dictionnaire abrégé touareg–français, dialecte de l’Ahaggar*".
- Laoust 1920 "*Mots et choses berbères*".
- Jordan 1934 "*Dictionnaire berbère– français*".
- Mercier 1937 "*Vocabulaire et textes dans le dialecte des Ait Izdeg*".
- Foucauld 1940 "*Dictionnaire abrégé touareg– français des noms propres*".
- Ibañez 1949 "*Diccionario rifeño-español*".
- Foucauld 1952 "*Dictionnaire touareg– français, dialecte de l’Ahaggar*".
- Alojaly 1980 "*Lexique touareg– français*".
- Amawal 1980 "*berbère– français*".
- Dallet 1982 "*Dictionnaire kabyle– français, parler des Ait Mangellat*".
- Delheure 1985 "*Dictionnaire mozabite– français*".
- Delheure 1987 "*Dictionnaire Ouargli– français*".
- Prasse et Al 2003 "*Dictionnaire touareg– français (Niger)*".

وقد كانت هذه الثنائية سائدة حتى في المسارد التي كانت تذييل بها الكتب المنتجة في الفترة الكولونيالية مثل:

- Boulifa 1913 "*Glossaire berbère– français*".
- Loubignac 1925 "*Étude sur le dialecte berbère des Zaïan et Aït Sgougou: textes et lexique*".

ونجد دراسات معجمية أخرى اختارت اللغة الأمازيغية لغة وصول (اللغة المستهدفة) بينما اللغات الأخرى لغات انطلاق (لغات مصدر)، ومن بين هذه الدراسات نجد:

- Brosselard 1844 "*Dictionnaire français– berbère*".
- Creusat 1873 "*Dictionnaire français– kabyle (Zouaoua)*".
- Olivier 1878 "*Dictionnaire français– kabyle*".
- Masqueray 1893 "*Dictionnaire français– touareg*".
- Cid Kaoui 1894 "*Dictionnaire français– tamahaq*".
- Huyghe 1903 "*Dictionnaire français– kabyle*".
- Huyghe 1906 "*Dictionnaire français– Chaouia*".
- Cid Kaoui 1907 "*Dictionnaire français– tachlh'it et français– tamazir't*".
- Destaing 1914 "*Dictionnaire français–berbère, dialecte des Beni Snous*".
- Destaing 1938 "*Vocabulaire français– berbère, tachelhit du Sous*".
- Destaing 1944 "*Dictionnaire français– berbère, parler des chleuhs du Sous*".
- Ibañez 1944 "*Diccionario español – rifeño*".
- Ibañez 1954 "*Diccionario Español – baamrani, Dialecto berebere de Ifni*".
- Ibañez 1959 "*Diccionario español – senhayi, Dialecto berebere de Senhaya de Serair*".
- Cortade et Mammeri 1967 "*Lexique français – touareg, dialecte de l'Ahaggar*".
- Dallet 1985 "*Dictionnaire français– kabyle*".
- Dray 1988 "*Dictionnaire français–berbère, dialecte des Ntifa*".
- Suárez Rosales 1989 "*Vocabulario de mazigio moderno (Español–Mazigio)*".

كما توجد مسارد اختارت اللغة الأمازيغية لغة انطلاق ووصول أي لغة مصدر وهدف في نفس الوقت ومن بينها نجد:

- Ronisio 1932 "*Grammaire, texte, lexique*".
- Laoust 1932 "*Glossaire berbère– français et français–berbère*".

- Lanfry 1973 *"Glossaire parler des Ayt Waziten"*.

- Boogert 1998 *"Lexique arabo-berbère"*.

وقد عرفت الدراسات المعجمية الأمازيغية تطورا كما ونوعا نتيجة إصدار مجموعة من المعاجم العلمية والأكاديمية، وكذا المعاجم المتخصصة:

- Chafik 1990-1996-1999 *"Dictionnaire arabe- amazighe"*.

- Taifi 1991 *"Dictionnaire Tamazight – français, parlars du Maroc Central"*.

- Belaid 1993 *"Vocabulaire de l'éducation français- tamazight"*.

- Oussikoum 1995 *"Dictionnaire français- tamazight, parler des Ayt Wirra"*.

- Buzerfan 1996 *"Lexique d'informatique français-anglais-berbère"*.

- Azdoud 1997 *"Lexique commun des Ait Haddidou du Haut-Atlas"*.

- Nait Zerrad 1998, 1999, 2002 *"Dictionnaire des racines berbères"*.

- Bounfour et Boumalk 2001 *"Vocabulaire usuel du tachelhit- français"*.

- Serhoual 2002 *"Dictionnaire tarifit- français"*.

- El Mountassir 2003 *"Dictionnaire des verbes tachelhit- français"*.

- Haddadou 2003 *"Lexique Kabyle du corps humain"*.

- Haddadou 2003 *"Vocabulaire berbère commun"*.

- Nait Zerrad 2005 *"Dictionnaire des prénoms berbères"*.

- Aneur et Al 2005 *"Vocabulaire de la langue amazighe 1"*.

- Rahho 2005 *"Dictionnaire berbère-français, Parler des Beni Iznassen"*.

- Aneur et Al 2008 *"Muejam al-ielam, arabe-amazighe-anglais-français"*.

- Elardi 2008 *"al-muejam al-amaziyi al-wadifi"*.

- Oussous 2008 *"Lexique animal, français – Arabe – Amazighe"*.

- Aneur et Al 2009 *"Vocabulaire des médias: français – amazighe – anglais – arabe"*.

- Aneur et Al 2009 *"Muejam al-luya al'amaziyya 1"*.

- Boumalk et Nait Zerrad 2009 *"Vocabulaire grammatical"*.

- Equipes de recherche de l'IRCAM et l'INALCO, 2009 "Vocabulaire grammatical: français – amazighe – anglais – arabe/amazighe – français – anglais – arabe".
- Benramdan 2010 "Vocabulaire kabyle de l'ostéologie et de l'orthopédie".
- Chahbari 2010 "Dictionnaire des noms des parties du corps humain amazighe – français, Dialecte tarifit".
- Azdoud 2011 "Dictionnaire berbère–français".
- Barakate 2012 "Le dictionnaire des verbes de l'amazighe. Dérivation et conjugaison, parlars du Haut Atlas central".
- Benamara 2013 "Dictionnaire amazighe– français parler de Figuig et ses régions".
- Berkäi 2013 "L'essai d'élaboration d'un dictionnaire Tasaḥlit, parler d'Aokas".
- Ameur et Al 2017 "Dictionnaire général de la langue amazighe, Amazighe – français–arabe".
- Yeou 2022 " Dictionnaire amazighe– français parler de Figuig ".

وإذا كانت أغلب الإنتاجات المعجمية الأمازيغية ثنائية اللغة، فإن مبادرة الباحث أحمد حداشي فريدة من نوعها، إذ عمل على إصدار أول معجم أحادي اللغة أمازيغي- أمازيغي (لهجة آيت مرغاد) سنة 2000م، ويعد هذا العمل أول إصدار من نوعه في الصناعة المعجمية الأمازيغية. فإنتاج معاجم أحادية اللغة ظل هدفا طالما انتظره أغلب المهتمين بهذه اللغة، وقد تأتى ذلك من خلال أحمد حداشي إضافة إلى مجموعة من الباحثين:

- Sghir 2014 "L'Essai de confection d'un dictionnaire monolingue amazighe: méthodologie et application, parler de la Vallée du Dadès (Sud-Est du Maroc)".
- Bouamara 2010 "Le Dictionnaire kabyle. Issin: asegzawal n teqbaylit s teqbaylit".

كما عرفت المكتبة الأمازيغية ولادة مجموعة من المعاجم المدرسية الموجهة لتعليم وتعلم اللغة الأمازيغية للمتعلمين الصغار، وفي هذا الصدد نذكر:

- Abou-leazm 1993 "Al-muejam assaghir arabe–amazighe".

- Agnaou 2008 "Tamawalt inu tamzwarut".
- El-Baghdadi 2008 "Al-muejam al-madrassi, arabe-amazighe-français".
- Agnaou 2011 "Lexique scolaire".

وفي إطار دمج اللغة الأمازيغية في المجالات ذات الأولوية للحياة العامة، تم إنتاج معاجم أمازيغية خاصة بالمصطلحات القانونية والإدارية حتى تؤدي هاته اللغة الدور المنوط بها باعتبارها لغة رسمية، ومن بين هاته المعاجم نذكر:

- Adghirni et Al 1996 "Lexique juridique français-amazighe".
- Taqui 1997 "Lexique juridique de la langue amazighe, arabe-amazighe".
- Benramdan 2013 "Lexique juridique amazighe-français".
- Ameur et Al 2015 "Vocabulaire administratif, arabe - amazighe - français".
- Boudari 2015 "Lexique juridique français-amazighe".

هذه نظرة عامة وموجزة حول الأعمال المعجمية التي عكف على إنتاجها العديد من الباحثين الأمازيغيين والمستمزغين المهتمين بهذا المجال المعجمي الذي مر عبر مراحل لخصها الأستاذ عبد الله بومالك في قوله: "مر علم الصناعة المعجمية كغيره من فروع اللسانيات الأمازيغية بعدة مراحل: إنشاء مسارد ثنائية عربية أمازيغية على شكل مخطوطات بين القرن الثاني عشر (ابن تونرت) والقرن الثامن عشر (الهلاي، المرتيني)، إلى المسارد الفرنسية الأمازيغية أو الإسبانية الأمازيغية الموجهة إلى أعوان الإدارة الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين: (Destaing, Biarnay, Jordan, Creusat, V. de Paradis)، مروراً من علم صناعة المعاجم العلمية (Prasse, Delheure, Dallet)، Serhoual, Taifi، وآخرون)، بالإضافة إلى الإنتاجات المصطلحية التي ميزت النصف الثاني من القرن الماضي (Blaid, Saad Buzerfan, Mammeri)..."¹.

1Boumalek, A. (2005), "aperçu historique sur les travaux lexicographiques amazighes", N 3 et 4, Bulletin d'information de l'Institut Royale de la culture amazighe, Rabat, p 26.

لا شك في أن مختلف الإنتاجات المعجمية التي ميزت جميع المراحل التي مرت منها المعجمية الأمازيغية قد أسهمت بشكل كبير في إغناء علم صناعة المعاجم الأمازيغية، ودفعت به نحو إنتاج تراكم دام لعدة قرون ومازال مستمرا في الإنتاج والعطاء إلى اليوم¹.

5. الإنتاج المعجمي الأمازيغي المحوسب

المعجم مهما كان نوعه فهو وصف للثقافة، ووعاء لحفظ معرفة الأجيال السابقة ونقلها إلى الأجيال القادمة، ولنقل هذه المعرفة نحن مطالبون بمراعاة خصوصيات كل جيل خاصة الجيل الجديد المعروف بجيل التقنية والتكنولوجيا والحاسوب، هذا الأخير الذي سيكون له دوره في الصناعة المعجمية لأن استعماله أصبح ضرورة حتمية في جميع المجالات بما فيها المجالات اللغوية وخاصة المجال المعجمي.

ولعل الدارس للمعجم الأمازيغي يلحظ التطور والاهتمام بحوسبة هذا الأخير، إذ تم ظهور مجموعة من المعاجم المحوسبة في الشبكة العنكبوتية منها مواقع اللويب وأيضا تطبيقات للهاتف الذكي. ونجد من أهم مواقع الويب المعجم العام للغة الأمازيغية المحوسب² الذي تم إصداره سنة 2017م، ويتضمن المادة المعجمية لمختلف التنوعات اللهجية، وقد تم إصدار هذه النسخة الإلكترونية بفضل التعاون بين مركزي التهيئة اللغوية والدراسات المعلوماتية ونظم المعلومات والاتصال، وهو ثمرة جهود مجموعة من الباحثين. ويمكن استغلال المعجم المذكور من خلال موقع إلكتروني يعتمد على قاعدة بيانات معجمية تقوم على أساس المعرفة اللسانية والخارج لسانية. وانطلاقا من موقع المعجم المحوسب المذكور أصدر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية تطبيق محمول "DGLAI" يعمل على نظام الأندرويد بخط تيفيناغ واللاتيني أيضا. وفي سنة 2016 أنجزت

1 يومصر عبد السلام، (2015)، مظهرات الترادف البيهجي في اللغة الأمازيغية: محاولة لإعداد المعجم الأمازيغي للمتبادفات، الجزء 1، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ص 115.

2 <https://tal.ircam.ma/dglai/lexieam.php>

الجمعية الثقافية نوميديا معجم "amawal" المحوسب¹ وهو معجم ثنائي اللغة قبائلي- فرنسي اعتمد في مرحلته الأولى على المعجم القبائلي الفرنسي لمؤلفه (Dallet, 1982) إلى جانب مجموعة من المتون: مفكرات بلعيد آيت علي، وملفات التوثيق الأمازيغي. ويمكن استشارة هذا المعجم من خلال موقع إلكتروني يسمح لمستخدمه باستغلال الموارد الموجودة في قاعدة بياناته. وفي نفس السنة تم إصدار قاموس "amawal" المحوسب² أمازيغي- عربي- فرنسي- إسباني من طرف عبد الصمد الإدريسي، ويتضمن هذا القاموس تجميعية كلمات ومصطلحات من مختلف اللهجات الأمازيغية. اعتمد على القواميس والمعاجم التي أصدرها أو يصدرها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كنقطة بداية، ل يتم توسيع مادته المعجمية مستقبلا من طرف الزوار لأنه موقع مفتوح أمام الجميع من باحثين ومهتمين باللغة الأمازيغية للمساهمة في إغنائه وإثرائه. وبعد ذلك، في سنة 2019 تم إصدار معجم محوسب³ لأمازيغية وسط المغرب ثنائي اللغة أمازيغي- فرنسي وفرنسي- أمازيغي، وهو ثمرة جهود مجموعة من الباحثين خاصة Salem Chaker وArsène Roux. يمكن استغلاله من خلال موقع إلكتروني مزود بواجهة لتسهيل البحث في ثناياه، بالاعتماد على قاعدة بيانات معجمية يمكن البحث فيها عن طريق الجذر أو الكلمة باستعمال الخط اللاتيني. أما في سنة 2021 قام الباحث أمهاوي نورالدين بإعداد معجم محوسب⁴ لمعاني الأسماء والأفعال الأمازيغية الوراينية تحت اسم "AmaWar" استخدمت في عرض مداخله ومواده لغتان، إحداهما للمتن وهي اللغة الأمازيغية والأخرى للشرح وهي اللغة العربية. وقد اعتمد هذا المعجم على مجموعة من المعاجم الأمازيغية الورقية منها المعجم العربي الأمازيغي للأستاذ محمد شفيق، والمعجم الأمازيغي الفرنسي للأستاذ ميلود الطايقي، والمعجم الريفي الفرنسي للأستاذ محمد سغوال، والمعجم العام للغة الأمازيغية: أمازيغي- فرنسي- عربي المنجز من طرف مركز التهيئة اللغوية، وغير ذلك من المعاجم

1 <https://amawal.numidya.net/>

2 <https://amawal.net/>

3 <https://dicber-mc.centrederechercheberbere.fr/dicber.html>

4 <https://amawalwarayni.com/>

والقواميس التي كان لها الأثر الكبير في إثراء المادة اللغوية. ومن خلال هذا الموقع انبثق تطبيق للهاتف الذكي بالخط اللاتيني وتيفيناغ.

وفي إطار الانفتاح على التكنولوجيا الحديثة وبالأخص الهواتف النقالة ولوحات الإدخال، تم تطوير أول تطبيق محمول أندرويد "LEXAM" بخط تيفيناغ، ويعرض معجماً أمازيغياً مغربياً موحداً (ممعيراً) يغطي مجالات الحياة الحديثة والمعاصرة التي تمس الإعلام والإدارة والفن والبيئة والحضارة والقانون والعدالة والتعليم، وأشياء أخرى. الإصدار الحالي يحتوي على أكثر من 4000 مدخل أمازيغي¹. وقد اعتمد هذا التطبيق على قاعدة بيانات مصطلحية تم إنشاؤها من طرف المعهد.

وطور الأستاذ مادغيس أومادي سنة 2013 تطبيقين محمولين أندرويد بخط تيفيناغ، أحدهما معجم أمازيغي-عربي وعربي-أمازيغي تحت اسم "Amawal" "Qamous"، والآخر معجم أمازيغي-فرنسي وفرنسي-أمازيغي باسم "Amawal Dictionnaire" وقد اعتمد هذين المعجمين على مجموعة من المعاجم الأمازيغية الورقية منها المعجم العربي الأمازيغي للأستاذ محمد شفيق، وأيضاً بني على مجموعة من المعاجم المتخصصة بالنسبة للمعجم العربي الأمازيغي. أما بخصوص المعجم الفرنسي الأمازيغي استمد مادته المعجمية من معجم مولود معمري والمعجم الأمازيغي الفرنسي لمؤلفه Dallet.

وبعد ذلك، أصدر عبد الصمد الإدريسي سنة 2016 تطبيق محمول أندرويد "Amawal" بالخط اللاتيني، وهو عبارة عن معجم محوسب أمازيغي-عربي-فرنسي-إسباني يتضمن تجميعية كلمات ومصطلحات من مختلف اللهجات الأمازيغية. وفي سنة 2017، تم إصدار تطبيق محمول أندرويد "Tamazight Lexicon" بالخط العربي، وهو عبارة عن معجم محوسب ثلاثي اللغة أمازيغي-فرنسي-إنجليزي، يتضمن المادة المعجمية لأمازيغية وسط المغرب.

1 Boumediene, M. (2017), "Les TIC au service de l'enseignement : cas de la formation et autoformation de la langue amazighe", actes de la 24 ème conférence sur le traitement automatique des langues naturelles (TALN), volume 3: Démonstrations, Orléans, France, p 4.

بينما طورت المسافر فاطمة الزهراء تطبيقين محمولين يعملان على نظام الأندرويد باسم "Msmun Awal" بخط تيفيناغ، وهما عبارة عن قاموسين محوسبين ثنائيا اللغة أحدهما يتيح الترجمة من الأمازيغية إلى العربية والعكس، تم إصداره سنة 2018، والآخر سنة 2019 يتيح الترجمة من الأمازيغية إلى الفرنسية والعكس.

وأنتج دهيا زروق سنة 2021 تطبيق محمول أندرويد بالخط اللاتيني، وهو عبارة عن معجم أمازيغي-عربي وعربي-أمازيغي، يحتوي على عدد كبير من المداخل المعجمية وفي شتى المجالات: الإعلام والتكنولوجيا والعلوم والدين والأدب، استمد مادته المعجمية من عدة معاجم ومراجع تاريخية منها كتاب أبو زكرياء يحيى اليفرنى.

خاتمة

إذا عرفت الصناعة المعجمية الأمازيغية تطورا تمثل في إنتاج العديد من المعاجم العلمية والأكاديمية وفي مختلف التخصصات، فإن مسؤولية هذا الفن المعجمي أن يتكيف مع الواقع المعاصر الذي يتطلب استغلال تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الصناعة المعجمية، لأن التقنية أصبحت تفرض نفسها في جميع المجالات، كما أثبتت قدرتها العجيبة في الارتقاء بالعلوم المعرفية واللغوية خاصة منها المعجمية، لما لها من دور في الارتقاء بها إلى مرحلة إنتاج المعاجم الآلية التي تتيح لمستخدميها فرصا أكبر للوصول إلى المعلومة، وذلك من خلال فرص استشارة أفضل بفضل الإمكانيات التي يوفرها الحاسوب.

لذلك، من المهم إخضاع الإنتاج المعجمي الأمازيغي لقراءة متأنية وتحليل نقدي من أجل استجلاء مواطن الضعف والقصور فيه، ومحاولة تكييفه مع الواقع المعجمي المعاصر حتى ننتقل به إلى مرحلة جديدة وهي مرحلة الحوسبة التي أصبحت من أهم التحديات التي تواجه اللغات الطبيعية خاصة في جانبها المعجمي.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- الباتلي أحمد بن عبد الله، (1992)، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، الطبعة الأولى، دار الراجحة، الرياض.
- الحمزاوي محمد رشاد، (1986)، "معجم المصطلحات المعجمية العربية، مقارنة تاريخية واجتماعية ولسانية"، مجلة المعجمية، العدد 2، تونس، ص 7-13.
- السامرائي أحمد هاشم أحمد، (2013)، "حوسبة المعجم العربي والقضايا المعاصرة"، مجلة سر من رأى، المجلد 9، العدد 34، العراق، ص 1-24.
- بومصر عبد السلام، (2015)، تمظهرات الترادف البيهجي في اللغة الأمازيغية: محاولة لإعداد المعجم الأمازيغي للمتادفات، الجزء 1، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان.
- جبور عبد النور، (1984)، المعجم الأدبي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- رشوان محمد وآخرون، (2019)، الموارد اللغوية الحاسوبية، الطبعة الأولى، مباحث لغوية 56، مركز عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض.
- عبد الجليل عبد القادر، (2014)، المدارس المعجمية، دراسة في البنية التركيبية، الطبعة الثانية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- عبد العي مصطفى يوسف، (2014)، المواد والمداخل في المعجم اللغوي التاريخي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة.
- علي نبيل، (1988)، اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، دار نشر تعريب، القاهرة.

- منعم سناء، (2015)، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، بعض الثوابت النظرية والإجرائية، ط1، منشورات مختبر العلوم المعرفية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

المراجع الأجنبية

- Abou-lEazm, A. (1993), al-muEjamu assaYir arabi-amaziYi, manšurat abd-elYaniy, Rabat.
- Adgherni, A et Al. (1996), amawal azerfan, Lexique juridique français-amazighe, Tizrigin Imperial, Rabat
- Agnaou, A. (2008), tamawalt inu tamzwarut, Publication de l'IRCAM, Centre de la Recherche Didactique et des Programmes Pédagogiques, Série : Supports Didactiques N°14, Imprimerie El Maârif Al Jadida, Rabat.
- Agnaou, F. (2011), Lexique scolaire, Publication de l'IRCAM, Centre de Recherche Didactique et des Programmes Pédagogiques, Série : Supports Didactiques N° 20, Top Press, Rabat.
- Alardi, M. (2008), el-muEjam al-amaziYi al-wadifi (arabe-français), amawal amaziY amsYan, Imprimerie Annajah el-jadida, Casablanca.
- Alojaly, Gh. (1980), Lexique touareg-français : Awgalel tamajeq-tafrensis, Copenhague, Akademisk Forlage.
- Amawal (Lexique). (1980), tamaziYt-tafransist (berbère-français), tafransist-tamaziYt (français-berbère), Paris, imedyazen.
- Ameer, M et Al. (2008), muEjam al-iElam(arabe-amazighe-anglais-français), Publication de l'IRCAM, Centre de la Recherche Didactique et des Programmes Pédagogiques, Série: Lexique N°2, Imprimerie El Maârif Al Jadida, Rabat.
- Ameer, M et Al. (2009), muEjam alluYat al-amaziYiat1, Publication de l'IRCAM, Centre de l'Aménagement Linguistique (CAL), Série : Lexique N°6, Imprimerie El Maârif Al Jadida, Rabat.

- Ameer, M et Al. (2009), Vocabulaire des médias (Français-Amazighe-Anglais-Arabe), Publication de l'IRCAM, Série: Lexiques N° 3, Imprimerie El Maârif Al Jadida, Rabat.
- Ameer, M et Al. (2015), Vocabulaire administratif (arabe-amazighe-français), Publication de l'IRCAM, Centre de l'Aménagement linguistique (CAL), Série: Lexique N°9, Imprimerie El Maârif Al Jadida, Rabat.
- Azdoud, D. (1997), Lexique commun des Aït Hadiddou du Haut-Atlas Maroc-central, Thèse de Doctorat d'État, Faculté des lettres et des Sciences Humaines, El Jadida.
- Azdoud, D. (2011), Dictionnaire Berbère-Français, édition de la maison des sciences humaines, Paris.
- Barakate, A. (2012), Dictionnaire des verbes de l'amazighe, dérivation et conjugaison (parlers du haut atlas central), Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Agadir.
- Béjoint, H. (2007), "Informatique et lexicographie de corpus: les nouveaux dictionnaires", Revue française de linguistique appliquée, Vol. XII-1, p 7-23.
- Belaid, B. (1993), Tamawalt usegmi, Vocabulaire de l'éducation français-tamazight, Najah El Jadida, Casablanca.
- Benamara, H. (2013), Dictionnaire amazigh-français, Parler de Figuig et ses régions, Publication de l'IRCAM, Rabat.
- Benramdan, M. Z. (2010), Vocabulaire kabyle de l'ostéologie et de l'orthopédie, iYsan s teqbaylit, Il est publié dans le cadre de la collection "Idlisen-nneY", initiée par la Direction de la promotion culturelle du Haut Commissariat à l'Amazighité, les Oliviers, Tizi-Ouzou.
- Benramdan, M. Z. (2013), Lexique juridique (amazigh-français), amawal azerfan (tamaziYt-tafransist), il est publié dans le cadre de la collection "Idlisen-nneY", initiée par la Direction de la promotion culturelle du Haut Commissariat à l'Amazighité, les Oliviers, Tizi Ouzou.

- Berkai, A. (2013), Essai d'élaboration d'un dictionnaire Tasaḥlit (parler d'Aokas)-français, volumes I, II et III, Thèse de doctorat, Université Mouloud Mammeri, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Tizi Ouzou.
- Boogert, N. (1998), La révélation des énigmes, lexiques arabo-berbères des XVIIe et XVIIIe siècles, Travaux et documents de l'IREMAM N° 19, Aix-en-Provence.
- Bouamara, K. (2010), Dictionnaire kabyle. Issin : asegzawal n teqbaylit s teqbaylit, édition L'Odyssee, Tizi Ouzou.
- Boudari, M. (2015), lexique juridique (français-amazigh), Chams éditions, Rabat.
- Boulifa, S. (1913), Méthode de langue kabyle, (cours de deuxième année): Étude linguistique, sociologique sur la Kabylie du Djurdjura, Textes zouaoua suivi d'un GLOSSAIRE, Algar, Jourdan, p 367-540.
- Boumalek, A. (2005), "aperçu historique sur les travaux lexicographiques amazighes", N 3 et 4, Bulletin d'information de l'Institut Royale de la culture amazighe, Rabat, p 26-29.
- Boumalk, A et Nait-Zerrad, K. (2009), Vocabulaire grammatical Amawal n tjerrumt: Français-Amazighe-Anglais-Arabe/Amazighe-Français-Anglais-Arabe, Publication de l'IRCAM, Centre de l'Aménagement Linguistique (CAL), Série: Lexique N°5, Imprimerie, El Maârif Al Jadida, Rabat.
- Boumediane, M. (2017), "Les TIC au service de l'enseignement: cas de la formation et autoformation de la langue amazighe", actes de la 24 ème conférence sur le traitement automatique des langues naturelles (TALN), volume 3: Démonstrations, Orléans, France, p 1-7.
- Bounfour, A et Boumalk, A. (2001), Vocabulaire usuel du tachelhit (tachelhit-français), Publication du Centre Tarik Ibn Ziyad, Rabat.
- Brosselard, Ch. (1844), Dictionnaire français-berbère (dialecte écrit et parlé par les Kabâiles de la division d'Alger), Imprimerie royale, Paris.

- Chafik, M. (1990, 1996, 1999), al muʿjam al ʿarabii-al amaaziiʿii, Dictionnaire arabe-berbère, tomes I, II, et III, l'Académie du Royaume du Maroc, Rabat.
- Chahbari, H. (2010), Dictionnaire des noms des parties du corps humain amazighe: Le tarifit, Thèse de Doctorat, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Dhar Elmahraz, Fès.
- Cid Kaoui, S. (1894), Dictionnaire français-tamahaq, Algar, Adolphe Jourdan.
- Cid Kaoui, S. (1900), Dictionnaire pratique tamahaq-français, Algar, Adolphe Jourdan.
- Cid Kaoui, S. (1907), Dictionnaire français-tachelhit et français-tamazight: Dialectes du Maroc, Librairie Ernest Leroux, Paris.
- Cortade, J. M et Mammeri, M. (1967), Lexique français-touareg: Dialecte de l'Ahagggar, CRAPE/Arts et métiers graphiques, Algar/Paris.
- Creusat, J. B. (1873), Essai de dictionnaire français-kabyle, Algar, Jourdan.
- Dallet, J. M. (1982), Dictionnaire kabyle-français, Parler des Ait Mengellat, SELAF, Paris.
- Dallet, J. M. (1985), Dictionnaire Français-Kabyle, Parler des Ait Mengellat, SELAF, Paris.
- Delheure, J. (1985), Agraw n yiwalen tumzabt t-tefransist, Dictionnaire mozabite-français, SELAF, Paris.
- Delheure, J. (1987), Dictionnaire Ouargli-français, SELAF, Paris.
- Destaing, E. (1914), Dictionnaire français-berbère (dialecte des Beni Snous), Librairie Ernest Leroux, Paris.
- Destaing, E. (1938), Vocabulaire français-berbère: Etude sur la tachelhit du Sous, Librairie Ernest Leroux, Paris.
- Destaing, E. (1944), Textes berbères en parler des chleuhs du Sous (Maroc), Librairie Orientaliste Paul Geuthner.
- ray, M. (1988), Dictionnaire français-berbère dialecte des Ntifa, l'Harmattan, Paris.
- Dubois, J et Al. (1989), Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris.

- El Mountassir, A. (2003), Dictionnaire des verbes tachelhit-français (parlers berbère du sud du Maroc), L'Harmattan, Paris.
- El-Baghdadi, M et Al. (2008), lexique scolaire al-muĕjam al-madrassi, arabe-amazighe-français, Sous la direction de Fatima AGNAOU, avec la coordination de Abdessalam KHALFI et Kamal AQA, Publication de l'IRCAM, Centre de la Recherche Didactique et des Programmes Pédagogiques, Imprimerie El Maârif Al Jadida, Rabat.
- Foucauld, Charles de. (1918), Dictionnaire abrégé touareg-français, dialecte Ahaggar, 2 volumes, Algar, Carbonnel.
- Foucauld, Charles de. (1940), Dictionnaire abrégé touareg-français des noms propres, Larose, Paris.
- Foucauld, Charles de. (1952), Dictionnaire touareg-français, dialecte de l'Ahaggar, 4 volumes, Imprimerie nationale, Paris.
- Haddachi, A. (2000), Dictionnaire de tamazight: parler des Ayt Merghad (Aty Yafman), Imprimerie Beni Snassen, Salé.
- Haddadou, M. A. (2003), Le vocabulaire berbère commun, suivi d'un glossaire des principales racines berbères communes, Thèse de Doctorat d'État, Université de Tizi Ouzou.
- Haddadou, M.A. (2003), Lexique Kabyle du corps humain, amawal n teqbaylit tafekka n wemden, pour le compte du Haut Commissariat à l'Amazighité.
- Hamek, B. (2012), Introduction à la réalisation d'un dictionnaire Amazigh-Amazigh à base Kabyle, Thèse de Doctorat, Faculté des Lettres et Sciences Humains, Tizi-Ouzou, Algérie.
- Huyghe, G. (1901), Dictionnaire Kabyle-français, 2ème éd, Imprimerie nationale, Algar, Jourdan.
- Huyghe, G. (1903), Dictionnaire Français-kabyle, éd. L. Godenne, Paris.
- Huyghe, G. (1906), Dictionnaire Français-chaouia, Algar, Jourdan.

- Huyghe, G. (1907), Dictionnaire chaouia-arabe-kabyle et français, Algar, Jourdan.
- Ibañez E. (1949), Diccionario Rifeño-Español (Etimologico), Instituto de Estudios Africanos, Madrid.
- Ibañez, E. (1944), Diccionario Español-Rifeño, Instituto de Estudios Africanos, Madrid.
- Ibañez, E. (1954), Diccionario Español baamrani: Dialecto berebere de Ifni, Instituto de studios africanos, Madrid.
- Ibañez, E. (1959), Diccionario espanol-senhayi: dialecto berebere de Senhaya de Serair, Instituto de estudios africanos, Madrid.
- Jordan, A. (1934), Dictionnaire berbère-français, Éditions Omnia, Rabat.
- anfy, J. (1973), Ghadamès II, Glossaire (Parler des Ayt Waziten), Algar: Le fichier periodique.
- Laoust, E. (1920), Mots et choses berbères, Notes de linguistique et d'ethnographie, (Dialectes du Maroc), Challamel, Paris.
- Masqueray, E. (1893), Dictionnaire français-touareg: dialecte des Taïtoq, E. Leroux, Paris.
- Mercier, H. (1937), Vocabulaire et textes berbères dans le dialecte des Aït Izdeg, Céré éditeur, Rabat.
- Naït-Zerrad, K. (1998, 1999, 2002), Dictionnaire des racines berbères (formes attestées), tomes I, II, et III, Peeters, Paris-Louvain.
- livier, P. (1878), Dictionnaire français-kabyle, Le Puy.
- Oussikoum, B. (1995), Dictionnaire tamazight-français, le parler des Ayt Wirra Moyen Atlas (Maroc), Thèse de doctorat d'État, 2 tomes, Université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Beni Mellal.
- Oussous, M. (2008), Lexique animal français-Arabe-Amazighe, Tawalt, Kalifornia.

- Prasse, K. G et Al. (2003), Dictionnaire touareg-français (Niger), 2 volumes, Museum Tusculanum Press, University of Copenhagen.
- Rahho, R. (2005), Dictionnaire berbère-français (Parler des Beni Iznassen), Thèse de doctorat. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Dhar El Mehraz, Fès.
- Ronisio, A. (1932), Étude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen du Rif et des Senhaja de Sraïr, Grammaire, textes et lexique, Ernest Leroux, Paris.
- Saad-Buzefran, S. (1996), Lexique d'informatique (français-anglais-berbère) Amawal n tsenselkimt (tafransist- taglizit- tamaziɣt), l'Harmattan, Paris.
- Serhoual, M. (2002), Dictionnaire tarifit-français, Thèse de Doctorat d'État, 2 volumes, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Tétouan.
- Sghir, M. (2014), Essai de confection d'un dictionnaire monolingue amazighe: Méthodologie et Application, Parler de la Vallée du Dadès (Sud-Est du Maroc), Thèse de doctorat, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Saïs, Fès.
- Suárez Rosales, M. (1989), Amawal n tmaziɣt tatrart (tasbenyult-tamaziɣt) Vocabulario de mazigio moderno (Español-Mazigio), Aguerre.
- Taifi, M. (1991), Dictionnaire tamazight-français (Parlers du Maroc central), l'Harmattan-Awal, Paris.
- Taqui, O. (1997), al-luɣa alamaziɣiyya wa mustalaḥatuha el-qanuniyya, Lexique juridique de la langue amazighe, Imprimerie Fdala, EL Mohammadia, Maroc.

مواقع معتمدة

- <https://tal.ircam.ma/dglai/lexieam.php>
- <https://amawal.numidya.net/>
- <https://dicber-mc.centrederechercheberbere.fr/dicber.html>
- <https://amawal.net/>
- <https://amawalwarayni.com/>

تدوين الحكاية الشعبية الأمازيغية في الريف؛ إحياء للحكاية أم تحنيط للنص؟

د. عبد الهادي أمحرف

أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب



عبد الواحد حنو

طالب باحث في سلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب

ملخص

في إطار الاهتمام بالتراث الثقافي الأمازيغي بالريف والحفاظ على الحكاية الشعبية من الاندثار، كان من الضروري التفكير في دور عملية التوثيق والتدوين، التي تعتبر محوراً أساسياً في هذا السياق. ومع ذلك، لا يمكن تجاهل تأثير هذه العملية على المعالم الجمالية والفنية للحكاية الشعبية الأمازيغية، بالإضافة إلى إمكانية طمس العناصر الطقوسية التي تميزها. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف هذه الجوانب، من خلال تقديم أمثلة من المدونين والباحثين، سواء كانوا من الفترة الكولونيالية أو باحثين مغاربة.

كلمات مفتاحية:

الحكاية الشعبية الأمازيغية- المدونون الكولونياليون- التدوين- الشفاهية- الاندثار.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حنو، عبد الواحد. أمحرف، عبد الهادي. (2024، أبريل). تدوين الحكاية الشعبية الأمازيغية في الريف؛ إحياء للحكاية أم تحنيط للنص؟ مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 377-399.

Abstract

In the context of preserving Amazigh cultural heritage in the Rif region and safeguarding folk tales from disappearance, it is essential to consider the role of documentation and recording, which is deemed pivotal. However, the impact of this process on the aesthetic and artistic aspects of Amazigh folk tales cannot be ignored, as well as the potential for obscuring the ritualistic elements that distinguish them. This study aims to explore these facets by providing examples from both colonial-era writers and Moroccan researchers.

Keywords :

The Amazigh Folk Tale - Colonial Writers - Blogging - Oral Tradition - Extinction.

تقديم

يعد تناول موضوع الحكاية الشعبية الأمازيغية في الريف بمثابة استكشاف لأعماق الماضي الغني لهذه الثقافة. إذ تأخذنا في رحلة عبر ثنايا الوجدان إلى عالم مليء بالمشاعر والذكريات، فترتبط بالواقع الحالي، لتصل رسالتها إلى عقول الأجيال الجديدة، مُسهمّة في تعميق اتصالهم بتراثهم الثقافي وإثراء ذاكرتهم.

إلا أن تغير المجتمع الريفي في ظرف وجيز نتيجة عوامل متداخلة ومتسارعة، بعضها مرتبط بمخلفات الاستعمار، وبعضها الآخر مرتبط بالعملة وما لها من أثر في إماتة التنوعات الثقافية التي لم تستطع أن تواكب الثورة التكنولوجية والرقمية، أو لنقل إن الظروف لم تقف في جانبها لتحقيق ذلك، ومنها ما هو مرتبط كذلك بما وراء إنشاء الدولة الحديثة وما رافقها من المؤسسات التعليمية والإدارية التي غُيِّبَت فيها الثقافة المحلية، هذا بالإضافة إلى عامل الهجرة، وتسارع وثيرة التمدن الذي زحف على القبائل والمداشر، مغيرا نمط العيش والتفكير... هذه العوامل، علاوة على أخرى، ساهمت وما تزال، في تصدع البنية السوسيوثقافية بالريف؛ تصدع نتج عنه تغير في سمات الظواهر الثقافية، منها ما تلاشى واندثر، ومنها ما هو في طريقه إلى التلاشي.

كان لزاما، بموجب هذا التحول، أن يتم اللجوء إلى التدوين لمقاومة خطر الاندثار والنسيان، والاستعانة بسلطة الكتابة لحفظ أرواح النصوص الحكائية. ذلك أن "اللغة المكتوبة، تمكن المجموعات البشرية من تسجيل ذاكرتها الجماعية والمحافظة عليها وتخليدها، وذلك على رغم اندثار وجودها العضوي والبيولوجي كمجموعات، ورغم إمكان تغييرها للمكان، وعيش أجيالها المتلاحقة في عصور غير عصورها"¹.

¹ محمود الداودي، نداء حول ضرورة تأصيل علم الاجتماع العربي في صلب فكر مرجعيته الثقافية، مجلة عالم الفكر، المجلد 34، يوليو-سبتمبر 2005، ص: 33-63.

لكننا لن نميل إلى القول إن عملية تدوين الحكاية الريفية كانت وراءها رغبة في حفظ الموروث الثقافي من الاندثار، دون استدعاء الظروف الزمانية والمكانية التي تم فيها هذا التدوين، وطبيعة المدونين، خصوصا في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، لما كانت أعين الأوربيين تترصد الضفة الجنوبية وتتهيا لاحتلالها.

من المهم أن نلاحظ أيضًا أن تحويل النصوص الحكائية من الرواية الشفوية إلى الكتابة ليس مجرد وسيلة للحفاظ عليها من الاندثار، بل يمثل أيضًا تغييرًا في طبيعتها الفنية، وجماليتها الكامنة في انتقالها العفوي عبر الذاكرة والحفظ. فبينما تخسر الحكاية جاذبيتها العفوية التي تنبع من الذاكرة والتقليد، وتحظى بتفنن ساردها في بسط آلياته التشويقية في الإلقاء والإسماع، عبر التغيير في إيقاعات الصوت حسب تطورات الأحداث في الحكاية، وكذا إمكانية تغيير الأسلوب بإضافة تعبيرات ومحسنات على النص الذي انتقل إلى ذاكرته عبر الإسماع... فإن التدوين، عكس ذلك، يجعل من الحكاية نصًا ثابتًا وجامدًا ينتظر قارئه ليكتشفوا عمقه وجماله. وكأنه جثة محنطة، تحفظ الأسرار دون أن تستطيع الإفصاح عنها بكل تفاصيلها وجزئياتها. عكس النص الشفاهي الذي يحافظ على حيويته، ويتجدد فيه روح الإبداع مع كل راو جديد.

أولا- الحكاية الشعبية الأمازيغية وإشكالية التسمية:

عُرف المجتمع الأمازيغي، مثله مثل باقي المجتمعات، بنسج حكايات توارثتها الأجيال عن طريق السرد والإسماع. إلا أن الإشكال الذي يطرح في تعاملنا مع هذا الجنس الأدبي الأمازيغي الشفاهي، هو إشكالية التسمية، أو صعوبة إيجاد المصطلح الأنسب لنطلقه عليه. وذلك راجع إلى عدة اعتبارات، منها ما يتعلق بالطبيعة الشفاهية نفسها، التي فتحت المجال مع مرور الأزمان لتداخل المصطلحات وتشعبها، مما أدى إلى التباسها على الباحث. ومنها ما يتعلق كذلك بعوامل المثاقفة التي جعلت بعض المناطق تستعمل المصطلح الدخيل. دون أن نغفل التغيرات والاختلافات بين

المتغيرات اللغوية الأمازيغية التي تجعل كل منطقة تستعمل مصطلحا غير الذي تستعمله المنطقة الأخرى. وفي بعض الأحيان، نجد أنفسنا حيال تشعب وتعدد المصطلحات الدالة على الحكاية في المنطقة نفسها، كما هو الحال في تاشلحيت، حيث يطلق على الحكاية لقيصت Lqiset أو تالاست tallast أو تانفولت tanfult أو تاحدايت tahdayt أو تاحاجيت tahajit أو أومِّي umin/ummiy...¹

أما في تاريخيت، فنجد استعمال مصطلحين مقترضين تاحكايت tahkayt وتاحاجيت thajit، بالإضافة إلى مصطلحين آخرين هما ثانفوست tanfust و أحنوش ahnuc.² وفي أمازيغية الأطلس المتوسط، يشاع استعمال مصطلح تالاست tallast وتيكفرين tikefrin وناقصيت taqisit ولقيصت lqiset ولاحاجيت lahajit. أما عند أمازيغ القبائل في الجزائر، فإن المصطلح الشائع هو تاماشاهوت tamacahut، بالإضافة إلى ناقصيت taqisit وتاديانت tadyant وأكولاس akulas وتاحكايت tahkayt. وبخصوص أمازيغ نفوسة وزوارة في ليبيا، يستعملون مصطلحين للدلالة على الحكاية وهما تاحكايت tahkayt واسراي essray. وقد سبق لجمال أبرنوص أن تطرق إلى موضوع اختلاف التسميات الأمازيغية للحكاية باختلاف البقاع واللهجات، عارضا بالتفصيل مختلف المناطق الأمازيغية والاصطلاحات التي تطلق على هذا الجنس الأدبي، بما فيها مصطلح تلست tellest المستعمل في موريطانيا، إضافة إلى الطوارق الذين يوظفون خمس مصطلحات وهي: اماي emay والقيسات lqisat وتانفوست tanfust والتاريخ ttarix وتانكالت tangalt.³

¹ Fabienne Tissot, Pour une ethnolinguistique discursive du conte berbère à la croisée des cultures: relation orale et méta-médiation, Thèse de doctorat sous la direction de Andrée CHAUVIN-VILENO, Université de France-compté, 2011. P:300.

² A. Bounfour et D. Merolla, contes, Encyclopédie berbère, 14 | 1994

³ أبرنوص جمال، تيبولوجية الشعر الأمازيغي التقليدي؛ بناء المعيار وتنضيد الأنماط، منشورات مكتبة سلى الثقافية، ط2، تطوان، 2016. ص:40

أمام هذا التشظي المصطلحي، يجد الباحث نفسه في حيرة، ولهذا غالبا ما يتم اعتماد مصطلحات حسب المناطق، كأن يوظف دارس الحكاية الريفية مصطلح "ثانفوسث"، ويميل دارسها في سوس إلى مصطلح "ثالاست"، أو أن يستعمل الباحث القبائلي مصطلح "ثاماشاهوت"... هذا التشعب، يصعب معه اختيار مصطلح دون آخر للتعبير عن الحكاية الأمازيغية في شموليتها.

ثانيا- تدوين الحكاية الشعبية الأمازيغية في الريف.

غالبا ما يتم اللجوء إلى توثيق الأجناس الحكائية الشفاهية وتدوينها بغية إنقاذها من الانقراض، بعدما انحصرت ملامحها الطقوسية في الزمان والمكان، ولم تعد الجدات يشعرن بتلك النفحة من الدفء والحنين التي يضيفها الأحفاد على البيت القروي، وهم يذيبون ظلمته بالاستماع إلى حكايات نونجا والغولة... إذ أن الأطفال في الوقت الراهن، وجدوا في ألعاب الفيديو والأنترنت ملاذا يلهمهم على مختلف الطقوس التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم، وأصبحت في أذهانهم من عداد الماضي.

لم يكن، بطبيعة الحال، القلق من اندثار الحكايات الشفاهية هو السبب وراء جهود الكولونياليين في التدوين¹، بل كان الحافز الرئيسي هو النهج الاستعماري الذي استهدف في البداية فهم واستيعاب المعتقدات والتقاليد الشعبية وبالتالي فهم المخيلة الثقافية للشعوب المستهدفة، قبل الاستيلاء على أراضيها ونهب ثرواتها ومواردها...

نحن هنا بحاجة للتمييز بين مرحلتين متفاوتتين في تدوين الحكاية الشعبية في الريف. المرحلة الأولى هي تلك التي بدأ فيها المستعمرون الأوروبيون في توثيق وتدوين التراث الشفوي للأغراض الاستعمارية، بعد ترجمته إلى لغاتهم. أما المرحلة الثانية،

¹ خصوصا بعد هزيمتي المغرب في كل من معركة إسلي سنة 1844م، ومعركة تطوان ضد إسبانيا سنة 1860م، "هاتان الهزيمتان كان لهما أثرهما في تسريع وثيرة اهتمام الباحثين الأوربيين بالمجتمع المغربي الذي كان يكتسي في مخيلتهم طابعا غرابيا" أنظر: عز الدين الخطابي في مقدمة ترجمته لكتاب المغرب المجهول لصاحبه أوجست موليراس، منشورات تيفراز ناءريف، 2007. ص: 5.

فقد شهدت مبادرة من قبل أبناء البلد للتدوين، نتيجة لتغيرات اجتماعية تهدد بالقضاء على الأدب الشفوي، ومنه الحكاية. وبالتالي، يأتي هذا التدوين في إطار الحفاظ على هذا التراث وصونه.

1. المرحلة الكولونيالية:

عديدة هي الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية والإثنوغرافية واللسانية... التي تناولت بالجمع والدراسة والوصف والتحليل، مجمل التظاهرات الثقافية والأدبية ذات الطابع الشفاهي، ومختلف الطقوس الاعتيادية التي كان يمارسها الإنسان الأمازيغي بشكل مستمر في موطنه شمال إفريقيا. ونجد في طليعة من قاموا بجمع المتن الحكائي الأمازيغي، جوزيف ريفيير Joseph Rivière في كتابه "الحكايات الشعبية لقبائل جورجورة"¹ الصادر سنة 1882، وريني باسي René BASSET² في كتابه "الحكايات الشعبية الأمازيغية"³ الذي صدر سنة 1887، وفي كتابه "لقمان الأمازيغي"⁴ الصادر سنة 1890. علاوة على ما دونه أوجيست موليراس Auguste⁵ MOULIERAS في كتابه "الأساطير والحكايات العجيبة للقبائل الكبرى"⁶، والذي صدر سنة 1893، وكذلك، إميل لاوسط Emile LAOUSTE الذي دون حكايات عديدة من الأطلسين المتوسط والكبير سنة 1949، في كتابه "حكايات أمازيغية من المغرب"⁷

¹ Rivière, Joseph, Contes populaires de la Kabylie du Djurdjura, Paris, Leroux, 1882

² لسني فرنسي، ولد سنة 1855 بفرنسا، أنجز العديد من الأعمال التي همت مختلف التنوعات الأمازيغية، هو والد اللسنيين هنري باسي و أندري باسي. توفي بالجزائر سنة 1924 عن عمر يناهز 69 سنة.

³ BASSET René, Les contes populaires berbères, Ernest Leroux, Paris, 1887.

⁴ BASSET René, Loqman Berbère, avec quatre glossaires et une étude sur la légende de Loqman, Ernest Leroux, Paris, 1890.

⁵ مبشر مسيحي وأنثروبولوجي فرنسي من مواليد مدينة تلمسان سنة 1855، أنجز العديد من الأعمال حول أمازيغ المغرب والجزائر. له كتاب في جزئين معنون ب "المغرب المجهول"، الأول حول الريف، والثاني حول جباله. توفي سنة 1931 بباريس.

⁶ MOULIERAS, Auguste, Légendes et contes merveilleux de la grande Kabyle, Ernest Leroux, Paris, 1893.

⁷ LAOUST Emile, Contes berbères du Maroc ; textes berbères du groupe berbère-Chleuh (Maroc central, Haut et Anti-Atlas), Editions Larose, Paris, V^e, MCMXLIX (1949).

لكن مادام أن موضوعنا يهتم الحكاية الأمازيغية بمنطقة الريف، فإنه وجب التطرق إلى ما أشار إليه ريني باسي؛ في أن أول نص أمازيغي ريفي دونه الكولونياليون الفرنسيون يعود إلى سنة 1859¹ على يد الجنرال هانتوتو الذي دون حكاية من قلعية في مؤلفه الذي خصصه للقواعد النحوية القبائلية.² وقد ترجمها الجنرال هانتوتو إلى الفرنسية ترجمة حرفية، إذ وضع تركيب النص المصدر نصب اهتمامه، مع الاستعانة بهوامش شارحة كي تساعد القارئ على فهم لغة وخصوصية الثقافة المصدر.³ يأتي بعده ريني باصي الذي دون 15 حكاية بأمازيغية الريف، ثم يأتي بعده صامويل بيارناي S.Biarnay فأميدي رينيزيو Amedée RENISIO أخيراً.

وفيما يلي أعمال الكولونيين الفرنسيين التي وردت فيها النصوص الحكائية الأمازيغية الريفية حسب التسلسل الزمني:⁴

¹ أورد ريني باسي أن عمل الجنرال هانتوتو يرجع إلى سنة 1899. يتعلق الأمر هنا بخطاً مطبعي، والصحيح هو 1859، كما أوردتها صامويل بيارناي الذي نقل عنه.

- Basset René, Etude sur les dialectes berbères du Rif Marocain, Actes du onzième congrès international des Orientalistes. Paris, 1897. Ethnographie et folklore de l'Orient. Imprimerie Nationale, Paris, 1899, pp. 71-171 (p.71)

- Biarnay Samuel, Etude sur les dialectes berbères du Rif, Op, cit, p. XII

² يؤكد إيميل لاوسط أن هانتوتو قد أورد النص الريفي ليس من أجل دراسته، ولكن "من أجل القياس والمماثلة بين اللهجات الأمازيغية التي يبدو أنها متباعدة".

- Laoust Emile, Le dialecte berbère du Rif, Bulletin de l'enseignement public du Maroc, N°71 Paris, Janvier 1926, P. 79-81

³ حنو عبد الواحد، الكتابات الكولونالية الفرنسية حول الريف وإشكاليات الترجمة؛ دراسة تحليلية لنصوص أمازيغية واردة في كتاب "دراسة حول اللهجات البربرية لبني يزناسن والريف وصنهاجة السراير" لأميدي رينيزيو، بحث لنيل ماستر التعدد اللغوي والتلاقح الثقافي في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 2023، ص. 72

⁴ حنو عبد الواحد، نفسه، ص. 49

السنة	إسم المدون	عنوان الكتاب/ المقال	عدد النصوص	الحرف المستعمل
1859	أدولف هانوتو	Essai de grammaire Kabyle ¹	1	اللاتيني
1887	ريني باسي	Manuel de langue kabyle (dialecte Zouaoua) ; grammaire, Bibliographie, Chrestomathie et lexique. ²	1	العربي واللاتيني
1890	ريني باسي	Loqman berbère, avec quatre glossaires et une étude sur la légende de Loqman. ³	6	العربي واللاتيني
1899	ريني باسي	Etude sur les dialectes berbère du Rif marocain ⁴	8	العربي واللاتيني
1917	صامويل بيارناي	Etude sur les dialectes berbères du Rif ; Lexique textes et notes de phonétique. ⁵	16	اللاتيني
1932	أميدي رينيزيو	Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair, Grammaire, textes et lexique ⁶	41	اللاتيني

¹ Hanoteau Adolphe, Essai de grammaire kabyle, 2ème édition, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1906, p.360

² Basset René, Manuel de langue kabyle (dialecte Zouaoua) ; grammaire, Bibliographie, Chrestomathie et lexique, Maisonneuve & Ch. Lecerc Editeurs, Paris, 1887, p. 37*

³ Basset René, Loqman berbère, avec quatre glossaires et une étude sur la légende de Loqman, Ernest Leroux, Paris, 1890

⁴ Basset René, Etude sur les dialectes berbères du Rif Marocain, Op, cit.

⁵ Biarnay Samuel, Etude sur les dialectes berbères du Rif ; lexique, texte et notes de phonétique, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1917

⁶ Renisio, Amédée, Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair, grammaire, textes et lexique, publication de l'IHEM, tome XXII, Editions Ernest Leroux, Paris, 1932

سأقتصر على كل من صامويل بيارناي S.Biarnay الذي أنجز بحثا بعنوان "دراسة حول لهجات أمازيغية الريف، معجم ونصوص وملاحظات فونيتيقية"¹. تضمنت هذه الدراسة متنا مهما من الحكايات الشعبية كتبت باللغة الأمازيغية بالحرف اللاتيني، حيث اعتمد بيارناي الطريقة الفونيتيقية في التدوين، مع ترجمته لهذه النصوص إلى الفرنسية. ويمثل الجدول أسفله الحكايات التي تم جمعها في هذا الكتاب:

عنوان الحكاية		القبيلة
بالأمازيغية	بالعربية	
Tanfust n txatmt	حكاية الخاتم؛	إيقوين
Tanfust n wuccen d yensi	حكاية الذئب والقنفذ؛	
Tanfust n ssjiε ben ssujεan	حكاية سجيح بن سجعان؛	
Yemma Mimuna tagnawt	حكاية أمي ميمونة البكماء؛	
Tħajit n wergaz d tmeṭṭut d teqzint d memmi-tsen	حكاية الرجل والمرأة والكلبة وابنهما؛	آيت ورياغل
Tħajit n weṯyul d ikerri d uyaziḍ	حكاية الحمار والكبش والديك؛	
Tħajit n yelli-s n ujellid	حكاية الأميرة؛	
Tħajit n ssi Musa aked ujellid	حكايات سي موسى والملك (سته أجزاء)؛	ثمسمان
Tħajit n Lebruzi	حكايات البروزي (في جزئين)؛	
Tħajit n uwessar d uwessar	حكاية الشيخ والشيخة؛	
Tħajit n wergaz d temṯarin- nnes	حكاية الرجل وأزواجه؛	
Tħajit n lmeskin aked ttajir	حكاية المسكين و الثري؛	

¹ BIARNAY Samuel, Etude sur les dialectes berbères du Rif, Lexique, textes et notes de phonétique, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1917.

عنوان الحكاية		القبيلة
بالأمازيغية	بالعربية	
Tḥajit n wergaz i imelken tamɣart taεeffant	حكاية الرجل الذي تزوج امرأة قبيحة؛	آيت توزين
Tḥajit n wen yiraren čamma	حكاية لاعب الكرة؛	
Tḥajit n Ḥdidwan	حكاية حديدوان؛	كبدانة
Ḥelli l bab a lḥejra	حكاية افتحي الباب يا صخرة؛	

باحث آخر يعيننا أمره هو أميدي رينيزيو Amedée RENISIO الذي دون بدوره متنا مهما من الحكايات الشعبية الأمازيغية بمنطقة الريف، في كتابه "دراسة حول اللهجات الأمازيغية لبني يزناسن والريف و صنهاجة السراير"1. نشرت النسخة الأصلية من طرف المعهد المغربي للدراسات العليا² L'institut des hautes-études Marocaine سنة 1932، وأعاد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية نشرها سنة 2015.

وفيما يلي مجموع الأساطير والحكايات التي تم تدوينها من طرف رينيزيو:

الأسطورة: Légende

عنوان الأسطورة		القبيلة
بالأمازيغية أو بالفرنسية ³	بالعربية	
Leḥkayet n Eiwaj	عواج؛	آيت يزناسن
Leḥkayet n Reggada	الركادة؛	
Leḥkayet n Musa U Saleḥ	موسى أوصالح؛	أغبال؛
Leḥkayet n Waɣbal		

¹ RENISIO Amédée, Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair; grammair, textes et lexique, publications de l'Institut des Hautes-Etudes Marocaines, Tom XXII, Edition Ernest Leroux, Paris, 1932.

² أسسته سلطات الحماية سنة 1920.

³ نحافظ على العنوان كما دونه أميدي رينيزيو، إذ أن بعض النصوص المدونة بالأمازيغية عنوانها بعناوين فرنسية.

عنوان الأسطورة		القبيلة
بالأمازيغية أو بالفرنسية ¹	بالعربية	
Le taleb chercheur de tresors	طالب العلم الباحث عن الكنز؛	
Azru Hammar	أزرو هممار؛	
At Emmur	بني عمور؛	
Légende de Sidi Aissa U Abdel Krim	سيدي عيسى أوعبد الكريم؛	آيت ورياغل
Légende de Sidi Moḥammed Boujeddain	سيدي محمد بوجداين؛	آيت توزين
Boujeddain et les tolbas	بوجداين والطلبة؛	
Sidi Malek	سيدي مالك؛	بقيوة

Les fables حكايات الحيوانات

عنوان الحكاية الرمزية		القبيلة
بالأمازيغية	بالعربية	
Talefsa d tiḍḍa	الأفعى والعلقة؛	آيت يزناسن
Adessiw d tinemlelt	العصفور وشجرة الحور الراجف؛	
Ajaruf d weḥram-nnes	الغراب وصغيره؛	
Uccen d tsiwant	الذئب والحدأة؛	
Aryaz d yifker	الرجل والسلحفاة؛	
Tjarfiyt d yifker	الغراب والسلحفاة؛	
Talefsa d uYerḍa	الأفعى والفأر؛	
Uccen aked wayrad	الذئب والأسد؛	
Uccen d tmedda	الذئب والحدأة؛	
Mucc d uYerḍa	القط والفأر؛	
IkeEbawen d wuccen	الثعالب والذئب؛	

Uccen d yinsi	الذئب والقنفذ؛	
Tameṭṭut d waryaz- nnes	امراة وزوجها؛	
L'homme dont on ignorait la profession.	الرجل الذي نجعل مهنته؛	
Un pari malheureux	رهان تعيس؛	
Bab n tfunast	مالك البقرة؛	
Je vais te tuer, puis te faire revivre	أميتك ثم أحبيك؛	
L'homme qui se curait les yeux avec un cure- dents	الرجل الذي فقأ عينيه بعود أسنان؛	
Tiyyita n texriḍt	كدمات قرية؛	
Aryaz d urbib-nnes	الرجل وربيبه؛	
Aḥnuc n wun tḤaṭ d wun tkerret ag wun wuccen	ذئب وشاة وصغير عنزة؛	صنهاجة
Uccen d lqenfud	الذئب والقنفذ؛	السراير

الحكايات Les conte

عنوان الحكاية		القبيلة
بالأمازيغية أو بالفرنسية	بالعربية	
Un homme avait sept filles	رجل وبناته السبعة؛	آيت يزناسن
Un conte merveilleux	حكاية خرافية؛	
Un roi gouvernait avec équité	ملك عادل؛	
Histoire de quatre At Ouriaghel	حكاية أربعة ورياغليين؛	آيت ورياغل
Ḥemmu Leḥraymi	حمو لحرابي؛	آيت توزين
Premier conte	الحكاية الأولى ¹ ؛	آيت عمارت
Ijjen Ḥer-s tnayen n temḤarin	رجل وزوجته؛	صنهاجة
Ḥdiddan	حديدان؛	السراير

¹ دونها رينيزيو دون أن يضع لها عنوانا، واكتفى بعنونة ترجمتها الفرنسية بـ "الحكاية الأولى" premier conte. ص. 253.

والحقيقة أن هذه الأعمال ذات قيمة علمية غير خفية، على الرغم من الأجنداث الاستعمارية التي قد تكون وراء إعدادها. ذلك لأنها حافظت على متن مهم من الحكايات كان من الممكن أن ينقرض لولا تدوينه. إلا أنه وجبت الإشارة إلى أن التراث الريفي لم يكن موضوعاً للتوثيق بنفس الكثافة من قبل الكتاب الاستعماريين، بالمقارنة مع العديد من المتغيرات الأمازيغية الأخرى. وكل المدونين لم يقوموا بزيارة القرى والمدن الريفية، ولم يتفاعلوا مع سكانها لمعرفة الطقوس والتقاليد المرتبطة بالنصوص التي كتبوها، وكذلك السياقات التي تحيط بها. ولم يلتقطوا إشارات الطقوس المصاحبة للحكي وهم يدونون الحكايات الشعبية من أفواه العابرين الذين يقصدون حقول وهران لبيع جهدهم مقابل الأجر، أو في مقاهي ومنازل طنجة... كل ما تم تدوينه من نصوص أمازيغية ريفية ألقاها رواة على المدونين بأسلوب استظهار جامد، منفصل عن واقعه الحي وطقوسه المصاحبة، وذلك خارج مجال الريف، سواء في وهران أو في طنجة أو في أزرو أو في فاس... اللهم إذا استثنينا أميدي رينيزيو الذي جمع قسطاً من متنه من قبيلة بني يزناسن، وكذا ريني باسي الذي دون حكايات معدودة في مليلية¹.

وعن أسباب ضعف الحركة التدوينية (بصفة عامة) التي عرفها الريف، لن نحيد عن رأي جمال أبرنوص، إذ يقول في هذا السياق:

"أما عن حيثيات ضعف الحركة التدوينية التي عرفها الريف فهي جماع وقائع وخصوصيات تمتزج فيها التفاصيل التاريخية والجغرافية، وتتضافر فيها البواعث والنتائج، وإن بدت، في تركيبها وتفاعلها، أشبه بروافد ومسيلات تصب جميعها في عامل رئيس هو حجم الصعاب التي كانت تنتصب أمام المستكشفين الأوربيين الراغبين في ولوج المجال"².

¹ حنو عبد الواحد، مرجع سابق، ص. 48.

² أبرنوص جمال، الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي بعيون مستمزيغ فرنسا الكولونيالية: ملابسات التقييم والتأويل، مجلة أسيناغ، ع. 16، 2021، ص. 153-169.

إذا كان التدوين بصفة عامة يقلل من الجوانب الفنية للحكاية والطقوس المرافقة لها، فماذا عسانا أن نقول عن النصوص التي دونها المستمزغون في معزل عن السياقات الما وراء نصية؟ وماذا عن المستجوبين الذين يستجوبون في ظروف غير مريحة؟ وكأن النصوص كانت تنتزع منهم تحت الضغط، خصوصا عندما يكون المستجوبون سجناء¹. نستدعي هنا رأي جمال أبرنوص في هذه الظاهرة، إذ يقول: " يبدولفظ السجناء صادما إلى حد بعيد، فعملية الجمع تمت هنا في خضم الجبر والإكراه، وفي ظل انتهاك فاضح لشرط التعاون الإرادي للرواة، كما لو أن الأمر يتعلق بأخذ عينات من مواد لا بتدوين إفاادات قولية²."

2. ما بعد الاستقلال:

اهتم الباحثون المغاربة أيضا بتدوين الحكايات الشعبية على غرار من سبقهم من الأوروبيين، وإن كان محرك الاهتمام مختلفا، لأن كثيرا من الباحثين المغاربة حركتهم الإرادة في حفظ الأدب الشفاهي، عكس الباحثين الأوروبيين الذين كانوا يطمحون بنبشهم في الثقافة والتراث، إلى خدمة الأطماع الاستعمارية.

ومن بين هؤلاء الباحثين، نذكر محمد الأيوبي الذي ألف كتابا عنوانه عجائب الريف³، جمع فيه العديد من الحكايات الأمازيغية مكتوبة بأمازيغية الريف وبالحر

¹ أشار رينيزيو أنه بخصوص مدونات منطقة صنهاجة السراير، فقد اعتمد على مستجوبين كانوا سجناء سنة 1925. RENISIO, Amédée, Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair, Op, cit, p. III

² أبرنوص جمال، الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي بعيون مستمزغي فرنسا الكولونيالية: ملابسات التقييم والتأويل، مجلة أسيناغ، ع. 16، 2021، ص. 153-169

³ EL AYOUBI, Mohamed, Les merveilles du Rif; contes berbères narrés par Fatima n Mubehrur, Publication of the M. The Houtsma Stichting, Utrecht, 2000.

اللاتيني، كما قام بترجمتها إلى الفرنسية. وقد اعتمد الباحث في تسجيل مادته الحكائية على أشرطة كاسيط، أما رواية حكاياته فهي فاطمة ن موبحرور¹.

دوّن الأيوبي خمس عشرة حكاية، وهي كالاتي:

Tanfust n tnayen n wumaten	حكاية الأخوين؛
Tanfust n tarwa uceffar	حكاية ابني السارق؛
Tanfust n bu sebEa izellifen	حكاية ذي الرؤوس السبعة؛
Tanfust n Emar d weltma-s	حكاية عمار وأخته؛
Tanfust n sebEa n wawmaten d weltma-tsen	حكاية الأخت وإخوتها السبعة؛
Tanfust n E ziza d Tulisfi	حكاية عزيزة تولىسفي؛
Tanfust n Nunja m tnifas	حكاية نونجا المترمدة؛
Tanfust n tnayen n tebliYin	حكاية البنيتين؛
Tanfust n Lefqih d lhajj	حكاية الفقيه والحاج؛
Tanfust n ttewdiyyet ujellid	حكاية وصية الملك؛
Tanfust n Emar Kippus	حكاية عمار كيبوس؛
Tanfust n tlata n tebliYin	حكاية البنات الثلاث؛
Tanfust n lalla Lila d Emar Bumehdiya	حكاية لالة ليلة وعمر بومهدية؛
Tanfust n Sulṭan n Bab Lhind	حكاية سلطان "باب الهند"؛
Tanfust n Eemmi Yehya d tYeydet n wezYar.	حكاية عمي يحيى والغزاة؛

¹ يشير محمد الأيوبي في مقدمة كتابه ص 11، أن فاطمة ن موبحرور أحادية اللغة، أي أنها لا تتقن إلا الأمازيغية. وأن ممتنه جمعه ما بين 1990 و1997، آنذاك، كانت فاطمة ن موبحرور تبلغ من العمر 89 سنة.

ومن بين ما جعل محمد الأيوبي يختار هذه الحكايات ليدونها؛ مهارة فاطمة ن مبحرور في الحكى، إذ وصفها بالراوية الممتازة، قائلاً إنها تملك ذاكرة قوية، وربرتوارا غنيا ومتنوعاً¹، بالإضافة إلى ذلك، دون انطباعها حول الحكايات التي ترومها، حيث تقول:

"لا يمكن أن نعتبر هذه الحكايات مجرد أكاذيب، هي وقائع عشناها، وشاهدناها. هذه الحكايات يا أبنائي من صميم تاريخنا، رواها لنا الأجداد. أنا كنت لا أزال طفلة صغيرة لما سمعتها، حكاها لي خالي، وقد كان عمره آنذاك ثمانين سنة. ونظرا لحدائة سني آنذاك، وفطنة الطفولة، تمكنت من خزنها في ذاكرتي، والآن أحكيها لتبقى للأجيال القادمة"².

إن طقوس الحكى لها طابعها الخاص، ولها وقعها على أذن المستمع. كيف لا والطقوس ذاتها هي من جذبت الباحث وشجعتة على التدوين؟ لكن، ورغم أنه أقر بذلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يزيل الحد الفاصل بين الملفوظ والمكتوب، أو يذيب ملامح الملفوظ بكل تفاصيلها في حروف جامدة على سطح الأوراق.

وجدير بالإشارة إلى أن الراوية عندما تحكي حكايتها، تستدعي ما حفظته من الأسلاف، لتتواصل لغويا مع مستمعيها، معيدة التأكيد على بناء قيم موروثة لا يسعها وعاء الكلمات فحسب، بل توظف (للتعبير عن هذه القيم) نبرة الصوت والإيماءات الجسدية ومهارات وطقوس مرافقة لزمان ومكان الحكى، وذلك في إطار منظومة سوسيوثقافية تتبادل فيها الراوية مع المروي لهم نوعاً من التواصل لا

¹ Mohamed EL AYOUBI, op., cit, p. 11.

² "tiḥuja-ja haqqa-nt, u ḡi bu d icettiḥen, u ḡi bu d ixawīden, u ḡi bu d ssḥaḥa, qa d tinfas, d ttemtil, kkint x-aneḡ, nezri-tent. Tinfas-a a wḥadi d ttarix-nneḡ, εawden-aneḡ-tent řejdud-nneḡ, nec umi i day-nnan tinfas-a, iḥa εad ḡiḡ d takkuḥt, iεawed-ay-tent xaḥi iḥa ḡar-s tmanyin sna. řεεqef n temzi, uxa ksiḡ-tent. Řuxa ttεawadeḡ-tent ḥuma ad qqiment i jjiḥ i dd-yegguren" Mohamed EL AYOUBI, op., cit, p:11

يقتصر على المحتوى وإيصال المعرفة وحسب، بل يتعداه إلى خلق جو ثقافي مشترك يشعر فيه الجميع بالدفء والطمأنينة والاستقرار النفسي.

فمهما كانت النصوص التي دونها محمد الأيوبي محافظة على ملامحها الشفاهية، ومهما كان مصرا على إفراغ المحتوى الشفاهي بكل أمانة بين صفحات كتابه، لا يمكن أن نستقبلها نحن القراء بنفس الدفء والإحساس الذي كان يشعر به وهو يتابع تقاسيم وجه فاطمة ن موبحرور، ويتناغم مع ترانيم صوتها ويتماهي مع تفننها في سرد الأحداث بطريقة جذابة. إذ أننا نحن المتعاملون مع النص المكتوب، تنقصنا الكثير من هذه التفاصيل المرافقة للعبارات المسرودة عندما تُلفظ في حينها، أما علب الكلمات المكتوبة (الرسوم)، فلا تُعبأ إلا بالمحتوى، ولا تلون إلا بألوان المعنى، لافظة باقي التفاصيل لتبقى حبيسة ذاكرة من حظي بالاستماع والمتابعة في الإبان.

وفي هذا السياق، نورد ما قاله جليبر غرانكيوم: "إن الملفوظ عندما يحدد التعبير في حقل دلالي معطى، يترك الكلمات تجتر وراءها جميع التمثلات المقترنة بها. وهذه الكلمات لا تتيح قول شيء، وإنما تجبر الفرد على القول بكيفية معينة، لكنها تظل مشحونة بمجموع ما لا يمكن قوله، وهو مجموع مقترن بها. وبذلك، يوجد ضمن العلاقة التي تربط الفرد باللغة قانون واستثمار رغبة في آن واحد"¹.

فالمدون الأيوبي الذي عبر جليبا على أن قصده من وراء التدوين؛ أن ينقذ هذا النمط من الأدب الشفاهي الريفي من الاندثار، وأن ينقل هذه الحكايات إلى الأجيال القادمة في صيغة كتابية، مع حرصه على الحفاظ على دفتها الشفاهي،² لا يمكن له بأي حال من الأحوال أن ينقل الملامح الطقوسية والتفاصيل المواكبة لعملية الحكيم. ولن أحيدهنا عن رأي محمد الولي في هذا المضمرة، حيث يقول: "على الرغم من أن الكتابة قد أمنت الحياة للأجناس الحكائية، وأنقذتها من تهديد الانقراض، إلا أن

¹ جليبر غرانكيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد أسليم، الفارابي للنشر، مكناس، ط 1، 1995، ص:77.

² Mohamed El Ayoubi, M, op., cit, p. 15.

التدوين قد أفقدها ملامحها الشفوية اللصيقة بالمقام كما أفقدها ملامحها الطقوسية.¹

نجد أيضا من بين من بادر إلى التدوين؛ هشام بعو الذي ألف كتابا بالأمازيغية بعنوان "قالوا في سالف الأزمان"² Nnan di zic n wussan سنة 2018، جمع فيه ثمان حكايات أمازيغية كتبها بالحرف اللاتيني.

وهذه هي عناوين النصوص الحكائية التي وردت في الكتاب المذكور:

Aÿyul d wuccen	حكاية الحمار والذئب؛
Amedyaz d mennuc	حكاية منوش والمنشد؛
Tutiya	حكاية توتية؛
Hiba	حكاية هيبة؛
Insi d wuccen	حكاية الذئب والقنفذ؛
Mehniya	حكاية مهنية؛
Nunja	حكاية نونجا؛
Tazrut n Buÿriba	حكاية حجرة بوغريبا.

إلا أن الملاحظ في مدونات الباحث؛ ميله إلى تنقيح مفردات النصوص وترميمها، بإزالة بعض الكلمات الدخيلة وتعويضها بكلمات أخرى، أو بتغييره بعض العبارات، وإضافته عليها لمستته وأسلوبه الخاص.

¹ محمد الولي، الحكاية الخرافية مسرحا للقيم المتسارعة، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 12، 2018، ص: 83-96.

² Hicam BEËËU, Nnan di zic n wussan, tiħuja, 2018.

وهذه بعض الجُميلات التي تحمل لمسة المدون الخاصة، بتغييره وتعديله لبعض المصطلحات:

الترجمة	التعبير الشفاهي المتداول	التعبير الذي دونه الباحث
لما كانت الحيوانات تتكلم	Lami ttuɣa <u>lmal</u> yessawal	Lami ttuɣa <u>imudar</u> ssawalen (7:ص)
ليس كما كانت تدعيه	Walli mamec ttuɣa dasen- <u>teqqar</u>	Walli mamec ttuɣa dasen- <u>tettini</u> (12:ص)
أخذت تسرع أكثر	Terni di tazza <u>ktar</u>	Terni di tazza <u>ujar</u> (12:ص)
أنا، أحبه هو بذاته	Necc d netta i <u>ttexse</u> ɣ	Necc, d netta i <u>ttri</u> ɣ (14:ص)
فرحت منوش كثيرا	Mennuc, <u>tefreh</u> aṭṭas	Mennuc <u>tumer</u> aṭṭas (15:ص)
غدا كل فرحها خوفا..	Marra <u>lefrahet</u> -nni tdewl- as d tigg ^w di	Marra <u>tumert</u> -nni tdewl-as d tigg ^w di (15:ص)
لم ترح من مكانها	Wer tenhezz zeg <u>wemkan</u> -nnes	Wer tenhezz zeg <u>wansa</u> nnes (16:ص)
وسط الأشجار	Di <u>lwest</u> n <u>tsejjura</u>	G <u>wammas</u> n <u>tseklutin</u> (20:ص)
إلى أين سنذهب؟	Mani ɣa <u>nrah</u> ?	Mani ɣa <u>neddu</u> (26:ص)
ثلاثة أيام	<u>Tlata</u> n wussan / <u>telt</u> - yyam	<u>Krad</u> n wussan (27:ص)
أخوين اثنين	<u>Tnayan</u> n wawmaten	<u>Sin</u> n wawmaten (35:ص)
أنعم عليه الله بجمال أخاذ، ويتميز حكمه بالاستقامة	Yewca-s rebbi tcuni, d yij n <u>lehkam</u> iseggem	lwca-s rebbi tcuni d yij n <u>unbad</u> iseggem (37:ص)
خاطبته ضاحكات..	Nnant-as s <u>tdehhakt</u>	Nnant-as s <u>tadṣa</u> (49:ص)
منذ ذلك الحين، لم يصل إلينا خبر يتعلق بها.	Zi lexdenni, ur xaf-s nesli ca n <u>lexber</u>	Zi lexdenni, ur xaf-s nesli ca n <u>une</u> ɣmis (51:ص)

الترجمة	التعبير الشفاهي المتداول	التعبير الذي دونه الباحث
البحر الصغير	<u>Lebher</u> amzzyan	llel amezzyan (ص:55)
كانت نونجا قد تذكرت أكل أخيها	Nunja ttuɣa teɛqel xef wenni iccin uma-s	Nunja ttuɣa tekti xef wenni iccin uma-s (ص:60)
لديها سبعة أطفال	ɣar-s sebɛa n ihenjiren	ɣar-s sa n ihenjiren (ص:61)

يتبين من الجدول أعلاه، أن المدون قد تصرف في أسلوب الحكاية، خصوصا فيما يتعلق بالجانب المعجمي. إذ نجده قد استبدل بعض المفردات المتداولة في الريف، بمفردات أخرى استقاها من المتغيرات الأمازيغية الأخرى، مثل استبداله ل $\text{ttexse}\lambda$ (أحب) بكلمة $\text{ttri}\lambda$ الغير مستعملة في أمازيغية الريف. بالإضافة إلى ذلك، اجتهد هشام بعو في استبدال بعض الكلمات الدخيلة les emprunts بكلمات أخرى غير متداولة في أمازيغية الريف، كما هو الحال بالنسبة لكلمة lefrahet (الفرح) التي تم تعويضها ب tumert ، و tefreh (فرحت) التي تم استبدالها ب tumer ، و tadehhakt (الضحك) التي عوضها ب $\text{tad}\delta\text{a}$ و amkan (المكان) التي تم استبدالها ب ansa ...

هكذا إذن، نجد أنفسنا حيال نصوص أضمرت بعضها من جوانبها الشفاهية، وحضر فيها الهاجس اللغوي لدى المدون، والذي أبقى إلا أن يجتهد في بعض من أساليب ومفردات النصوص الحكائية مضميا عليها لمستته الخاصة، لتبدو وكأنها من تأليفه الخاص. هذا بالإضافة إلى أن كتاب "قالوا في سالف الأزمان" لم ترد فيه أية إشارة إلى راو أو راوية للحكايات التي دونها، عكس محمد الأيوبي الذي أفرغ محتوى الحكايات في كتابه دون أن يتدخل لتغيير المعجم والتعابير.

على سبيل الختم:

نستطيع القول، ختاماً، إن تدوين الحكاية الأمازيغية، ونقلها من حضنها الشفاهي الحي إلى فضاء الورق، يفقدها ملامحها الطقوسية، وطابعها الزماني والمكاني الذي يميزها، سواء أكان فعل التدوين متصلاً بأغراض استعمارية، كما هو

الشأن مع المدونات الكولونيلية، أو مدفوعا بغاية حماية النصوص الحكائية من خطر الاندثار، كما هو حال البحوث والدراسات التي أنجزها باحثون مغاربة بعد الاستقلال.

إن التدوين مسلك بحثي شديد الأهمية، لكنه يحيل الحكايات مجرد نصوص جامدة ومحنطة في توأبيت حروفها، حيث يكون التفاعل والحيوية لدى المتلقي مفقودين، ويكون بمعزل عن كل ذلك الدفق والشعور بالجماعة التي يتنمي إليها. جراء هذا، نجد أنفسنا حيال فقدان الروح الثقافية والنفسية، والذي يسببه التعامل الفردي مع الإرث الجماعي، حيث تضيع الطقوس، ويتوارى الدفاء والإحساس بالحياة المشتركة....

لكن بالمقابل، يمر المجتمع الريفي والمغربي بصفة عامة بانتقال سريع تسقط به مجموعة من المظاهر الثقافية، ويبقى أن التدوين، رغم علته، يحافظ على روح النصوص، رغم تشويه ملامحها في الكثير من الأحيان.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- أبرنوص جمال، تيبولوجية الشعر الأمازيغي التقليدي؛ بناء المعيار وتنضيد الأنماط، منشورات مكتبة سلمي الثقافية، ط2، تطوان، 2016.
- أبرنوص جمال، الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي بعيون مستمزيغ فرنسا الكولونيالية؛ ملابس التقييم والتأويل، مجلة أسيناغ، ع.16، 2021
- الداودي محمود، نداء حول ضرورة تأصيل علم الاجتماع العربي في صلب فكر مرجعيته الثقافية، مجلة عالم الفكر، المجلد 34، يوليو-سبتمبر 2005
- حنو عبد الواحد، الكتابات الكولونيالية الفرنسية حول الريف وإشكاليات الترجمة؛ دراسة تحليلية لنصوص أمازيغية واردة في كتاب "دراسة حول اللهجات البربرية لبني يزناسن والريف وصنهاجة السراير" لأميدي رينيزيو، بحث لنيل ماستر التعدد اللغوي والتلاقح الثقافي في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 2023
- غرانكيوم جليبر، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد أسليم، الفارابي للنشر، مكناس، ط 1، 1995.
- موليراس أوجست، المغرب المجهول، الجزء الأول، اكتشاف الريف، ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات تفرافز، دار النجاح الجديدة، 2007.
- الولي محمد، الحكاية الخرافية مسرحا للقيم المتسارعة، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 12، 2018.

المراجع بالأمازيغية

- BEËËU, Hicam, Nnan di zic n wussan, tiħuja, 2018.

باللغة الفرنسية

- BASSET, René, Loqman berbère, avec quatre glossaires et une étude sur la légende de Loqman, Ernest Leroux, Paris, 1890

- BASSET, René, Manuel de langue kabyle (dialecte Zouaoua) ; grammaire, Bibliographie, Chrestomathie et lexique, Maisonneuve & Ch. Lecerc Editeurs, Paris, 1887
- BASSET, René, Les contes populaires berbères, Ernest Leroux, Paris, 1887.
- BASSET, René, Etude sur les dialectes berbères du Rif Marocain, Actes du onzième congrès international des Orientalistes. Paris, 1897. Ethnographie et folklore de l'Orient. Imprimerie Nationale, Paris, 1899
- BIARNAY, Samuel, Etudes sur les dialectes berbères du Rif, lexique, textes et notes de phonétique, Ernest Leroux, Paris 1917.
- BOUNFOUR, Abdellah et D. Merolla, Contes, Encyclopédie berbère, 14 | 1994.
- EL AYOUBI, Mohamed, Les merveilles du Rif, contes berbères narrés par Fatima n Mubehrur, Publication of the M. The Houtsma Stichting, Utrecht, 2000.
- HANOTEAU, Adolphe, Essai de grammaire kabyle, 2ème édition, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1906
- LAOUST, Emile, Contes berbères du Maroc ; textes berbères du groupe berbère-Chleuh (Maroc central, Haut et Anti-Atlas), Editions Larose, Paris, V^e, MCMXLIX (1949).
- LAOUST, Emile, Le dialecte berbère du Rif, Bulletin de l'enseignement public du Maroc, N°71 Paris, Janvier 1926
- MOULIERAS, Auguste, Légendes et contes merveilleux de la grande Kabyle, Ernest Leroux, Paris, 1893.
- RENISIO, Amédée, Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, Du Rif et des Senhaja de Srair, Grammaire, textes et lexique, E. Leroux, Paris 1932.
- Rivière, Joseph, Contes populaires de la Kabylie du Djurdjura, Paris, Leroux, 1882
- TISSOF, Fabienne, Pour une ethnolinguistique discursive du conte berbère à la croisée des cultures: relation orale et méta-médiation, Thèse de doctorat sous la direction de Andrée CHAUVIN-VILENO, Université de France-compté, 2011.

جهود الزجاجة النحوية

من خلال كتابه "علل الإيضاح" - دراسة وصفية تطبيقية

د. الصادق علي وداعة

أستاذ مشارك

جامعة سنار

السودان.



ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على جهود الزجاجة النحوية من خلال كتابه "الايضاح في علل النحو"، فهو يكتب النحو بطريقة سلسلة، وأسلوب أدبي عذب، وأن منهجه فيه قائم على تجنب الجدل النظري والتعليل الفلسفي، ويعتبر الزجاجة من أكثر علماء عصره نشاطاً وحيوية في ميادين النحو واللغة والأدب، إذ هو صاحب الصوت المدوي قبل أن يغلب صوت الفارسي وابن جني، وأنه قبل ذلك كان يمثل حلقة من حلقات التاريخ النحوي، فقد كان مستقل الشخصية، حر الفكر، لا هو بالبصري المحض ولا بالكوفي المحض، وإنما يمزج بين نحوي البصرة والكوفة، ويأخذ من محاسنها، فلا يخشى أن يخالف فيه من سبقه، كوفياً كان أو بصرياً، تأتي أهمية هذا البحث في النزعة التجديدية للنحو العربي التي تمزج بين النحو البصري والنحو الكوفي والتي يعتبر الزجاجة رائدها وحامل لوائها في ذلك العصر، اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي، توصل في ختام البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها: أوضح الزجاجة أن غاية من تأليف هذا الكتاب هو البحث في علل النحو وإيضاح بعض أسرارها وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه...

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

وداعة، الصادق علي. (2024، أبريل). جهود الزجاجة النحوية من خلال كتابه "علل الإيضاح" - دراسة وصفية تطبيقية. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 1، السنة الأولى، ص 400-425.

Abstract

This study aimed to examine Al-Zajjaji's grammatical efforts through his book "The Clarification of the Reasons for Grammar." He writes grammar in a smooth manner and a sweet literary style, and his approach to it is based on avoiding theoretical controversy and philosophical reasoning. Al-Zajjaji is considered one of the most active scholars of his time. He is vital in the fields of grammar, language and literature, as he was the owner of a resounding voice before the voice of the Persian and Ibn Jinni prevailed, and before that he represented an episode of grammatical history. He was an independent personality, free-thinking, neither purely visual nor purely Kufic, but rather a mixture of The grammar of Basra and Kufa, and takes from their virtues, and is not afraid to disagree with those who preceded him, whether Kufic or visual. The importance of this research comes from the innovative tendency of Arabic grammar that mixes visual grammar and Kufic grammar, of which Al-Zajjaji is considered its pioneer and standard-bearer in that era. The researcher followed the method. Inductive and descriptive analysis, at the conclusion of the research, he reached a number of results and recommendations, the most important of which are: The style of the book of clarification is based on argumentation and the presentation of various proofs for the various opinions of grammarians...

مقدمة

هناك مؤلفات كثيرة في تراثنا العربي وردت فيها آراء نحوية ولغوية وصرفية، جديرة بالدراسة واستخلاص ما فيها من جهد، ومن هذه المؤلفات كتاب (الإيضاح في علل النحو) للزجاجي، حيث يستعرض فيه بإيجاز سبب وضع الكتاب وموضوعه، ذكرا الطريقة التي سيسلكها في معالجة بحثه، فيقول: "هذا كتاب أنشأناه في علل النحو خاصة، والإحتجاج له وذكر أسرارهِ، والكشف عن المستغلق من لطائفه وغوامضه دون الأصول، لأن الكتب المؤلفة في الأصول كثيرة جدا"، فهو يريد أن يسد فراغاً لم يسبقه إلى سده أحد، وبذلك حدد الزجاجي موضوع كتابه بالعلل خاصة، وبين أنه لن يتعرض للأصول أي القواعد النحوية، لأنه يؤلف في موضوع العلل هذا الموضوع الذي نزل به الضميم حتى غداً بحثاً مهملاً أو ثانوياً يؤتى به بعد الأصول، ولا يغفل الزجاجي بعد ذلك الإشارة إلى مصادر بحثه، فيذكر أنه استنبط من مصادر غيره من العلماء، وأنه أخذ الكثير عن الشيوخ تلقياً ومشافهةً.

■ أسباب اختيار الموضوع:

وتتمثل في الآتي:

1. أسلوب المؤلف في معالجة موضوع العلل، فهو لا يقوم على التطويل والإكثار، بل يؤثر الاختصار.
2. عرضه لمسائل النحو بطريق سلسلة، وإيراده آراء النحاة المختلفة وذكر ما ورد عليها من الاعتراضات والأدلة والبراهين.
3. يزعم المؤلف أنه لا يوجد كتاب غيره مفرداً في علل النحو مستوعباً فيه جميعها.

■ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

الوقوف على جهود وآراء الزّجّاجي النحوية من خلال كتابه "الإيضاح في علل النحو".

■ أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النزعة التجديدية والمستقلة للنحو العربي، والتي تمزج بين النحو البصري والنحو الكوفي، والتي كان رائدها وحامل لوائها في ذلك العصر الزجّاجي.

■ منهج البحث:

اتبع الباحث في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي.

■ الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع لم أقف على دراسة مفردة عن الزجّاجي وجهوده النحوية من خلال كتابه الإيضاح.

■ خطة البحث:

وتتكون من الآتي:

ملخص

مقدمة

المبحث الأول: حياته ونشأته

المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإيضاح

المبحث الثالث: جهود الزجّاجي النحوية من خلال كتابه

خاتمة

أهمّ المصادر والمراجع

المبحث الأول: حياته ونشأته

اسمه ومولده:

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المشهور بالزجاجي، نسبة إلى أستاذة الزجاج الذي لزمه في دراسة النحو وتأثر به، ولد بنهاوند -جنوبي همدان - وطاف كثيراً من البلدان، فنزل بغداد حيث لقي أستاذه إبراهيم بن السري الزجاج فلزمه حتى نسب إليه، وسافر إلى الشام فأقام بحلب مدة ثم غادرها إلى دمشق، ثم إلى طبرية ومات بها سنة 337هـ على أرجح الأقوال⁽¹⁾.

شيوخه:

كان الزجاجي شديد الولع بالعلم، أكثر من الأخذ عن علماء عصره، فأخذ عن الزجاج، ومحمد بن رستم الطبري، وابن كيسان، وابن شقير، وابن الخياط، وابن السراج، والأخفش وغيرهم⁽²⁾، وتخرّج على يديه عدد كبير من التلاميذ أكثرهم دمشقيون.

ثقافته:

كانت ثقافته موضع احترام القوم في عصره، فقد أثنوا عليه وعوّلوا على تصانيفه، حتى ظهر الفارسي وابن جني، فلم يتكلم العلماء عنه بسوء، أو وجدوا إلى الطعن فيه سبيلاً، غير أبي علي الفارسي الذي قال حين وقف على بعض مسائله في

¹ - إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق /الاستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار الكتب الثقافية -بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ-1982م، ج2/ص160، وأنظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الناشر: المكتبة العصرية -لبنان/صيدا، ج2/ص357، وأنظر: طبقات النحويين واللغويين(سلسلة ذخائر العرب 50) أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، تحقيق /الأستاذ محمد إبراهيم أبي الفضل، الناشر: دار المعارف، ص129.

² - الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق /د. مازن المبارك، الناشر: دار العروبة، القاهرة 1959م، ص19.

النحو: " لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه. (1)

مذهبه النحوي:

أمّا مذهب الزجاجي في النحو، فهو مذهب تلك الطبقة من العلماء الذين جاءوا على أعقاب ثعلب والمبرد، وجمعتهم حلقات العلم في مساجد بغداد وقصورها، ففترت لديهم حدّة التعصب، وبسطوا المذهبين وأخذوا من كلِّ، وقد أخذ الزجاجي عن علماء بصريين وكوفيين وأخذ عن آخرين ممن جمعوا بين المذهبين وأحاطوا بالقولين، فكان مثلهم في الجمع والإحاطة، وكان كشيخه الزجاج في ميله إلى البصرة والأخذ برأيها في أكثر الأحيان، فلم يكن متعصباً ولا مقلداً، وإنما كان حر الفكر مستقل الرأي مع سماحة في النفس ونبيل في الخلق.

مؤلفات الزجاجي:

ألّف الزجاجي في شتى علوم النحو واللغة والأدب، ولكن مؤلفاته لم تصل إلينا كلها، وما وصل إلينا لم يطبع إلا أقلّه، ونعرّف فيما يلي ببعض مؤلفاته:

1. كتاب الجمل: كتاب في النحو واسع الشهرة، صنّفه الزجاجي بمكة وطار ذكره بين الناس، وأكثروا من استعماله ودراسته وألزموا أنفسهم حفظه ودرأيته، وعوّلوا عليه في دراسة النحو. طبع الكتاب سنة 1926م على نفقة كلية الآداب في الجزائر بتحقيق الشيخ ابن أبي شنب.

2. الأمالي: أمالي الزجاجي مجموعة أخبار ينتقل القاري فيها من تفسير آية من القرآن إلى خبر تاريخي، ومن شعر ابن أبي ربيعة إلى رثاء ابن أبي داود، وللأمالي أكثر من نسخة، منها الأمالي الوسطى، ومنها الصغرى، ولعلّ الصغرى هي التي طبعت

¹ - أنباه الرواة ، ج2/ص160 ، وأنظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري ، المحقق/ إبراهيم السامرائي ، الناشر: مكتبة المنار الزرقاء الأردن ، الطبعة الثالثة 1405هـ- 1985م ، ص379.

بمصر سنة 1324هـ بتحقيق الأستاذ أحمد أمين الشنقيطي، ثم أعيدت طباعتها سنة 1354هـ.

3. الإيضاح في علل النحو: وهو دراسة للعلل النحوية، جمع فيه الزجاجي كثيرا من العلل التي كانت معروفة في عصره، وقد حققه د. مازن المبارك ونشرته مكتبة دار العروبة في القاهرة سنة 1959م، ثم أعادت نشره مكتبة دار النفائس - بيروت.

4. شرح مقدمة أدب الكاتب: وهو كتاب شرح فيه الزجاجي خطبة ابن قتيبة في (أدب الكاتب) شرحاً عنى فيه باللغة والنحو والصرف.

5. مختصر الزاهر: الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس، كتاب لأبي بكر بن الأنباري، وقد شرحه الزجاجي واختصره وحذف منه الشواهد وتعليق ابن الأنباري عليها.

6. كتاب معاني الحروف: عدّ بروكلمن من بين مؤلفات الزجاجي كتابا باسم (حروف المعاني) وأما (معاني الحروف) فلم يذكره أحد غير ابن خنيزار الإشبيلي.

7. كتاب الهجاء: ذكره الزجاجي نفسه في كتاب الجمل وذلك حين قال في كتاب الأفعال المهموزة: "وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء".

8. شرح رسالة سيبويه: لم يشر أحد من الباحثين إلى هذا الكتاب على كثرة عنايتهم بكتاب سيبويه وما يتصل به، والذي ذكره إنما هو صاحبه نفسه وقد أعاد ذكره غير مره في كتاب "الإيضاح في علل النحو" وهذا الكتاب شرح للصفحات الأولى من كتاب سيبويه.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإيضاح

أولاً. مقدمته

يتألف كتاب الإيضاح من مقدمة صغيرة وثلاثة وعشرين باباً، يضاف إليها مسائل صغيرة متفرقة ألحقها الزجاجي في آخره، وأما مقدمته فيتحدث الزجاجي في صدرها عن ضرورة العناية بالمؤلف، لأنه صورة لعقل صاحبه يعرضها على الناس، وأما طريقته في معالجة الموضوع فلا تقوم على التطويل والإكثار، بل هو طريق يؤثر الاختصار، وترك الخلاف، وإهمال السند، وانتقاء أحسن وجوه الكلام، إذا كانت للمسألة منه وجوه عدة، وبعد أن ينتهي الزجاجي حديثه عن كل ما سبق، ينتقل إلى تقديم كتابه إلى من يحب التطلع إلى العلم منبهاً من يسمو إلى نقده أن يتند ويتمهل، وأن يفكر ويتدبر، فقال: "ليعلم الناظر في هذا الكتاب، أنا لم أنال جهداً في ترتيبه وتهذيبه ونظمه واختياره حسب الطاقة ومع ارتجالنا إياه وتكلفنا جمعه من مواقعه غير عاملين علي مثال سابقه، ولا محتذيين على نظم تقدمه"⁽¹⁾، وآخر ما يتعرض له في مقدمة الكتاب هو ذكر السبب في تسميته بالإيضاح، فيترك ما أودعه في الكتاب أن يرد على من ينكر عليه هذه التسمية العادلة، ثم ينهي مقدمته بذكر أقسام الكتاب فيقول: "وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمين: القسم الأول منه في ذكر العلل خاصة، والثاني في المسائل المجردة، ليكون أسهل متناولاً"⁽²⁾.

ثانياً. أسلوب الكتاب

أسلوب الكتاب يقوم على الجدل وعرض البراهين المختلفة لشتى آراء النحويين، وكثيراً ما يتخذ الزجاجي في معالجته للأفكار طريقة السؤال والجواب، حتى إذا لم يجد سائلاً يسأله تخيلاً وألقى السؤال على نفسه ليتولى الإجابة عنه، وهو في عرضه لمسائل النحو وإيراده آراء النحاة المختلفة وذكر ما ورد عليها من

¹ - مقدمة الإيضاح، ص 3-4.

² - المرجع السابق، ص 11.

الاعتراضات وما قدموه بين يديها من الأدلة والبراهين، إنما يذكرنا بآبن الانباري في كتاب "الإنصاف" إذ يبدأ الزجاجي عرض المسألة بذكر رأي البصريين ويمثله غالباً قول سيبويه، ويتبعه برأي المخالفين ثم يفصل حجج كل منهم بادئاً بحجج الأضعف ليختم الحديث بإقرار حجج الأقوى⁽¹⁾، وقد يعكس فيقدم حجج الأقوى ثم يتبعها بالأضعف ليوهيها ويبين فسادها"⁽²⁾.

ثالثاً. غايته وقيمه

ذكر المؤلف أن هذا الكتاب يسعى لتقريب النحو لفهمه وتيسير الوقوف على أسراره، وقد عنى الزجاجي بالمبتدئين واهتمَّ بهم وألف لهم، وكذلك من الأغراض تبيان قيمة النحو وضرورة إتقانه والدفاع عن الإعراب، فقد خصَّ "فائدة تعلم النحو" بباب جمع فيه على إيجازه الكثير من الأقوال في تفضيل العربية وضرورة حذقها وامتداح الإعراب فيها.

رابعاً. تحقيقه

يقول د. مازن المبارك محقق الكتاب⁽³⁾: "لما كانت الغاية من تحقيق النصوص إنما هي إخراجها صحيحة سليمة، كما وضعها المؤلف، فقد بذلت الجهد في هذا السبيل، مراعيًا ما تستوجبه إعادة النص إلى وضعه الأول من حيطة وحذر ودقة وأمانة، فلم تكن مواضع الإبهام والغموض كثيرة فيه، وقد التزمت في تحقيقها القواعد الآتية:

1. احترمت النص فلم أتدخل فيه إلا بالقدر اليسير الذي لا يمس جوهره

ككتابتته وفق القواعد الإملائية المعروفة اليوم؛

¹ - الإيضاح، ص 13، باب القول في الألف، والياء، والواو في التثنية والجمع.

² - المصدر نفسه، ص 23، باب: القول في الفعل والمصدر، أيهما مأخوذ من صاحبه.

³ - نفس المصدر، ص 9.

2. صححت ألفاظاً وردت في النص مخالفة لقواعد النحو، وأشارت إلى هذا التصحيح في الحاشية؛
3. جاءت في النص كلمات كثيرة مشكولة، ولم يكن شكلها ذا فائدة، وكان شكل الكثير منها خطأ، فقد أهملت الشكل في النص؛
4. ضببطت الأعلام التي وردت في الكتاب وترجمت لها؛
5. عرّفت بالكتب التي وردت أسماؤها في النص ودلت على أماكن وجودها؛
6. خرّجت شواهد النص من آيات وأشعار؛
7. وجدت في النص جملاً قليلة غير مستقيمة فحاولت تقويمها بما يناسب السياق من زيادة كلمة أو حرف، ونهت على ذلك بأن وضعت الزائد بين هذين المعقوفين () وأشارت إلى الزيادة في الحاشية؛
8. شرحت بعض الألفاظ شرحاً لغوياً.

خامساً. ملاحظات على الكتاب

بالرغم من قيمة الكتاب العلمية، وذكر محاسنه كما تقدم، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي أبداها بعض العلماء عليه، ذكرها د. مازن في مقدمة شرحه وتحقيقه للكتاب منها:

1. المسائل المجردة التي عدها الزجاجي القسم الثاني من الكتاب، فقد ذكر أن الكتاب قسمان: قسم العلل وقسم المسائل، واتبع هذا التقسيم في كتابه فعلاً، فنص في آخر قسم العلل على تمام الكتاب، ثم ألحق به مسائل صغيرة ليست جديرة بأن تنال هذه الأهمية فكان الأخرى أن يتحدث عنها في المقدمة.
2. إن مقدمة الكتاب لتوحي للقاري بما فيها اعتداد بالنفس وحرارة في الدفاع، بفكرة رائعة عن الكتاب لا تتفق مع واقع الكتاب نفسه. وكم كنا نتمنى لو أن الزجاجي استبدل هذه المقدمة في الحديث عن العلة في النحو نشأتها وتطورها.

3. إن الزجاجي قسم العلل ثلاثة أقسام: تعليمية، وقياسية، وجدلية نظرية، وهو تقسيم حسن معقول نذكر للزجاجي سبقه إليه، ولكننا نراه مقصراً في الحديث عنه، إذ كان ينبغي له أن يذكر رأيه في كل قسم.

على أن هذا كله لا يحط من قيمة كتاب الإيضاح، فالكتاب على علة - ذو قيمة فنية ظهرت لنا فيما سبق من الحديث عنه، وحسب صاحبه أنه كان من الرواد الأوائل الذين فقهوا لغتهم، وتعمقوا أسرار قواعدها، ثم حاولوا التبسيط والتيسير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

المبحث الثالث: جهود الزجاجي النحوية من خلال كتابه الإيضاح في علال النحو.

أقسام الكلام:

استشهد الزجاجي على إجماع النحويين " أنَّ الكلام: " اسم ، وفعل ، وحرف "، وقول سيبويه في أول كتابه وتقسيمه للكلم، وحقق القول بذلك وسطره في كتابه، والناس من بعده غير منكرين عليه ذلك" (1)، بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: "وقد روى لنا أن أول من قال ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أعني قوله الكلام: "اسم، وفعل، وحرف... وقد دللنا على صحة مذهب صاحبنا، وأريناك أن اعتقادنا ليس تقليدا بل ببحث ونظر، والمدعي أنَّ للكلام قسماً رابعاً أو أكثر منه مخمَّن أو شاك، فليوجد لنا في جميع كلام العرب قسماً خارجاً عن أحد هذه الأقسام، ليكون ذلك ناقضاً لكلام سيبويه، ولن نجد لذلك سبيلاً" (2).

9- الإيضاح، ص 41.

2- المرجع نفسه، ص 43.

معرفة حدّ الاسم والفعل والحرف:

أولاً: حد الاسم: يقول الزجاجي: "وعندنا الحدّ هو الدال على حقيقة الشيء ، ولا يجوز أن يختلف اختلاف تضاد وتنافر، لأن ذلك يدعو إلى فساد المحدود وخطأ من يحده⁽¹⁾، و الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيز الفاعل والمفعول، وهذا الحد داخل في مقاييس النحو و أوضاعه، وليس يخرج عنه اسم البتة، ولا يدخل فيه ما لا ليس اسم .

وبعض النحويين قد حدوه حداً خارجاً عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان⁽²⁾، وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين، وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين⁽³⁾.

ومثّل سيبويه للاسم فقال: "والاسم" رجل و فرس"⁽⁴⁾، وقال الأخفش بن سعيد بن مسعدة⁽⁵⁾: "الاسم ما جاز فيه نفعني وضربني" يعني ما جاز أن يخبر عنه، وقال أبو بكر السراج⁽⁶⁾: الاسم ما دل على معنى، وذلك المعنى يكون شخفاً وغير شخفاً،

¹ - نفس المصدر، ص 46.

² - هذا الحد نقل عن الزجاج، وتجد فيه أقوالاً في حد الاسم لسيبويه والكسائي والأخفش وهشام والمبرد وغيرهم، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م، ص 49-51.

³ - الإيضاح، ص 48.

⁴ - الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر الملقب بسيبويه، المحقق / محمد عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م، ج 1/ ص 3.

⁵ - الأخفش الأوسط: هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت 215هـ) أخذ النحو عن سيبويه وكان معتزلياً حاذقاً في الجدل. ترجمته في بغية الوعاة، ص 258، وطبقات الزبيدي ص 74، ونزهة الألباء ص 185، وأنباه الرواة: ج 2/ ص 36.

⁶ - هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت 316هـ) أخذ عن المبرد وإليه انتهت رئاسة النحو بعده، وأخذ عن الزجاجي والسيرافي والفارسي والرماني، ترجمته في طبقات الزبيدي ص 122، ونزهة الألباء ص 313 ومعجم الأدباء، ج 18 / ص 197 وأنباه الرواة ج 3/ ص 145.

وكان مما اختاره أبو الحسن بن كيسان⁽¹⁾ عند تحصيله وتحقيقه أنه قال حاكياً عن بعض النحويين: الأسماء ما أبانت عن الأشخاص، وتضمنت معانيها نحو.. رجل وفرس وغيره.

ثانياً. حد الفعل: الفعل على أوضاع النحويين، ما دل على حدث، زمان ماض أو مستقبل، نحو: قام يقوم: وقعد يقعد، وما أشبه ذلك "والحدث المصدر، فإن دل على حدث وحده فهو مصدر، نحو: الضرب والقتل والحمد، وإن دل على زمان فقط فهو ظرف من زمان، وهذا معنى قول سيبويه⁽²⁾، وقد حد بعض النحويين الفعل بأن قال: هو ما كان صفة غير موصوف، نحو قولك هذا رجل يقوم، فيقوم صفة لرجل، ولا يجوز أن توصف بشيء، فنقول: والأفعال على الحقيقة هي التي يوصف بها، وليس ما قاله بشيء، لأننا قد نرى الظروف توصف في قولنا: مكاناً طيباً، ومكاناً حسناً، وجلسنا مجلساً واسعاً، وما أشبه ذلك"⁽³⁾.

ثالثاً. حدّ الحرف: يرى الزجاجي أنّ الحروف على ثلاثة أضرب، حروف المعجم التي هي أصل مدار الألسن عربيها وعجميها، وحروف الأسماء والأفعال، والحروف التي أبعاضها نحو: العين من "جعفر" والضاد من "ضرب" وما أشبه ذلك، وحروف المعاني التي تجئ مع الأسماء والأفعال لمعان⁽⁴⁾، فأما حدّ حروف المعاني الذي يلتسمه النحويون، فهو أن يقال: "الحرف ما دل على معنى في غيره"، نحو: "من وإلى وثم... وما أشبه ذلك"، قال ابن يعيش عن الحرف: "قولهم ما دل على معنى في غيره، أمثل من قول من يقول: ما جاء لمعنى في غيره، لأن قولهم: ما جاء لمعنى في غيره إشارة إلى العلة،

1 - هو محمد بن أحمد بن كيسان النحوي (ت299هـ). أخذ عن ثعلب والمبرد، وأتقن المذهبين البصري والكوفي، ترجمته في طبقات الزبيدي ص170، ومعجم الأدباء، ج17/ ص138. ونزهة الألباء ص301، وأخبار النحويين البصريين، ص108.

2 - قال سيبويه: "فأما الفعل فأمثله أخذت من لفظ أحداث الزمان وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، ما هو كائن ولم ينقطع" الكتاب، ج1/ ص20

3 - أنظر: ما قيل في حد الفعل الصاحب، ص52، وأنظر: أسرار العربية، ص6.

4 - الإيضاح، ص54.

والمراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وضع لأجلها، إذ علة الشيء غيره⁽¹⁾.

وقال بعض النحويين: الحرف ما خلا من دليل الاسم والفعل، وقال آخرون: الحرف ما لا يستغنى عن جملة يقوم بها نحو: لن يقوم زيد، وما خرج بكر، وإنَّ أخاك شاخص، وإن محمداً في الدار، وهذا وصف للحرف صحيح ليس بحد له، وقال بعضهم: الحرف ما خلا من دليل الاسم والفعل، وهذا وصف للحرف وليس بحد له أيضاً، وحده ما ذكرته لك⁽²⁾.

القول في الفعل والمصدر، أيهما مأخوذ من صاحبه⁽³⁾:

ذكر الزجاجي في كتابه قول سيبويه وجميع البصريين: أنَّ الفعل مأخوذ من المصدر والمصدر سابق له، فهو اسم الفعل⁽⁴⁾، وقول الفراء⁽⁵⁾ وجميع الكوفيين: المصدر مأخوذ من الفعل، والفعل سابق له وهو ثان بعده.

بدأ الزجاجي بذكر احتجاج البصريين لمذهبهم لأنه هو الصحيح عنده، فالدليل على قولهم: أن الفعل مأخوذ من المصدر وأن المصدر اسم الفعل، وقد اتفقنا جميعاً أن الاسم سابق الفعل، فوجب أن تكون المصادر سابقة للأفعال، ألا ترى أننا نفعل الضرب والخروج والأكل وما أشبهه قبل فعل زيد له، ثم يفعله زيد

¹ - شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن يعيش، قدم له الدكتور / إميل بديع، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م، ج 8/ ص 2.

² - الإيضاح، ص 55.

³ - أورد ابن الأنباري هذه المسألة في كتابه "الإنصاف" وفصل فيها حجج كل من البصريين والكوفيين، وهي المسألة الثامنة والعشرون، وأنظر: أسرار العربية " ص 69.

⁴ - الإيضاح، ص 56.

⁵ - هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ) إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد وكان فقيهاً متكلماً، أنظر ترجمته في نزهة الألباء ص 134، ومعجم الأدياء، ج 20/ ص 9.

فيخبر عنه بذلك"⁽¹⁾، ثم أورد الزجاجي في الكتاب نفسه عدد من الأدلة تؤيد قول للبصريين منها⁽²⁾:

1. ومن أدلة البصريين على أنّ المصدر قبل الفعل وأنّ الفعل منه، أنّ المصدر في اللغة هو المكان الذي يصدر عنه، كقولنا: هذا مصدر الإبل، للمكان الذي تصدر عنه، فعلى ما توجبه حقيقة اللغة هو الشيء الذي يصدر منه الفعل.

2. دليل آخر للبصريين كان شيخنا أبو إسحاق الزجاج رحمه الله، يستدل به، قال: لو كان المصدر بعد الفعل، وكان مأخوذاً من الفعل، لوجب أن يكون لكل مصدر فعل قد أخذ منه، لا محيص عن ذلك ولا مهرب منه، ففي كلام العرب مصادر كثيرة لا أفعال لها البتة، مثل العبودية والرجولية والبنوة والأمومة وما أشبه ذلك."

3. ودليل آخر للبصريين كان أبو بكر بن السراج يستدل به قال: لو كانت المصادر مأخوذة من الأفعال جارية عليها، لوجب أن لا تختلف كما تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين الجارية على أفعال، نحو ضارب ومضروب، وشاتم ومشتوم، ورأينا المصادر مختلفها أكثر مما جاء على الفعل، كقولنا: شرب شُراباً ومشرباً وشراباً.

4. وأما دليل الكوفيين على أن المصدر مأخوذ من الفعل، قالوا: إن الفعل أصل للمصدر وأن المصدر يعتل إذا اعتل الفعل ويصح إذا صحَّ، وردَّ عليهم البصريين هذا القول "بأن لو كان اعتلال الفعل يوجب اعتلال مصدره، لوجب أن لا يوجد فعل معتل إلا ومصدره معتل، ولا يوجد لفعل معتل مصدر صحيح.

¹ - الإيضاح، ص 56-57.

² - المرجع السابق، ص 59.

علل النحو:

عند الزجاجي أنّ علل النحو ليست موجبة، وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها، فهو بذلك يوافق قول الخليل عندما سئل، ف قيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فذكر أن العرب نطقت على سجيتهما وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما عللته ...⁽¹⁾ وهي على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، علل قياسية، علل جدلية نظرية.

فأما التعليمية فهي التي يتوصل بها إلى تعلّم كلام العرب، والعلة القياسية: كأن يقال لمن قال: نصبت زيداً بأن، في قوله: إنّ زيداً قائم، فالجواب في ذلك أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت إعماله ممّا ضارعت، وأما العلة الجدلية النظرية: فكل ما يعتل به في باب "إن" وعلى هذه الأوجه الثلاثة مدار علل النحو.⁽²⁾

القول في الإعراب والكلام أيهما أسبق⁽³⁾:

يرى الزجاجي أن الكلام سبيله أن يكون سابقاً للإعراب⁽⁴⁾، لأننا قد نرى الكلام في حال غير معرب، ولا يختل معناه، ونرى الإعراب يدخل عليه ويخرج، ومعناه في ذاته غير معدوم، مثال لذلك، أن الاسم نحو: زيد ومحمد وجعفر وما أشبه ذلك معرباً كان أو غير معرب، لا يزول عنه معنى الإسمية، وكذلك الفعل المضارع نحو: يقوم ويذهب ويركب معرباً كان أو غير معرب لا يسقط منه معنى الفعلية، وإنما يدخل الإعراب لمعان تعتور هذه الأشياء.

¹ - الإيضاح، ص 66

² - نفسه، ص 67.

³ - نقل السيوطي هذا الباب في الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م، ج 1/ ص 76.

⁴ - الإيضاح، ص 67.

القول في الإعراب، أحركة هو أم حرف؟:

يقول الزجاجي: "ومن المجمع عليه أن الإعراب يدخل على آخر حرف في الاسم المتمكن والفعل المضارع المعرب، وذلك الحرف هو حرف الإعراب، فلو كان الإعراب حرفاً ما دخل على حرف وهذا مذهب البصريين، وعند الكوفيين أن الإعراب يكون حركة وحرف، فإذا كان حرفاً قام بنفسه، وإذا كان حركة لم يوجد إلا في حرف".⁽¹⁾

القول في الإعراب، لم وقع في آخر الاسم دون أوله ووسطه:

يقول الزجاجي: والقول عندي الذي عليه جُلَّ النحويين أنَّ الاسم يبني على أبنية مختلفة، منها فَعْلٌ وفِعْلٌ وفُعْلٌ وفَعَلٌ... وما أشبه ذلك من الأبنية، فلو جعل الإعراب وسطاً، لم يدر السامع أحركة إعراب هي أم حركة بناء، فجعل الإعراب في آخر الاسم لأن الوقف يدركه فيسكن فيعلم أنه إعراب، وإن كان وسطاً لم يمكن ذلك.⁽²⁾

القول في المستحق للإعراب من هذه الأقسام الثلاثة التي هي "الأسماء، والأفعال، والحروف":

يستشهد الزجاجي هنا بقول الخليل وسيبويه وجميع البصريين: "أن المستحق للإعراب من الكلام الأسماء والمستحق للبناء الأفعال والحروف هذا هو الأصل"⁽³⁾ واحتجاج البصريين لذلك: أن الدليل على صحة ما قلنا إجماع الجميع على أن الإعراب إنما دخل الكلام ليفصل بين المعاني المشككة، ويدل به على الفاعل والمفعول والمضاف و المضاف إليه وسائر ذلك من المعاني التي تعتور الأسماء، ودليل آخر للبصريين على أن الأفعال غير مستحقة للإعراب أنها عوامل في الأسماء بإجماع منا ومن مخالفينا، فلو وجب أن تكون معربة لوجب أن تكون لها عوامل تعربها، لأنه لا بد

¹ - الإيضاح، ص73.

² - نفسه، ص76.

³ - نفسه، ص77.

للمعرب من معرب، وقال الكوفيين: أصل الإعراب للأسماء والأفعال، وأصل البناء للحروف، واحتجاج الكوفيين لذلك: بقول الفراء ومن تابعه وانتحل مذهبه.⁽¹⁾

القول في الاسم والفعل والحرف، أيهما أسبق في المرتبة والتقدم؟:

ذكر الزجاجي هنا: إجماع البصريين والكوفيين على أن الأسماء قبل الأفعال، والحروف تابعة للأسماء⁽²⁾، وذلك أن الأفعال أحداث الأسماء، يعنون بالأسماء أصحاب الأسماء، وقد مضى القول في اصطلاحهم على هذا، والاسم قبل الفعل لأن الفعل منه والفاعل سابق لفعله، وأما الحروف فإنما تدخل على الأسماء والأفعال، والأفعال لمعان تحدث فيها وإعراب تؤثره.

القول في الأفعال أيها أسبق في التقدم:

يقول الزجاجي⁽³⁾: "اعلم أن اسبق الأفعال في التقدم الفعل المستقبل، لأن الشيء لم يكن ثم كان، والعدم سابق للوجود، فهو في التقدم منتظر، ثم يصير في الحال "ثم" ماضياً فيخبر عن الماضي، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل، ثم فعل الحال، ثم الماضي.⁽⁴⁾

ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحواً:

يقول الزجاجي⁽⁵⁾: "لمّا فشا اللحن وكثر وقبح في لسان الأعراب، وضع أبو الأسود الدؤلي⁽⁶⁾ كتاباً فيه جمل العربية، ثم قال لهم: انحوا هذا النحو، أي أقصدوه. والنحو

¹ - فصل السيرافي حجة الكوفيين هذه في شرح الكتاب، ج1/ص 187.

² - الإيضاح، ص 83.

³ - نفسه، ص 85.

⁴ - قال السيرافي: "إن في ذلك قولين: أحدهما أن المستقبل أول الأفعال ثم الحال ثم الماضي وهذا ما ذهب إليه الزجاج وغيره. والثاني: أن الحال هو أول الأفعال ثم المستقبل يليه الماضي ويورد الحجة في ذلك " شرح الكتاب ص 2-1

⁵ - الإيضاح، ص 89.

⁶ - هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي (ت69هـ)، صحابي جليل قيل أنه أول من كتب في النحو، وقد ذكر السيرافي نسبه بالتفصيل، أنظر الكتاب، ج1/ص 308.

القصيد، فسمي بذلك نحواً⁽¹⁾، ويقال أنه أول من سطر في كتابه "الكلام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"، فسئل عن ذلك فقال: أخذته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽²⁾، وقد يغلب الاسم أو الصفة أو اللقب على شيء فيعرف به خاصة دون غيره ممن هو في معناه .

باب: الفرق بين النحو واللغة والإعراب والغريب

يقول الزجاجي⁽³⁾: أما النحو فهو اسم لهذا الجنس من العلم، وقد بينا اشتقاقه وذكرنا السبب في تسميته بذلك، والإعراب أصله البيان، يقال أعرب الرجل عن حاجته إذا: أبان عنها، ورجل مُعرب أي: مُبين عن نفسه، ثم إن النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعراباً⁽⁴⁾، وأما اللغة وهي العربية التي فضّل الله بها العرب وأنطقهم بها فهي لغتهم، كما أن لكل قوم لغة يتكلمون بها⁽⁵⁾، والإعراب الحركات المبينة عن معاني اللغة. وليس كل حركة إعراباً، كما أنه ليس كل الكلام معرباً⁽⁶⁾. والدليل على صحة ما قلنا من معنى اللغة والإعراب، والفرق بينهما، أنه ليس كل من عرف الإعراب وفهم وجوه الرفع والنصب والخفض والجزم، أحاط علماً باللغة كلها، ولا من فهم من اللغة قطعة ولم يرض نفسه في تعلم الإعراب عرف الإعراب، ولا درى كيف مجاريه.⁽⁷⁾

¹ - النحو: هو علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً "أنظر: الحدود النحوية، عبد الله بن أحمد الفاكهاني النحوي المكي، تحقيق /د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ-1993م.

² - أنظر الكلام على أولية النحو في كتابنا " النحو العربي، العلة النحوية نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، الناشر: المكتبة الحديثة، ص56.

³ - الإيضاح، ص91.

⁴ - ذكر ابن الأنباري ثلاثة أوجه تبين التسمية بالإعراب، أنظر: أسرار العربية، ص9.

⁵ - اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "أنظر: الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني الموصلية، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ج1/ص33.

⁶ - الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ " أنظر: الخصائص، ج1/ص35.

⁷ - الإيضاح، ص92.

باب: ذكـرعة دخول التنوين في الكلام ووجوهه

يقول الزجاجي⁽¹⁾: اعلم أن التنوين يدخل في الكلام لثلاثة معان:

الأول: الفرق بين المتمكن الخفيف في الأسماء، وبين الثقيل الذي ليس بمتمكن، قال سيبويه⁽²⁾: والتنوين علامة للأمكن عندهم، وقال الفراء: التنوين فارق بين الأسماء والأفعال . وقال بعض الكوفيين، التنوين فاصل بين المفرد والمضاف. وهذا أحد المعاني التي يدخل لها التنوين.

الثاني: أن يكون عوضاً عن محذوف من الكلمة، وذلك مثل: جوارٍ، وغواشٍ، وسوارٍ، وغواصٍ، فالتنوين في هذا الجنس عوض عن نقصان البناء، ولذلك صار لازماً له.

الثالث: الذي يدخل التنوين من أجله هو أن يكون فرقاً بين الأسماء المعرفة والنكرة في بعض الأسماء خاصة، وهي الأسماء التي في أواخرها زوائد من الألفاظ الأعجمية نحو: عمرويه، وبكرويه، وسيبويه وما أشبه ذلك، لأن هذه الأسماء لما جاءت في أواخرها ألفاظ ليست في كلام العرب استثقلوها، فأجروها مجرى الأصوات، ومنعوها من الإعراب، وبنوها على الكسر، لسكون ما قبل أواخرها⁽³⁾.

ذكـرعة ثقل الفعل وخفة الاسم

ذكر الزجاجي قول البصريين: أن الفعل أثقل من الاسم، لأنَّ الأسماء هي الأولى، وهي أشدَّ تمكناً من الأفعال، ولأنَّ الأسماء يستغنى بعضها ببعض عن الأفعال، كقولك: الله ربنا، ومحمد نبينا، وزيد أخوك، والفعل لا يستغنى عن الاسم، ولا يوجد إلا به⁽⁴⁾. وقال آخرون: إنما خفَّ الاسم لأنه لا يدل إلا على المسمى الذي تحته، وثقل

¹ - الإيضاح، ص 98-99.

² - الكتاب، ج 1/ ص 6.

³ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت761هـ)، المحقق / د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دارالفكر. دمشق، الطبعة السادسة 1985م، ج 2/ ص 376.

⁴ - الكتاب، ج 1/ ص 6، وفصله السيرافي في شرح الكتاب: ج 1/ ص 166.

الفعل لدلالته على الفاعل، والمفعول والمفعولين والثلاثة، والمصدر، والظرفين من الزمان والمكان، والحال وما أشبه ذلك، وقال الكسائي⁽¹⁾، والفراء، وهشام⁽²⁾: الاسم أخفّ من الفعل، لأن الاسم يستتر في الفعل، والفعل لا يستتر في الاسم، وكان ثعلب⁽³⁾ يقول: الأسماء أخف من الأفعال، لأن الأسماء جوامد لا تتصرف، والأفعال تتصرف، فهي أثقل منها.

باب: علة امتناع الأسماء من الجزم

يرى الزجاجي⁽⁴⁾ أن سيبويه له في ذلك قولين: قال في أول الرسالة وهو القول الذي يعتمد عليه أصحابه.

الأول: لم تجزم الأسماء لخفتها ولزوم التنوين إياها، فلو جزمت سقطت منها الحركة والتنوين.

الثاني: اعلم أن الأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي أشدّ تمكناً، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون، وأكثر الكوفيين قالوا: لم تخفض الأفعال لثقلها، ولم تجزم الأسماء لخفتها ليعتدل الكلام، وقال جماعة من الكوفيين والبصريين: لم تجزم الأسماء لاستحالة دخول أدوات الجزم عليها، لأن الأدوات الجازمة إنما هي للنهي أو النفي أو الجزاء أو الأمر، وما أشبه ذلك، ودخولها على الأسماء غير سائغ، فامتنعت من الجزم لذلك.

¹ - هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ) كان إماماً في النحو واللغة والقراءة. ترجمته في طبقات الزبيدي: 138. ونزهة الألباء، ص81، ومعجم الأدياء، ج13/ ص167، وأنباه الرواة، ج2/ ص256.

² - هو أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير (ت209هـ) من نحاة الكوفة، ذكر في بغية الوعاة، ص409، ومعجم الأدياء، ج19/ ص292.

³ - أبو العباس أحمد بن يحيى (ت291هـ) كبير نحاة الكوفة في عصره، ترجمته مستوفاة من طبقات الزبيدي، ص155، ونزهة الألباء، ص293، وأنباه الرواة، ج1/ ص138.

⁴ - الايضاح، ص102.

باب: ذكرلة امتناع الأفعال من الخفض

قال سيبويه: "ليس في الأفعال المضارعة جر، كما ليس في الأسماء جزم، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال"⁽¹⁾، يقول الزجاجي: وأما قوله: "ليس في الأفعال المضارعة جر..."، فالمضارعة عنده هي الأفعال المستقبلية التي في أولها الزوائد الأربع، الهمزة والياء والنون والتاء، كقولك: "أقوم ونقوم ويقوم وتقوم" والمضارعة المشابهة، وإنما سمّاها مضارعة، لأنها ضارعت الأسماء التي أشبهتها، ولذلك أعربها. وإنما قال: ليس في الأفعال المضارعة جر فقصدها دون سائر الأفعال، لأن كل فعل عنده سوى المضارع مبني غير معرب، وإنما كان في ذكر الجر، والجر إعراب.⁽²⁾

القول في الألف، والياء، والواو في التثنية والجمع، أهي إعراب، أم حروف إعراب؟

يقول الزجاجي⁽³⁾: اعلم أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: قول الكوفيون كلهم: الألف في التثنية، والواو في الجمع، والياء في التثنية والجمع، هي الإعراب نفسه..

الثاني: قول المازني،⁽⁴⁾ والمبرد،⁽⁵⁾ والأخفش سعيد بن مسعدة، هذه الحروف دليل الإعراب، وليست بإعراب ولا حروف إعراب.⁽⁶⁾

¹ - الكتاب: ج 1 / ص 3.

² - الايضاح، ص 107.

³ - المرجع السابق، ص 13.

⁴ - هو أبو عثمان بكر بن عثمان المازني (ت 249هـ) أستاذ المبرد. ترجمته في طبقات الزبيدي: ص 143، معجم الأدباء، ج 7/ ص 107.

⁵ - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد كبير نحاة البصرة في عصره وصاحب كتاب الكامل، أخذ عن الجرمي والمازني. مات سن 280هـ ترجمته في طبقات الزبيدي: ص 108 ونزهة الألباء: ص 279.

⁶ - بين السيرافي فساد هذا الرأي في شرح الكتاب: ج 1/ ص 136، ورد على مخالف رأي سيبويه.

الثالث: قول الخليل وسيبويه ومن تابعهما: هذه الحروف الإعراب⁽¹⁾، وذكر الزجاجي احتجاج كل مذهب ماله وما عليه، وختم كتابه بمذهب سيبويه وما احتج به له وعليه، لأنه عنده هو الصواب دون غيره.⁽²⁾

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها:

أولاً. النتائج

- مذهب الزجاجي في النحو هو مذهب تلك الطبقة الذين جاؤوا بعد ثعلب والمبرد فلم يكن متعصباً ولا مقلداً، وإنما كان حر الفكر مستقل الرأي، إلا أنه يميل أحياناً إلى البصرة والأخذ برأيها في بعض المسائل؛
- أسلوب كتاب الإيضاح يقوم على الجدل وعرض البراهين المختلفة لشتى آراء النحويين، وكثيراً ما يتخذ الزجاجي في معالجته للأفكار طريقة السؤال والجواب؛
- أوضح الزجاجي غايته من تأليف الكتاب هو البحث في علل النحو وإيضاح بعض أسرارهِ وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه، فحسب زعمه أن المؤلفين قبله أهملوا هذا الجانب من العلم؛
- بالرغم من قيمة الكتاب العلمية والفنية، وذكر محاسنه كما تقدم، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي أبدأها بعض العلماء عليه؛
- يرى الزجاجي للنحو فوائد كثيرة، منها أنه يوصل إلى التحدث بكلام العرب غير مُبدل ولا مُغَيَّر، ومنها تقويم كتاب الله، وفهم الحديث النبوي، ويورد بعد ذلك أثار وأقوال تحثُّ على تعلُّم العربية وتبين فضلها؛

¹ - الكتاب، ج 1/ ص 4.

² - الإيضاح، ص 131.

- ذكر الزجاجي أنّ علل النحو ليست موجبة، وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها، فهو بذلك يتفق مع قول الخليل أن العلل استنباطية؛
- العلل عند الزجاجي على ثلاثة أضرب وهي: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية؛
- يرى الزجاجي أن الإعراب هو عبارة عن حركة داخلية في الكلام بعد بنائه موافقاً رأي البصريين، وليست حركة وحرف كما يزعم الكوفيين؛

ثانياً. التوصيات

- يوصي الباحث الدارسين وطلاب العلم بالبحث والدراسة في مؤلفات هذا العالم النحوي الجليل وجهوده العلمية في جانبي اللغة والنحو بصورة أوسع وأشمل.
- وكذلك البحث عن جهود وأراء علماء النحو القدماء والمعاصرين في مجال العلل النحوية "دراسة مقارنة".

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي (ت368هـ)، تحقيق / طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة 1373هـ-1969م.
- أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ابن الأنباري (ت577هـ)، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى 1240هـ-1999م.
- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت646هـ)، تحقيق / الاستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ-1982م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- الحدود النحوية، عبد الله بن أحمد الفاكهاني النحوي المكي (899-972هـ)، تحقيق د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ-1993م.
- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت392هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.

- الفهرست، ابن النديم (ت380هـ)، اعتني بها وعلق عليها الشيخ /إبراهيم رمضان (دار الفنون -بيروت)، الناشر: دار المعرفة -بيروت -لبنان، الطبعة الثانية 1417هـ-1997م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر الملقب بسبويه (ت180هـ)، المحقق / محمد عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت874هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب - مصر.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي(ت1089هـ)، تحقيق / محمد الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ-1982م.
- شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء يعيـش بن علي بن يعيـش المعروف بابن يعيـش (ت643هـ) قدم له الدكتور / إميل بديع، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ-2001م.
- طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب 50) أبو بكر محمد بن الحسن بن عبـيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت379هـ)، تحقيق / الأستاذ محمد إبراهيم أبي الفضل، الناشر: دار المعارف.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الأفريقي (ت711هـ)، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف

الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت768هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م.

● معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى 1414هـ-1993م.

● مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت761هـ)، المحقق/ د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر. دمشق، الطبعة السادسة 1985م.

● نزهة الألباء في طبقات الأدياء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت577هـ)، المحقق/ إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار الزرقاء الأردن، الطبعة الثالثة 1405هـ-1985م.

● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (ت681هـ)، المحقق/ إحسان عباس، الناشر: دار صادر بيروت - صيدا.

Referencias

- Laila Karrouch. Laila. Editorial : Planeta - Oxford. Barcelona, 2005. España.
- <https://es.rue20.com/2021/10/20/novela-laila-karrouch-se-enfrenta-al-amor-imposible/>
- <https://www.fnac.com/livre-numerique/a14638060/Laila-Karrouch-Laila>
- <https://sergiobarce.blog/2020/01/19/laila-un-libro-de-laila-karrouch/>
- <https://www.lavanguardia.com/libros/libro/laila-ebook-9780190544089>
- <http://www.babelfan.ma/tous-les-evenements/detail/2015/02/20/13832/19981/all/all/0/-/presentacion-de-la-obra-de-la-escritora-hispano-marroqui-laila-karrouch.html>
- <http://revista.abretelibro.com/2014/05/laila-karrouch-entre-dos-culturas.html>

Este retrato global ha sido muy bien logrado por la escritora a través de la autobiografía, en la cual Laila se comunica con nosotros de manera directa y realista. Al fin y al cabo, la obra representa perfectamente ese movimiento literario caracterizado por la hibridación lingüística y cultural que viene enriqueciendo nuestra joven Literatura Marroquí en Lengua Española.

Así como ha introducido un fragmento de una canción árabe muy famosa (escrita por Mustafa Mahmud y cantada por Wadie Safi) a través de la voz de su marido Omar al ponerse contento tras el nacimiento de su hija Ikram, lo cual dice :

Al lailo i Laila You atibouni (Laila, la noche se pelea conmigo
Wayakulo li salem ala Laila y me dice que salude a Laila) (p.150)

Con tales palabras y expresiones en rifeño y árabe, además del español, la autora se siente identificada con dos culturas totalmente distintas : la cultura del lugar de residencia actual y la del lugar de nacimiento o de origen, lo cual da lugar a una mezcla de diferentes valores, puntos de vista y hasta religiones.

En fin, Laila nos muestra que, a través de su propia experiencia de la migración que coincide con un proceso de construcción de una identidad *enriquecida*, en el hecho de ser marroquí, musulmana y hablar bereber no impide sentirse aunque sea un poco español y abrazar, junto a las propias, las costumbres y la lengua del país que la recibió.

Conclusión

En síntesis, podemos decir que al igual que muchos escritores que tuvieron éxito en el movimiento literario fronterizo en varios sitios en el mundo, como lo son los algunos autores latinoamericanos que representan la literatura de habla hispana y la literatura chicana en Estados Unidos; la literatura del Mahjar con sus grandes representantes descendientes de inmigrantes árabes especialmente de origen sirio, libanés y palestino que cultivan este género literario en países hispanoamericanos; la literatura magrebí de expresión francesa son sus ilustres creadores; así como la literatura marroquí de inmigración o de la diáspora con sus escritores mencionados más arriba y de los cuales nuestra autora forma parte, ha acertado estupendamente en demostrar con su bello escrito que la literatura fronteriza es una de las manifestaciones artísticas de gran valor social, intercultural y humano.

Como muestra de ello, la obra analizada, junto a otras, reflejan la gran delicadeza creativa, literaria y estética de su creadora. Así pues, la propia Laila ha podido enriquecer el género narrativo con sus magistrales producciones en este tipo de literatura mundial.

Sin lugar a dudas, *Laila* forma la apología de la mujer rifeña en todas sus etapas de vida: niñez, adolescencia, juventud, adultez y vejez en dos mundos caracterizados por ser antagonicos.

compromete junto con su marido enseñarle la lengua de sus antepasados: *Omar y yo decidimos que le hablaríamos en bereber, como nuestros padres nos hablaban a nosotros* (p.151)

Por lo que respecta al espacio, Laila atañe a tres espacios diferentes: el espacio particular e íntimo (la familia), el espacio público (escuela, colegio, instituto, la calle) y el espacio de origen (el pueblo de los Karrouch en Marruecos).

No obstante, leyendo la obra se da cuenta que hay otro espacio que no carece de importancia, es el espacio intercultural que está en su imaginación y sus emociones, es en este aspecto psíquico donde se solucionan muchas cuestiones culturales que plantean problemáticas en su vida: *Los comentarios típicos, como mora y cosas así, dejaron de molestarme porque había aprendido a valorarme como persona y a aceptar que no tenía que infravalorarme por ser inmigrante* (p.112).

Igualmente, pudo superar todas las barreras de racismo y discriminación que se enfrentó a la hora de buscar trabajo y un piso donde vivir con su marido Omar.

La escritora considera los contrastes o, incluso, choques culturales como un elemento enriquecedor y provechoso a nivel intercultural del individuo.

Para ello, la obra es una invitación a buscar y adoptar siempre el lado positivo de la cultura ajena, conocer el *lado negativo* y descartarlo.

Convirtiéndose así en un ejemplo de simbiosis cultural que se impregna de las dos culturas opuestas. Por ende, la autora cierra su autobiografía con una frase bella, significativa y llena de aprendizaje: *No he perdido mi cultura ni mis raíces, sino que he ganado otra cultura y otras costumbres. Me gusta hacer un buen cuscús para comer y una tortilla de patatas para cenar. ¿Por qué no?*(p.153).

En lo que se refiere a la lengua y estilo utilizados, podemos decir que este último es directo y muy realista, idóneo para el género autobiográfico, pero la narración es conmovedora y emocionante. En cuanto a la lengua, la podemos calificar de sencilla y amena, que cualquier lector la pueda asimilar con facilidad. En este ámbito lingüístico, Laila, de vez en cuando, usa rifeñismos y arabismos que enumeraremos a continuación :

Al.lah, Al.lah Uakbar, berber, chilaba, cuscús, dírham, enxagal.lah, hamdulil.lah, hanna, harera, henna, Hispania, l'd-Adha, iema, lala, lala zasrez nnag, rafki, Ramadán, salam alikum, sidi murai nnag, zaxneft y zasotx.

clase cantábamos canciones muy bonitas, «Jesús y María», «Campana sobre campana», «El chocolatero»... Jamila me explicó que el Jesús de aquí es el mismo que el nuestro, pero que nosotros le llamamos de otra forma, Sidna Aissa, y que María es Mariam. El rafki nos había hablado de todos estos temas en la mezquita (pp.41-42-43)

Uno de los choques culturales se da cuando unos compañeros suyos no les gusta la *henna* que tenía en las manos, ya que para ellos es algo ajeno, y se da también cuando una niña gitana le llama *mora* por ser simplemente una marroquí, en cambio, hay quienes que aceptan su diferencia, la respetan y la invitan a jugar con ellos.

Laila, por primera vez, descubre el baloncesto y le gustó mucho, por lo que pasa a formar parte del equipo femenino del colegio. Todas sus compañeras la estiman, la respetan, y dan un buen ejemplo de una simbiosis cultural ejemplar: *Estaba muy a gusto con aquellas niñas. Nunca me habían hecho sentir diferente y no había ningún tipo de discriminación entre nosotras (p. 46).*

La postura de los españoles frente al Ramadán, el velo y la chilaba es la misma que Laila ha experimentado, y eso lo demuestra, como hemos mencionado antes, el hecho de ver a una joven española que conducía un coche y llevaba un cigarrillo en la mano. Es la misma actitud que la abuela mostró cuando se topó en la calle con otra joven española con una minifalda: *Mucha gente la miraba porque llevaba chilaba y un pañuelo en la cabeza" (p.47), "(...) a veces, cuando pasábamos al lado de alguna chica con minifalda, se quedaba mirándola fijamente (p.128).*

Durante su estancia junto con su familia en Países Bajos en las vacaciones de verano sintió mucha añoranza a su segundo país (España). Eso revela la adaptación rápida de la autora en un espacio cultural distinto al suyo como lo es España: *sentí añoranza de mi casa de España. Quería volver. Sentía que allí todo era más vivo, más alegre. Sentía que era mi hogar. No me importaba que la gente me llamara mora (p.67)*

Para la protagonista, a veces, los problemas más serios son los que provienen de ideas irracionales y antecedentes culturales absurdos como cuando sus padres le obligaron a abandonar el atletismo. La narradora dice al respecto: *¡Tenía que dejar el atletismo porque tenía quince años y enseñaba las piernas! (p.115)*

Uno de los puntos fuertes que caracterizan la personalidad de Laila es el no prescindir de sus raíces, costumbres y tradiciones aunque, en algunos casos, está en desacuerdo con algunos de sus aspectos. Pues, ella hace el Ramadán, se casó con su primo Omar, da luz a una niña (Ikram) y

Cuando Laila llega a España, se asombra al encontrarse en una ciudad tan grande con sus calles, luces y medios de transporte, un espacio totalmente distinto, desarrollado y moderno en comparación con la aldea de los Karrouch y de la ciudad de Nador: *Ahora estamos en Hispania, en una gran ciudad, mucho más grande que Nador* (p. 17)

Al estar en el piso que van a ocupar, situado en Calle San Pedro, Laila lo compara con la casa grande de sus abuelos donde nació en Marruecos. Considera que la nueva vivienda a pesar de que es pequeña y la del pueblo es mucho más espaciosa con el tradicional grandísimo patio y muchas vastas habitaciones, aquel piso le cae muy acogedor por tener agua potable, electricidad, un buen armario y un cuarto de baño con váter: *Esperábamos que papá sacara del bolsillo una luz de aceite o unas velas, pero no fue así; tocó un interruptor y sin más complicaciones, el piso se iluminó (...) el piso (...) era un espacio mucho más reducido que aquel al que estábamos acostumbrados. Fui directamente al cuarto de baño. En mi pueblo solo teníamos un agujero en el suelo* (pp.22-23)

En el tercer capítulo, Laila empieza a descubrir la ciudad y cada vez no deja de hacer comparaciones entre lo descubierto en la ciudad española y Nador, entre zocos de España y los de Marruecos, entre las mujeres españolas que van de compras, conducen coches e incluso llevan un cigarrillo en la mano y las rifeñas que su labor no sobrepasa cuidar el hogar ocupándose de las faenas domésticas: *una chica conducía un coche y llevaba un cigarrillo en la mano, algo que no había visto en mi país. Aquella chica en Nador, hubiera llamado la atención. (...) La gente, especialmente las señoras, compraban muchas cosas: que si el pan, que si la carne... En Marruecos es al contrario, son sobre todo los hombres los que se encargan de la compra* (pp.28-36)

En el capítulo titulado *Voy a la escuela*, las nuevas amistades de la protagonista que son Sonia, Teresa y Jessica, además de sus profesoras Mercedes, Nati, Elena y Carmen la admiran y le prestan su apoyo, ayuda y ánimo para aprender el castellano. En esta misma escena, se acuerda de su pueblo donde los niños sólo van a la mezquita para leer el Corán bajo la tutela de *rafki*.

Laila, poco a poco, va implicándose en la cultura española descubriendo la Navidad y los Reyes Magos con los juguetes y carpetas que le regalaron, las canciones religiosas cuyos personajes son los mismos que había aprendido en la mezquita de su pueblo, se trataba de una fiesta típica igual que l'd-Adha (la fiesta del cordero):

(...) todo el mundo hablaba de la Navidad (...) Los Reyes Magos de Oriente traían regalos a los niños (...) se trataba de una fiesta típica, como nuestra l'd-Afha (...) Nunca había estado tan contenta. A mí me regalaron muchos juegos y carpetas para el colegio (...) En

Capítulo 12: *Hayat se casa.* En 1992, Mohamed consigue el visado se reúne con Hayat en España para trabajar y garantizar un futuro mejor. Y en 1993, todos viajan a Marruecos y celebran la boda de Hayat con Mohamed según las tradiciones y el folklore rifeño.

Capítulo 13: *Viene la abuela de Marruecos.* En 1995, la abuela viaja a España y descubre una cultura y unas costumbres muy diferentes, pero al mismo tiempo le han gustado la vida y los paisajes verdes y vivos de la ciudad catalana. Pero, desgraciadamente, la abuela fallece en el hospital después de diagnosticarle una enfermedad mortal del hígado. Así que, el desconcierto y la tristeza de Laila eran infinitos.

Capítulo 14: *Omar y la vida laboral.* Laila abandona sus estudios. Ella y su familia vuelven a la gran casa en Marruecos durante las vacaciones, donde realiza el deseo de su abuela difunta: se casa con su primo Omar (hermano de Mohamed). Después, vuelve a España, luego Omar se une a ella y experimentan lo difícil que es encontrar trabajo y alquilar un piso por causas discriminatorias. Por fin, Omar consigue un trabajo en una casa de colonias, y así alquilan una casa y celebran una pequeña fiesta de boda en casa de su padre.

Cierre:

Capítulo 15: *Ikram.* Laila está embarazada y por ánimos de su esposo Omar vuelve a retomar sus estudios. Da a luz a una niña y la llama Ikram. También consigue su título de auxiliar de enfermería.

Del impacto lingüístico-cultural al mestizaje lingüístico-cultural en *Laila*

La obra de Laila Karrouch revela el choque entre dos mundos opuestos: dos lenguas, dos culturas, dos sociedades, dos religiones, dos políticas y dos economías, las de su país natal (Marruecos) y las del país receptor (España).

De igual modo, refleja cómo la protagonista pudo asimilar a estas dos realidades tan distintas siendo extranjera en España.

Ahora bien, vamos a realizar un viaje por los quince capítulos que componen *Laila* dando ejemplos vividos por la propia protagonista, en qué estriban dichas sugerencias :

El primer choque cultural se da en el avión, puesto que a Laila le llama la atención la cara de extrañeza de la azafata cuando su padre le pide para comer. *El le había contestado que cualquier cosa mientras no fuese cerdo, porque la religión musulmana nos lo prohíbe* (p.16)

Capítulo 4: se titula *Voy a la escuela*. Va a la escuela, conoce a nuevas amigas y recibe la ayuda de sus maestras para aprender castellano. Asimismo, descubre la Navidad y recibe muchos juguetes, como descubre que a algunos de sus amigos no les gusta la *henna* que tenía en las manos.

Capítulo 5: titulado *Los primeros problemas*. Laila se choca con una niña gitana que le llama *moray* luego el hermano de la niña que quiere pegarla, pero se escapa de él. En este mismo capítulo, Laila se integra en un equipo femenino de baloncesto que la respeta y donde nunca sintió que era diferente a las demás compañeras.

Capítulo 6: de título *Soy una buena atleta*. Laila era una buena atleta pero por creencias religiosas su madre le pide que abandone el atletismo. Su familia conoce a Janna y Sumisha, dos mujeres inmigrantes marroquíes que no llevan el velo, así que, su madre hace lo mismo.

Capítulo 7: el título es *Añoranza*. En 1987, Laila y su familia pasan las vacaciones en Holanda en casa de sus abuelos maternos (Shaib y Fátima). Estando allí echa de menos a su casa en España y a volver a oír el castellano en la calle y no le importa nada que le llamen *mora*.

Capítulo 8: *Noticias de Marruecos*. En este capítulo su tío Mohamed trae a España a su mujer y a sus tres hijas.

Capítulo 9: *Vacaciones en Marruecos*. En el año 1988, tres años después de su llegada a España, Laila y su familia vuelven a Marruecos para pasar las vacaciones en la gran casa de sus abuelos, hecho que le hizo sentir gran lástima por su amiga Hakima y todas las chicas del pueblo despojadas de su escolarización. También, este capítulo se destaca por la celebración de la fiesta de compromiso de Hayat con su primo Mohamed.

Capítulo 10: *Adiós yoyo Amar*. Laila vuelve a Cataluña, sigue sus estudios en un colegio más cerca de casa. 1989 es el año en el que el abuelo Amar los visita con el fin de consultar a un oftalmólogo, pero fallece en Murcia durante su viaje de vuelta a Marruecos, lo que causó una enorme tristeza a Laila.

Capítulo 11: *Voy al instituto*. A los 15 años, Laila es una alumna brillante y siempre obtiene las mejores calificaciones junto con sus amigas Laila (marroquí) y Vera (finlandesa). Por primera vez cena con sus amigas fuera de casa, pero su padre nunca la dejó ir de colonias y le obliga a dejar definitivamente el atletismo a causa de los chismes y comentarios absurdos de sus amigos del pueblo.

Estructura y argumento en *Laila*

Laila es una pura autobiografía de la autora Laila Karrouch, en ella cuenta su llegada a España procedente de Marruecos, empieza una vida marcada por los contrastes: tendrá que asumir, junto a su familia, una nueva cultura, y una nueva forma de vida sin renunciar a sus raíces. Con una prosa sencilla y conmovedora, Laila es toda una lección para aquellos que todavía creen que las barreras entre culturas son inquebrantables. En palabras de Laila, con las cuales termina su novela: *¿Por qué no un buen cuscús para comer y una tortilla de patatas para cenar?*

En esta cita de la obra se ve muy claro la posibilidad y predisposición de aceptar una nueva cultura poniéndola al lado de la propia a través de los platos típicos de ambos países, tanto de origen (Marruecos) como de recepción (España).

Pues, todo lector de la obra, al leerla, notará que la misma está estructurada en quince capítulos titulados todos, y que dicha estructura cumple con la tradicional secuencia de inicio, desarrollo y cierre.

Por lo que concierne el argumento en relación con cada capítulo, lo detallamos de la siguiente forma:

Inicio:

Capítulo 1: titulado *La despedida*. En el año 1985, Laila, siendo niña de 8 años, y su familia compuesta de sus padres (Fadma y Ahmed), tres hermanas (Hayat, Karima y Rashida) y un hermano (Nourdine) se preparan para viajar a España y se despiden de los abuelos, familiares y vecinos en un ambiente muy conmovedor: *Cuando llegó la hora de despedirme de mi abuela y de mi abuelo, sentí como si me ardiera el corazón (...) Nos abrazamos de uno en uno y después todos a la vez* (Karrouch, 2005:13)¹

Desarrollo:

Capítulo 2: tiene como título *La llegada*. Descubre la ciudad, sus calles, luces y el piso donde van a vivir ubicado en la calle San Pablo (Vic).

Capítulo 3: su título es *La ciudad*. En este capítulo, Laila descubre nueva cultura y costumbres distintas a las suyas.

¹ Todas las citas presentadas en este artículo son extraídas de la novela *Laila*, por esto, mencionamos sólo el número de las páginas en lo sucesivo.

autora de otras obras como: *Petjades de Nador*, *Un meravellós llibre per a nens i nenes*, *Quan a l'Isma se li van creuar els cables* (*Huellas de Nador*, *Un maravilloso libro para niños y niñas*, *Cuando a Isma se le cruzaron los cables*).

Laila está convencida, por propia experiencia, de que conocer otras culturas ayuda a eliminar barreras previamente fijadas y, muy probablemente heredadas, de manera que intenta buscar el equilibrio entre la cultura de origen y la adoptiva y acercar, de este modo, estos dos mundos que ya siente muy suyos. Aunque se siente feliz viviendo en España, siempre que puede, en verano, viaja a su Marruecos natal. En su hogar, su pasado y su presente viven entrelazados.

La portada de *Laila*

En la portada de *Laila*, como se puede ver en la imagen de abajo, se presenta el rostro de una niña cubierto de un velo negro por el cual se ven sólo los ojos y también con un fondo negro, pero con una luz iluminante. Esto todo refleja toda una autobiografía (desde su primer viaje de Nador a Vic hasta una cierta edad), el trauma y la confusión que afronta la autora al cambiar de país, de lengua y de cultura a una edad muy temprana, pero también refleja, al mismo tiempo, la integración, la adaptación y la fusión en el país receptor a través su mirada al otro lado de la orilla.



Introducción

La expresión *literatura fronteriza* está constituida por dos vocablos: *literatura* y *frontera*; si bien la literatura es el arte de la expresión escrita o hablada, como lo son la poesía, el teatro y la narrativa... La palabra *frontera* denota los límites geográficos que separan un estado de otro o una zona de otra dentro de una misma nación, la cual puede ser real o imaginaria. Pues, la literatura fronteriza es una literatura considerada como una ventana para ver lo que será el resto del mundo, es una manifestación multicultural, transcultural, intercultural y bicultural. Esta corriente literaria está representada generalmente por escritores radicados en un país extranjero, España, en este caso. Pues, los autores de origen marroquí residentes en España, como Said El Kadaoui, Najat El Hachmi, los hermanos Karima y Mohamed Toufali, Samira Briguech, Mohamed Lahchiri y Laila Karrouch han podido plasmar sus huellas en este tipo de literatura creando obras literarias de prosa y verso de gran interés público donde ponen de manifiesto sus vivencias, su experiencia migratoria, su procedencia geográfica y raíces, la recuperación de los orígenes, el problema de la identidad y el choque cultural que viven entre dos mundos, dos lenguas y dos culturas diferentes o, incluso, antagónicas. Asimismo, las dichas producciones literarias están marcadas por ser obras caracterizadas por mestizaje lingüístico (bilingüismo) y combinación cultural (interculturalidad, simbiosis...) con la inclusión de rifeñismos en sus creaciones literarias escritas en español o catalán.

En este trabajo abordaremos el tema del mestizaje lingüístico y cultural en la obra *Laila*, de Laila Karrouch. Así que, para entender bien el porqué de la obra nos parece bien realizar un corto recorrido, pero interesante por la vida de la autora.

Autora

Laila Karrouch

Nació en un pueblo de la ciudad costera de Nador llamado Ait Sidel Yebal (precisamente, los Karrouch), en el norte de Marruecos, en 1977. A los ocho años, y después que su padre consiguiera un trabajo en España, se trasladó junto con su madre y sus hermanos a la ciudad de Vic, en Osona. Y aquí continúa desde entonces cursando los estudios primarios y los universitarios.

Laila es escritora, enfermera y colaboradora de diarios y revistas. Aficionada a la pintura, actividad que cultiva en sus ratos libres, *Laila* es su primera incursión en la literatura, de carácter autobiográfico, pero no será la última. Después estuvo preparando una recopilación de cuentos tradicionales árabes, para enriquecer la fantasía de los niños con la de los que viven al otro lado del Estrecho. Fue la primera escritora de origen amazigh a publicar un original en catalán. También es

Mestizaje lingüístico y cultural en la novela Laila de Laila Karrouch



CHALLIOUI Yahya

Estudiante investigador en el Master: Marruecos y el mundo

Hispánico: Lengua, Literatura, traducción e Interculturalidad

Universidad Mohamed primero

MARRUECOS

Resumen

Este artículo no pretende otra cosa más que presentar un itinerario analítico personal de la novela de Laila de la escritora Laila Karrouch abarcando una serie de aspectos relacionados con el estudio de la obra desde un enfoque cultural donde exponemos discusiones e interpretaciones forjadas a lo largo de sus lecturas, aproximaciones críticas a nivel del mestizaje lingüístico-cultural, mediante una cultura fronteriza, con una prosa sencilla y conmovedora con la cual la autora marroquí da toda una lección para aquellos que todavía creen que las barreras entre culturas son insuperables.

Palabras clave : Mestizaje. Interculturalidad. Bilingüismo. Biculturalidad. Literatura fronteriza. Impacto lingüístico-cultural.

Citation :

CHALLIOUI, Yahya. (2024, Avril). Mestizaje lingüístico y cultural en la novela Laila de Laila Karrouch. Revue de recherche en sciences humaines et cognitives, Tome 1, N° 1, Première Année, P 64-76.

Abstract

This article aims nothing more than to present a personal analytical itinerary of the novel Laila by the writer Laila Karrouch, covering a series of aspects related to the study of the work from a cultural approach where we expose discussions and interpretations forged throughout its readings, critical approaches at the level of linguistic-cultural mixing, through a border culture, with simple and moving prose with which the Moroccan author gives a lesson for those who still believe that the barriers between cultures are insurmountable.

Keywords : Mixture. Interculturality. Bilingualism. Biculturalism. Border literature. Linguistic-cultural impact.

- Savina, E., Mills, J. L., Atwood, K. et Cha, J. (2017). Digital media and youth: A primer for school psychologists. *Contemporary School Psychology*, 21(1), 80-91.
- Subrahmanyam, K. et Smahel, D. (2011). Constructing Identity Online: Identity Exploration and Self-Presentation. Dans Subrahmanyam, K. et Smahel, D (dir.), *Digital Youth: The Role of Media in Development* (p. 59-80). Springer Science+Business Media.

Bibliographie

- Balleys, C. (2018). L'adolescent et les médias sociaux. Dans Duverger, P (dir.), *Troubles psychiques et comportementaux de l'adolescent* (p. 68-77). Lavoisier.
- Balleys, C. (2018). Comment les adolescents construisent leur identité avec YouTube et les médias sociaux. *Nectart*, 6(1), 126-135.
- Boyd, D. (2014). *It's Complicated: The social lives of networked teens*. New Haven, CT: Yale University Press.
- Collier, A. (2014). Perspectives on parenting in a digital age. In A.B. Jordan & D. Romer (Eds.), *Media and the well-being of children and adolescents* (249-260). New York, NY: Oxford University Press.
- Corey, G. (2013). *Theory and practice of counseling and psychotherapy* (9th ed.). Belmont, CA:Brooks/Cole.
- Courtois, C., Mechant, P., Paulussen, S., & DeMarez, L. (2011). The triple articulation of media technologies in teenage media consumption. *new media & society*, 14(3), 408-419.
- Erikson, E. H. (1963). *Childhood and society* (2e éd.). W. W. Norton and Company.
- Erikson, E. H. (1968). *Identity Youth and Crisis*. W. W. Norton and Company.
- Erikson, E. H. (1980). *Identity and the life cycle*. W. W. Norton and Company.
- Jordan-Conde, Z., Mennecke, B. et Townsend, A. (2014). Late adolescent identity definition and intimate disclosure on Facebook. *Computers in Human Behavior*, 33, 356-366.
- Marcia, J. E. (1966). Development and validation of ego-identity status. *Journal of Personality and Social Psychology*, 3 (5), 551-558.
- Marcia, J. E. (1980). Identity in adolescence. Dans Adelson, J (dir.), *Handbook of adolescent psychology* (p. 159-187). John Wiley and Sons.
- Marcia, J. E. (2002). Identity and psychosocial development in adulthood. *Identity: An International Journal of theory and Research*. 2, 7-28.

influence nécessitait un contact direct. Il était crucial de rencontrer les adolescents en personne pour observer leur comportement, comprendre leur présentation de soi, et appréhender le développement de leurs pensées et de leur jugement. Malgré cette limitation, les réponses recueillies ont été précieuses pour l'étude.

Ainsi, l'étude révèle que la majorité des adolescents utilisent activement les réseaux sociaux, passant en moyenne plus de deux heures par jour sur ces plateformes, avec Facebook et Instagram comme les plus populaires. Bien que les réseaux sociaux puissent renforcer le sentiment d'appartenance en ligne pour certains, près de la moitié des adolescents ressentent une pression pour ajuster leur comportement en ligne afin de se conformer aux normes perçues. Les réactions et les commentaires sur les publications en ligne ont un impact diversifié sur l'estime de soi des adolescents, allant de la renforcer à la diminuer. En parallèle, les interactions en ligne influencent la perception de soi dans la vie réelle pour la majorité des répondants, soulignant l'interconnexion entre l'identité en ligne et hors ligne. De plus, les adolescents utilisent les réseaux sociaux pour explorer et exprimer leur identité, mais cette influence est variable, certains considérant les réseaux sociaux comme un espace sûr pour expérimenter différentes facettes de leur identité, tandis que d'autres les trouvent restrictifs ou contraignants.

Selon le cadre théorique, les réseaux sociaux ont gagné en popularité auprès des adolescents, offrant une plateforme de communication qui leur permet d'explorer diverses opportunités en ligne. Cela inclut l'envoi de photos à leurs amis, l'accès à des informations et la participation à des discussions sur des sujets pertinents pour leur vie quotidienne.

L'Internet exerce donc une influence considérable sur la vie des adolescents, notamment sur la construction de leur identité en constante évolution. Les transformations typiques de l'adolescence engendrent des incertitudes face à une multitude de changements, ce qui se reflète dans le processus de construction de l'identité. Néanmoins, les résultats de la recherche soulignent la nécessité d'approfondir ce sujet. Il est crucial de mener de nouvelles études pour une compréhension approfondie du rôle des réseaux sociaux dans la vie des adolescents, en particulier en ce qui concerne la construction et l'affirmation de leur identité.

Figure 9 :



Les réseaux sociaux peuvent être perçus comme offrant un espace sûr pour expérimenter différentes facettes de l'identité, car les individus peuvent contrôler la quantité et le type d'informations qu'ils partagent, ainsi que les audiences avec lesquelles ils les partagent (Zhao et al., 2008). Cependant, les réseaux sociaux peuvent également être restrictifs ou contraignants, en imposant des normes sociales ou en encourageant la comparaison sociale, ce qui peut influencer la manière dont les adolescents se présentent en ligne (Goffman, 1959).

Enfin, en ce qui concerne les interactions avec des personnes partageant des intérêts similaires ou des identités similaires, les résultats ont montré une diversité dans les comportements, avec une proportion relativement égale de répondants rejoignant des groupes en ligne, participant à des discussions, suivant des comptes pertinents, ou créant du contenu en lien avec leurs intérêts, tandis qu'une minorité (25%) n'était pas active dans ce type d'interactions.

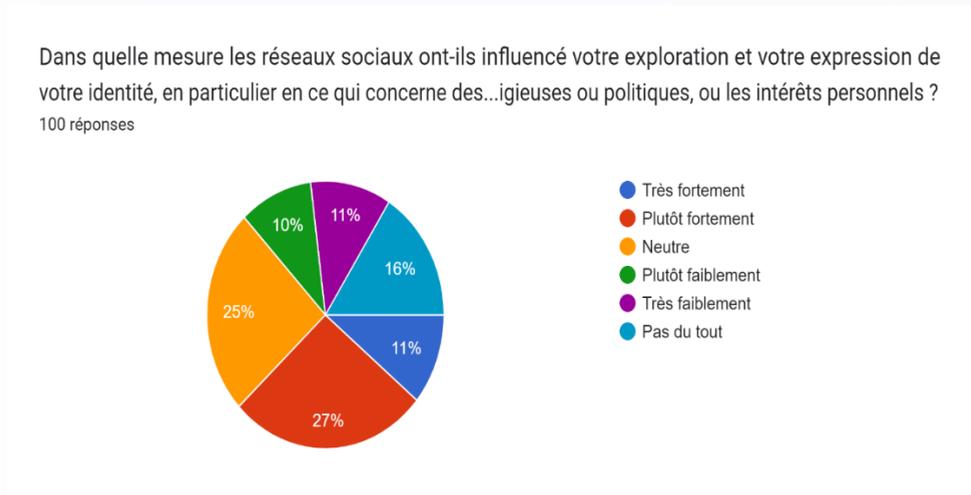
Une étude de Nesi et Prinstein (2015) a montré que les interactions positives avec des pairs en ligne peuvent être associées à un meilleur fonctionnement social et émotionnel chez les adolescents. Cependant, les interactions négatives en ligne, telles que la cyberintimidation, peuvent avoir des conséquences néfastes sur le bien-être mental des adolescents (Tokunaga, 2010).

Conclusion

Analyser l'impact des réseaux sociaux sur la formation de l'identité des adolescents à travers les données collectées s'est révélé être un défi. En effet, étant donné qu'il ne s'agissait pas d'entretiens en personne mais plutôt d'interactions sur les réseaux sociaux, saisir pleinement cette

d'autres (27%) expriment une influence moyenne à faible. Cette diversité de réponses souligne que les réseaux sociaux peuvent jouer un rôle différent dans la construction de l'identité des adolescents, en fonction de divers facteurs tels que la personnalité, les intérêts et l'environnement social.

Figure 8 :



Les travaux de recherche de Valkenburg & Peter, (2007) ont montré que les réseaux sociaux peuvent fournir un environnement propice à l'exploration et à l'expression de l'identité des adolescents, offrant des opportunités pour se connecter avec des pairs partageant des intérêts similaires et pour affirmer leur individualité (Valkenburg & Peter, 2007).

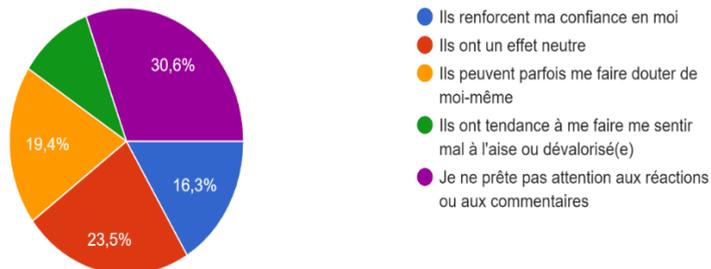
Pour s'approfondir dans notre analyse sur ce sujet on a posé la question suivante « Pensez-vous que les réseaux sociaux offrent un espace sûr pour expérimenter différentes facettes de votre identité, ou pensez-vous qu'ils peuvent parfois être restrictifs ou contraignants ? » Les réponses des adolescents montrent une diversité de perspectives, avec certains considérant les réseaux sociaux comme un espace sûr pour expérimenter différentes facettes de leur identité (14%), tandis que d'autres pensent qu'ils peuvent parfois être restrictifs ou contraignants (41%).

D'un autre côté, on' à demander aux adolescents de répondre à la question suivante : « Comment les réactions ou les commentaires que vous recevez sur vos publications en ligne affectent-ils votre estime de soi ? ». Les données révèlent une gamme d'effets sur l'estime de soi, avec des réponses variant de l'augmentation de la confiance à des sentiments de malaise ou de dévalorisation. Une proportion significative (30,6%) des répondants déclarent ne pas prêter attention aux réactions ou aux commentaires. Cette diversité de réponses souligne l'importance des interactions en ligne sur le bien-être émotionnel des adolescents. Les adolescents peuvent être sensibles aux réactions et aux commentaires reçus sur leurs publications, ce qui peut influencer leur perception de soi et leur bien-être mental.

Figure 7 :

Comment les réactions ou les commentaires que vous recevez sur vos publications en ligne affectent-ils votre estime de soi ?

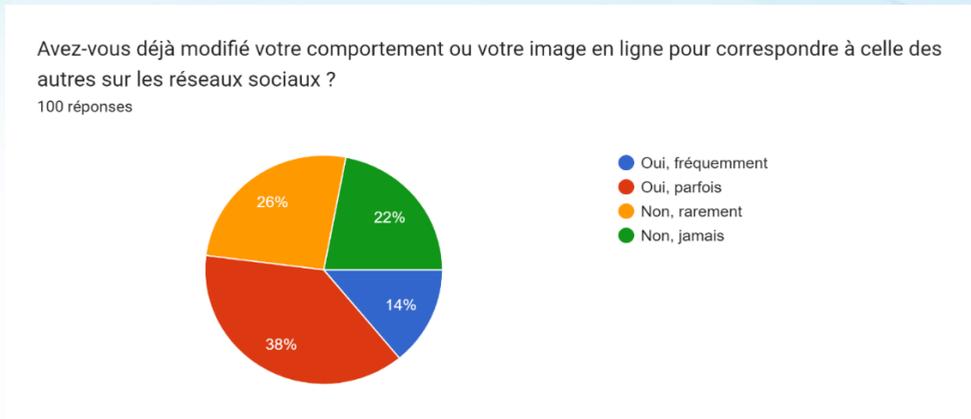
98 réponses



Plusieurs études ont démontré que l'utilisation intensive des réseaux sociaux peut avoir un impact sur l'estime de soi des adolescents. Par exemple, une étude de Kross et al. (2013) a montré que l'utilisation de Facebook peut être associée à des sentiments de dépression et de solitude chez les adolescents, en partie en raison de la comparaison sociale et de l'autopromotion excessive.

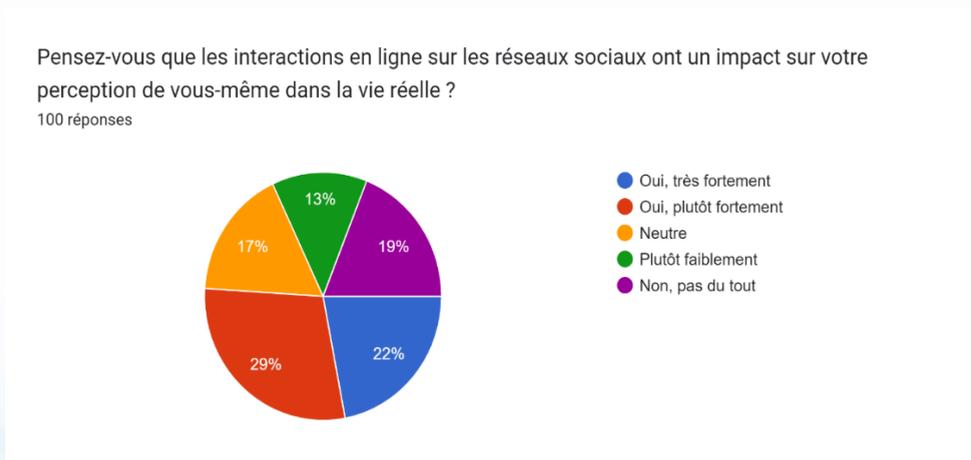
En ce qui concerne l'influence sur l'exploration et l'expression de l'identité, la question suivante a été posé « Dans quelle mesure les réseaux sociaux ont-ils influencé votre exploration et votre expression de votre identité, en particulier en ce qui concerne des aspects tels que la sexualité, les croyances religieuses ou politiques, ou les intérêts personnels ? ». Les réponses montrent une variabilité dans la manière dont les réseaux sociaux ont influencé l'exploration et l'expression de l'identité des répondants. Certains adolescents (38%) signalent une forte influence, tandis que

Figure 5 :



Dans le même ordre d'idées on a posé la question suivante : « Pensez-vous que les interactions en ligne sur les réseaux sociaux ont un impact sur votre perception de vous-même dans la vie réelle ? » Les résultats montrent que la majorité des répondants (51%) pensent que les interactions en ligne ont un impact sur leur perception de soi-même dans la vie réelle, même si cette perception varie en intensité. Cette constatation souligne l'interconnexion entre l'identité en ligne et l'identité hors ligne chez les adolescents. Les interactions en ligne peuvent influencer la façon dont les adolescents se perçoivent et sont perçus par les autres dans la vie réelle, ce qui souligne l'importance de promouvoir une utilisation consciente et réfléchie des réseaux sociaux pour favoriser un développement sain de l'identité.

Figure 6 :

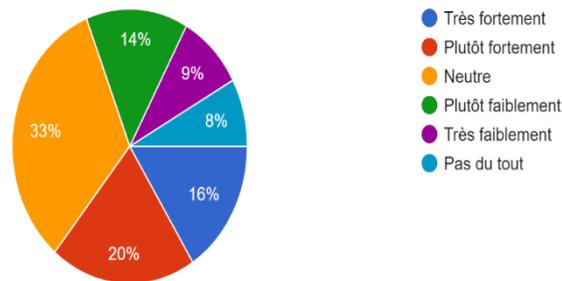


manière dont les réseaux sociaux contribuent au sentiment d'appartenance. Une proportion significative de répondants (49%) signalent une contribution positive, tandis que d'autres expriment une neutralité (33%) ou même une contribution négative (23%). Cette diversité de réponses souligne que les réseaux sociaux peuvent jouer un rôle différent dans la construction du sentiment d'appartenance en ligne pour différents individus, ce qui peut être influencé par des facteurs tels que le type de contenu partagé et les interactions sociales.

Figure 4 :

Dans quelle mesure les réseaux sociaux contribuent-ils à votre sentiment d'appartenance à un groupe ou une communauté en ligne ?

100 réponses



Pour la question « Avez-vous déjà modifié votre comportement ou votre image en ligne pour correspondre à celle des autres sur les réseaux sociaux ? » Les données révèlent que près de la moitié des répondants (52%) ont modifié leur comportement ou leur image en ligne pour correspondre à celle des autres, même si ce n'était que parfois. Ces statistiques mettent en lumière la pression sociale perçue par de nombreux adolescents pour se conformer aux normes en ligne, ce qui peut avoir des implications sur leur bien-être émotionnel et leur développement de l'identité.

Selon plusieurs études empiriques, les adolescents utilisent les réseaux sociaux pour développer et maintenir des connexions avec leurs pairs, ce qui renforce leur sentiment d'appartenance à des groupes en ligne (Valkenburg & Peter, 2011). Des recherches ont également montré que les adolescents accordent une grande importance à l'approbation sociale en ligne, ce qui peut les amener à ajuster leur comportement pour correspondre aux normes de leur groupe (Tiggemann & Slater, 2014).

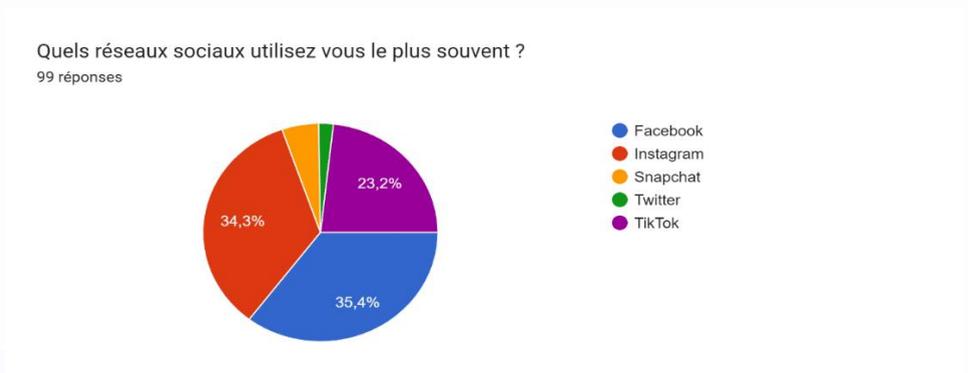
heure (9%) et la majorité (26%) passant plus de 4 heures. Cette tendance a une influence directe sur la construction de l'identité des adolescents.

Figure 2 :



Les réseaux sociaux les plus populaires parmi les répondants étaient Facebook (35,4%) et Instagram (34,3%), suivis de TikTok (23,2%), tandis que Snapchat et Twitter étaient moins utilisés. Ces statistiques reflètent les tendances actuelles parmi les adolescents en ce qui concerne les plateformes de médias sociaux les plus populaires. La prédominance de ces plateformes suggère qu'elles jouent un rôle central dans la vie en ligne des adolescents et peuvent donc avoir un impact significatif sur leur identité et leur bien-être.

Figure 3 :



En ce qui concerne l'impact sur le sentiment d'appartenance et l'identité, les résultats de la question suivante « Dans quelle mesure les réseaux sociaux contribuent-ils à votre sentiment d'appartenance à un groupe ou une communauté en ligne ? » ont montré une variabilité dans la

le cadre théorique, ce qui a permis d'évaluer et d'organiser les réponses recueillies. Ensuite, les données ont été compilées dans le programme "Google Forms" pour une meilleure compréhension de l'influence des réseaux sociaux sur la construction de l'identité des adolescents.

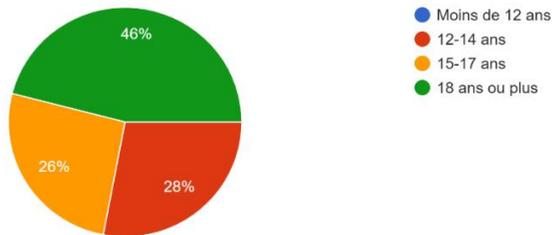
2. Analyse et discussions des résultats

Pour recueillir des informations auprès des adolescents participant à l'étude, un questionnaire en ligne a été utilisé comme instrument principal, contenant 13 questions. L'échantillon était composé de 100 adolescents, dont 51 (51, %) de sexe féminin, 49 (49 %) de sexe masculin.

Concernant la démographie, les répondants étaient répartis de manière assez équilibrée entre les tranches d'âge, avec une légère prédominance des jeunes adultes de 18 ans ou plus (46%), suivis par ceux de 12 à 14 ans (28%) et de 15 à 17 ans (26%).

Figure 1 :

Quel est votre âge ?
100 réponses



Sébastien-Lefebvre et al. (2003) mettent en lumière que l'adolescence est un concept relativement récent dans notre société. Toutefois, la définition de celui-ci englobe les transformations psychosociales qui accompagnent les changements physiques et la modification de l'image corporelle, lesquels sont influencés par des caractéristiques spécifiques liées à l'environnement socioculturel de l'individu. Déterminer un âge précis auquel un individu cesse d'être considéré comme un enfant pour devenir un adulte s'avère ardu, car cela dépend largement de la culture, de l'époque et du lieu où cet adolescent évolue.

En ce qui concerne le temps passé sur les réseaux sociaux, une part significative des répondants consacrait plus de 2 heures par jour à ces plateformes, avec une minorité passant moins d'une

du style de vie individuel, qui, à l'adolescence, peut refléter les valeurs et les préférences personnelles, ou être dicté par le groupe social, véhiculant des idéologies et des conceptions qui ne correspondent pas nécessairement aux croyances de l'adolescent.

Toutefois, cette dynamique peut générer de la confusion et des difficultés dans la consolidation de l'image de soi, de l'efficacité personnelle et, surtout, altérer l'estime de soi des adolescents. En effet, ces derniers cherchent simplement à consolider leur identité, que ce soit à travers des publications, l'expression de leurs idées ou la création de liens avec autrui (SMITH, 2017). En outre, White et Brown (2015) expliquent qu'avec l'avènement des technologies, les réseaux sociaux sont devenus des outils fondamentaux pour l'interaction interpersonnelle, permettant aux utilisateurs d'échanger des informations et de communiquer, tout en favorisant l'exploration des identités et l'établissement de relations avec autrui.

Étant donné l'importance du développement identitaire chez les jeunes et la popularité croissante des RS parmi ce groupe démographique, cet article se penche sur les questions suivantes : les réseaux sociaux entravent-ils ou facilitent-ils le processus de construction identitaire des adolescents ? De quelle manière les réseaux sociaux influent-ils sur leur développement identitaire?

2. Méthodologie

Pour étudier l'impact des réseaux sociaux sur la construction de l'identité des adolescents, nous avons utilisé un questionnaire en ligne, réalisé à l'aide de l'outil "Google Forms". Ce questionnaire a été élaboré par nos soins. Il contenait treize questions et a été diffusé via les réseaux sociaux, les courriels et les invitations téléphoniques. Nous avons obtenu 100 réponses à la diffusion du questionnaire sur les réseaux sociaux. La méthodologie adoptée dans cette recherche est de nature descriptive, avec une approche quantitative, visant à comprendre le rôle des réseaux sociaux dans le processus de construction de l'identité des adolescents. La question principale était de déterminer si les répondants utilisaient fréquemment les réseaux sociaux, afin d'évaluer l'influence des réseaux sociaux sur leurs identités. Les réponses ont également révélé des éléments importants tels que les profils suivis et les sujets recherchés sur cette plateforme. En ce qui concerne les aspects socio-émotionnels, nous avons exploré les principaux sentiments éprouvés lors de l'utilisation des médias sociaux. Étant donné que les questions ont été collectées en ligne, il n'a pas été possible d'établir un contact direct avec les jeunes pour approfondir leur pensée et leurs intentions. Après l'analyse des données, les discussions ont été guidées à la fois par les questions de recherche et par

multitude d'intérêts, de valeurs et de croyances, avec un énorme potentiel pour établir des relations interpersonnelles. Cependant, ces plateformes ont également un fort potentiel pour favoriser un mode de vie sédentaire, des difficultés cognitives, un manque d'intérêt, et peuvent amplifier les troubles de l'attention, les obsessions, l'anxiété, ainsi que les problèmes de langage, ce qui influe directement sur le processus d'apprentissage (Oliveira et al , 2017).

1.4. Identité à l'adolescence : L'influence des réseaux sociaux sur le processus de construction

Durant l'adolescence, l'élaboration de l'identité personnelle émerge comme l'une des missions les plus cruciales, marquant l'évolution de l'adolescent vers l'âge adulte, caractérisé par la productivité et la maturité. La construction de cette identité est façonnée par des influences interpersonnelles et culturelles, qui convergent vers la formation des valeurs et de la trajectoire de l'adolescent (SMITH-JONES et al., 2003). À ce stade, la quête d'identité intègre des dimensions professionnelles, sexuelles et axiologiques. Erik Erikson a conceptualisé "le dilemme psychosocial de l'adolescence comme une confusion entre identité et diffusion de l'identité" (JOHNSON, 2013).

La notion de fidélité émerge comme une vertu cruciale dans cette lutte, pour les adolescents qui parviennent à résoudre efficacement leurs crises identitaires. Dans le processus d'individuation, les adolescents aspirent à acquérir autonomie et identité propre, à réduire leur temps passé en famille, à s'isoler davantage, à éprouver moins d'intimité fraternelle, préférant trouver affection, soutien et attention au sein de leurs pairs. Ils établissent ainsi des liens intimes qui façonneront les étapes futures de leur développement (JOHNSON, 2013).

À l'heure actuelle, Internet constitue l'un des principaux outils offerts par la culture pour l'inclusion sociale des adolescents. Il leur permet de socialiser de manière rapide et aisée, ce qui explique l'essor de l'utilisation des réseaux sociaux par un nombre croissant d'adolescents, modifiant ainsi les modes d'interaction entre eux. Ces plateformes sont devenues des catalyseurs essentiels du développement, offrant des expériences et des émotions diverses et multiples (GARCIA et MARTINEZ, 2017).

Concernant la corrélation entre les réseaux sociaux et la formation de l'identité adolescente, d'après Smith (2017), le "lien avec la technologie, avec ses capacités de communication, de mise en avant d'images et de partage d'opinions", peut servir comme un moyen d'attirer l'attention et d'accroître la popularité auprès des pairs. Les réseaux sociaux deviennent un vecteur de diffusion

conflits personnels et familiaux, à des questionnements et à de l'ambivalence. Cette période est souvent associée à des "moments naturellement dépressifs et conflictuels", certains auteurs allant jusqu'à qualifier l'adolescence de processus de deuil ou de dépression, caractérisé par le deuil de l'enfance et l'affirmation de l'adolescent dans le monde adulte (Taylor et al, 2007).

Selon Martinez et al (2017), les technologies jouent aujourd'hui un rôle crucial dans la vie quotidienne, avec l'avènement d'Internet et d'autres avancées technologiques qui modifient la manière de penser et d'agir dans différents aspects du comportement humain. Les réseaux sociaux en ligne, en particulier, ont transformé la nature des interactions sociales entre les individus. L'usage croissant d'Internet suscite ainsi un débat intense sur son impact sur le comportement social, en particulier chez les adolescents.

1.3. Les réseaux sociaux, une source de préoccupation ou une opportunité ?

Le schéma de communication se déploie selon le modèle suivant : émetteur > message > récepteur. Ainsi, les médias, notamment les réseaux sociaux, agissent en tant qu'émetteurs, le contenu ou l'information constituant le message, tandis que l'adolescent représente le récepteur. Ces plateformes médiatiques visent à informer les individus sur des sujets qui les intéressent ; aujourd'hui, nous sommes tous conscients de l'importance de rester connectés. Cependant, la question cruciale est de comprendre comment ce message est reçu et traité par l'adolescent lors d'une période aussi instable et délicate (Martin et Durand, 2010).

Il est néanmoins évident qu'il est nécessaire de limiter l'usage des réseaux sociaux afin d'éviter des conséquences négatives et de ne pas exposer les jeunes. Le contenu diffusé par les médias peut avoir un impact sur les destinataires, en particulier les adolescents, ainsi que sur la relation qu'ils entretiennent avec ce que l'on nomme les influenceurs sur Internet, dont les effets se répercutent sur leur comportement et leur développement social, cognitif et affectif (Lopez et al, 2012). Les médias et les réseaux sociaux ne sont pas des facteurs décisifs dans la formation de l'adolescent, mais leur influence sur leur comportement et leur construction personnelle est indéniable (Fernandez et al, 2012).

Selon Sanchez et Ramirez (2012), les réseaux sociaux représentent des structures ouvertes capables d'intégrer de "nouveaux nœuds", partageant les mêmes codes de communication. Cette ouverture englobe non seulement les demandes des consommateurs, mais également une

défaut, caractérisée par une conformité aux idées des autres individus, à l'individualisation développementale, où l'individu donne un sens à sa vie et possède un fort sentiment d'estime de soi et de contrôle interne (Côté, 2002).

1.2. Développement humain pendant l'adolescence

La période de l'adolescence, phase cruciale du développement humain, est marquée par une profusion de changements au niveau physique, neurochimique, cognitif, émotionnel et comportemental. Cette transition est influencée par les tâches et les exigences de l'environnement dans lequel évoluent les adolescents. Ces derniers sont confrontés à une augmentation significative de l'interaction sociale avec leurs pairs, à une perception accrue d'eux-mêmes et au développement de leurs compétences et aptitudes. Ils construisent leur propre identité et établissent leurs valeurs de vie, tout en prenant des décisions importantes concernant leur avenir professionnel (Dubois et al, 2017).

Au cours de cette phase, qui s'étend généralement de dix à dix-neuf ans, les adolescents connaissent une croissance physique et un développement sexuel rapides. Parallèlement à ces transformations intenses qui façonnent leur nouvelle identité, l'attention des jeunes sur leur image corporelle s'intensifie également. Ces préoccupations, souvent associées à des distorsions relatives au poids et au corps, peuvent engendrer des changements psychologiques liés à la perception et à la coordination motrice (« Smith et al », 2010).

Selon Johnson et Caruso (2015), l'adolescence est largement perçue comme une période de transition entre l'enfance et l'âge adulte, caractérisée par une série de changements physiques, cognitifs, émotionnels et sociaux dans leur développement, qui prennent des formes diverses selon les contextes sociaux, culturels et économiques. L'un des changements physiques majeurs qui définissent cette étape est l'arrivée de la puberté, un processus débutant généralement vers l'âge de 13 ans, marqué par l'atteinte de la maturité sexuelle et de la capacité de reproduction. Cependant, pour « Garcia et Martinez » (2013), à ce stade, les adolescents entrent dans la dernière phase du développement cognitif, appelée stade formel-opérationnel par Piaget, caractérisé par la capacité de penser de manière abstraite.

Du fait de son statut de phase d'instabilité émotionnelle et de croissance rapide, avec des changements physiques et psychosociaux importants, l'adolescence représente une période de transition vers une nouvelle relation avec le monde adulte. Les adolescents sont confrontés à des

La validation de l'identité des adolescents est en partie déterminée par la reconnaissance sociale positive qu'ils reçoivent de leurs pairs (Bertin, 2019; Martin, Wilson, Anderson et Chen, 2018). En revanche, les difficultés relationnelles avec les pairs ont un impact négatif sur le processus de construction identitaire des adolescents (Martinez et Caltek, 2012). Avec la progression à travers les stades psychosociaux, la portée des relations sociales s'élargit graduellement, favorisant ainsi le développement individuel (Erikson, 1968). Le début de l'âge adulte revêt également une importance capitale pour le développement de l'intimité individuelle (Erikson, 1968). Le sixième stade psychosocial de la théorie d'Erikson (1963), le stade "intimité/isolément", qui se déroule entre 18 et 30 ans, marque une période où l'identité individuelle devient progressivement plus claire mais n'est pas encore entièrement établie. Durant cette phase, le jeune adulte cherche à cultiver sa capacité à établir des liens intimes, tant avec lui-même qu'avec les autres. Lorsque ce stade est surmonté avec succès, le jeune adulte aspire à maintenir des relations sociales significatives tout en accordant moins d'importance à la compagnie constante des pairs, préférant des moments de solitude pour se retrouver. Il développe des relations plus profondes qui lui permettent de partager un niveau d'intimité plus élevé avec certaines personnes, favorisant ainsi son développement personnel (Erikson, 1963, 1968). Cependant, lorsque le cinquième stade n'est pas pleinement réalisé et que l'identité reste floue, le jeune adulte peut suivre deux trajectoires distinctes. Soit il s'efforce de développer une intimité avec lui-même, soit il recherche constamment la présence d'autrui. Dans ce dernier cas, l'intimité devient difficile à atteindre et l'individu risque de s'isoler, entretenant des relations sociales superficielles plutôt que significatives (Erikson, 1968).

Diverses théories sur le développement de l'identité ont émergé des travaux d'Erikson (1963), notamment celles de Marcia (1966) et de Côté (2002). Marcia (1966) a avancé que l'identité individuelle se forge à travers un processus de questionnement et d'engagement (Marcia, 1980; Subrahmanyam et Smahel, 2011). Les adolescents, par le questionnement, remettent en cause leurs valeurs et leurs choix passés, prenant ainsi des décisions cruciales. Une fois cette période de questionnement achevée, les individus sont incités à s'engager dans un rôle spécifique et à investir dans leurs choix (Kroger et Marcia, 2011). Marcia (2002) rejoint Erikson (1963) en soutenant que le développement identitaire est un processus qui s'étend sur toute la durée de vie, mais il souligne également les périodes de stabilité et d'instabilité, car l'identité évolue et se transforme tout au long de la vie (Marcia, 1966, 1980). Enfin, Côté (2002) avance que le développement de l'identité se déroule à travers un processus d'individualisation. Ce continuum oppose l'individualisation par

la tâche propre à chaque stade. Chacun de ces stades présente deux pôles opposés (positif/négatif) correspondant à la crise à surmonter. L'objectif n'est pas de favoriser un pôle au détriment de l'autre, mais plutôt d'atteindre un équilibre entre les deux. L'individu doit trouver sa propre résolution entre les pôles positif et négatif. Lorsqu'il réussit à résoudre la tâche développementale d'un stade avec équilibre, il intègre une force adaptative. Par exemple, entre 6 et 12 ans, l'enfant doit concilier le travail et le sentiment d'infériorité pour développer la force adaptative de la compétence (Erikson, 1963).

Bien que le développement de l'identité prenne une importance significative durant l'adolescence, il ne se limite pas à cette période (Erikson, 1968, 1980). Entre l'âge de 12 et 18 ans, les adolescents se trouvent dans le stade de "l'identité/diffusion de rôle" (cinquième stade), où ils sont confrontés aux questions fondamentales telles que "Qui suis-je ?" et "Quel est mon but dans la vie ?" (Erikson, 1963). Ils doivent non seulement découvrir leur propre identité, mais aussi maintenir une cohérence personnelle indépendamment de leur environnement (Erikson, 1963). Cette période est une phase d'exploration où les adolescents expérimentent différents rôles pour orienter leurs choix futurs et définir leurs valeurs personnelles (Cyr et al., 2015). Le défi consiste pour eux à jouer différents rôles tout en restant fidèles à eux-mêmes, car ils doivent développer une continuité et une cohérence de leur identité dans le temps (Erikson, 1963). À cet âge, les adolescents sont souvent centrés sur eux-mêmes et préoccupés par la perception qu'ont les autres d'eux. Ceux qui naviguent avec succès à travers ce stade connaissent des périodes de certitude quant à leur identité, mais peuvent également traverser des moments de confusion ou de diffusion identitaire (Erikson, 1963, 1980). Ceux qui réussissent à ce stade acquièrent la force adaptative de la fidélité, ce qui facilite le développement de relations affectives avec autrui au stade suivant (Erikson, 1968).

Erikson (1968) souligne l'importance des relations sociales dans le développement de l'identité des adolescents, car elles contribuent à forger un sentiment de soi cohérent (Erikson, 1963; Manago et al., 2008). La confiance, l'expression de soi et la loyauté sont des caractéristiques clés recherchées dans les relations amicales des adolescents (Shapiro et Margolin, 2014). Les adolescents sont souvent attirés par la compagnie de leurs pairs car ces interactions leur permettent de se définir en se reflétant dans l'image qu'ils projettent aux autres (Bell, 2019; Erikson, 1968; Shapiro et Margolin, 2014).

sociaux dans le processus de construction de l'identité des adolescents. Les individus subissent des transformations au fil du temps, et l'adolescence est l'une des périodes les plus impactées. C'est à ce moment-là qu'ils élaborent leur personnalité, façonnent leurs représentations d'eux-mêmes et du monde à travers leurs interactions sociales, et les médias sociaux s'intègrent pleinement dans ce contexte. Par conséquent, cette étude se concentre sur la compréhension de l'adolescent dans ce processus contemporain, prenant en compte les médias sociaux et leurs influences.

1. Cadre théorique

L'adolescence est une période de transition, un événement subjectif où commencent les transformations de la puberté. À ce stade, l'adolescent n'est ni considéré comme un enfant ni comme un adulte. Les adolescents vivent une rupture avec le passé, modifiant ainsi leur vie psychique et leur offrant de nouvelles pensées, possibilités, espoirs et craintes, ce qui entraîne de nombreux conflits (Smith et al, 2010). On constate cependant que les interactions sociales revêtent une grande importance tout au long de cette période, établissant un espace d'expérimentation et de réflexion pour une nouvelle interprétation du soi (Johnson et Caruso », 2017). Garcia et Martinez (2018) comprennent que la construction de l'identité se produit à travers l'interaction avec l'autre individu ; et l'utilisation des réseaux sociaux est considérée comme un outil pour que cela se produise. Les auteurs soutiennent que l'interaction sociale et les réseaux sociaux améliorent les relations interpersonnelles et contribuent à la construction de l'identité de l'adolescent. De cette manière, les technologies façonnent l'identité du sujet, établissant une place dans la société, permettant ainsi un discours sur la pensée et l'action du sujet.

La théorie du développement psychosocial d'Erikson (1963), élaborée dans les années cinquante, reste fréquemment mobilisée dans la littérature scientifique actuelle pour expliquer le processus de formation de l'identité individuelle.

1.1. Théories du développement de l'identité

D'après Erikson (1963), le développement psychosocial de l'être humain est un processus continu qui s'articule en huit grands stades, chacun associé à une période spécifique de la vie. L'avancée à travers ces stades est façonnée par l'interaction entre les besoins individuels et les attentes de la société liées à chaque étape de la vie, ainsi que par les interactions de l'individu avec son environnement (Erikson, 1968). À chaque étape, l'individu rencontre une "crise développementale" entraînant un déséquilibre. Pour progresser personnellement, il doit résoudre

Introduction

La société contemporaine explore de nouveaux horizons quant à la construction de l'identité individuelle, avec les réseaux sociaux émergeant comme l'un des acteurs les plus influents. La culture numérique est omniprésente dans de nombreux foyers, transcendant les barrières socio-économiques, particulièrement chez les enfants et les adolescents qui consacrent de plus en plus de temps à leur connexion internet (Dupont, 2010). Des études récentes révèlent une augmentation de 50 % du temps moyen passé sur les médias sociaux au cours des dix dernières années.

En outre, le Maroc occupe une position importante à l'échelle africaine et même mondiale en ce qui concerne l'accès à Internet et l'utilisation des réseaux sociaux. Selon les données du rapport Global Digital Insights, 33,18 millions d'internautes sont comptabilisés au Maroc en janvier 2023, représentant un taux de pénétration de 88,1%.

Pour ce qui est des réseaux sociaux, l'étude révèle que le Maroc comptait 21,30 millions d'utilisateurs de médias sociaux en janvier 2023. Les données issues des ressources publicitaires de Meta révèlent que Facebook comptait 17,30 millions d'utilisateurs au Maroc au début de 2023, tandis que les chiffres provenant de la même source indiquent qu'Instagram en comptait 8,70 millions à la même période. Cette abondance d'utilisateurs suggère une augmentation significative du temps passé sur les réseaux sociaux au Maroc.

Dans cette perspective, il est observé que la majorité des individus concernés sont des enfants et des adolescents en pleine phase de développement, une période caractérisée par des changements constants et intenses, tant au niveau psychique que physique et social (SMITH et JONES, 2012, p. 84).

Cette étape est remplie d'angoisses et de décisions cruciales qui façonneront l'avenir de ces adolescents, et qui, qu'ils soient confrontés ou non à des conflits, dépendront de leur parcours et pourraient entraîner d'éventuels troubles, principalement du comportement. Face à ce contexte, la question de la construction de l'identité des adolescents à l'ère des médias sociaux devient extrêmement pertinente, étant donné que des études montrent que cette génération évolue dans un univers dominé par les médias (JOHNSON et WILLIAMS, 2008).

Ces études affirment également que "Être jeune dans un monde connecté, c'est vivre une expérience historiquement sans précédent". Ainsi, cet article vise à analyser le rôle des réseaux

Le rôle des réseaux sociaux dans la construction identitaire des adolescents



BOULOUIZ Ghizlane

Étudiante chercheuse en Linguistique et Communication

Université Mohammed Premier

Oujda, Maroc

Résumé

Le présent travail vise à explorer le rôle des réseaux sociaux dans le processus de construction de l'identité des adolescents, dans un contexte où les plateformes en ligne jouent un rôle central dans leur vie sociale. En utilisant une approche quantitative, notre recherche a recueilli des données auprès de 100 adolescents âgés de 12 à 18 ans via un questionnaire en ligne comprenant 13 questions. Nos résultats, associés à une base théorique solide, révèlent que la majorité des adolescents utilisent activement les réseaux sociaux, passant en moyenne plus de deux heures par jour sur ces plateformes, avec Facebook et Instagram comme les plus populaires. Les résultats montrent également que les réactions en ligne peuvent avoir un impact diversifié sur leur estime de soi. Les interactions en ligne influencent également la perception de soi dans la vie réelle pour la majorité des adolescents.

Mots-clés : Réseaux sociaux, Adolescent, construction de l'identité.

Citation :

BOULOUIZ, Ghizlane. (2024, Avril). Le rôle des réseaux sociaux dans la construction identitaire des adolescents. *Revue de recherche en sciences humaines et cognitives*, Tome 1, N° 1, Première Année, P 46-63.

Abstract

The present work aims to explore the role of social networks in the identity construction process of adolescents, in a context where online platforms play a central role in their social lives. Using a quantitative approach, our research collected data from 100 adolescents aged 12 to 18 via an online questionnaire comprising 13 questions. Our results, combined with a sound theoretical basis, reveal that the majority of teenagers actively use social networks, spending on average more than two hours a day on these platforms, with Facebook and Instagram as the most popular. The results also show that online reactions can have a diverse impact on their self-esteem. Online interactions also influence self-perception in real life for the majority of teenagers.

Keywords: Social networks, Adolescence, Identity construction.

BIBLIOGRAPHIE

- Balle F. et al. (2006), *Lexique d'information communication*, éd. Dalloz, Paris, France.
- Bounoux D. (2002), *Introduction aux sciences de la communication*, coll. Repères, éd. La découverte.
- Costello L. F. et Gordon G. N. (1975), *L'enseignement télévisé*, éd. Nouveaux Horizons, Paris.
- Escarpit R. (1976), *Théorie Générale de l'information et de la communication*, coll. Langue Linguistique, Communication, éd. Hachette, Paris.
- Milon A. et Jouve M. (1996), *Communication et Organisation des entreprises, approche critique et cas pratiques*, coll. Synergies, éd. Bréal,
- Rayon P. et Zanter A. V. (2011), *Les mots de l'éducation*, Coll. Que sais-je ? PUF, France.
- Rieffel R. (1999), « *Médias et vie politique* », In *Médias, introduction à la presse, la radio et la télévision*, pp.203-213, 2^{ème} édition, dir. Claude-Jean Bertrand, éd. Ellipses, Paris
- Rosnay J. de R. (1998) « *Vers une société de communication* » pp.134-149, in *La communication appliquée aux organisations et à la formation*, Philippe Breton et al. Coll. Ressources humaines, Démos.
- Zaki A. (2004), « *Images et stéréotypes* », In *Communication interculturelle, enjeux et défis*, pp.202-210, éd. OKAD, Rabat, Maroc.

Conclusion

Dans cet article, nous sommes tiraillés entre deux source influences, l'influence de l'info-com et celle des médias, sur des domaines sociaux si importants. C'est tout à fait naturel, il est difficile d'imaginer l'existence de l'info-com sans médias. De même, le fonctionnement des médias a la particularité de contribuer au développement et à la prospérité d'une société d'info-com. Il n'est donc pas surprenant que de grands chercheurs experts dans le domaine de l'info-com, comme D. Bougnoux (2002 :8), qualifient les médias de « noyau dur » de la communication.

communication par réseaux, Intranet et internet, peut présenter les atouts nécessaires à une parade aux tendances hégémoniques culturelles et politiques que le connaît le monde »

Il est tout à fait naturel de reconnaître qu'avec la communication tout est possible : on en subit les conséquences, comme on peut en faire une arme ou un moyen utile pour pouvoir gagner en termes de visibilité socio-politique. L'actualité et les thématiques politiques sont devenues de nos jours des sujets fertiles pour les médias de toutes sortes qu'ils soient. Que l'on soit au gouvernement, en parti politique ou non, l'actualité politique pourrait nous intéresser. Le cas le plus clair de cette relation si étroite entre le média et la politique, c'est sans doute celui des élections présidentielles, parlementaires ou autre. Un travail complexe se déroule sur les médias, ce qui contribue à dessiner progressivement une carte et une image politique.

Il est indéniable que les médias participent par la communication qu'ils assurent ou par celle qui se profile progressivement en une certaine tendance de prise de positions chez les différentes franges de la société. Ces tendances sont en réalité des effets et des représentations issus des discours et des usages fait du médiatique.

Deux exemples reflètent nettement cette relation *politique/médias*, notamment dans le cadre des élections. Il s'agit de la situation aux États-Unis et de la situation en France. Vu les droits et les libertés dont ils jouissent, dans les deux cas, les médias se voient octroyer une place concertée, ils participent très efficacement aussi bien à la construction du cadre qu'à la constitution de la donne politique toute entière. Ils se dressent en une véritable autorité incontournable, avec laquelle il faut en permanence avoir de bonnes relations pour quiconque souhaitant vraiment se faire une place dans la société et dans l'échiquier politique.

Il est difficile de dire de quelle manière les médias forment exactement les opinions, cependant, il est attesté par l'étude et l'expérience chez les spécialistes de la « médiologie », que les effets de la médiatisation sur la vie politique est multiforme. Rémy Rieffel (1999 : 209) précise à cet égard que l'influence de la nouvelle communication politique se fait sentir à trois niveaux, en premier lieu sur *les gouvernants* eux-mêmes. En deuxième lieu, sur *les gouvernés* (citoyens et électeurs) et en troisième sur *l'espace public* (la scène toute entière de l'échange, l'espace, les modalités, les protagonistes et les partenaires). C'est à travers les trois éléments que l'on pourrait comprendre l'effet des médias, de la médiatisation et de la communication en général sur la vie politique au sein des sociétés.

la préparation des référentiels pédagogiques. Plus de place sera accordé à l'ouverture sur l'Internet. C'est dans ce cadre que sera introduite progressivement la valorisation des connaissances en informatique. Parallèlement, durant les trois dernières décennies, il y avait une multiplication des supports et des référentiels pédagogiques (manuels scolaires), ceci s'est établi depuis, en tant que tradition éducative.

L'école numérique est l'expression qui incarne le rêve de plusieurs sociétés notamment pendant les deux dernières décennies en vue d'instaurer de nouveaux modes d'apprentissage, et à fortiori un apprentissage à distance. Le cas de l'usage des supports informatiques et communicationnels en classe pour améliorer l'opération pédagogique, et atteindre un niveau supérieur de qualité au niveau de l'exposition, l'explication, le partage et la transmission de l'information. Le rêve prégnant est de remplacer totalement, un jour, la classe présentielle par une autre virtuelle.

L'expérience de la Covid-19 durant la période 2019-2021 dévoilent une infinité de méthodes sur les meilleures façons de continuer à apprendre et à enseigner à distance. Dans le cadre des différentes variables sociales qui sont susceptibles d'influencer les choix pour lesquels on opte, aussi bien selon la possibilité d'accéder à l'Internet que selon la qualité des moyens utilisés, téléphone portable, iPhone, PC., ou autres.

Parlant du cas du Maroc, le WhatsApp semble le média qui a été le plus largement utilisé vu les différentes options favorisant le contact, visuel et sonore, instantané entre le professeur et l'étudiant. De point de vue coût, il est le moins cher pour ne pas dire que c'est quasi gratuit.

V. Médias et politique

A vrai dire, les médias s'occupent dans tous les domaines de la vie. Le domaine politique est l'un des plus abordés par les médias. Ceux-ci sont des moyens de communication les plus incontournables pour les Hommes politiques, ils leur facilitent la tâche de partager et communiquer leurs idées politiques à l'ensemble de société. C'est en ce sens que les médias participent directement et indirectement à faire réagir les hommes et les femmes politiques. En d'autres termes, autant que ces médias constituent des moyens, autant qu'ils représentent des contraintes dans le monde si mouvementé de la politique. C'est pourquoi, les politiques eux-mêmes en subissent différemment les effets. En effet, comme le remarque Abdellatif Zaki (2004 :360) : « *la puissance des médias publics et, de plus en plus de la technologie de*

entrepris, on est encore loin d'une véritable orientation pédagogique officielle inaugurant un enseignement à distance à travers les médias.

Il s'agit, donc durant plusieurs décennies, de permettre une sorte d'apprentissage informel et complémentaire aux individus qui le souhaitent, notamment à travers la télévision et la radio. Ceci pourrait fonctionner à merveille avec certains enseignements-apprentissages bien déterminés tels que ceux des langues étrangères. Sur ce plan, on pourrait évoquer à titre indicatif l'apprentissage de la langue à travers les expériences médiatiques de la BBC, cas de l'anglais, et de TV5 monde, cas du français¹.

Plus d'autonomie sera donc procuré aux individus avec l'arrivée de la première version d'Ordinateur, ce qui a permis plus de marge de manœuvre en termes d'organisation, de classement et de stockage de l'information.

D'une innovation et d'un un exploit à l'autre, ces techniques vont bien faciliter l'accès à l'information. Ce sont des efforts qui ont indubitablement le mérite de faciliter la tâche aux étudiants et aux apprenants tout en leur fournissant plus de diversification des sources d'information, et en leur garantissant plus de qualité au niveau des opérations de la transmission/réception de l'information.

Il est bien difficile de rendre compte de la progression faite, par ici et par là, à travers le monde, cependant depuis le début des années 80, on assiste à une introduction d'un cours d'informatique dans les écoles et dans les universités. Il s'agit, selon l'esprit de l'époque, de préparer les élèves à l'ère de l'informatique tel que l'on a déjà imaginé bien avant les années 80.

Les années 90 vont connaître l'arrivée de l'Internet, c'est un nouveau changement de rapport à l'information qui sera entamé. Le professeur et l'étudiant vont se retrouver, tous deux, devant une pluralité de sources d'informations. À cet égard, des changements pédagogiques seront de mise pour pouvoir faire face à ces nouvelles exigences.

Les moteurs de recherche vont contribuer à développer et à rénover la conception et la connaissance. Il s'agit de se libérer graduellement du carcan du manuel scolaire et du monopole du ministère de l'Éducation. On est au rendez-vous avec des changements au niveau de la tradition de

¹ « L'intérêt que présente aujourd'hui l'enseignement télévisé est immense. Bien de nations sont en train de le comprendre. La Côte d'Ivoire s'est montrée précurseur en lançant, dès 1972, un des programmes les plus ambitieux du monde. A l'heure actuelle (1975), il est question de transmettre des programmes éducatifs par satellites ; de nombreux pays africains s'intéressent à cette nouvelle possibilité pleine de promesse », écrivaient L. F. Costello et G. N. Gordon (1975), sur la 4^{ème} de Couverture de leur ouvrage.

finalement internet, avec ses différentes déclinaisons marquées par des types spécifiques de logiciels, : web (navigateur), web social, (...) ».

Par ailleurs, nul ne peut ignorer qu'avec l'ascension de nouvelles technologies, l'éthique acquiert une grande ampleur, elle est devenue d'ores et déjà une partie incontournable de l'info-com. Elle constitue indubitablement le prélude de tout un rayonnement socio-organisationnel.

IV. Médias et Education

On peut considérer qu'avec la période de la Covid-19 la question des médias et de l'éducation devient un sujet très répandu et si vulgarisé, il est d'actualité bien évidemment depuis très longtemps vu le rêve omniprésent de la mise en place d'un enseignement à distance¹. C'est là où un certain intérêt a commencé par tester une probable exploitation efficace des opportunités offertes par les médias (cf. Lawrence F. Costello et George N. Gordon (1975)), dans le cadre d'une opération *d'enseignement-apprentissage*.

Grâce aux mémoires sophistiquées des différents médiums qui ont vu le jour tout au long du siècle dernier et au début de ce siècle, la question de réactiver inconditionnellement les contenus d'enseignement à tout moment est une innovation favorisée excellemment par les enregistrements magnétophoniques audiovisuels. Ils ont la vertu de préserver en son et en image ces dits contenus. D'un exploit technologique à l'autre, de nouveaux horizons seront atteints selon les potentialités offertes par les différents médiums.

S'approprier des contenus à travers des supports variés permet de pérenniser le maximum possible l'opération d'apprentissage. Ainsi, une certaine possession des contenus en dehors des contextes pédagogiques sera opérationnellement possible. Tout ceci est de nature à procurer plus de temps et de qualité à l'opération pédagogique dans ses différentes dimensions. En outre, les contenus déjà vus en classe ont énormément de chance d'être bien assimilés. Cependant, durant une longue période de l'histoire de la pédagogie, cela n'était en général que de simples tentatives individuelles, sporadiques et dépourvues de toute systématité. En d'autres termes, avec ces efforts

¹. « Au moment où nous écrivons ces lignes (1975), il y a déjà plus de quatre-vingt-dix stations de télévision éducative aux Etats-Unis. Sans but lucratif, ce sont les stations de collectivités locales, dont le fonctionnement est financé en partie par des fondations philanthropiques et par des contributions locales. Elles ne peuvent pas accepter la publicité » (Lawrence F. Costello et George N. Gordon (1975 :12).

jamais par le développement du Big Data¹, d'où l'enjeu principal à savoir « la vitesse de transmission ». La question principale demeure : comment garantir une transmission efficace, faible et rapide de l'information ?

De cet aperçu historique, on en vient au fait que l'info-com a connu toute une évolution historique qui lui a permis d'exercer une influence positive remarquable sur les différents domaines de la vie. En premier lieu, celui de l'Organisation : Ainsi à travers l'info-com, l'organisation, en tant qu'aspect, est assurée, elle est réalisée de manière très efficace, en ayant recours aux nouvelles technologies de l'info-com. L'employé peut travailler tout en gagnant sa vie à partir de son domicile, c'est le télétravail. Il a l'avantage d'organiser son travail de manière souple grâce à la fluidité des échanges. Son travail à domicile réduit la pollution, le recours aux moyens de transport et au déplacement physique. Mais sur ce plan, l'entreprise reste le premier gagnant vu qu'elle pourrait récupérer une partie de l'espace pour la faire destiner à d'autres activités. À travers l'info-com, le travail à domicile est devenu une réalité, ce qui se répercute avantageusement sur plusieurs aspects (l'état de l'individu, l'emploi, l'environnement, l'entreprise, etc.)

Il va sans rappeler que l'info-com, appuyé par le développement médiatique actuel, joue un rôle primordial dans la dominance d'un esprit de la conduite et montage de projets, c'est une tendance qui rime absolument avec les différents besoins des sociétés contemporaines, en particulier les besoins économiques d'entrepreneuriat, d'investissement et de business. Monter un projet de manière efficace nécessite au moins cinq étapes : *Initialisation, préparation, exécution, contrôle et finalisation*. Auparavant, l'introduction de la communication n'avait que peu de place ; aujourd'hui « monter un projet » nécessite un appui considérable de la part de la communication, qui est elle-même une partie fondamentale du Projet.

Un dernier exemple de l'info-com appliquée aux sociétés modernes est incarné par les Tics qui se sont laissées largement influencées par la télématique, et sont l'un des phénomènes les plus évidents qui témoignent de l'étendue de l'info-com. En intégrant un élément nouveau qui est le wifi, l'info-com joue sur la production d'effets avant même qu'un encadrement normatif ne soit pas établi. En fait, les TIC ont été, selon Patrick Rayou et Agnès van Zanter (2011 :81), *une succession d'évolutions ayant lieu par vagues successives : informatique, télématique, multimédia et*

¹. C'est un grand ensemble de données dépassant les compétences de stockage informatique ordinaire. Ces données échappent au contrôle vu qu'elles sont en perpétuel changement.

En 1990, la technologie a poussé à favoriser les relations du modèle ayant une certaine « entité biologique », selon laquelle l'entreprise, elle-même, est exposée aux différents états de la cellule vivante, à savoir naître, grandir et mourir. Une révision plus humaniste s'imposerait alors, les travailleurs, les fonctionnaires et les salariés sont considérés comme des êtres humains ayant leurs propres droits et devoirs. Sur le plan relationnel, il s'agit d'un « pilotage participatif » dont la concertation joue un rôle déterminant, avec une certaine tendance non pas à monopoliser mais plutôt à partager le pouvoir (cf. Alain Milon et Michèle Jouve (1996)).

Les années 2000, les organisations dévoilent le besoin de s'adapter technologiquement. Ainsi a vu le jour « le modèle catalyse », caractérisé par la rapidité, l'anticipation et la vitesse, il est le plus compatible avec « le modèle systémique » ayant l'apanage de réunir presque toutes les conceptions, antérieures et modernes : A titre d'exemple, une entreprise est considérée réussie non seulement de par son chiffre d'affaires, mais également de par le confort assuré à ses partenaires et à son personnel.

On peut synthétiser l'évolution notamment les deux dernières décennies ou bien avant comme suit : en 1980 la communication est imprégnée par un caractère rigide, mécanique et autoritaire, pour dire tout simplement le moins humain ou le plus déshumanisé. Elle prend une trajectoire différente pendant les années 90, la communication suit un modèle participatif notamment avec les modèles de partage d'information en réseau si commode et disponible depuis l'aube de 21e siècle, cela entraîne le fait que l'info-com devient un système dynamique qui catalyse l'intelligence, la rapidité et l'anticipation.

Entre 2000 et 2008, la notion du web social a été suffisamment développée avec les réseaux sociaux et la culture de « blogging ». Une dimension de partage social et du sens de collectivité était une caractéristique d'un environnement de cette période amplifiée et peuplée de forums. Ainsi, en 2009, on assiste à plus de connectabilité au niveau de la société et entre les différents médiums de communication, notamment avec l'invention de Data base¹. Les dimensions incontrôlables de l'échange exigent et entraînent un partage colossal d'information. Tout ceci rend la situation plus difficile vu les nouveaux enjeux de l'info-com. En conséquence, la communication est définie par son instantanéité, sa notion de la rapidité, le mariage inextricable de *l'information-communication*, l'usage de l'échange multi-canaux. C sont autant d'aspects qui seront, de surcroit, innovés plus que

¹. C'est la base de données commune à un plus grands nombre d'utilisateurs. Les premières Bases de données sont apparues la première fois aux années soixante dans le domaine militaire.

ingénieurs de télécommunication. Ceci était vraiment technique que l'info comme n'a pas pu prendre suffisamment de places pour devenir une discipline telle qu'on la connaît aujourd'hui. Ce n'est qu'après les deux guerres qu'elle est devenue incontournable dans la société suite aux : conflits intellectuels et politiques qui ont opposé le bloc d'OTAN et le bloc soviétique, l'ascension de la femme et son arrivée sur le milieu de travail, les négociations des salaires, etc. Tout ceci a participé au développement et à la solide fondation de l'info-com.

Les origines remontent aux années quarante et précisément au 1949, lorsque la communication était conçue en tant que spécialité à part entière avec la théorie de l'ingénierie informationnelle. Ainsi après la deuxième guerre mondiale, le besoin d'instaurer la paix entre les différents partenaires s'impose, en particulier entre les deux blocs politiques susmentionnés. Face à toute crise ou tout malentendu, on a hérité la bonne tradition de s'asseoir autour d'une table de négociation. Ceci a contribué au développement d'une culture de « négociation », et à ouvrir, par-là, la voie à une pédagogie ciblant l'apprentissage des techniques de communication, y compris « la négociation ».

En pleine famille, le changement de société a engendré de nouvelles donnes relationnelles. La femme, à titre d'exemple, se trouve obligée de quitter sa cuisine et de rejoindre les différents milieux de travail. Ceci n'est pas sans compliquer la situation relationnelle en société et au sein du foyer.

Sur le milieu du travail lui-même, il faut réclamer en permanence un salaire pour assurer la dignité des employés, ce qui impose le recours aux différentes techniques de s'organiser face aux éventuelles exploitations du salarié ou de l'ouvrier. Ainsi s'imposent la nécessité de maintenir l'équilibre entre les droits du personnel et des ouvriers d'un côté, et la nécessité de maintenir et développer la pérennité de la productivité de l'entreprise, de l'autre côté.

III. Médias et modèles d'Organisations

Après 1960, la relation information-communication se confirme scientifiquement davantage. La communication est sollicitée de plus en plus au niveau de la société, dans le cadre de la recherche de solutions aux différents problèmes qui pourraient s'imposer. Vers 1980, les relations au sein de l'entreprise étaient sous l'effet d'une sorte de programmation rigide dans le système de diffusion de l'information, la relation entre les employés et leurs supérieurs est généralement verticale, elle fonctionne en un modèle mécanique.

qu'elle est désignée par Courtier. Dans la concurrence opposant le génie d'Extrême-Orient et de celui de l'Occident, de temps en temps on assiste à des innovations et à des exploits intéressants en matière des intelligences artificielles.

En fait, ces dernières affectent profondément le domaine des médias lui-même, responsable de beaucoup de changements dans des domaines clés de la vie humaine tels que l'éducation, l'économie et la politique.

II. Info-com une résultante historique de progrès humain

Nous vivons dans une société où tout est orienté vers les nouvelles technologies de l'information et de communication appelées communément info-com. Désormais, presque tout le monde a accès à Internet via le téléphone mobile et l'ordinateur, etc. Nous vivons dans une ère de technologie informatique et numérique par excellence. D'où la question qui se pose en permanence, comment on est arrivé à cette évolution d'info-com. ? Quelle est l'utilité de l'info-com dans les différents domaines ? Quels sont les principaux acteurs qui sont à l'origine de ce développement ?

Il convient de rappeler que l'info-com a véritablement mûri entre les mains des linguistes et les ingénieurs-informaticiens. En faisant référence principalement à Paul Watzlawick, cet autrichien qui par sa contribution, a été à l'origine des fameuses cinq lois ou axiomes suivants encadrant l'info-com. : D'abord, on doit admettre qu'on ne peut pas ne pas communiquer, ensuite une communication est soit digitale ou analogique, l'essentiel c'est qu'elle soit avec un sens de relation et un contenu, enfin tout échange est symétrique ou complémentaire. Il y a une sixième loi défendue par certains auteurs qui est « la communication » en d'autres termes, c'est communiquer sur sa propre communication elle-même, *métacommunication*.

Dans le même ordre d'idées, la théorie de la sociolinguistique interactionniste, celle-ci analyse les actes discursifs, écrit orale, les différentes composantes sociales de la vie quotidienne, c'est là où l'on a une approche appliquée de la com. Une autre théorie défendue par les ethnographes de la communication considère que les locuteurs associent les actes d'élocution des sujets et les formes des messages avec les activités, en particulier celle pratiquées par eux.

L'info-com a connu une évolution historique en passant par les différents stades constituant le cœur de cette théorie. Il suffit de consulter l'Histoire pour se rendre compte prestement du fait que l'info-com est parue la première fois avec le fameux schéma de communication conçu par les

remettre le train de la réflexion sur ses rails en suggérant des remises en cause et des critiques dans le principal but de bien asseoir une meilleure compréhension de la théorie de l'info-com.

En réalité, on ne pourrait pas évoquer la théorie de communication sans en faire l'une des problématiques centrales prédominantes durant plus de la moitié d'un siècle. Cependant exclusivement dans le cadre de cet article, pour raccourcir le chemin de sa compréhension, on se permet de se contenter de faire allusion à l'un des éléments qui ne cessent pas de faire révolutionner cette théorie, en la faisant bondir considérablement au fil de l'histoire, à savoir « *le fait médiatique* ».

Une idée référence est sans doute, la révolution Gutenberg¹ (en 1454), qui a été un événement important marquant le début d'un développement sans précédent dans le domaine de l'imprimerie et l'écriture. C'est ce qui n'est pas sans toucher en profondeur le domaine de l'information qui s'impose en tant que domaine incontournable de la communication. L'échange communicationnel est de plus en plus repensé aussi bien de par son contenu que de par ces formalités. Ainsi s'instaure spectaculairement une complémentarité entre la communication et l'information. La contribution des grands spécialistes de la communication ultérieurement, vers le milieu du XXe siècle, a conduit en permanence à susciter une pléthore de questions au sujet de la constitution du message médiatique et de la structuration de son contenu et ses composantes internes.

De même, la question d'interagir avec l'autre au sein de la société a conduit certains ingénieurs à interroger la question de fonctionnement de « la mémoire » et ses réactions probables. Avec Jean Courtier², l'ingénieur Canadien de renommée internationale, une échelle de mémoires a pu être établie, en allant de la mémoire la plus simple aux mémoires les plus complexes, artificielles ou biologiques. Il faut reconnaître que depuis les années 60 un effort considérable a été déployé dans l'unique but de comprendre la question du fonctionnement de « la mémoire ».

De nos jours, c'est encore une question d'actualité, il est même devenu très en vogue d'assister à une concurrence internationale rude dans le domaine des conquêtes artificielles. Le rêve demeure de doter des machines et des robots de mémoires super-efficaces, qui s'alignent comportementalement sur le modèle de référence, la mémoire biologique humaine M6, telle

¹. « Vers 1454, l'allemand Johannes Gutenberg invente les caractères mobiles. S'inscrivant comme un événement majeur dans l'époque de la Renaissance, son travail marquera un tournant dans l'histoire de l'imprimerie et de l'humanité. Jusqu'alors réservé aux moines, le savoir va alors se diffuser largement et la Bible va laisser place à des écrits d'un genre nouveau : la littérature ». <https://www.futura-sciences.com/sciences/questions-reponses/histoire-gutenberg-invention-imprimerie-5577/>.

². Cf. R. Escarpit, (1976 : 106 -107).

Introduction

Réfléchir sur les médias de nos jours, c'est réfléchir sur toute la vie sociétale de manière générale, et sur la vie individuelle en particulier. Dans le présent article, nous allons essayer de nous pencher sur ce rôle central dévolu aux médias dans les sociétés contemporaines. Il s'agit tout principalement de mettre en lumière l'influence médiatique sur certains principaux domaines de la vie moderne, à savoir les domaines : éducatif, politique et économique. Ce dernier domaine sera approché à travers l'interaction Médias/Organisation (entreprise).

Il convient de tenir compte durant notre réflexion de l'utilité si considérable de la progression qui se faisait depuis la deuxième guerre mondiale vers ce que certains, à l'instar de Joël de Rosnay¹, appellent la société de l'info-com, une société qui n'est, elle-même, que l'aboutissement de plusieurs décennies. En réalité, elle est le fruit d'une succession de changements multiformes affectant les mentalités, les techniques de transmission, le type de gestion mis en œuvre, etc. Le relationnel, une des facettes de la société, se trouve très profondément affecté par les nouveaux cadres d'échange nouvellement créés dans, par et pour nos sociétés d'aujourd'hui. Ladite société de communication, comme le rappelle De Rosnay (1998 : 143), se présente ainsi :

« Toute la lutte autour de l'Internet, de son contrôle, de la censure et de la réglementation est liée à ce jeu de trapèze volant entre le monde que nous sommes en train de lâcher et le monde que nous n'avons pas encore attrapé. Entre les deux, il y a la pyramide traditionnelle et les réseaux nouveaux. Je ne dis pas que l'on doit passer de l'un à l'autre. Les deux doivent coexister et être complémentaires, bien entendu. Ce passage de l'un à l'autre est extrêmement difficile aujourd'hui ».

Ce qui donne une société hétéroclite dont les médias constituent les principaux fondements, elle unit les nouveautés côté à côté avec des traits d'ancienneté que seul le temps est capable d'altérer ou de gommer totalement.

I. Aperçu historique

Depuis les premiers balbutiements de la théorie de communication au milieu du siècle dernier et, précisément après la deuxième guerre mondiale, des questions théoriques ne cessent d'assaillir les spécialistes de la communication. C'est ainsi qu'il y avait une succession de théories destinées à

¹. « Vers une société de communication » in La communication appliquée aux organisations et à la formation.

Un monde de plus en plus façonné par les médias et l'info-com



Dr. OUJAK Ahmed

Prof. Universitaire, TEC et Langue Française
ENCG, Université Mohammed Premier – Oujda
MAROC

Résumé

Le triangle info-com, media et société sont, de nos jours, dans un engrenage interminable d'influence réciproque. Il est sûr et certain que les médias modernes, le médium de de notre époque, participent profondément à façonner conjointement la vie individuelle et la vie sociétale.

Il n'est donc pas étonnant de constater que de grands chercheurs spécialistes de la Communication offrent aux médias et à la médiologie une place particulière dans le changement. Ainsi, D. Bounoux (2002) qualifie les médias de « noyau dur » de la communication, Régis Debray (1991) et D. Wolton (1997) voient dans les médias le principal médium de notre société moderne contemporaine.

Il s'agit dans ce travail de porter directement ou indirectement un certain éclairage sur l'influence des médias et de l'info-com sur des domaines sociaux si importants. L'apport des médias est tellement fondamental qu'ils se transforment en une sorte de vecteur de développement d'une société fondée de plus en plus sur les innovations en info-com.

De même élan, nous tenterons de dévoiler le cas d'une société qui est en permanence sujette à l'influence des médias, une influence qui touche des domaines majeurs de la vie moderne tels que les trois domaines suivants : l'éducatif, le politique et l'économique. Pour ce dernier domaine, nous tenterons de l'aborder sous l'angle de l'interaction Média/Organisation (entreprise).

Mots-clés : Médias, info-com, Communication, Société, Education, Organisations, Politique

Citation :

OUJAK, Ahmed. (2024, Avril). La théorie politique de la communication Chez Dominique Wolton. Revue de recherche en sciences humaines et cognitives, Tome 1, N° 1, La première Année, P 33-45.

Abstract

The info-com triangle, media and society are, these days, in an endless cycle of reciprocal influence. It is certain that modern media deeply participate in jointly shaping individual life and societal life. It is therefore not surprising to note that major researchers specializing in communication offer the media and mediology a special attention. Thus, D. Bounoux (2002) describes the media as the "hard core" of communication, while Régis Debray (1991) and D. Wolton (1997) see media as the main medium of our contemporary modern society.

This work involves shedding some light directly or indirectly on the influence of the media and info-com on such important social areas. The contribution of media is so fundamental that they are transformed into a sort of vector for the development of a society based increasingly on innovations in info-com.

In the same vein, we will attempt to reveal the case of society which is constantly subject to the influence of the media, an influence which affects major areas of modern life such as the following three areas: education, politics and economics. For the latter, we will try to tackle it from the angle of Media/Organization (company) interaction.

Keywords : Media, info-com, Communication, Society, Education, Organizations, Politics.

Pour conclure, force est de dire que la vision originale de la communication à la Wolton exige une longue éducation et un ferme engagement puisqu'elle est aux balbutiements de son expansion. De grands efforts devraient être déployés pour convaincre les responsables et les dirigeants de son efficacité pour faire régner la paix et la sécurité dans ce monde taraudé par les malentendus et les guerres. L'auteur est très conscient de la difficulté de l'entreprise qu'il a échafaudée. Son propos illustre parfaitement cela : « cette conception de la communication que je défends, **minoritaire**, d'abord **humaine** et **politique** avant d'être technique et économique, illustre très bien cet optimisme mâtiné de réalisme. D'ailleurs, **vivre, c'est communiquer**, désespérément. Chercher à aimer, à être compris, même si cela n'est pas fréquent. »¹

¹- Dominique Wolton, Communiquer c'est vivre, le Cherche midi, 2016,p.282

La deuxième contradiction est issue du fait que le bombardement technique et médiatique n'a pas créé assez de différences, au contraire il tend à uniformiser les hommes et les pensées. Autrement dit, «l'augmentation considérable du nombre de techniques en cinquante ans ne favorise pas pour autant plus de diversité dans l'offre. C'est même l'inverse. Le conformisme se renforce avec le nombre de canaux.»¹

Cette contradiction renforce l'attachement à la technique au détriment de la perte des idéologies traditionnelles. «C'est aussi cela l'idéologie technique : transférer sur les services offerts par des techniques le soin de changer les rapports humains.»²

La troisième contradiction est la conséquence du décalage entre l'illusion de la société du direct ou du transparent et la connaissance et la culture. C'est donc l'«illusion du direct et de la transparence qui réduit le temps pour penser et travailler, délégitime toutes les professions intermédiaires.»³

Pour corriger cette situation où tout bascule vers le technique, il faut revaloriser la culture et la connaissance comme le dit Wolton : «plus on va vite, donc sans culture et avec pour principal support l'information, plus il faut réintroduire le temps de la réflexion et celui de la compétence, donc des connaissances.»⁴

Il importe de préciser que l'espace public et les communications sont deux dispositifs nécessaires à l'analyse des grandes questions tant nationales que mondiales. La question majeure qu'il faut revoir est donc «la place de l'autre, au sein des Etats-nations, tout autant que dans la mondialisation.»⁵

Il est donc très intéressant de remarquer comment les questions nationales et internationales sont posées aux différents acteurs et comment les rapports s'étagent pour résoudre les équations d'actualité. Et c'est à Wolton de conclure : «les espaces publics nationaux sont les "intermédiaires" nécessaires pour aborder la mondialisation, comme l'ensemble des institutions et des professions le sont au sein des Etats-nations, pour éviter l'illusion d'une société transparente et interactive. Les techniques sont en ligne, les hommes et les sociétés, jamais.»⁶

¹- La communication, les hommes et la politique, p.288

²- La communication, les hommes et la politique, p.288

³- La communication, les hommes et la politique, p.289

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.289

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.291

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.291

- **L'importance des acteurs derrière les discours** : il s'agit ici de se rendre à l'expérience et au vécu car derrière les logiques contradictoires des discours meublant l'espace politique se trouvent des acteurs. Cette communication est de ce fait «l'espace où ils (les acteurs) peuvent s'opposer, sans mettre en cause le fonctionnement de la démocratie moderne.»¹

- **L'autonomie des trois logiques** : il est à rappeler que la séparation qui s'est produite entre les trois logiques de la politique, de l'information et de la communication est très importante du point de vue de la démocratie. C'est un processus qui s'est étalé sur plusieurs siècles.

- **Une conception dynamique** : l'équilibre entre les trois logiques est fragile et instable. Il faut s'attendre à un déséquilibre à tout moment. «C'est pourquoi la communication politique est un modèle d'analyse dynamique et constitue un révélateur de l'état du système politique.»²

- **Le signe d'une certaine maturité** : dans les démocraties modernes, il est clair que la démocratie domine mais il faut remarquer que «la communication ne se substitue pas à la démocratie mais lui permet d'exister.»³. De ce point de vue, la rencontre et la confrontation des discours différents est la condition de l'émergence d'un modèle démocratique de fond. Cela permet de dire que «la communication politique est le signe d'un bon fonctionnement de la démocratie et d'une certaine maturité politique.»⁴

La complexité des relations

Les relations entre espace public et communication politique, d'ailleurs très compliquées, révèlent trois grandes contradictions.

La première résulte du décalage très flagrant opéré entre la performance des techniques et la vitesse de la circulation des informations et de l'autre côté la compréhension de l'autre et la lenteur de l'action. «Les performances de l'information ne suffisent pas à créer la confiance dans la communication ni dans la capacité à rapprocher les points de vue. Ce décalage anthropologique augmente avec la mondialisation.»⁵. Pour abrégé, on peut dire que «l'action est toujours plus lente et compliquée que l'information.»⁶

¹- La communication, les hommes et la politique, p.267

²- La communication, les hommes et la politique, p.268

³- La communication, les hommes et la politique, p.268

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.268

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.287

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.287

Ces différentes légitimités constituent la caractéristique principale de la communication politique. En effet, «pour les hommes politiques, la légitimité résulte de l'élection.»¹ Quant aux journalistes, leur légitimité «est liée à l'information qui a un statut évidemment fragile puisqu'il s'agit d'une valeur, certes essentielle, mais contournable qui autorise à faire le récit des événements et à exercer un certain droit de critique.»²

La légitimité du public émane de son influence sur les élections et son rôle consistant à choisir les hommes politiques. «Pour les sondages, "représentants" de l'opinion publique, la légitimité est d'ordre scientifique et technique»³

De cette manière, la communication politique est assimilée à une machine dressée entre la société et le système politique, elle sélectionne les thèmes conflictuels de la société et les intègre dans l'interface constituée par les trois discours différents desquels on a parlé précédemment. Puis elle rejette les thèmes objet de consensus entre les différents acteurs pour convoquer d'autres soulevés par la société. Et du coup «le rôle essentiel de la communication politique est d'éviter le renfermement du débat politique sur lui-même en intégrant les thèmes de toute nature qui deviennent un enjeu politique... elle apporte la souplesse nécessaire au système politique.»⁴

Les intérêts de la communication politique sont très nombreux mais contenons-nous de citer les plus importants.

- **C'est le moteur de l'espace public** : généralement la démocratie est le fruit d'un espace public bien structuré. Ce dernier ne peut s'organiser qu'à travers l'interaction des discours qui le constituent et partant la communication politique est «la preuve qu'il n'y a pas d'antagonismes indépassables entre les groupes sociaux, la communication politique impliquant l'échange, donc la reconnaissance de l'autre, c'est-à-dire de l'adversaire.»⁵

Cette communication est le garant d'un rééquilibrage des discours antagonistes traversant le système politique. Elle cherche à «déplacer l'éternelle question de la tyrannie des médias et des sondages.»⁶

¹- La communication, les hommes et la politique, p.263

²- La communication, les hommes et la politique, p.263

³- La communication, les hommes et la politique, p.263

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.264

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.266

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.266

-**Les sujets font l'objet d'affrontement** : la communication politique ne porte pas sur tous les sujets actuels de la politique mais elle sélectionne seulement ceux qui divisent les avis des acteurs concernés. «Seuls y figurent ceux qui font l'objet de conflits et d'affrontements.¹»

-**Revaloriser la politique par rapport à la communication** : la démocratisation et l'élévation du niveau de vie ont fait que la communication empiète sur le domaine de la politique. De plus, «la communication n'a pas "digéré" la politique car c'est plutôt la politique qui se joue aujourd'hui sur un mode communicationnel »². Cela nécessite une réhabilitation de la politique par rapport à la communication galopante et engloutissante.

-**Le public n'est pas absent de cette interaction** : hormis les acteurs politiques et les médias, le public reste incontestablement le troisième pôle essentiel de la communication politique sinon le constituant sans lequel la politique et la communication perdent leur sens. «La communication politique n'est pas seulement l'échange des discours de "la classe politique et médiatique", l'on y trouve également une présence réelle de l'opinion publique par l'intermédiaire des sondages et des manifestations publiques de tous ordres.»³ mais il faut souligner tout de même que «l'opinion publique ne se réduit pas aux sondages.»⁴

De cette manière, «la communication politique apparaît comme la scène sur laquelle s'échangent les arguments, les pensées, les passions, à partir desquels les électeurs font régulièrement leur choix.»⁵

On a donc vu que la communication politique est nécessaire au fonctionnement de l'espace public. Elle résulte de la confrontation des trois discours différents ayant un rapport avec la politique : l'action et l'idéologie pour les hommes politiques, l'information pour les journalistes et la communication pour l'opinion publique et les sondages. «Le caractère antagonique de chacun de ces trois discours résulte du fait qu'ils n'ont pas le même rapport à la légitimité, à la politique et à la communication»⁶

¹- La communication, les hommes et la politique, pp.260-261

²- La communication, les hommes et la politique, p.261

³- La communication, les hommes et la politique, pp.261-262

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.262

⁵- La communication, les hommes et la politique, pp.262-263

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.263

thèmes politiques, il en contient bien d'autres puisqu'il est d'abord le lieu d'expression et d'échange de tout ce qui concerne la chose publique.»¹

Communication politique : définition, caractéristiques et enjeux

La communication politique est l'âme-sœur de la démocratie de masse. Elle est liée à la mainmise des médias et des sondages. Elle est «le lieu d'affrontement symbolique des discours portés par les trois enjeux légitimes que sont les acteurs politiques, les médias et les journalistes, l'opinion publique et les sondages.»²

Cette communication est considérée comme indice de bonne santé de la politique et de l'espace public. Wolton explique ce point dans ce propos : «la communication politique m'apparaît donc exactement comme le contraire d'une dégradation de la politique, mais comme la condition du fonctionnement de notre espace public élargi.»³

La définition de la communication politique présente cinq avantages

-L'interaction : il s'agit en fait du heurt des légitimités des trois acteurs à savoir les acteurs politiques, les sondages et les médias. «C'est leur interaction qui est constitutive de la communication politique, celle-ci étant définie moins comme un espace de "communication" que comme un espace de "confrontation" de points de vue contradictoires.»⁴

-L'originalité : elle réside dans le fait de «gérer les trois dimensions contradictoires et complémentaires de la démocratie de masse, la politique, l'information et la communication.»⁵. Historiquement, la politique et l'information ont devancé l'émergence de l'opinion publique et de la communication. Rappelons aussi que les intellectuels, les experts, les techniciens et les technocrates ne sont pas impliqués directement dans la communication politique mais ce sont, par contre, ses «partenaires silencieux»⁶

¹- La communication, les hommes et la politique, p.260

²- La communication, les hommes et la politique, p.257

³- La communication, les hommes et la politique, pp.256-257

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.257

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.258

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.260

- **L'opinion publique** : une réflexion théorique sur sa définition et sur la manière de sa constitution dans un univers surinformé et médiatisé est nécessaire. Le problème de la disjonction entre l'opinion et la confiance, lui aussi, doit être revu et réexaminé.

- **La frontière** : dans un monde obsédé par l'ouverture et les relations, le rappel des frontières, qui s'impose sans cesse et depuis toujours, est perçu comme rétrograde. En effet, «la frontière est la symétrique de l'ouverture. Mais évoquer le simple mot de frontière dans le concert communicationnel ambiant suffit à vous faire ranger dans le camp des obscurantistes.»¹

- **Le modèle de représentation** : ce modèle soulève deux questions très épineuses et très ardues. La première est «celle de la concurrence entre représentation médiatique et politique.»² quant à la seconde, elle concerne «la difficulté à dégager un principe de représentation des forces sociales et culturelles structurant la société.»³

- **La réalité du citoyen** : l'expérience et la vie concrète des gens constituent le cœur de la politique. Il n'y a pas de politique faite uniquement via les réseaux ou à distance. Derrière l'arsenal technique il y a des attentes et des vœux. «Plus la politique devient mondiale, symbolique, globale, à distance, plus elle doit être compensée par l'expérience. Sinon, l'édifice de l'espace public s'effondre, mais aussi, finalement, le modèle de la démocratie pluraliste.»⁴

Si l'on veut schématiser sommairement l'espace public, on pourrait le concevoir comme une zone tampon ou un carrefour entre la tradition et la modernité, entre le civil et le politique. La condition sine qua non de sa performance et de son bon fonctionnement est de ne pas signer de divorce définitif avec les valeurs du passé. Sa validité est tributaire du rééquilibrage qui doit être effectué en réexaminant et en repensant les cinq points cité plus haut.

Pour bien distinguer cet espace de la communication politique qu'on présentera plus tard, il convient de mentionner que l'espace public traite des problèmes de la politique comme il peut porter sur tous les sujets en rapport avec la chose publique. «Celui-ci est consubstantiel à l'existence de la démocratie. Son principe d'organisation est lié à la liberté d'expression et s'il contient des

¹- La communication, les hommes et la politique, p.228

²- La communication, les hommes et la politique, p.228

³- La communication, les hommes et la politique, p.228

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.229

“cache-sexe” de multiples ruptures sociologiques, culturelles et politiques que nous avons du mal à analyser.»¹

Pour remédier à sa fragilité remarquable et pour améliorer son fonctionnement et rationaliser ses rôles et ses fonctions, «il faut donc rouvrir une discussion, et pour cela revaloriser à chaque fois l'autre terme du couple constitutif de l'espace public. Il s'agit du **privé** dans le couple privé-public ; du **territoire** dans le couple territoire-espace ; de **l'expérience** dans le couple expérience-action ; de **la tradition** dans le couple tradition-modernité.»². Si l'on a bien compris cela, il s'agit bien d'une sorte de modération qui doit accompagner la modernité vertigineuse, envahissante et radicale qui affecte les sociétés modernes. C'est en quelque sorte la redécouverte de l'Histoire, de la Géographie et de l'Homme.

Pour que cela se réalise, cinq chantiers doivent être ouverts :

- **L'argumentation** : il est incontestable que la communication dans l'espace public est inséparable de l'argumentation mais cette dernière «demeure le trou noir, l'impensé de l'espace public, alors qu'elle en est peut-être la condition stricte de son fonctionnement»³. Wolton rend visible le paradoxe qui se dresse entre la communication et l'argumentation en disant : «tout le monde s'intéresse à la communication, presque personne à l'argumentation.»⁴. De ce fait, l'argumentation est la condition de base de toute cohabitation et le discours devient essentiel pour la démocratie et la politique. En effet, «qui dit cohabitation de valeurs, de représentations et d'intérêts contradictoires, dit ouverture d'un espace discursif. La bataille des mots est essentielle pour éviter celle des autres.»⁵

Retravailler ce concept et aiguïser sa fonction consiste à refonder la communication et la sauver comme le stipule l'auteur dans cette réflexion : «on ne sauvera la communication qu'en approfondissant simultanément la connaissance des changements qui en résultent du côté de la rhétorique et de l'argumentation. C'est ainsi que l'on évitera la réduction de la communication à une seule logique expressive et narcissique.»⁶

¹- La communication, les hommes et la politique, p.227

²- La communication, les hommes et la politique, p.227

³- La communication, les hommes et la politique, p.227

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.247

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.249

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.255

est évidemment la condition de naissance de l'espace politique, qui est le plus "petit" des trois espaces au sens de ce qui y circule. Dans cet espace, il ne s'agit pas de délibérer, mais de décider et d'agir. Il est lié au pouvoir. Il y a toujours eu un espace politique, simplement la spécificité de la politique moderne démocratique réside dans son élargissement, au fur et à mesure du mouvement de démocratisation.»¹

Pour résumer les relations et les distinctions qui s'opèrent entre ces trois espaces, on se sert de l'expression suivante de Wolton : « l'espace commun concerne la circulation et l'expression ; l'espace public, la discussion ; l'espace politique, la décision.»²

L'élargissement de l'espace public dans sa forme actuelle et la légitimité de laquelle il dispose ne doivent pas nous faire oublier qu'il y avait « un espace public aristocratique limité dans le nombre des participants, organisé sous d'autres formes d'expression»³ depuis le Siècle des Lumières. Cependant, il est intéressant de rappeler que les paramètres essentiels de l'espace public démocratique sont «l'avènement d'un système public pluraliste, le règne de l'individu, le principe de la laïcité, la liberté d'expression.»⁴

Par ailleurs, il ne faut pas perdre de vue que l'émergence de l'espace public est liée à la montée en puissance de la société individualiste de masse, à l'émergence du modèle de la société ouverte, de la mondialisation de la communication et de l'extension de la sphère politique. Ces transformations sont derrière la naissance des sociétés ouvertes⁵. «Cela permet de comprendre le caractère fragile et complexe de l'espace public démocratique.»⁶

Les changements rapides des sociétés contemporaines ont fait que «l'espace public symbolise l'équilibre fragile entre société civile et espace politique. C'est de là qu'il faut partir pour éviter de réifier l'espace public, donc de croire résolu le problème de cet équilibre.»⁷

La présence d'un espace public sous une forme quelconque ne veut nullement dire que la société a radicalement coupé avec son passé et sa tradition. Au contraire, l'espace public est «une sorte de

¹- La communication, les hommes et la politique, pp.220-221

²- La communication, les hommes et la politique, p.222

³- La communication, les hommes et la politique, p.224

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.224

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.223 (résumé personnel)

⁶- La communication, les hommes et la politique, p.224

⁷- La communication, les hommes et la politique, p.226

l'individu, la monarchie et le pouvoir religieux. Il se rapporte en quelque sorte au berceau de la démocratie. Wolton, en le distinguant de l'espace commun, dit à ce propos : « l'espace public est lui aussi au départ un espace physique : celui de la rue, de la place, du commerce et des échanges. C'est seulement plus tard, à partir des XVI et XVII siècles, que cet aspect physique devient symbolique avec la séparation du sacré et du temporel, et la progressive reconnaissance du statut de la personne et de l'individu face à la monarchie et au clergé ¹»

Dans ce sens, on note que l'espace public se taille une place importante avec le temps et va de pair avec la démocratie de masse comme le fait remarquer l'auteur dans cette citation : « le concept d'espace public, espace symbolique où se croisent et s'entrechoquent les discours de toutes natures, nécessaire au fonctionnement de la démocratie de masse, est aujourd'hui davantage accepté. Il est presque devenu légitime »²

Il importe de préciser aussi que sa fonction est incontournable dans la gestion, l'organisation et la cohabitation de tous les intervenants et les acteurs. « Son existence pratique s'est finalement imposée pour définir un cadre symbolique au sein duquel penser la cohabitation du discours politique, la pression des médias et de l'opinion publique »³

Soulignons de passage que l'espace public se distingue de l'espace commun et de l'espace politique à bien des égards. Cependant, les rapports qui se dressent entre ces différents espaces sont visibles. D'abord, « pas d'espace public sans l'existence, au préalable, d'un espace commun dont la figure est donnée par les échanges commerciaux, avec l'équivalent universel de la monnaie, qui compense l'hétérogénéité des langues.»⁴

L'espace commun se définit donc par la présence d'un territoire et des relations. « Un espace commun est à la fois physique, défini par un territoire, et symbolique, défini par les réseaux de solidarité.»⁵

Quant à l'espace politique, il est donc la conséquence de l'espace public. Il est le lieu le plus étroit de ces espaces mais le plus décisif parmi eux. Il est la source des actions et des décisions. Ses propriétés et ses relations avec les autres espaces sont clarifiées dans cette citation : «l'espace public

¹- La communication, les hommes et la politique, p.221

²- La communication, les hommes et la politique, p.280

³- La communication, les hommes et la politique, p.282

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.220

⁵- La communication, les hommes et la politique, p.221

La communication, condition essentielle de l'espace public et de la communication politique

Pour approfondir la recherche entre la communication et la politique, il est nécessaire de mettre l'accent sur « les rôles de l'espace public et de la communication politique, qui sont les outils indispensables pour penser et gérer la démocratie de masse.»¹

Espace public : définition et caractéristiques

Dans la démocratie moderne, presque toutes les grandes questions se débattent, s'affrontent et se négocient. La vie quotidienne est tellement politisée qu'un espace symbolique s'est créé avec le temps comme lieu qui cadre les débats tous azimuts. Cet espace s'appelle d'ores et déjà l'espace public. Dominique Wolton en donne la définition suivante : « l'espace public est l'espace symbolique où s'opposent, et se répondent, les discours pour la plupart contradictoires, tenus par les différents acteurs politiques, sociaux, religieux, culturels, intellectuels, composant une société»²

La naissance de ce concept remonte au Siècle des Lumières lorsque les contradictions entre la société civile et l'Etat étaient pointues et indépassables. Pour remédier à cette situation de confrontation sanglante et en vue de réorganiser une société dérégulée, l'espace public s'est progressivement constitué. Wolton nous fait remarquer que « c'est une zone intermédiaire qui s'est constituée au moment des Lumières – Kant est le premier à en parler – entre la société civile et l'Etat. Elle est donc liée au double phénomène de laïcisation et de rationalisation de la société »³

Le grand mérite dans la réutilisation de ce concept revient à Habermas qui le tire des profondeurs de l'histoire pour l'employer dans le contexte de l'après-guerre du siècle dernier en vue répondre au besoin théorique de forger des outils aptes à analyser les modèles démocratiques en gestation de l'époque. C'est donc un concept « redécouvert dans les années 1960, notamment par Jürgen Habermas, après avoir été introduit dans la pensée politique par Kant, il était devenu la référence de ceux qui voulaient défendre et promouvoir la démocratie pluraliste contre les tenants des divers modèles socialistes, marxistes ou communistes »⁴

Il convient de mentionner que cet espace était au départ physique et lié à l'émancipation de l'individu. Il signe donc la date de naissance de la personne et le début de la séparation entre

¹- Penser la communication, p.146

²- Dominique Wolton, La communication, les hommes et la politique, CNRS Editions, Coll. "Biblis", Paris, 2015 ; p.269

³- La communication, les hommes et la politique, p.269

⁴- La communication, les hommes et la politique, p.219

Il est clair que ces trois légitimités, en l'occurrence les hommes politiques et les universitaires et académiciens, sont indispensables pour introduire un peu d'ordre et de transparence dans l'espace public mais il faut reconnaître que les grandes mutations du monde de l'information leur font perdre un peu de leur prestige et de leur statut. Leur situation devient plus compliquée qu'autrefois. Cela appelle une révision et un remaniement très perceptibles de leurs rôles actuels. Pour ce qui est des médias et des acteurs dans ce domaine, «la mondialisation de l'information va accentuer le décrochage entre le journaliste et son opinion publique nationale»¹. Pour sauvegarder la liberté et la crédibilité de ce champ, l'auteur propose qu'il lui est attribué une attention particulière internationale. Il dit à ce propos : «demain, pour la paix, l'information mérite bien que l'on essaie de la protéger par une convention internationale.»²

La situation des hommes politiques n'est pas moins grave. «Ils sont encore plus déstabilisés et dévalorisés que les journalistes.»³. La place qui leur est traditionnellement consacrée est occupée par des gens de tout acabit. Tout le monde parle politique et l'homme politique n'est plus à même d'impacter le grand public et l'orienter dans telle ou telle direction. «La pythie de l'opinion publique devient un tyran. L'homme politique semble à sa traîne et non devant elle... Elle devient le pouvoir, versatile, interactive, figure d'un «peuple» qui s'invite partout et qu'on fait parler par l'intermédiaire des sondages.»⁴

Le champ de la connaissance, quant à lui, est appelé à se remodeler continuellement pour pouvoir saisir toute la complexité de la réalité sociale, culturelle et politique d'un monde en perpétuelle reconfiguration et pour lequel les théories et les modèles traditionnels ne sont ni valides ni valables. «Le XXI siècle est la revanche des sciences humaines par rapport au positivisme technique et économique du XX.»⁵. La société de l'information et de la communication interpelle crucialement les sciences de l'homme et de la société qui doivent conjuguer leurs efforts, leurs méthodes et leurs modèles dans le cadre de l'interdisciplinarité. «Ces disciplines connaissent les difficultés des rapports savoir-pouvoir-communication ; la nécessité de la cohabitation des savoirs et l'obligation de l'interdisciplinarité.»⁶

¹- Dominique Wolton, *Il faut sauver la communication*, Flammarion, Paris, 2005, p.46

²- *Il faut sauver la communication*, p.47

³- *Il faut sauver la communication*, p.47

⁴- *Il faut sauver la communication*, p.48

⁵- *Il faut sauver la communication*, p.49

⁶- *Il faut sauver la communication*, p.49

sondages, informations, comme dans une sorte de gigantesque jeu de questions-réponses.»¹. Cela dit que l'information et les sondages ont conduit au résultat inverse de ce qu'ils visaient au départ. Au lieu d'assurer une meilleure visibilité à l'espace public en permettant aux hommes politiques de bien saisir la réalité et aux citoyens de les critiquer raisonnablement, ils ont noirci la situation «en brouillant les visions et en provoquant une surexposition au court terme.»²

Ce déséquilibre est redoutable aussi bien pour la démocratie que pour la société. Les hommes politiques se trouvent face à une réalité médiatisée, fausse image de la réalité des citoyens à cause de l'hypermédiatisation. C'est pour cela que «les crises sociales sont toujours aussi inattendues et violentes.»³

Cependant, pour rééquilibrer sa situation et restaurer la confiance du citoyen, il y aura toujours une marge de manœuvre. D'abord, les hommes politiques doivent restituer leur rôle et leur efficacité en accomplissant des actes réels et concrets. «Il s'agit d'abord de desserrer "l'étau de l'événement" qui pèse sur eux par le biais des médias et des sondages, et de revaloriser leur rôle, qui n'est pas de gérer la communication politique mais d'agir sur la réalité.»⁴

Ce rééquilibrage passe aussi par une sorte de réconciliation entre l'homme politique et le citoyen et cela ne peut se réaliser que si l'homme politique exprime sa modestie «en montrant sa faible marge de manœuvre»⁵. Dans ce cadre, la politique de la proximité et la valorisation des élites locales paraissent indispensables. «Revaloriser la politique par rapport à la communication, c'est d'abord de la part des dirigeants politiques, donner le sentiment aux militants et sympathisants que le sens de la politique n'est pas dans les palais nationaux et internationaux.»⁶

En outre, pour que les médias justifient leur fonction et mieux intéresser les citoyens, il est important qu'ils élargissent les opinions et les prises de position. Pourquoi ? «Elargir le cercle, élargir les mots, les références, les vocabulaires, susciterait de la curiosité, créerait des surprises et conforterait les journalistes dans leur rôle de "découvreurs de talents".»⁷

¹- Penser la communication, pp.151-152

²- Penser la communication, p.153

³- Penser la communication, p.153

⁴- Penser la communication, p.156

⁵- Penser la communication, p.157

⁶- Penser la communication, p.158

⁷- Penser la communication, p.159

sociologie de l'homme politique broyé par la communication triomphante qu'il faudrait faire aujourd'hui.»¹

La rapidité de la circulation des informations ne déstabilise pas seulement l'homme politique mais elle fait perdre la confiance du citoyen en sa capacité de changer sa vie. En effet, «le décalage entre la rapidité de l'information et la lenteur de l'action crée un malaise, parfaitement perçu par le citoyen.»²

Cette hypermédiation accentuée par les chiffres et les sondages a largement brouillé la place des hommes politiques qui «abusent de la langue de bois»³ pour sauver la face et minimiser les dégâts. Ces grands perdants de ce déséquilibre sont «devenus spécialistes de la communication spectacle.»⁴

Cet inversement des rapports de force provoque un grand rétrécissement de l'espace public et porte atteinte à la démocratie qui exige une sorte d'équilibre entre les éléments du triangle infernal pour être en bonne santé. Pour cela, «il est certain que les journalistes, grands bénéficiaires du mouvement actuel, devraient desserrer l'étau sur la classe politique, car les deux camps ne sont plus à armes égales.»⁵

Outre l'influence des journalistes, un autre moyen alourdit la tâche des hommes politiques, c'est celui des sondages comme étant représentatifs de l'opinion publique alors qu'ils la mystifient véritablement. Mais comme ils sont généralement biaisés et orientés, c'est-à-dire qu'ils ne sont pas fiables ; il faut chercher d'autres moyens pour remédier à leur insuffisance. «L'information des sondages a toujours besoin d'être complétée par d'autres éléments et restituée par rapport à la commande.»⁶

Ce déséquilibre flagrant provoque un affaiblissement de l'action politique. Au lieu de corriger la classe politique, les journalistes et les sondages inventent une réalité médiatique basée sur l'image et le discours et non sur l'action et la concrétisation des projets. «L'omniprésence des sondages accentue alors la culture de l'instantané, où se succèdent à un rythme effréné événements,

¹- Penser la communication, p.148

²- Penser la communication, p.148

³- Penser la communication, p.159

⁴- Penser la communication, p.149

⁵- Penser la communication, p.150

⁶- Penser la communication, p.151

l'existence d'activités qui, de l'information à la culture, à la religion et à la contestation politique, croisent ces mêmes espaces, et manifestent d'autres dimensions de l'homme.»¹

Pour résumer, on peut dire que l'incommunication rassemble toutes les valeurs requises pour un monde où règnent la paix, la reconnaissance de l'autre, la collaboration et l'intercompréhension. «Communiquer, c'est découvrir l'incommunication, l'altérité radicale et l'obligation d'organiser la cohabitation.»². La problématique principale de la communication aujourd'hui est d'assurer ce virage pour des questions de paix et de guerre. «Tout l'enjeu de ce début du XXI siècle est donc de réévaluer ce concept, de le sortir de l'emprise technique et économique dans laquelle il est aujourd'hui pour lui faire retrouver ses dimensions anthropologiques et politiques.»³

En cherchant une trace mnémotechnique de la dimension normative de la communication, on ne peut pas trouver mieux que cette équation de Wolton : «**Communication = démocratie = cohabitation**»⁴

Le triangle infernal : hommes politiques, journalistes et opinion publique

Pour bien illustrer les rapports et surtout le déséquilibre opéré entre la communication et la démocratie, il est intéressant de dire un mot sur les éléments du triangle infernal en l'occurrence les journalistes, les hommes politiques et l'opinion publique. Comme les temps ont beaucoup changé pour les hommes politiques dont l'action devient minime dans un monde rempli de contraintes pour eux. Certaines des limites de leur manœuvre sont explicitées dans cette affirmations de Wolton : « les hommes politiques des pays occidentaux sont élus pour une durée courte, avec une marge de manœuvre faible, dans des sociétés bureaucratisées, où la souveraineté nationale est fortement écornée par l'Europe et la mondialisation.»⁵

Dans ce nouveau climat résultant de l'invasion de l'information, l'homme politique se trouve accablé par les événements, par les rumeurs et par les journalistes. Il passe son temps à démentir les infox au profit du temps de l'action politique. Il est ainsi englouti par cette vague qui le fait passer de l'action et de la recherche des solutions à la défense. Dans ce cadre, «c'est une véritable

¹ - Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.161

² - Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.208

³ - Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.208

⁴ - Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.213

⁵ - Penser la communication, p.147

communication, mais au contraire la manière de respecter, au mieux, les dimensions normatives de celle-ci.»¹

Ces mots sont très suffisants pour comprendre que l'incommunication constitue la plate-forme éthique et normative sur laquelle repose la communication là où il y a des différences qu'il faut préserver pour vivre ensemble. Elle réunit les conditions dans lesquelles les différences et les conflits seraient acceptables et la communication serait possible et vivable via la cohabitation. Dans cette perspective, «Incommunication et cohabitation sont donc les deux faces de la communication normative.»²

Contrairement à la fascination et à la foi aux techniques et aux outils, l'incommunication et la cohabitation inaugurent une nouvelle vision qui dépasserait les dérives des premières étapes de l'information et de la communication. «C'est le retour de l'Histoire, des sociétés, des civilisations et des religions par rapport à la victoire des techniques et de l'économie.»³. Cette nouvelle philosophie est purement humaniste et démocratique puisqu'elle reconnaît la singularité et les différences des hommes. «L'autre, c'est de toute façon celui qui ne parle pas comme moi, et vis-à-vis de qui je dois faire un effort de tolérance et de compréhension.»⁴

Cette thèse humaniste, consciencieuse et amplement rationalisante constitue la contrepartie des thèses menaçant l'humanité et légitimant le choc et appelant à la guerre. Pour Wolton, «penser l'incommunication à l'échelle de la mondialisation, c'est aussi dépasser les deux approches qui ont été présentées comme l'horizon des enjeux de culture : celle de Francis Fukuyama, qui présidait la fin de l'histoire ; celle de Samuel Huntington, qui parle lui de conflit des civilisations.»⁵

Force est de souligner que l'espace public doit être profondément remodelé pour intégrer tous les ordres symboliques de la société moderne. Sa définition même est révisée suivant les exigences d'une société dont l'ouverture et le changement accéléré sont les principales caractéristiques. En effet, «la société de «communication» a besoin à la fois de séparation des ordres symboliques et de

¹- Dominique Wolton, *Il faut sauver la communication*, Flammarion, Paris, 2005, p.139

²- Dominique Wolton, *Il faut sauver la communication*, Flammarion, Paris, 2005, p.143

³- Dominique Wolton, *Il faut sauver la communication*, Flammarion, Paris, 2005, p.143

⁴- Dominique Wolton, *Il faut sauver la communication*, Flammarion, Paris, 2005, p.146

⁵- Dominique Wolton, *Il faut sauver la communication*, Flammarion, Paris, 2005, p.154

les radicalismes. «Quant à l'incommunication radicale, l'acomcommunication, c'est l'impossibilité de négocier, l'échec, la mort, la guerre.»¹

La définition de l'acomcommunication met en valeur la force et le pouvoir de l'incommunication et de la négociation. Négocier permet en toute dernière analyse d'éviter les risques et sinistres de l'acomcommunication. Négocier, c'est «éviter de basculer de l'incommunication à l'acomcommunication, c'est-à-dire à l'échec, au silence, à la mort.»²

La grande victoire de l'articulation des trois concepts inséparables réside dans une réflexion sérieuse sur les zones d'incommunication tout en négociant continuellement pour construire la cohabitation. La recette de la réussite de ce modèle est la suivante : «Comment cohabiter sans forcément s'aimer. Comment domestiquer l'incommunication pour éviter les catastrophes de l'acomcommunication.»³

De la communication à l'incommunication : la cohabitation

On insiste encore une fois sur ce concept, "l'incommunication", mais il faut dire de prime abord que « l'incommunication est le double de la communication, car elle repose sur les valeurs de la liberté individuelle.»⁴. Loin d'être l'antonyme de la communication, « l'incommunication est souvent l'horizon de la communication.»⁵

C'est ce concept qui détermine la quintessence de l'ouvrage intitulé **Il faut sauver la communication**⁶. Pour Wolton, «penser l'incommunication et organiser la cohabitation, c'est sauver la communication.»⁷

Pour le préciser davantage et insister sur ses vertus et sa dette pour la communication, l'auteur dit : «penser l'incommunication, c'est respecter l'autre, comprendre sur quoi repose l'altérité. Penser l'incommunication constitue le stade suprême de la communication. Construire la cohabitation, c'est réfléchir aux conditions d'un minimum d'inter-relation en respectant les différences. Le cycle communication-incommunication-cohabitation n'est donc pas l'échec de la

¹- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.34

²- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.173

³- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.149

⁴- Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.140

⁵- Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.139

⁶- Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005

⁷- Dominique Wolton, Il faut sauver la communication, Flammarion, Paris, 2005, p.139

Percer les mystères de l'incommunication pour réunir les conditions d'une communication fructueuse et efficiente est un travail de longue haleine et une éducation qui se base sur le respect et la valorisation de toutes les différences de l'autre. Cette orientation ne peut donner ses fruits qu'«en travaillant sur l'incompréhension et en réexaminant les concepts de représentations, stéréotypes, symboles, langues de bois, compromis... Accéder à la réalité de l'autre est la première condition de l'action dans un monde ouvert où les identités culturelles et politiques jouent un rôle croissant.»¹

En parlant des **BRICS**² par exemple, l'auteur insiste sur les paramètres essentiels à prendre en compte pour mener à bien cette philosophie privilégiant l'incommunication à savoir les langues, la traduction et les cultures. Ce propos mérite d'être réinscrit : «en réalité, toutes ces différences obligent à "négocier" sans fin. Et dans ce processus improbable de coopération à cinq, l'importance des langues et de la traduction est cruciale. Elle illustre le rôle capital de la diversité linguistique et culturelle.»³

Pour abrégé, soulignons qu'en plus des grandes problématiques du XXI siècle, «l'autre défi politique contemporain est celui de la prise de conscience de la nécessité de penser l'incommunication, c'est-à-dire les conditions de cohabitation les moins violentes possibles entre ces quatre dimensions : la politique, l'économie, la technique et la culture.»⁴

Cela étant pour la communication et l'incommunication, «l'acommunication à l'opposé, signifie l'échec de la négociation. L'altérité radicale s'impose. Souvent violente, avec les guerres et les conflits. Elle constitue le plus souvent l'horizon des relations internationales. L'acommunication augmente, hélas, avec la mondialisation. On se voit, mais on a rien à se dire.»⁵

L'acommunication illustre parfaitement les désastres du monde contemporain qui ne parvient pas encore à gérer ses zones d'incommunication. Cet échec est sans aucun doute la source de tous

¹- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.107

²-BRICS (anciennement BRIC) — Géoconfluences (ens-lyon.fr) L'acronyme **BRICS** désigne le rapprochement de quatre pays aux vastes territoires : le Brésil, la Russie, l'Inde et la Chine, auxquels s'est intégré l'Afrique du Sud en 2011. Depuis 2011, le groupe des BRICS a pris la forme d'une **conférence diplomatique** à part entière, donnant lieu à **un sommet par an**, se déroulant à tour de rôle dans chacun des cinq États. Le but de ces sommets est d'affirmer la place majeure de ces pays sur la scène internationale, et de **mettre en scène leur poids économique et politique**, en particulier au regard d'autres États ou groupes d'États comme les États-Unis ou l'Union européenne.

³- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.117

⁴- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.89

⁵- Dominique Wolton, Communiquer, c'est négocier, CNRS Editions, Paris, p.35

Quant à l'incommunication, elle est l'horizon et la condition sine qua non de toute communication sérieuse. Elle consiste à chercher les terrains d'entente et les conditions du dialogue et d'intercompréhension malgré les différences et le désamour même parfois entre les communicants. Elle glorifie le respect et l'entraide pour la cohabitation considérée comme réussite de la communication. Pour cela, « l'incommunication est un concept aussi important que celui de communication. Parce que paradoxalement, il en est la condition. C'est bien parce que nous ne sommes pas d'accord entre nous, affectivement ou professionnellement, que nous négocions. Et c'est en discutant que nous trouvons un terrain d'entente »¹

Cette notion est le fruit d'un modèle démocratique et culturel très mature. Elle en est en fait un indice et un résultat. « C'est pour cela que l'incommunication est paradoxalement un progrès culturel et politique. Toujours cette grande idée de la communication : les mots plutôt que les coups. »². L'incommunication serait indubitablement la réflexion sur l'adoucissement des obstacles pour la possibilité de la communication.

Ce concept devient le maître-mot d'un siècle où toutes les différences émergent et où certains appellent à un choc entre les cultures ou à une guerre civilisationnelle³. La contrepartie de ces thèses conflictuelles est une conception philosophique et politique de la communication faisant de l'incommunication un horizon et une force pour adoucir les abus et les excès. « La question de l'incommunication est donc l'enjeu du 21 siècle : comment apprendre à cohabiter et à se tolérer a minima alors que la visibilité de toutes les différences devient un facteur d'antagonisme supplémentaire ? »⁴

Ce concept condense beaucoup de valeurs et de principes. C'est le cœur d'une approche politique très consciencieuse des défis de ce monde et consciente de dépasser tous les désaccords pour avoir des aires de partage et de dialogue. « Le concept qui illustre peut-être le mieux ces vingt dernières années est celui de l'incommunication, c'est-à-dire la prise de conscience à la fois de l'altérité des visions du monde et de la nécessité de négocier pour éviter qu'elles ne débouchent sur des conflits politiques. »⁵

¹- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.40

²- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.41

³- Voir à titre d'exemple, Samuel P. Huntington, *Le Choc des Civilisations*, Editions Odile Jacob, Paris, 2005

⁴- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.34

⁵- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.90

Une première appréhension des trois notions consiste à une schématisation spatiale approximative. « En réalité, l'incommunication se situe entre deux extrêmes : la réussite de la communication, et, à l'opposé, son échec, l'acomunication. »¹

Pour bien comprendre le concept "communication", il est préférable de déconstruire le stéréotype qui confond information et communication. En effet, « **Informer n'est pas communiquer** »². Derrière les réseaux et les tuyaux, il y a des hommes et des sociétés. La diversité culturelle tient tête à la technique. « L'interactivité n'est pas toujours synonyme d'intercompréhension. En réalité, l'enjeu de la communication n'est pas l'échange d'informations, mais celui de l'altérité, de la négociation et de la cohabitation. »³. La grande découverte de la communication est donc le récepteur, la relation et l'altérité. Les différences culturelles et sociales de l'autre nécessitent une négociation pour aboutir à la cohabitation. C'est ainsi que s'enrichit le champ notionnel du concept en question comme le dit l'auteur dans cette citation : « C'est ainsi que j'ai réfléchi aux trois sens du mot communication : partage, transmission et négociation »⁴

Cette négociation ne consiste pas seulement à reconnaître les différences de l'autre mais elle cherche également à le valoriser en lui donnant le même poids que celui du locuteur. Cependant, « il y a là un paradoxe : ce monde de la communication généralisée devrait valoriser l'autre, on ne cesse de le réduire au même. C'est tout l'enjeu de la communication. Chercher le même, buter sur l'autre, et souhaiter néanmoins que l'autre ressemble au même que l'on recherche. »⁵

De ce fait, la communication se définit dans un cadre éthique meublé par des valeurs tels que le respect, la confiance, la négociation, la cohabitation, l'altérité, la différence... Elle est aux antipodes de toute appréhension technique ou économique des choses. Au contraire, elle relève d'une vision culturaliste, humaniste, anthropologique et politique du monde. Dans cette perspective, « ce n'est pas le multi-branchement technique qui assure la compréhension ou la cohabitation, c'est la volonté politique, ou non, de se respecter, malgré les différences. C'est pourquoi, selon moi, la communication relève de la politique, au meilleur sens du terme, c'est-à-dire la volonté de négociation sur fond d'altérité »⁶

¹- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.12

²- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, 2021

³- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.33

⁴- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.31

⁵- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.34

⁶- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.33

par la performance, la vitesse et les outils. Wolton la décrit de cette manière : «l'une , largement majoritaire dans le monde, privilégie la technique et l'économie. Les Gafam en sont le symbole et la société numérique l'horizon. La technique aidera, voire sauvera, l'Homme.»¹

Quant à la deuxième, celle défendue par l'auteur, elle concerne les dimensions sociale, politique et anthropologique de l'humanité. Le respect des spécificités de chaque communauté et la confiance déléguée à l'autre en sont les valeurs principales. Elles sont, à elles seules, capables d'ériger un modèle de cohabitation assurant la coexistence et l'intercompréhension. «L'autre philosophie, politique, est très minoritaire, et privilégie l'Homme et la politique. C'est à elle que je me réfère (...). La philosophie politique de la communication est plutôt agonistique. L'horizon est souvent conflictuel.»²

La finalité de cette philosophie est d'instaurer la paix, l'intercompréhension et l'entraide au sein des différentes sociétés et au niveau de la communauté internationale. L'auteur explicite cette vision en ces mots : «pour moi la communication est une activité politique et humaine, parce qu'elle cherche à réduire les conflits, les inégalités et organiser une cohabitation la moins violente possible.»³

La communication paraît donc le pivot de la philosophie politique contrairement à l'autre philosophie qui privilégie l'information. La communication est de ce point de vue le cœur de tout acte de négociation et de rationalisation qui devrait déboucher sur la construction de la cohabitation. Cette distinction relève de deux conceptions épistémologiquement différentes. «Avec l'information, on peut glisser vers la technique et ses Big Data. Avec la communication, on n'échappe pas à l'anthropologie. Dans un cas, la technique domine, dans l'autre **la société prévaut. Impossible d'échapper à la politique.**»⁴

Cette théorie politique de la communication ne peut être joliment étalée sans expliciter les trois inséparables, butin de la longue recherche et expertise de Wolton qui dit : «penser le rôle des "trois inséparables" (communication, incommunication, acommunication) est le résultat de plus de trente années de mes recherches»⁵

¹- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.183

²- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.183

³- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, pp.183-184

⁴- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.185

⁵- Dominique Wolton, *Communiquer, c'est négocier*, CNRS Editions, Paris, p.27

personne ne peut s'en défaire sans impact psychologique. Pour sentir cela, il suffit d'«observer notre état psychologique quand nous sommes séparés de l'ordinateur, et ou, du téléphone portable pendant plus de deux jours. Inconcevable...Beaucoup d'entre nous en sont malades.»¹

Paradoxalement, le progrès technique démolit la grande valeur qu'il a construite durant plusieurs siècles : l'émancipation. Le plus malheureux c'est que ce retour au point de départ s'effectue d'une manière volontaire. «Les techniques de communication ont contribué à ce mouvement d'émancipation et c'est au moment où l'individu est libre, indépendant de toute autorité qu'il s'assujettit, volontairement cette fois, aux techniques qui lui ont permis précédemment de se libérer. Les «servitudes volontaires» sont innombrables.»²

Pour remédier à cette situation tragique de l'homme moderne, il faudrait réintroduire les dimensions humaine, sociale, culturelle, politique et démocratique dans toute réflexion sur la communication. Sans prise en compte de ces déterminations la communication serait réduite à un amas de machines interconnectées. Autrement dit, «sortir de l'idéologie technique, c'est sortir du technicisme : rappeler que les progrès de la communication humaine ne sont pas proportionnels aux progrès techniques ; séparer communication et technique alors que pendant cent ans les deux ont été liées dans le même mouvement d'émancipation.»³. Pour résumer ce point, on pourrait dire que la dimension technique ne doit pas estomper la dimension anthropologique de la communication. Pour mieux le dire encore, «en réalité, il faut réintroduire de la distance historique et géographique.»⁴

Ce vœu ne peut être réalisé qu'en tissant des liens viscéraux entre la communication et la société et non avec les tuyaux et les machines qui induisent en erreur. Pour contrecarrer cette idéologie déshumanisante, «il faut sortir de la technique, expliciter les liens entre théories de la communication et théories de la société.»⁵

3- La théorie politique de la communication

Pour commencer cet axe, il est intéressant de faire le départ entre les deux philosophies qui partagent le champ de la communication. La première se fie au progrès technique. Elle est fascinée

¹- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.40

²- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.41

³- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.62

⁴- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.63

⁵- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.64

Dans ce sens, le progrès technique paraît illusoire et porte à confusion. Il ne signifie nullement la réussite de la communication. Au contraire, il peut être source d'incompréhension et de malentendu. «Le progrès des techniques, hélas, ne suffit pas à créer le progrès de la communication entre les hommes et les sociétés. Les hommes immergés dans un univers de techniques communiquent-ils mieux qu'il y a 50 ans ?»¹

Le fossé entre les deux concepts devient évident et incontournable. Il n'y a donc aucune équivalence entre les deux termes. Toute analogie est trompeuse car elle renferme de grandes contradictions «La médiatisation, la transmission, l'interaction ne sont pas synonymes de communication. Oui les techniques ont fait des progrès considérables permettant d'améliorer des communications sociales. Non elles ne suffiront jamais à résoudre les apories existentielles de la communication humaine, ou alors on s'achemine vers «les solitudes interactives»»²

Ainsi, est-il légitime de s'interroger sur l'idéologie technique qui détrône les idéologies traditionnelles et qui a semé cette foi aveugle dans les techniques. Elle consiste «à confier aux outils le soin de résoudre des problèmes de sociétés qui ne relèvent pas de leur champ de compétence. Ici croire que plus il y aura des techniques, demain sept milliards d'internautes par exemple, plus les individus se comprendront.»³

Cette glorification excessive de la technique bute sur la réalité complexe et insaisissable des sociétés et des cultures. La technique, à elle seule, ne peut jamais tenir compte des dimensions multiples d'une société en perpétuelle évolution. Se fier uniquement au progrès technique pour comprendre et fonder la société, c'est «confondre deux réalités de nature différente, la technique et la société, en faisant des dispositifs techniques le cœur d'un modèle de société.»⁴. Là aussi, l'attitude de l'auteur est claire et frontale. Sa tendance démantelant l'idéologie technique est exprimée de cette manière : «ce que je critique ici c'est l'idéologie technique, une parmi d'autres, qui consiste à attribuer un pouvoir normatif, excessif, aux techniques de communication, pour devenir le principal facteur d'organisation et de sens de la société.»⁵

Cette dépendance des outils et des techniques a également des répercussions psychologiques très remarquables. Tout le monde est conscient des inconséquences de cette addiction mais

¹- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.39

²- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.40

³- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.38

⁴- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.38

⁵- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.39

2- De l'information à la communication

Wolton s'emploie à s'attaquer à l'idée communément admise qui veut que l'information coïncide avec la communication. Il essaie donc de démêler les relations entre les deux concepts. La première distinction émane du fait que la communication est un processus plus complexe que l'information. Il dit à ce propos : «voilà le stéréotype commun. C'est l'inverse que je souhaite démontrer. La communication est plus complexe que l'information... »¹

La victoire apparente et momentanée de l'information a poussé les gens à insister sur les caractéristiques techniques de l'information tels que la rapidité, le rapprochement des distances, l'efficacité...tout en fermant les yeux sur les volets humain, social, culturel, politique...qui accompagnent la transmission. «De toute façon, on avait jusqu'à présent une vision simple de l'information réduite à un message, le plus souvent univoque, et celle d'un récepteur finalement peu complexe. Avec une sorte de continuum entre les deux et l'idée que l'information plus abondante, et rapide, devait créer plus de communication.»²

La révolution de l'information n'est pas parvenue à aplatir les difficultés de la communication sinon elle les accentue mais de toute façon elle a fait découvrir la source de ce malaise et de ces difficultés. «Avec la communication, c'est toujours la question de l'autre qui surgit, finalement la plus compliquée aussi bien au niveau de l'expérience individuelle que collective malgré l'omniprésence des techniques, leur performance et la liberté des individus.»³. Cette distinction montre que l'abondance et la rapidité des messages (des contenus) a achoppé sur la question tellement compliquée de l'autre (le récepteur).

Cette révolution qui était au début un facteur principal pour l'émancipation des sociétés et des individus devrait être profondément repensée aujourd'hui pour préserver toujours ce souffle d'émancipation et pour réaliser l'enjeu essentiel de la communication à l'heure actuelle. Ce passage subtil, délicat et obligatoire pour instaurer la paix entre les hommes ne peut se réaliser qu'en sortant l'information et la communication de l'emprise de la technique. «Penser le passage de l'information à la communication, c'est donc détechniser la communication, remettre la technique à sa place.»⁴.

¹- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.7

²- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, pp.24-25

³- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.25

⁴- Dominique Wolton, *Informer n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.37

d'égalité que la mêmété. De ce fait, «la communication correspond à des aspirations profondes de l'homme : **l'égalité, la liberté, la fraternité...** »¹

Perçue de cette manière, la communication rejoint la conception religieuse qui insiste sur les volets humanistes et anthropologiques de la chose. Ce dépassement des côtés techniques et matériels est souligné par Wolton dans cette citation : « toute mon hypothèse vise à expliquer que le concept de communication – à dimension d'abord **anthropologique** – précède amplement la réalité technique. La prise en compte de cette antériorité est fondamentale »²

Cette vision originale de la communication exige une longue éducation et un ferme engagement puisqu'elle est aux balbutiements de son expansion. De grands efforts devraient être déployés pour convaincre les responsables et les dirigeants de son efficacité pour faire régner la paix et la sécurité dans ce monde taraudé par les malentendus et les guerres. L'auteur est très conscient de la difficulté de l'entreprise qu'il a échafaudée. Son propos illustre parfaitement cela : «cette conception de la communication que je défends, **minoritaire**, d'abord **humaine** et **politique** avant d'être technique et économique, illustre très bien cet optimisme mâtiné de réalisme. D'ailleurs, **vivre, c'est communiquer**, désespérément. Chercher à aimer, à être compris, même si cela n'est pas fréquent.»³

Cette conception peut être considérée comme un nouveau modèle de tolérance similaire à celui des philosophes des Lumières mais adapté aux circonstances de notre époque. Cela dit que la communication implique et légitime la tolérance car «**se tolérer**, c'est déjà reconnaître l'autre et préférer **la paix, la négociation, la cohabitation**, à la guerre, à l'excommunication et à l'incompréhension »⁴. Dans cet ordre d'idées, on pourrait bien dire que communiquer c'est « partager, négocier, cohabiter avec l'autre »⁵.

Wolton n'hésite donc pas à rappeler le versant démocratique et humaniste en disant : « toute ma vie de chercheur consiste à faire reconnaître et valoriser ce concept universaliste de la communication, nécessairement démocratique et humaniste »⁶

¹- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.123

²- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.123

³- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.282

⁴- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.283

⁵- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.123

⁶- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.283

rendez-vous. »¹. Cette caractéristique paradoxale de la communication – car obligatoire et inquiétante – a engendré la problématique obsédante qui a hanté la réflexion de Wolton et qui se résume en ces mots : « l'incommunication domine : on ne s'entend pas, on se comprend peu ou mal, on s'affronte, on se combat, on se cherche et on ne se trouve pas, on s'épuise le plus souvent dans des relations difficiles ou qui se désagrègent. Rares, in fine, sont les moments d'entente, d'harmonie- et encore renvoient-ils le plus souvent à un âge d'or, fantasmé...»². Cette incommunication affecte les relations personnelles, l'espace public, les relations entre pays, entre cultures, entre religions ...

La définition que Dominique Wolton donne à la communication émane d'une vision philosophique très profonde qui met l'homme au centre de toute réflexion et de toute analyse. Il l'érige comme une panacée aux maux et aux malheurs qui harcèlent l'homme moderne. Sa conception est présentée de cette manière : « l'interrogation centrale est toujours la même : comment passer de la communauté à la société ? De l'identique au différent. Le problème n'est pas l'existence des communautés, mais surtout comment on parvient à **la cohabitation** entre des communautés qui n'ont rien à se dire»³

D'après cet auteur, la communication est inséparable d'un système de valeurs humaniste, démocratique et philosophique. Pour lui, « communiquer, c'est communiquer : **le lien, le partage, l'amour**. Et l'amour conduit toujours à la découverte de l'altérité, qui est la grande aporie. La figure de l'autre interroge, interpelle et remet en cause ce présupposé selon lequel des dispositifs techniques améliorent la communication »⁴

La définition de la communication se base donc sur la prise en compte de l'altérité et la critique de l'idéologie technique qui réduit les êtres humains à des réseaux ou des tuyaux. Wolton reprend cette idée en affirmant : «la communication, c'est une entreprise humaine qui cherche l'autre, découvre l'incommunication et se résout à négocier. Ce qui laisse dès lors la place à deux choses : **l'altérité et l'intelligence du récepteur** »⁵

Cette nouvelle vision de la communication, dépassant de loin les schémas techniques et économiques, met au centre de sa réflexion l'altérité et toutes les valeurs qui la met au même pied

¹- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.34

²- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.34

³- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p.80

⁴- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,p120

⁵- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016,pp.121-122

Pour ce faire, il nous semble opportun de définir premièrement la communication telle qu'elle est conçue par Wolton avant d'exposer sa théorie de la communication. Chemin faisant, nous mettrons l'accent sur les rapports ambivalents qui se tissent entre communication et information tout en interpellant les rôles des acteurs principaux de la sphère publique et politique. Pour terminer cet article, nous nous pencherons sur la place de la communication dans un espace public et politique remodelé par l'idéologie technique et les chantiers à entreprendre pour remédier aux menaces et aux risques de la modernité.

1- La communication d'après Wolton

Dominique Wolton est un vrai spécialiste des médias et un grand penseur de la communication. Ce concept-clé émaille les recherches qui l'ont occupé depuis quarante ans. La tyrannie de la communication se laisse clairement voir lorsqu'il dit : «la communication est **l'interrogation majeure** de mon existence, et cette interrogation traverse depuis quarante ans l'ensemble de mes thèmes de recherche : qu'il s'agisse des relations hommes-femmes, du monde du travail, des médias, des rapports science et société, de la communication politique, de la mondialisation et de la diversité culturelle...»¹

Cet **aspect hégémonique** de la communication est récurrent dans toute l'œuvre de l'auteur. « A force d'étudier les relations hommes-femmes, les transformations du monde du travail, puis les médias, il forge intuitivement cette idée selon laquelle **tout part et tout nous ramène à la communication**, à ses aspérités et à ses promesses, mais aussi à ses échecs»²

En effet, tous les actes de la vie privée et de la vie publique, des personnes physiques et des personnes morales sont tributaires des prouesses et des fiascos de la communication. Ce concept devient donc le maître-mot de la société moderne. Wolton souligne cette propriété en ces termes : « dans la vie de la cité comme dans la vie amoureuse, dans la vie professionnelle comme dans la vie familiale, nos accords et nos désaccords, nos élans et nos espérances viennent de ce qui surgit ou ne surgit pas de **cet acte initiateur de toute société** : communiquer.»³

La richesse des sujets que ce concept crée est frappante. On peut dire sans hésitation qu'il est derrière **toutes les grandes problématiques** de l'époque moderne. Il est vraiment « impossible de vivre sans communiquer et en même temps la communication n'est pratiquement jamais au

¹- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016, p.33

²- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016, p.22

³- Dominique Wolton, Communiquer pour vivre, le Cherche midi, 2016, p.22

Depuis plus de trente ans, le projet échafaudé par Dominique Wolton¹ s'articule autour de la communication et des concepts connexes. Son intention était de « refonder les valeurs d'émancipation de l'information et de la communication dans un contexte où elles sont devenues omniprésentes et terriblement polysémiques. »². Cependant, la question qui taraude le chercheur est celle de sauvegarder cette valeur dans un monde qui connaît des bouleversements foudroyants et rapides. Le plus grand défi est donc de « perpétuer, dans un monde saturé d'information, de communication et de technique, la valeur d'émancipation qui fut les leurs depuis le XVI siècle. »³

Dans ce cadre et avant d'exposer la théorie de la communication de Wolton, il est intéressant de rappeler que l'enjeu principal de cet expert est de « repenser la communication à l'heure du triomphe de l'information et des techniques qui l'accompagnent. »⁴

Ce travail n'a pas pour objectif d'étaler toutes les idées de Dominique Wolton de manière linéaire ou exhaustive. Au contraire, il vise à présenter la thèse de ce chercheur pour vulgariser ses idées et exposer de la manière la plus accessible les grandes lignes de sa théorie de la communication.

¹- Pour de plus amples informations sur l'auteur et ses écrits, il est préférable de consulter [Dominique Wolton – Directeur de recherche au CNRS, directeur de la revue internationale Hermès, président du Conseil de l'éthique publicitaire \(CEP\)](#) où l'on a sélectionné ces quelques bribes, Licencié en droit et diplômé de l'Institut d'études politiques de Paris, docteur en sociologie, Dominique Wolton a fondé en 2007 l'Institut des sciences de la communication du CNRS (ISCC). Il a également créé et dirige la Revue internationale *Hermès* depuis 1988 (CNRS Éditions). Elle a pour objectif d'étudier de manière interdisciplinaire la communication, dans ses rapports avec les individus, les techniques, les cultures, les sociétés. Il dirige aussi la collection de livres de poche « Les Essentiels d'Hermès » et la collection d'ouvrages « CNRS Communication » (CNRS Éditions).

En quarante ans de recherche, Dominique Wolton a exploré dix grands thèmes :

1. L'individu, la famille, les relations interpersonnelles
2. Travail et technique
3. Médias et opinion publique
4. Espace public et communication politique
5. Information et journalisme
6. Internet et le numérique
7. Europe ; politique, culture, anthropologie
8. Diversité culturelle et mondialisation. Langues romanes et aires culturelles
9. Rapports sciences-techniques-société
10. Information, communication et épistémologie de la connaissance

²- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.12

³- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.11

⁴- Dominique Wolton, *Informé n'est pas communiquer*, CNRS Editions, Paris, 2021, p.10

La théorie politique de la communication

Chez Dominique Wolton

Dr. ESSARRAJE Jamal Dine

Professeur de l'enseignement supérieur
Faculté des Lettres et Sciences Humaines
Oujda - MAROC



Dr. OUBACHIR Rafik

Chercheur en Linguistique et Communication
Académie Régionale d'Éducation et de Formation de
la Région de l'Oriental - Berkane - MAROC

Résumé

Cet article a pour ambition d'exposer la théorie politique de la communication chez Dominique Wolton. Ce concept-clé émaille les recherches qui l'ont occupé depuis quarante ans. En effet, tous les actes de la vie privée et de la vie publique, des personnes physiques et des personnes morales sont tributaires des prouesses et des fiascos de la communication. Ce concept devient donc le maître-mot de la société moderne. La définition que Dominique Wolton en donne émane d'une vision philosophique très profonde qui met l'homme au centre de toute réflexion et de toute analyse. Il l'érige comme une panacée aux maux et aux malheurs qui harcèlent l'homme moderne. Pour lui, la définition de la communication se base donc sur la prise en compte de l'altérité et la critique de l'idéologie technique qui réduit les êtres humains à des réseaux ou des tuyaux.

Mots-clés : Communication fonctionnelle, communication normative, incommunication, acommunication, idéologie technique, communication politique, espace public...

Citation :

ESSARRAJE, Jamal Dine. OUBACHIR, Rafik. (2024, Avril). La théorie politique de la communication Chez Dominique Wolton. Revue de recherche en sciences humaines et cognitives, Tome 1, N° 1, Première Année, P 4-32.

Abstract

This article aims to present Dominique Wolton's political theory of communication. This key concept permeates his research over the past forty years. Indeed, all acts of private and public life, of individuals and legal entities, are dependent on the successes and failures of communication. This concept thus becomes the watchword of modern society. Wolton's definition of communication stems from a very deep philosophical vision that places man at the center of all reflection and analysis. He erects it as a panacea for the ills and misfortunes that plague modern man. For him, therefore, the definition of communication is based on the consideration of otherness and the critique of technical ideology that reduces human beings to networks or pipes.

Keywords: functional communication, normative communication, incommunication, acommunication, technical ideology, political communication, public space

Éditorial

À l'aube de cette ère cognitive caractérisée par une interaction accélérée entre les sciences humaines et les sciences cognitives, nous sommes ravis de vous accueillir dans le premier numéro de notre nouvelle revue. Cette revue se veut une plateforme diversifiée et complète pour la recherche et les études qui explorent les différents aspects des sciences humaines et cognitives, et vise à promouvoir la compréhension et l'interaction entre les universitaires et les chercheurs dans ces domaines variés.

Ce numéro propose un bouquet d'articles remarquables qui abordent des sujets allant de la philosophie à la psychologie et la sociologie, et de la linguistique et aux études culturelles. Ces articles ont été élaborés par des chercheurs et des universitaires éminents de différentes universités, conférant à ce numéro une diversité géographique et culturelle qui enrichit l'échange scientifique.

Notre objectif en lançant cette revue est de promouvoir le dialogue scientifique et l'échange de connaissances entre les chercheurs et les personnes intéressées par les domaines des sciences humaines et cognitives, et d'encourager l'innovation et la pensée critique. Nous espérons que les articles publiés dans ce numéro enrichiront les discussions scientifiques et ouvriront de nouveaux horizons pour la recherche et le développement dans nos champs d'intérêt communs.

Enfin, nous voudrions exprimer notre profonde gratitude à tous les chercheurs qui ont contribué à la parution de ce premier numéro, ainsi qu'à l'équipe de rédaction qui a travaillé avec diligence pour mener à bien ce projet. Nous tenons également à adresser nos sincères remerciements aux membres du comité de lecture et d'arbitrage pour leurs efforts considérables dans l'évaluation des articles. Nous nous réjouissons de poursuivre notre collaboration et de remporter de futurs succès dans la construction d'une communauté scientifique forte et en pleine croissance. Merci pour votre confiance et votre soutien continu.

Oujda, Le : 30 avril 2024

Rédacteur en chef
Dr. ESSARRAJE Jamal Dine

Sommaire

Sommaire	2
Éditorial	3
La théorie politique de la communication Chez Dominique Wolton	
Dr. ESSARRAJE Jamal Dine - Dr. OUBACHIR Rafik	4
Un monde de plus en plus façonné par les médias et l'info-com	
Dr. Ahmed OUJAK	33
Le rôle des réseaux sociaux dans la construction identitaire des adolescents	
Ghizlane Boulouiz	46
Mestizaje lingüístico y cultural en la novela Laila de Laila Karrouch	
Challioui Yahya	64

Tous droits réservés à l'éditeur et à la revue

Titre : Revue de recherche en sciences humaines et cognitives
Page Web : www.crshc.com
E-mail : contact@crshc.com
Tél/whatsapp : +212 614-024544
Mise en page : BOURHAOUTA mohamed
Dépôt légal : 2024PE0032
ISSN : 3009-5581
N° de presse : 07/2024
Imprimerie : Cortoba, Oujda, Maroc
Copyright : Réservés à l'éditeur et à la revue © 2024

RRSHC

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

ⲧⲟⲨⲩⲛⲓⲧ ⲓ ⲛⲟⲭⲭⲛⲛ ⲕⲚ ⲧⲬⲟⲐⲐⲟⲓⲚⲓ ⲧⲚⲓⲬⲭⲭⲟⲓⲚⲓ ⲕ ⲧⲚⲐⲐⲟⲓⲚⲓ
Revue de recherche en sciences humaines et cognitives

Revue scientifique internationale à comité de lecture et à parution mensuelle



Tome 1, Numéro 1, Première Année - Avril 2024
Tous droits réservés à l'éditeur et à la revue

Dépôt Légal

ISSN

N° de presse

E-mail

N° Téléphone

2024PE0032

3009-5581

07/2024

contact@crshc.com

+212 614-024544